الجزءان الثالث والرابع المجلد السابع والتسعون

ISSN 0258-1442

مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق

«مجلّة المجمع العلميّ العربيّ سابقًا»

مجلّة محكّمة فصليّة

تموز – كانون الأول ٢٠٢٤م

أغراض المجلة:

إن أغراض المجلة مستمدة من أغراض المجمع الواردة في قانونه ولائحته الداخلية وأبرزها:

المحافظة على سلامة اللغة العربية، وجعلها وافية بمطالب الآداب والعلوم والفنون، وملائمة لحاجات الحياة المتطورة، ووضع المصطلحات العلمية والأدبية والحضارية، ودراستها وفق منهج محدد، والسعي لتوحيدها في الأقطار العربية كافة.

البحوث والمقالات المنشورة في المجلة تعبّر عن آراء أصحابها،
ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجمع باستثناء القرارات المجمعيّة

قواعد النشر:

١- أن يتسم البحث بالجدَّة والأصالة والموضوعية.

٢- أن يُرفق البحث بالسيرة الذاتية والعنوان البريدي والإلكتروني.

٣- ألَّا يقلَّ البحث عن عشر صفحات وألَّا يزيد على ثلاثين صفحة من صفحات المجلة (٧٠٠٠ كلمة)، أما المقالات والتعريف بالكتب فيُقبَل منها ما يقلُّ عن عشر صفحات.

٤- أن تكتب في بداية البحث مقدمة تبين الغرض منه والبنود الرئيسية التي سيتناولها بالتفصيل.

٥- أن يخلو البحثُ من أي إساءة إلى الكُتّاب والباحثين أو غيرهم، وأن يحترم المعتقدات الدينية والفكرية للشعوب.

٦- أن يُعِدَّ الباحث - إذا رغب في ذلك - ملخصاً لبحثه بالإنكليزية أو الفرنسية.

٧- أن يلتزم الباحث المنهجَ العلميَّ في التوثيق، فتُعطى الحواشي أرقاماً متسلسلة من بداية البحث حتى نهايته، وتذكر حواشي كل صفحة في أسفلها كما يلي:

أ- «اسم المؤلف أو الكاتب – اسم الكتاب أو المجلة - رقم الصفحة»، **وفي المصادر والمراجع** يكتب:

ب- «اسم الكتاب - اسم المؤلف - اسم دار النشر ومكانها - رقم الطبعة وتاريخها».

ويمكن للكاتب أن يتخيّر أحد البندين (أ) أو (ب) على أن يجري على نسق واحد في توثيق المصادر والمراجع والحواشي.

٨- أن تكون البحوث والمقالات المرسلة إلى المجلة منضدة بالحرف (Mylotus) أو (Traditional Arabic) قياس (١٦)، وأن تشفع بقرص مدمج مسجلٍ عليه عنوان البحث، أو ترسل بالبريد الإلكتروني.

٩- على الباحث أن يلتزم مصطلحاً واحداً في بحثه إذا تعددت المقابلات العربية للأصل الأجنبي والأولى أن يكون مما جاء في المعاجم المتخصصة.

١٠- أن تُوضع الكلمات العربية أو المُعرَّبة **قبل** مقابلها الأجنبي عند ورودها **أول مرة فقط**، نحو: تِقانة (Technology)، حاسوب (Computer)، نفسية (Psychologic).

١١- أن يُعنى الكاتب بعلامات الترقيم: النقطة، الفاصلة، الفاصلة المنقوطة، ...إلخ.

١٢- تنشر المجلة البحوث والمقالات التي ترد عليها بعد أن تخضع للتقويم السِّرّي.

١٣- ألّا يكون البحث منشوراً أو مرسلاً للنشر في مجلة أخرى أو مستلًّا من رسالة، ويتعهد الباحث بذلك خطيًّا.

١٤- إذا لم يلتزم الكاتب بإجراء ما يجب من تعديلات يقترحها المحكمون في مادته التي أرسلها إلى المجلة، في الفرصة المتاحة للتصحيح - ولا تعاد المادّة إلى صاحبها لإجراء التعديلات إلّا مرّة واحدة فقط - كان للمجلة الحقُّ في رفض نشر تلك المادّة.

١٥- تُرتَّب البحوث والمقالات وَفق اعتبارات فنية.

١٦- البحوث والمقالات التي لا تُنشر لا تردُّ إلى أصحابها.

١٧- ترسل البحوث والمقالات إلى المجلة على العنوان الآتي:

دمشق ص. ب ٣٢٧. البريد الإلكتروني: E – mail: mla@net.sy

تُنشر المجلة في موقع المجمع على الشابكة (الإنترنت):

www.arabacademy.gov.sy

❋ ❋ ❋

فهرس الجزأين الثالث والرابع

من المجلد السابع والتسعين

البحوث والدراسات

- التقاء حرف المد الساكن بالمدغم — د. أحمد قدور — ٣٠٩
- دفاعًا عن العقل والدين تُعلَّم دروس بلاغة العرب — د. عيسى العاكوب — ٣٣١
- رسالة الدار عن محاورات الفار لصفي الدين الحلي — د. عباس الجراخ — ٣٤٣
- من الضائع من رحلة ابن رشيد السبتي (ملء العيبة) (رسالة المصحف العظيم) للقيسي — د. محمد بهاء ككو — ٣٧٩

المقالات والآراء

- عقود الجمان في المعاني والبيان — د. مازن المبارك — ٤١٧
- أيهما أفضل السمع أم البصر؟ — د. مكي الحسني — ٤٢٧
- الكشكول اللغوي (٧): المِزراب والمِرزاب، والمِيزاب والمِئْزاب، والمَسْرَبُ والمَثْعَب — د. رفعت هزيم — ٤٣١

التعريف والنقد

- نظرات في معجم لسان العرب (٧) — د. محمد يحيى زين الدين — ٤٤١

المحاضرات والندوات

- التقويم الزمني في حضارة بلاد الرافدين — د. عيد مرعي — ٤٧٣

- إضاءات على رباعيات الشاعر
أنور العطار د. نزار بني المرجة ٥٠٣
- **ندوة المعجم التاريخي للغة العربية بين الواقع والمأمول** ٥١٩
❖ كلمة د. بسام إبراهيم وزير التعليم العالي والبحث العلمي ٥٢١
❖ كلمة د. حسن الشافعي رئيس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية. ٥٢٥
❖ كلمة د. محمود السيد رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق. ٥٢٩
❖ كلمة د. امحمد صافي المستغانمي الأمين العام لمجمع اللغة العربية بالشارقة. ٥٣٥
❖ كلمة د. عبد الحميد مدكور الأمين العام لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية. ٥٣٩
❖ كلمة د. مأمون وجيه المدير العلمي للمعجم التاريخي للغة العربية. ٥٤٣
➢ كلمة د. غيث زرزور ممثل مجمع اللغة العربية بالشارقة. ٥٤٧
➢ كلمة د. عبد الناصر عساف عضو مجمع اللغة العربية بدمشق. ٥٥٥

أنباء مجمعية وثقافية

- حفلة استقبال الدكتور نضال شمعون: ٥٦٩
كلمة الأستاذ الدكتور رئيس المجمع ٥٧١
كلمة الأستاذ الدكتور عماد الصابوني ٥٧٥
كلمة الأستاذ الدكتور نضال شمعون ٥٨٥
- حفلة استقبال الدكتور محمد قاسم: ٥٩٥
كلمة الأستاذ الدكتور رئيس المجمع ٥٩٧
كلمة الأستاذ الدكتور عبد الناصر عساف ٦٠٣
كلمة الأستاذ الدكتور محمد قاسم ٦١٥
- من قرارات المجمع في الألفاظ والأساليب ٦٣٥
- فهرس المجلد السابع والتسعين ٦٦٠

البحوث والدراسات

التقاء حرف المدّ بالساكن المدغم

أ. د. أحمد محمد قدّور(*)

1) تمهيد:

هذه مسألة من مسائل التركيب، عرض لها القرّاء وعلماء التجويد والنحاة على أنحاء شتى. وأهمّها مبحث المدّ الذي عكف عليه القرّاء أولًا، ثم تلاهم علماء التجويد. أما النحاة والتّصريفيون فقد درسوا هذه المسألة ضمن باب خاصّ بالتقاء الساكنين، وقفوا فيه على مسائل أخرى من هذا النحو. وقد تعدّدت آراء القدامى في تفسير هذه المسألة، وامتدّت إلى بحث حروف المدّ، وآلية الإدغام، وما يتعلّق بذلك من جوانب صوتية تشكيلية ستكون مدار هذا البحث الوجيز.

وينبغي أن نرجع إلى مفهوم القدامى للمدّ، فقد شرطوا له أن يكون حرف العلّة مسبوقًا بحركة مجانسة له، فالواو يجب أن تسبق بضمّ، والياء يجب أن تسبق بكسر. أما الألف فمفتوح قبلها دائمًا. والواو والياء والألف عدّت سواكن مع ذلك. وهناك وضع آخر تأتي فيه الواو والياء ساكنتين بعد فتح، وهو ما عدّوه لينًا مع شيء من المدّ. أما إذا تحرّكت الواو والياء فهما مع

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.
ورد إلى المجمع بتاريخ ١٨/ ١/ ٢٠٢٣م.

الصحاح حتمًا. ويدلّ هذا على أنّ حروف المدّ تشترك مع حالتين أُخريين تُسلكان في الصحاح غالبًا، ولا تستقلان برسم خاصّ. كما أنّ المدّ في العروض ليس له تمثيل، إذ اعتبر حركةً وسكونًا فقط من دون تمثيل للمدّ في أثناء ذلك. فقولنا: (ما) تساوي في الوزن حركةً وسكونًا، أي (/ 0)، وقولنا: (مَن) تساوي كذلك حركةً وسكونًا، أي (/ 0). وهذا موضوع آخر له شأن قريب. ونظر بعض المحدثين في هذه الحالات، ورأى أنّ حالة المدّ هي: حركة طويلة صرفة، والحالة الأخرى، أي حالة اللين، هي حركة مركبة (نحو صَوْم، وعَيْن). والحالة المتبقية، أي حالة الواو والياء المتحركتين، هي شبه حركة، أو نصف حركة[١]. على أنّ هناك من رفض وصف الحالتين الأخيرتين بأنهما من صنف الحركات، وأبقى على وصف حالة المدّ بالحركة الطويلة فقط. أما الحالتان الأخريان فألحقتا بالصّحاح معًا[٢].

وأنكر بعض المحدثين أن تكون الواو والياء مبنية على السكون، لذلك رفض مفهوم التقاء الساكنين، وعزا تلك الحالة إلى وجود مقطع مرفوض أو مكروه. وأنّ القدامى أخطؤوا حين ذكروا أنّ قبل حروف المدّ حركات مماثلة لها. فالألف والواو والياء يُشكّل كلٌّ منها جزءًا واحدًا، أما وضع الحركات قبلها فمن باب الغلط الذي جاءهم من نظام الكتابة[٣]. ورأى العلّامة تمّام حسّان أنّ

(١) «طول الحركة في اللغة العربية وعلاقته بالبنية المقطعية»، مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية ليحيى علي أحمد، ص١٣٠-١٣١ وبين اللسانيات وعلوم اللغة لأحمد محمد قدّور، ص٥٠-٥٢.

(٢) بين اللسانيات وعلوم اللغة، ص٤٦-٤٧ و«الحركات بين المعايير النظرية والخصائص النطقية»، لسمير شريف ستيتية، مجلة البلقاء للبحوث والدراسات، ص١٥٠ وما يليها.

(٣) بين اللسانيات وعلوم اللغة، ص٤٨-٥٦، و«أثر المقطع المرفوض في بنية الكلمة العربية» ليحيى قاسم، مجلة أبحاث اليرموك، المجلد الحادي عشر، ص١٤٩ وما يليها.

الصرفيين حين نسبوا السكون إلى حروف المدّ عند الكلام على التقاء الساكنين، كما في ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ و﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ لم يقصدوا أنّ حرف المدّ مشكّلٌ هنا بالسكون، لأنّ المدّ والحركة لا يقبلان السكون، ولا الحركة، وإنما قصدوا شيئًا شبيهًا باعتبار العروضيين أنّ حرف المدّ يساوي من حيث الكمية الإيقاعية حركةً متلوّةً بسكون»[٤]. هذا فضلًا عن أنّ حروف المدّ لا يتلوها ساكن، فاعتبرت نهاية المدّ ساكنة لذلك. وأرى أنّ الأمر من باب التعبير عن نهاية المدّ التي لا بدّ من أن تكون ساكنة. أما مفهوم المدّ صوتيًّا فمفهوم لهم بالضرورة، وقد بنوا عليه مباحث متعدّدة. ويذكر في هذا الصدد أنّ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح اجتهد في شرح مفهوم المدّ مستعينًا بالتجارب المخبرية، وانتهى إلى أنّه من جزأين، الأول منهما يبدأ بحركة متصاعدة، والثاني امتداد زمني ينتهي بتلاش متدرّج فسكون. وسيرد شيء من تفصيله لاحقًا[٥]. وهو الذي يشهد التأمل له بصحّته. ويشار في هذا الصدد إلى أنّ بعض الدارسين المحدثين تابع الدرس الاستشراقي الزاعم أنّ حروف المدّ تتألف من حركتين. فالألف انزلاق بين فتحتين، والواو انزلاق بين ضمّتين، والياء انزلاق بين كسرتين. مع أنّه من المحال اجتماع حركتين معًا في موضع واحد لتشكيل المدّ[٦]. وأين هذا الزعم من بيان ابن جني (ت٣٩٢هـ) للعلاقة بين الحركات والحروف «فقد ثبت بما وصفناه من حال هذه الأحرف – أحرف المدّ – أنهنّ توابع للحركات ومتنشِّئة عنها. وأنّ الحركات أوائل لها

(٤) اللغة العربية معناها ومبناها لتمام حسان، ص٧١.

(٥) «مبادئ التشكيل الصوتي مراجعة وتقييم، لأحمد محمد قدّور، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد٩٣، الجزءان الأول والثاني لعام ٢٠٢٠، ص٢١٥ وما يليها، وبحوث ودراسات في اللسانيات العربية لعبد الرحمن الحاج صالح، ٢/ ١٧٥ وما يليها.

(٦) «مبادئ التشكيل الصوتي...»، ص٢١٥ وما يليها.

وأجزاء منها. وأنّ الألف فتحة مشبعة، والياء كسرة مشبعة، والواو ضمّة مشبعة»[٧]. وسترد آراء فذّة من هذا النحو في تضاعيف البحث لاحقًا.

٣) المدود والتقاء الساكنين:

ذهب القرّاء وعلماء التجويد إلى أنّ المدّ - في هذا الباب - عبارة عن زيادة المدّ في حروف المدّ لأجل همزة أو ساكن بعدها، يعني الزيادة على المدّ الطبيعي. أمّا القصر فترك تلك الزيادة. والمدّ نوعان: أصلي، وهو اللازم لحروف المدّ ليس لها وجود بعدمه، ويسمّى أيضًا مدًّا ذاتيًّا، وطبيعيًّا، وامتداده قدْر ألِف. وفرعي، وهو المدّ الزائد على المدّ الأصلي لحروف المدّ لسبب من الأسباب[٨]. ويكون المدّ بتطويل زمان صوت الحرف. وهو ليس حرفًا ولا حركة، بل زيادة على كميّة حرف المدّ. ومعنى ذلك أنّ المدّ لا يؤدّي إلى تغيير المعاني هنا[٩]. وهذا المدّ حكم يجب لحروف المدّ واللين إذا كان عقبهما همزة أو ساكن مدغم أو مظهر، كالسماء والبناء، وقائل وبائع، وكالضالّين والعادّين والصاخّة، ونستعين، والأبرار، ويوقفون، ويعلمون إذا وقفت عليها، وما أشبه ذلك[١٠]. والخلاصة أنّ أنواع المدود أربعة: اللازم وهو أقوى المدود بسبب وجود صوت مشدّد بعد الألف وأختيها، وقد قدّر بستّ حركات. والمتصل، وهو وقوع الهمزة بعد حرف المدّ في كلمة واحدة، وقدّر بأربع أو خمس أو ستّ

(٧) سرّ صناعة الإعراب، ١/ ٢٣، بتحقيق حسن هنداوي.

(٨) جهد المقل للمرعشي، ص٢١٣-٢١٤، ومرشد القارئ إلى معالم المقارئ لابن الطحان، ص٥٠-٥١.

(٩) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد لغانم قدوري الحمد، ص٥٢٣. وهناك مدّ آخر مؤثّر في المعنى، انظر: الخصائص، ٣/ ١٢٨ في الوقف عند التذكّر.

(١٠) الموضح في التجويد للقرطبي، ص١٢٨.

حركات. والمنفصل، وهو وقوع الهمزة بعد حرف المدّ في كلمتين، وقدّر بأربع أو خمس حركات. والعارض، وهو الوقف على الساكن، وهو أقلّها بسبب أنّ الجمع بين الساكنين غير ممتنع في الوقف(١١). على أنّ ما يهمّنا من أنواع المدود، المدّ الناشئ عند الإدغام، وعليه مدار الحديث.

وذكر سيبويه (ت١٨٠هـ) أنّ حرف المدّ بمنزلة متحرّك في الإدغام، لأنه حرف ممطول، لذلك فالإدغام بعد حرف المدّ مقبول، وذلك قولك: إنّ المال لّك، وهم يظلمونّي.. ورادُّوا ومادّوا والجادّة، فصارت – حروف المدّ – بمنزلة متحرّك(١٢). وسبب ذلك أنّ الإدغام يمتنع إذا تصدّر الكلام، إذ أوله ساكن، ولا يبتدأ بساكن، إلا أن يكون مسبوقًا بحركة أو مدّ. نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ﴾، [البقرة: ٢٦٧]، وقوله: ﴿تَكَادُتَمَيَّزُ﴾ [الملك: ٨](١٣). وليس في كلام سيبويه السابق ذكر لالتقاء الساكنين، أو ذكر لضرورة المدّ على ما هو عليه طبيعة. مع إشارته إلى أنّ حرف المدّ ممطول أصلًا. ويصف ابن جني حروف المدّ بأنها أين وقعت، وكيف وجدت فهي حروف ممطولة مصوّتة «إلا أنّ الأماكن التي يطول فيها صوتها، وتتمكّن مدّتها، وهي أن يأتي بعدها – وهي سواكن توابع لما هو منهن، وهو الحركات من جنسهن – الهمزة أو الحرف المشدّد أو أن يوقف عليها عند التذكّر... وإنّما مُطِلَت ومُدّت هذه الأحرف في الوقف وعند التذكر من قبل لو أنّك وقفت عليها غير ممطولة ولا

(١١) «طول الحركة في اللغة العربية..» ليحيى أحمد، ص١٤١.

(١٢) الكتاب لسيبويه ، ٤/ ٤١٩،٤٣٨.

(١٣) إيجاز التعريف في علم التصريف لابن مالك، ص١٧٨، والخصائص لابن جني، وفيه من هذا النحو قوله تعالى: ﴿فَلَا تَنَنَجَوۡاْ﴾ المجادلة:٩، و﴿فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ﴾، الأعراف: ١١٧، انظر الخصائص، ٢/ ٣٣٩.

ممكّنة المدة، فقلت: ضربا، وضربوا، واضربي وما كانت هذه حاله، وأنت مع ذلك متذكّر لم تُوجد في لفظك دليلًا على أنك متذكر شيئًا.. لكنّك لما وقفت ومطلت الحرف علم بذلك أنك متطاول إلى كلام تالٍ للأول منوط به»[١٤].

وواضح من كلام ابن جني أنّ هذه الأحرف ممطولة ومصوّتة في كلّ حال، إلا أنّها تتعرّض لمطل جديد ومدّ (أو تطويل) ولتمكين حين تلقى الهمزة والحرف المشدّد أو أن يوقف عليها. ويذكر ابن جني أنّ الألف إذا أُشبع مدّها صار ذلك كالحركة فيها، ألا ترى إلى اطراد نحو «شابّة»، و«دابّة»، و«ادهامّت»، و«ولا الضالّين»[١٥]. وهذا نصّ واضح على أنّ حرف المدّ إذا أُشبع مدّه صار كالحركة، مع أنّ سيبويه لم يشترط الإشباع في ذلك. ويصف ابن جني هذه الأحرف قبل المشدّد والهمز بأنّ المدّ يتمكّن فيهن، ويتمادى بهن الناطق فيطلن ويشعن في الصوت. فإذا التقى الألف بالمشدّد «فإنهم حينئذ ما ينهضون بالألف بقوة الاعتماد عليها فيجعلون طولها ووفاء الصوت بها عوضًا ممّا يجب لالتقاء الساكنين من تحريكها، إذا لم يجدوا عليه تطرّقًا ولا بالاستراحة إليه تعلّقًا، وذلك نحو شابّة ودابّة»[١٦].

وذهب الأستراباذي (رضي الدين ت٦٨٨هـ) إلى رأي جديد في هذا الصدد. فالتقاء الساكنين مع حروف المدّ ممكن، «لأنّ هذه الحروف هي الروابط بين حروف الكلمة بعضها ببعض. وذلك أنّك تأخذ أبعاضها، أعني الحركات فتنتظم بها بين الحروف، ولولاها لم تتّسق. فإذا كانت أبعاضها هي

(١٤) الخصائص، ٣/ ١٢٥-١٢٨.

(١٥) الخصائص، ١/ ٩٢.

(١٦) الخصائص، ٣/ ١٢٥-١٢٦، ويصف ابن جني هذه الأحرف إذا تلاهن الهمز أو الحرف المشدّد بأنهن لدنات وناعمات ووافيات مستطيلات. انظر السابق، ٣/ ١٢٥.

الروابط، وكانت إحداها وهي ساكنة قبل ساكن آخر مددتها ومكّنت صوتك منها حتى تصير ذات أجزاء فتتوصل بجزئها الأخير إلى ربطها بالساكن الذي بعدها. ولذلك وجب المدّ التام في أول مثل هذين الساكنين»[١٧].

وإذا تركنا موضوع تجزئة المدّ إلى حركات، لأنها غير صحيحة – فالمدّ عبارة عن زيادة كميّة للحركة السابقة له – فإننا نرى فهم الأستراباذي لأهمية الحركة والمدّ في وصل الحروف والإدراج. أمّا زيادة المدّ وتمكين الصوت تهوينًا لالتقاء الساكنين فقد مرّ بنا مثيله لدى ابن جني. وابن جني يصرّح بأنّ المدّات لا يتحركن أبدًا[١٨]. فما يحدث حين زيادة المدّ هو إطالة الزمن بما فيها من روائح الحركة، وليس استئنافًا للمدّ أو تجديدًا له أو تبعيضًا. وذكر الخضر اليزدي (كان حيًّا ٧٢٠ للهجرة) أنّ المدّ مهوّن للنطق بالساكن بعده لما فيه من استمرار الصوت[١٩]. ويؤكد ابن جني بأنّ أقعد الثلاثة في المدّ – وهو الألف – لا يسوغ تحريكه، فجرت لذلك مجرى الحركة، ألا ترى أنّ الحركة لا يمكن تحريكها...[٢٠]. وهذا هو المعتمد.

وميّز القدامى بين الألف وأختيها الواو والياء. فسيبويه ذكر أنّ الألف اتّسع لهواء الصوت مخرجه أشدّ من اتساع الياء والواو، لذلك قد تضمّ شفتيك في الواو، وترفع في الياء لسانك قِبَل الحنك. وهذه الثلاثة أخفى

(١٧) شرح الشافية للأستراباذي، ٢/ ١١.

(١٨) سرّ صناعة الإعراب لابن جني، ١/ ٢٨.

(١٩) شرح الشافية للخضر اليزدي، ١/ ٤٧٢.

(٢٠) الخصائص، ٢/ ٣١٩. ويقول في موضع آخر: «يقولون: شأبة ودأبة.. فتحاملوا وحملوا أنفسهم على قلبها همزة تطرقًا إلى الحركة وتطاولًا إليه، إذ لم يجدوا إلى تحريكها هي – الألف – سبيلًا لا في هذا الموضع ولا في غيره» وسيرد لاحقًا. انظر: الخصائص، ٣/ ١٢٧.

الحروف لاتّساع مخرجها، وأخفاهن وأوسعهن مخرجًا الألف ثم الياء ثم الواو[٢١]. وهذه الحروف غير مهموسات، وهي حروف لين ومدّ، ومخارجها متّسعة لهواء الصوت، وليس شيء من الحروف أوسع مخارج منها، ولا أمدّ للصوت[٢٢]. ولذلك رأى ابن جني أنّ أصل المدّ، وأقواه، وأعلاه، وأنعمه، وأنداه إنما هو للألف. وإنما الياء والواو في ذلك محمولان عليها، وملحقان في الحكم بها. ويقول: فكلّما رسخ الحرف في المدّ كان حينئذ محفوظًا بتمامه، وتمادى الصوت به، وذلك الألف ثم الياء ثم الواو. فشابّة إذن أوفى صوتًا، وأنعم جرسًا من أختيها..»[٢٣] والألف أعرق الثلاث في المدّ[٢٤]. فالأصل في حروف المدّ الألف، لأنها حرف مدّ فقط، إذ لا ترد إلا مدًّا، ولأنها أوسع مخرجًا من الواو والياء، كما تقدّم. وأمكن حروف المدّ فيه الألف ثم الياء ثم الواو، وهذا مذهب سيبويه. ولذلك اختار بعض القرّاء تفضيل الألف على الياء، والياء على الواو في التلاوة[٢٥]. وكذلك كانت معظم أمثلة التقاء حرف المدّ بالساكن بعده، سواء أكان مشدّدًا، أم غير ذلك من كلمات فيها الألف، وقد اقتصر عليها بعض المحدثين[٢٦].

(٢١) الكتاب لسيبويه، ٤/ ٤٣٦.

(٢٢) المصدر السابق، ٤/ ١٧٦.

(٢٣) الخصائص، ٣/ ١٢٧.

(٢٤) المصدر السابق، ٣/ ١٢٦.

(٢٥) الدراسات الصوتية لغانم الحمد، ص٥٢٤-٥٢٥. ونقل الحمد عن الداني أنه أعطى حكم المدّ للألف ثم ذكر أنّ حكم الياء المكسور ما قبلها، والواو المضموم ما قبلها مع الهمزة والساكن ومع غيرها كحكم الألف سواء. انظر: الدراسات الصوتية، ص٥٢٦.

(٢٦) «طول الحركة في اللغة العربية..» ليحيى أحمد، إذا اعتمد الألف وحدها لتمثيل المدّ في العربية.

وبيّنت الدراسات الحديثة اختلاف الألف عن أختيها. فموقع كلّ من الواو والضمة، وموقع كلّ من الياء والكسرة متطابق، ولا فرق بين كلّ زوجين منهما إلا في زمن النطق، وهو عادة ما يكون في حروف المدّ ضعفَ الحركات، وقد يزيد على ذلك. أما الألف فموقعها عند النطق يبدو أكثر هبوطًا، وأكثر انسحابًا إلى الخلف ممّا هو عليه عند نطق الفتحة. كما كان موقع اللسان في نطق الألف متراجعًا إلى الخلف أكثر من الياء والواو. فالألف تختلف عن الفتحة في الموقع النطقي، كما تختلف عن الياء والواو بتراجعها إلى الخلف. ويؤدي هذا إلى أنّ الألف تمتاز بتفخيم ما ناتج من تراجع موقعها باتجاه الحلق، ممّا يؤدي إلى اقترابها من ظاهرة التحليق التي تفسّر التفخيم عامة. «فالمنطقة المنشغلة بإحداث التفخيم ليست الطبق فقط، لكنها منطقة الحلق. وعلى هذا يبدو أن وصفها – حروف الإطباق – بالأصوات الحلقية (PHARYNGEALIZED) أنسب من وصفها بالأصوات المطبقة (VERLARIZED)[٢٧]. فضلًا عن ابتعادها عن الحنك الأعلى واتّساع مجرى الهواء معها.

ونشير في ختام هذا الجزء من البحث إلى أنّ بعض العرب يبدل من الألف حين تلقى المدغم همزة فِرارًا من التقاء الساكنين. «وربّما لم يكتف من تقوى لغته ويتعالى تمكينه وجهارته بما تجشّمه من مدّ الألف في هذا الموضع دون أن يطغى به طبعه، ويتخطّى به اعتماده ووطؤه إلى أن يبدل من هذه الألف همزة فيحمّلها الحركة التي كان كلفًا بها، ومصانعًا بطول المَدّة عنها، فيقول: شأبّة، ودأبّة.. فتحاملوا وحملوا أنفسهم على قلبها همزة تطرّقًا إلى الحركة، وتطاولًا إليها، إذ لم يجدوا إلى تحريكها هي سبيلًا، لا في هذا

(٢٧) التشكيل الصوتي في اللغة العربية لسلمان حسن العاني، ص٧١، وانظر كذلك ص٤٢، ٤٣ منه.

الموضع ولا في غيره..»[٢٨]. لكنّ مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) يرى «أنّ بعض العرب يحرّك الساكن قبل المشدّد ليصل بالحركة إلى اللفظ بالمشدّد. فآثر الحركة على زيادة المدّ. فيقول في: دابّة، دأبّة، وقد قرئ «ولا الضأَلين»، أبدل من الألف همزة مفتوحة ليصل بها إلى النطق باللام المشدّدة»[٢٩]. ويلاحظ هنا أنّ مكيًّا أضاف عبارة «تحريك الساكن» إلى ما تقدّم. على أنّ ابن جني ذكر في كتابه «المحتسب» حين الحديث عن «ولا الضألّين» أنّ ذلك نحو من تحريك الألف، وذلك أنّ الحرف يزيد صوتًا بحركاته، كما يزيد صوت الألف بإشباع مدّته[٣٠].

٣) الساكن المدغم وآلية الإدغام:

ذكر القرّاء وعلماء التجويد والنحاة أنّ سبب المدّ (أي زيادته) عند التقاء الحرف المشدّد هو أنّ الحرف الأول من الإدغام ساكن، فيلتقي ساكنان. ولا بدّ من التخلّص من ذلك. ويكون بإشباع المدّ. «فإذا وقع المشدّد بعد ألف وجب

---

(٢٨) الخصائص، ٣/ ١٢٦-١٢٧. ويذكر في موضع آخر أنه قُرئ قوله تعالى: (فيومئذٍ لا يُسألُ عن ذنبه إنسٌ ولا جأنّ)، الرحمن:٣٩. ومنه قوله:

إذا ما العوالي بالعبيط احمأرّتِ

يريدُ: احمارّت. وكذلك قوله:

.. بياضًا، وأمّا بيضها فاسوأدَّتِ

وأنشد قوله: (من خرافات العرب)

يا عجبًا لقد رأيتُ عجبا حمار قبّانٍ يسوقُ أرنبا

خاطمها زأمّها أن تذهبا

الخصائص: ٣/ ١٤٨.

(٢٩) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي القيسي، ١/ ١٤٢-١٤٣ والممتع في التصريف لابن عصفور، ١/ ٣٢٠.

(٣٠) المحتسب في تبيين وجوه شواذّ القراءات والإيضاح عنها لابن جني، ١/ ٤٦.

أن يبيّن بيانًا ظاهرًا قبله مدّ مشبع، نحو «الطامّة» و«لا الضالّين»، و«الصاخّة»، و«دابّة»، وشبهه. فيتمكّن التشديد بتمكّن المدّ، وبإشباع المدّ يتمكّن التشديد، وإذا أخللت بأحدهما أخللت بالآخر، فلا بدّ منهما جميعًا، أعني المدّ والتشديد البالغ»[٣١]. وذكر مكي في كتابه «الكشف» أنّ أول المشدّد ساكن، وحروف المدّ سواكن، فلم يمكن أن يوصل إلى اللفظ بالمشدد بساكن قبله فاجتلبت مدّة تقوم مقام الحركة يوصل بها إلى اللفظ بالمشدّد. وكانت المدّة أولى، لأنّ الحرف الذي قبل المشدّد حرف مدّ، فزيد في مدّه لتقوم المدّة مقام الحركة، فيتوصّل بذلك إلى اللفظ بالمشدّد، وهذا إجماع من العرب ومن النحويين»[٣٢] فالعمل واضح، إذ هو زيادة المدّ، والغاية هي التمكّن، من نطق أوّل الحرفين المدغمين، إذ لا بدّ لهذا الحرف من حرف متحرّك يسبقه.

لكنّ القرطبي (ت٤١٦هـ) يرى أنّ هناك عملين، أو وجهتين لعملية التخلّص من التقاء الساكنين، الأولى أنّ الممدود صار بزيادته وطوله كالمتحرّك، لأنّنا نستطيع تطويل الحرف إذا كان من حروف المدّ أيّ زمان شئنا. والثانية أنّ المدغم في مثله يُنحى فيه بالحرفين نحو الحرف الواحد، فاجتمع فيه مدّ الحرف الذي هو قائم مقام الحركة، وكون الحرفين كالحرف الواحد، وفي الثاني حركة، فحسن الإدغام لذلك، فصار كأنّه لم يلتقِ ساكنان. بخلاف ما إذا كان قبل المثلين ساكن من غير حروف المدّ واللين في مثل ﴿أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف ١٥٠]، وكنْز زيد، فإن الإدغام يمتنع لاجتماع الساكنين في غير حال الوقف، فلم يجز لهذه العلة[٣٣]. وذكر القرطبي أنّ المدّ يقصّر في حروف المدّ واللين إذا كان بعدها ساكن يوقف

(٣١) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة لمكي القيسي، ص٢٢٧.
(٣٢) الكشف، لمكي، ١/ ١٤٢.
(٣٣) الموضح في التجويد للقرطبي، ص١٢٩، ١٣٠.

عليه، في مثل قوله تعالى: ﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، و﴿نَسْتَعِينُ﴾ وما أشبهه عن المدّ في «دابّة» و«الضالّين». وسبب ذلك أنّ الجمع بين الساكنين في الوقف غير ممتنع، على حين أنّ الموضع الذي لا يجوز فيه الجمع وهو الوسط. فجعل المدّ الذي في حروف المدّ واللين إذا كان الساكن بعده وسطًا أتمّ منه، إذا كان بعد حرف المدّ واللين حرف ساكن يوقف عليه[٣٤]. فحالة الوقف عارضة، والكلام على الوصل والإدراج.

وكان ابن جني قد أشار في حديثه عن الإدراج والجمع بين الساكنين، في نحو «شابّة» و«دابّة» وغيرهما إلى أنّ الحرف لما كان مدغمًا خفي، فنبا اللسان عنه وعن الآخر بعده نبوّة واحدة، فجريا لذلك مجرى الحرف الواحد»[٣٥] أما ابن عصفور (ت٦٦٩هـ) فصرّح بأنه جاز الجمع بين ساكنين في نحو «دار رّاشد» و«ثوب بّكر»، و«جيب بّشر» و«يظلمونّي» لما في الساكن الأول من اللين، ولما في الحرف المشدّد من التشبّث بالحركة، ولأنّ التقاء الساكنين فيها غير لازم، إذ قد يزول بالإظهار[٣٦]. أي خلافًا لوجوب الإدغام في نحو «شابّة» و«دابّة». وذكر الأستراباذي حين تعرّض لالتقاء الساكنين أنه جاز إذا كان الحرف مدغمًا في متحرك فهو في حكم المتحرك، وذلك لشدّة التصاقه به. فإن اللسان يرتفع بالمدغم والمدغم فيه ارتفاعة واحدة، فيصيران كأنهما حرف واحد[٣٧]. أما الخضر اليزدي فيجمع بين سببين كذلك لتهوين التقاء الساكنين. «والصحيح أنّ المدّ مهوّن للنطق للساكن بعده، لِما فيه من استمرار الصوت. وأنّ المدغم النطق

(٣٤) المصدر السابق، ص١٣٢.

(٣٥) الخصائص، ١/ ٩٢.

(٣٦) الممتع في التصريف لابن عصفور، ٢/ ٦٥١ ووردت «يظلمونّي» في المتن بالفك.

(٣٧) شرح الشافية للأستراباذي، ٢/ ٢١٢.

به أسهل من النطق بغيره، ولذلك جعلنا كلّ واحد منهما جزء العلة»[٣٨]. ويقول في موضع تالٍ بأنه لا وصل أشدّ من الإدغام[٣٩]. فالإدغام وصل حرف ساكن بحرف مثله متحرك بلا سكتة على الأول، بحيث يعتمد بهما على المخرج اعتمادة واحدة قويّة، فيكون فيه إخراج الحرفين من مخرج واحد دفعة واحدة باعتماد تام[٤٠]. وذكر المرعشي (ت١١٥٠هـ) أنّ الحرفين حين التشديد يصيران لشدة الامتزاج في السمع كالحرف الواحد، وإلا فهما حرفان في الحقيقة، وعوّض عنه، أي عن شدّة الامتزاج التشديد[٤١].

وقد تنبّه القدامى إلى أنّ في الإدغام عملًا واحدًا، و«ذلك لأنه يثقل عليهم أن يستعملوا ألسنتهم من موضع واحد، ثم يعودوا له، فلما صار ذلك تعبًا عليهم أن يدّاركوا في موضع واحد، ولا تكون مهلة كرهوه، وأدغموا لتكون رفعة واحدة، وكان أخفّ على ألسنتهم مما ذكرت لك»[٤٢]. ويكرّر سيبويه عبارة «يرفعوا ألسنتهم رفعة واحدة، أو من موضع واحد»[٤٣]. ويشير هذا إلى أنّ الحرفين في الإدغام يكونان شيئًا واحدًا، أي أنّ سكون الأول ليس منفصلًا وتامًّا، وإلا لم يحدث إدغام ألبتة، وقد نبّه على ذلك أكثر النحاة والتصريفيين. من ذلك أنّ ابن جني ذكر «أنّك في «قطّع»، ونحوه قد أخفيت الساكن الأول في الثاني حتى نبا اللسان عنهما نبوة واحدة، وزالت الوقفة التي

(٣٨) شرح الشافية للخضر اليزدي، ١/ ٤٧٢.

(٣٩) المصدر السابق، ٢/ ٩٦٨.

(٤٠) شرح الشافية للأستراباذي، ٣/ ٢٣٥.

(٤١) جهد المقل للمرعشي، ص١٨٢.

(٤٢) الكتاب لسيبويه، ٤/ ٤١٧.

(٤٣) المصدر السابق، ٤/ ٣٦٥، ٤٠١، ٤١٨.

قد تكون في الأول لو لم تدّغمه في الآخر. ألا ترى أنك لو تكلّفت ترك إدغام الطاء الأولى لتجشمّت لها وقفة عليها تمتاز من شدّة ممازجتها للثانية كقولك (قطْطع).. فإن أنت أزلت تلك الوُقَيْفَة، والفترة على الأول خلطته بالثاني، فكان قربه منه وادّغامه فيه أشدّ لجذبه إليه، وإلحاقه بحكمه»[٤٤]. فالساكن المدغم مختلف عن الساكن الموقوف عليه وقفًا تامًّا، لأنّه متمتع حينئذ في الوقف بخصائصه الجرسية كاملة، على حين أنّه إذا أُدرج في الحرف الثاني دخل في حركته، ونقصت خصائصه الجرسية بسبب الإدراج. فقولنا: شُدْدَ، وحُلْلَ، من غير إدغام، إذ وقفنا على الحرف الأول وقفة ما مختلف عن قولنا: شدّ، وحلّ، وكلامنا إنّما على الوصل[٤٥]. فالإدغام لا يتحقّق إلا بالنطق بالحرفين متّصلين معًا بلا مهلة ولا تراخٍ. و«معنى عدم استقلاله - الحرف الأول - في التلفّظ عدم الفراغ من تلفظّه قبل الثاني. والفراغ إنما يكون برفع اللسان في اللساني، والشفة في الشفوي، والحلق في الحلقي عن مخرج الحرف. وذلك الرفع إن وجد - قبل تمام الإدغام - يكون فاصلًا بين الحرفين، ويستقلّ الحرف الأول وينتفي الإدغام. فحقيقة الإدغام التلفّظ بالمثل الثاني قبل الفراغ من المثل الأول»[٤٦]. وهذا كلام نفيس قبسه المرعشي من أحد كتب التجويد. وفيه فهم علمي صحيح لآلية الإدغام.

وذهب الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إلى نحو قريب من هذا الكلام، إذ ذكر أنّ الحرف الأول من المدغم لا يكون فيه - من مراحل النطق

(٤٤) الخصائص لابن جني، ٢/ ١٤٠، وانظر الممتع لابن عصفور، ٢/ ٦٣١، وشرح الشافية للأستراباذي، ٣/ ٢٣٥، وشرح الشافية للخضر اليزدي، ٢/ ٩٦٢-٩٦٨.

(٤٥) الخصائص، ١/ ٩٤.

(٤٦) جهد المقل للمرعشي، ص١٨٢.

– إلا الحبس، وشيء من امتداده. أما الآخر فلا يكون فيه إلا الإطلاق وشيء من امتداد الحبس السابق. أما إذا حصل الإطلاق في وسط الطور الثاني (امتداد الحبس) بوقف أو بحركة، فلا يكون حينئذ الحرفان مدغمين. وعلى هذا فإننا إذا نطقنا بـ «لمّا، وقلنا: لمْ، ثم انتقلنا إلى المقطع الآخر «ما» بدون أن نقف على الميم الساكنة، أي بدون أن نزيل التوتر العضلي الذي يحدثه الحبس، ودون أن نطلق النَّفَس، كان نطقنا للحرفين بارتفاعة واحدة، أي بعمل واحد متصل، وإن حصل الإطلاق بعد الحرف الساكن (الأول) زال الإدغام. فالأول من الحرفين له الحبس والامتداد، وليس له إطلاق، والثاني له الإطلاق وشيء من الامتداد[٤٧].

وهكذا يتبيّن أنّ لطبيعة الحرف الساكن المدغم أثرًا في تهوين التقاء الساكنين، إذ هو ليس ساكنًا تمامًا أو موقوفًا عليه، لأنه داخل في حركة الحرف الثاني كما تقدّم، وهذا فهم سديد لآلية الإدغام، وعدم الفراغ من نطق الحرف الأول. ويجتمع هذا الفهم مع فهمهم لطبيعة المدّ التي تعادل الحركة، فتساعد على الإدراج، وتهوّن من التقاء الساكنين، كما ذكروا. بل إنّ الساكن الأول، وهو حرف مدّ ليس ساكنًا جلْدًا لا أثر فيه للحركة، وإنما السكون فيه متدرّج متلاشٍ، له شيء من الامتداد الزمني... «ونستنتج من ذلك أنّ بداية المصوّت الطويل (حرف المدّ) هو دائمًا متزايد القوة، وهذا يتفق مع ما قاله العلماء العرب، وخاصة حكمهم على حرف المدّ (نهايته) بأنه ساكن، إلا أنّ السكون هنا غير السكون في الحروف الجوامد، لأنّه يحصل بالتدريج»[٤٨].

(٤٧) مجلة اللسانيات، معهد العلوم اللسانية والصوتية، الجزائر، العدد (٦) لعام ١٩٨٢م، لعبد الرحمن الحاج صالح، ص١٨.

(٤٨) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية لعبد الرحمن الحاج صالح، ٢/ ١٩٤-١٩٥. =

فعلّة المدّ لدى القدامى في حالة الساكن المدغم هي دفع التقاء الساكنين وتهوينه، وتمكين النطق بالمشدّد، إذ هو محتاج إلى حركة ما قبله، مع أنّ الساكن في المشدّد ليس ساكنًا منتهيًا، بل هو متشبث بالحركة - كما يقول ابن عصفور[٤٩] - فكان المدّ (أي زيادته) كالحركة، لأنه يتميّز به أحدهما عن الآخر، وهو شبه إجماع من القدامى[٥٠]. غير أن الدكتور إبراهيم أنيس ذهب إلى أنّ السرّ في هذه الإطالة (للمدّ) كما يبدو الحرص على صوت اللين، وطوله، لئلا يتأثر بمجاورة الإدغام، فطبيعة اللغة العربية ونسجها تستلزم قصر أصوات اللين الطويلة حين يليها صوتان ساكنان (أي مدغمان). فحرصًا على صوت اللين، وإبقاء على ما فيه من طول بولغ في طوله[٥١]. ويتّفق الدكتور يحيى أحمد مع الدكتور أنيس، ويقول: « تبيّنَ من التجربة العملية أنّ الحركة الطويلة (يقصد الألف) في سياق المقطع الثقيل جدًّا (أي المكوّن من صامت وصائت طويل وصامت وصامت) تكون عرضة للتقليص، لذا فإنه يبدو من الواضح أن سبب المدّ في حالة ما سمّي بالمدّ اللازم هو المحافظة على صفة الألف»[٥٢]. لكنّ الحقيقة هي أنّ تقصير الألف ظاهرة لهجية قديمة وحديثة، ولا تتوقّف على وجود المقطع الذي ذكره الدكتور يحيى أحمد، فهي تكاد تشمل الكلمات التي تضمّ الألف على اختلاف تركيبها المقطعي. ومن هذا النحو ما ذكره القدامى من

= وانظر: «مطالعة في مفهوم الساكن والسكون» لأحمد محمد قدور، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (٩٤)، الجزءان (٣-٤)، ص٣٢٩ وما يليها.

(٤٩) الممتع لابن عصفور، ٢/ ٦٥١.

(٥٠) الدراسات الصوتية لغانم الحمد، ص٥٢٩-٥٣٠.

(٥١) الأصوات اللغوية، ص١٥٩-١٦٠، ويقصد بالساكنين، الصحيحين من غير حركة، أي (consonunt).

(٥٢) «طول الحركة في اللغة العربية..» ليحيى أحمد، ص١٥٤.

«اللخلخانية» التي تعرض في كلام أعراب الشِّحر وعمان، ويقصرون فيها الألف، نحو «مشا الله كان» في: ما شاء الله كان[٥٣] فتقصير الألف ظاهرة لهجية سببها توفير الجهد، وتقصير الكلمات، وتشبهها في هذه الغاية «القُطعة» التي تحذف فيها أواخر الكلمات، نحو: يا أبا الحكا، وهو يريد: يا أبا الحكم، فيقطع كلامه عن إبانة بقية الكلمة. وهي لهجة ذائعة في كثير من البلاد المصرية[٥٤].

ومن أمثلة تقصير الألف ما هو مسموع في لهجة القاهرة، فيقولون: سنة أولى جمعه، جامعة، وفطمه، في: فاطمة، وشبّة في: شابّة، وحيطه ميله، أي مائلة، وبلّوا الشرْبات، أي: الشرابات، ونحو ذلك كثير مسموع الآن.

إنّنا نذهب إلى أنّ التفسير المقبول معتمد على ما تقدّم، من إرادة التخلّص من الساكنين بتمكين الساكن الأول لينطق بالساكن الثاني المدغم نطقًا متّصلًا مدرجًا. وهذا يتّسق مع عادة العرب في التخلّص من التقاء الساكنين بالتصرّف بالساكن الأول حذفًا أو تحريكًا. ونجد أنّ مبدأ تعزيز الخاصية السمعية للأصوات الذي اقترحه ديل وزملاؤه (DIEHL ET EL 1991) يمكن أن يفسّر لنا هذا الأمر. وخلاصة هذا المبدأ أنّه في حالة تجاور صوتين، فإن الآلية التي تتّبعها بعض اللغات هي اللجوء إلى تطويل صوت بهدف المحافظة على خصائص الصوت الآخر المجاور له.. ويمكننا أن نقول: إنّ طول الساكن المشدّد في ذلك السياق الصوتي لا يمكن تقليصه، لأنّ الوظيفة التفريقية (التشديد) مبنية عليه. لذا فإنّ المرء يتوقّع تغييرًا لطول الحركة المجاورة للتشديد، وذلك بهدف تعزيز خاصية التشديد[٥٥].

---

(٥٣) المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي، ١/ ٢٢٣، وفصول في فقه العربية لرمضان عبد التواب، ص١٥٠-١٥١.

(٥٤) فصول في فقه العربية لرمضان عبد التواب، ص١٤٠.

(٥٥) «طول الحركة في اللغة العربية..» ليحيى أحمد، ص١٥٣.

ومن حديث الاستئناس بالكلام الدارج في ديار العرب أنّ كثيرًا منهم ما يزال محافظًا على المدّ الطبيعي لحروف المدّ، وهناك من يزيدها مطلًا. ويمكن أن نعدّ أجزاء من الشام والعراق والجزيرة العربية مثالًا على هذه المحافظة على المدّ. كما يمكن أن نلاحظ مطلًا لها في كلام أهل دمشق القديمة. وهذا الذي عرفناه من كلام الناس يكاد يكون عامًّا حتى في لهجات أخرى من البلاد المصرية كلهجات الصعيد مثلًا خلافًا للهجة القاهرة التي رأينا ميلها إلى التقصير. ويؤثّر هذا من غير شكّ في العادات النطقية للعربية والقرآن. ومن هذا القبيل لاحظ الدكتور يحيى أحمد من خلال التجربة أنّ قارئين ينتميان إلى مصر يميلان إلى المدّ المتوسّط، على حين أنّ قارئين آخرين ينتميان إلى الجزيرة العربية يميلان إلى التطويل[٥٦]. وانتهى الدكتور يحيى أحمد إلى أنّ الأداء المعاصر للمدّ اللازم يزيد على ما قدّره القدامى له[٥٧]. وفي ذلك دليل على أنّ هذا المدّ ظاهرة راسخة في أداء القرآن والعربية مهما اختلفنا في تفسيره.

وهكذا يتبيّن أثر المراجعة العلمية الصحيحة للمسائل الصوتية التي خلّفها علماء القراءة والتجويد والنحو في ضوء الدرس الحديث، ولا سيما الدرس التجريبي منه. فالنهوض بعلم الأصوات عندنا يحتاج إلى إبراز المسائل التي خلّفها القدامى، ودراستها دراسة علمية منصفة، كما يحتاج إلى الاستعانة بما جدّ في علوم اللسانيات من نتائج مجرّبة. وعندما يتحقّق هذا النهج نكون قد شرعنا في تجديد علومنا، وتقديمها إلى الأجيال الجديدة عربية الوجه واللسان. والله الموفّق للصواب.

(٥٦) المرجع السابق، ص١٤٥.

(٥٧) المرجع السابق، ص١٤٧. ويذكر أنّ النتائج الواردة في هذه الدراسة مستخلصة من تلاوة أربعة قرّاء فقط، ومن عدد محدود من الأمثلة، انظر ص١٥٨.

المصادر والمراجع

أ- الكتب

- أصوات اللغة عند سيبويه لأحمد محمد قدّور، دار نينوى، دمشق، ط. أولى ٢٠١٩م.
- الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة، ط. رابعة ١٩٧١م.
- إيجاز التعريف في علم التصريف لابن مالك، تحقيق حسن أحمد العثمان، المكتبة المكية ومؤسسة الريان، مكة وبيروت، ط. أولى ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
- بحوث ودراسات في اللسانيات العربية لعبد الرحمن الحاج صالح، مجمع اللغة العربية الجزائري، الجزائر، ٢٠٠٧م.
- بين اللسانيات وعلوم اللغة لأحمد محمد قدّور، دار نينوى، دمشق، ط. أولى ٢٠٢٢م.
- التشكيل الصوتي في اللغة العربية، فونولوجيا العربية لسلمان حسن العاني، ترجمة ياسر الملاح، مراجعة محمد محمود غالي، النادي الأدبي الثقافي، جدّة، ط. أولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- جهد المقل للمرعشي، الملقّب بساجقلي زاده، دراسة وتحقيق سالم قدوري الحمد، دار عمار، عمان، د. ت.

- الخصائص لابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، د. ت.
- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد لغانم قدوري الحمد، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مطبعة لخلود، بغداد، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق أحمد حسن فرحات، دار المعارف للطباعة، دمشق ١٩٧٣م.
- سرّ صناعة الإعراب لابن جني، تحقيق حسن هنداوي، دار القلم بدمشق، ط. أولى ١٩٨٥م.
- شرح شافية ابن الحاجب للأستراباذي، مع شرح شواهده لعبد القادر البغدادي، تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي، بالقاهرة ١٣٥٦-١٣٥٨هـ.
- شرح شافية ابن الحاجب في علم التصريف والخط للخضر اليزدي، دراسة وتحقيق حسن أحمد العثمان، مؤسسة الريان، بيروت، ط. أولى ٢٠٠٨م.
- فصول في فقه العربية لرمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرفاعي بالرياض، ط. ثانية ١٩٨٣م.
- الكتاب لسيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، بيروت، د.ت.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- اللغة العربية معناها ومبناها لتمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط. ثانية ١٩٧٩م.

- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني، تحقيق علي النجدي ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٩٩٤م.
- مرشد القارئ إلى معرفة معالم المقارئ، لابن الطحّان السماتي، تحقيق حاتم صالح الضامن، دار البشير، عمان، ومؤسسة الرسالة، بيروت، ط. أولى ١٩٩٩م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، البابي الحلبي، القاهرة، د. ت.
- الممتع في التصريف لابن عصفور، تحقيق فخر الدين قباوة، المكتبة العربية بحلب، ط. أولى ١٩٧٠م.
- الموضح في التجويد للقرطبي، تحقيق غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان، ط. أولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

ب- البحوث

- أثر المقطع المرفوض في بنية الكلمة العربية، ليحيى قاسم، مجلة أبحاث اليرموك، المجلد الحادي عشر، العدد الثاني، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
- الحركات بين المعايير النظرية والخصائص النطقية لسمير شريف ستيتية، مجلة البلقاء للبحوث والدراسات، المجلد الثاني، العدد الأول، كانون الأول ١٩٩٢م، جمادى الآخرة ١٤١٣هـ.
- طول الحركة في اللغة العربية وعلاقته بالبنية المقطعية ليحيى علي أحمد، مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية، المجلد (٢٩)، العدد (٣-٤) لعام ٢٠١٣م.

- مبادئ التشكيل الصوتي، مراجعة وتقييم لأحمد محمد قدّور، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (٩٣)، الجزءان الأول والثاني لعام ٢٠٢٠م.
- مسائل في مصطلحات التجويد لفضيلة الشيخ جلال الحنفي والإجابة عنها للأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة اللسانيات، معهد العلوم اللسانية والصوتية بالجزائر، العدد (٦) لعام ١٩٨٢م.
- مطالعة في مفهوم الساكن والسكون، لأحمد محمد قدور، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٩٤، الجزءان (٣-٤)، لعام ٢٠٢١م.

* * *

دِفاعاً عَنِ العَقْلِ والدِّين،
تُعَلَّمُ دُرُوسُ بَلاغةِ العَرَب

أ. د. عيسى علي العاكوب(*)

قَصْدُ القائلِ مِنَ المَقال:

يَقْصِدُ الكاتِبُ في هذه المُقدِّمةِ إِلَى بَيانِ الفِكْرةِ المُتأصِّلةِ في ثَقافَتِنا العَرَبيّةِ الإسلاميّة؛ وهِيَ أنّ قِيمَةَ العِلْمِ مِنْ قِيمةِ المَعْلُوم. ثمّ يَنْطَلِقُ مِن تَبَنِّي هذا المَبْدَأ إِلَى أَساسٍ فِكْرِيٍّ عَمَلِيٍّ يَذْهَبُ إِلَى القَوْلِ إنّ عُلُومَنا جَمِيعًا يَنْبَغي أَن تُحاكَمَ بِمِعْيارِ الفائدةِ العَمَليّة. وفي مَجالِ عُلُومِ اللّغةِ العربيّة، مِن نَحْوٍ وصَرْفٍ وبَلاغةٍ وعَروضٍ... إلخ، عَلَيْنا أَنْ نَتثبّتَ مِنْ مَبْلَغِ انْتِفاعِ طَلَبَةِ العِلْمِ في مَيادِينِ الحَياةِ مِن مَباحِثِ العِلْمِ التي يَتَلَقَّوْنَها. والإهْمالُ في إِعْمالِ ذلك جالِبٌ لِقَدْرٍ كبيرٍ مِنَ الضَّيمِ إِلَى عُقُولِ المُتعَلِّمينَ، الّذينَ هُمْ أَنْفُسُهُم في طَريقِ أَن يَغْدُوا مُعَلِّمينَ.

وإِذا كانَتْ عُلُومُ العربيّةِ، التي يَنْتَظِمُ في أَقْسامِها آلافٌ مُؤلَّفةٌ مِنَ الطُّلّابِ في مَطْلَعِ كُلِّ عامٍ عَلَى امْتِدادِ دِيارِ العرب، تَقْصِدُ في نِهايةِ المَطافِ إِلَى تَأْهِيلِ

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق، أستاذ البلاغة والنقد في جامعة حلب.
ورد إلى المجمع بتاريخ ١٤/ ٩/ ٢٠٢٣م.

أَفرادٍ يُنْتَظَرُ مِنْهُم أن يكونُوا مُعَلِّمي العَرَبيّةِ في الغَدِ، بَدا لنا حَجْمُ الأَهَمِيِّةِ التي ينبغي أن تُولَى لِطَبيعةِ المادّةِ المَعْرِفيّةِ التي ينبغي أَنْ تُختارَ لِكَيْ يَتعَلَّمُوها.

وإذا كُنْتُ مُسْتَيْقِنًا تَمامًا عَدَمَ انْشِغالِ أَقْسامِ اللّغةِ العربيّةِ بِتَحْديدِ الفائدةِ المَرْجُوّةِ مِن تَدْريسِ مقَرَّراتٍ مِن قَبيلِ النَّحْوِ والصَّرْفِ والبلاغةِ والعَرُوضِ والشِّعْرِ والنَّثْرِ...، فإنّني مُسْتَيْقِنٌ تَمامًا أيضًا عَدَمَ انشِغالِ هذه الأَقْسامِ ومُعَلِّميها وطُلَّابِها بِالفائدةِ المُنتَظَرةِ مِن تَدْريسِ عُلُومِ البَلاغةِ العَرَبيّةِ مِن مَعانٍ وبَيانٍ وبَديع.

- عِلْمُ البلاغةِ عِلْمٌ بِطَبيعةِ أَجْمَلِ الكَلام:

تَفْرِضُ طَبيعةُ الأَشْياءِ أَن يَنْصَرِفَ تَعْليمُ البَلاغةِ إِلَى التّعريفِ بِماهِيّةِ أَجْمَلِ الكَلامِ إِدْراكًا وفَهْمًا وإنتاجًا وقُدْرةً عَلَى التَّعْلِيم؛ فعَلَى المُتعلِّم، مَثَلًا، أَنْ يُدْرِكَ ويَفْهَمَ المُرَادَ الدّقيقَ مِن قَوْلِ عُلَماءِ البلاغةِ: «البَلاغةُ هي مُطابَقةُ الكلامِ لِمُقْتضَى الحالِ مَعَ فصاحَتِه». وهذا مِن صِنْفِ ما يُسَمُّونَهُ التَّعْرِيفاتِ الجامِعَةَ المانِعَةَ . ويَعْني ذلك عَلَى نَحْوٍ دقيقٍ تَحْقِيقَ أكبَرِ قَدْرٍ مِن صِياغةِ المُتكلِّمِ كلامَهُ وَفْقًا لِلْحالِ التي يكونُ عَلَيها مُتَلَقِّي كلامِهِ. ويَسْتَلْزِمُ ذلكَ «قُدْرةَ كَشْفٍ» عاليةً عِنْدَ المُتكلِّمِ يَكْشِفُ بِها الحالَ الذِّهْنيّةَ لِمُخاطَبِيهِ كَشْفًا لا يُغْفِلُ جانِبًا مِن جَوانِبِها؛ ويَسْتَلْزِمُ إِلَى ذلكَ «قُدْرةَ إِنْتاجٍ» لِمَواليدِ الكَلام؛ أَيْ أَنْ يأتِيَ المُتكلِّمُ بِأَنْسَبِ المُناسِبِ مِنْ جِنْسِ الكَلامِ لِمُتلَقِّي كَلامِه. ولا بُدَّ مِن أَن يَنْشَأَ عن ذلكَ أَنّ كَلامَ الأَذْكِياءِ لِلْأَذْكِياءِ طِرازٌ خاصٌّ مِنَ الكَلامِ؛ ومِن هذه الوِجْهةِ لا بُدَّ أَنْ يَكُونَ كَلامُ الأنبياءِ لِحَوارِيِّيهم وخُلَّصِ مُحِبِّيهم طِرازًا عالِيًا مِن الكَلام. وفي مُتناوَلِي أَن أَمْضِيَ في الاستنتاجِ إِلَى أَبْعَدَ مِن ذلكَ فَأَقُولَ: لا بُدَّ مِنْ أن يَكُونَ كَلامُ رَبِّ العِبادِ المُوَجَّهُ إِلَى العِبادِ مِنْ أكثَرِ ضُرُوبِ الكَلامِ مُطابَقةً لِمُقْتضَى الحالِ، وأكثَرِها فَصاحةً.

- القُرْآنُ الكَرِيمُ أَجْمَلُ كَلامٍ، وأكثَرُ كَلامٍ مُطابَقةً لِمُقتضَى الحالِ مَعَ الفَصاحَةِ المُطْلَقةِ:

هذه الفِكْرةُ أُحَدِّثُ بها صِنْفًا خاصًّا مِنَ البَشَر: صِنْفًا مُتحرِّرًا مِنْ عُقَدِ الكِبْرِ والعِنادِ والرَّفْضِ لِمُجرّدِ الكِبْرِ والعِنادِ والرَّفْضِ؛ صِنْفًا يُذْعِنُ لِلْحَقيقةِ فقط لِأَنّها حَقيقةٌ؛ صِنْفًا شِعارُه العِبارةُ العَرَبيّةُ: الحَقُّ أَبْلَجُ والباطِلُ لَجْلَجُ. ووَصْفٌ آخَرُ لازِمٌ لِهذا الصِّنْفِ، وهُوَ الخِبْرةُ اللّغويّةُ في اللّغةِ العربيّةِ وفي غَيْرِها مِن اللّغاتِ إِنْ أَمْكَنَ ذلكَ.

القُرْآنُ الكريمُ أَجْمَلُ كَلامٍ عَرَفَهُ الوُجُودُ، واللُّغةُ العَرَبيّةُ وَحْدَها الوِعاءُ لِأَجْمَلِ الكَلام. ولا مَناصَ مِنْ أن يَنْصَرِفَ تَعْليمُ «البلاغةِ العربيّةِ» إِلَى تَعْلِيمِ ماهِيّةِ الجَمالِ في أَسْمَى نَمُوذَجٍ لُغَوِيٍّ عَرَبيٍّ؛ القُرْآنِ الكريم.

- القُرْآنُ الكريمُ هَذّبَ عُقولَ قارئِي القُرْآنِ وأَطْلَقَ أَلْسِنتَهم ورَقّقَ طِباعَهم:

لِيَزدادَ الذينَ آمَنُوا إِيمانًا أَقُولُ: لِنَقْرَأْ تَراجِمَ أَفْذاذِ الأُمّةِ عَلَى امْتِدادِ القُرُون، أو لِنَقْرَأْ عَدَدًا مِنْها، لِكَيْ نَتَبيّنَ تأثيرَ الكَلامِ القُرْآنيّ الإلهيِّ في العُقُولِ والأَخْيِلةِ والسّلائق. قالَ نَبِيُّ اللهِ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ الصّلاةُ والسّلامُ - وشَهادَتُه عِنْدَنا حَقٌّ يَقِينٌ -: «مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ في شَبِيبَتِه اختَلَطَ القُرْآنُ بِلَحْمِه ودَمِه؛ ومَنْ تَعَلّمَهُ في كِبَرِه وهُوَ يَنْفَلِتُ مِنْهُ فلا يَتْرُكهُ، فلَهُ أَجْرُهُ مَرّتَيْنِ»[1].

- المُواظَبَةُ عَلَى تَدَبُّرِ الكلامِ القُرْآنيّ مُواظَبَةٌ عَلَى تَدبُّرِ أَنْسَبِ مَقالٍ لِأَنْسَبِ حالٍ:

لا ينبغي البَتّةَ أَنْ يُغْفَلَ في تَعْلِيمِ البلاغةِ العَرَبيّةِ تَكْليفُ الطُّلّابِ

(١) المَدْخَلُ إِلَى عِلْمِ السُّنَنِ لِلْإمامِ البَيْهَقيِّ، بِعناية محمّد عَوّامة، بِرَقْمِ ١٧٣٩، دار اليُسْر.

اسْتِظْهارَ قَدْرٍ مُناسِبٍ مِن سُوَرِ القُرْآنِ الكريم، وحَمْلُهم عَلَى تَأَمُّلِ نَظْمِ القُرْآنِ الكريم المُتمثِّلِ في اختيارِ المُفْرَداتِ وتَرْتِيبِها في رَصْفٍ خاصٍّ مُتميِّزٍ هُوَ الذي تَنْشَأُ عَنْهُ فَصاحةُ القُرآنِ وبَلاغَتُه وبَيانُه وبَراعَتُه، كما يَذْهَبُ إِلَى ذلكَ عالِمُ الإِعْجازِ البَيانيِّ القُرْآنيِّ، عَبْدُ القاهِرِ الجُرْجانيّ.

والكَلامُ الإلهيُّ القُرْآنيُّ مِن أَوّلِهِ إِلَى آخِرِه، نَمُوذَجٌ عالٍ لِمُناسَبةِ الكَلامِ لِمَنْ يُوجَّهُ إِلَيْهِ. وكَثْرةُ تأمُّلِ مَظاهِرِ هذه المُناسَبةِ باعِثَةٌ في نَفْسِ المُتأمِّلِ عَلَى أَنْ يَحْرِصَ عَلَى تَكْلِيمِ النّاسِ بِكلامٍ يُناسِبُ ما تَصوّرَهُ المُتكلِّمُ في نَفْسِهِ مِنْ أَحْوالِهم الذِّهْنيّةِ والمِزاجيّة.

- تَأسِيسُ عُلُومِ البَلاغةِ عِنْدَ العَرَبِ عَلَى أُسُسِ الفَصاحةِ والبلاغةِ القُرْآنيّة:

استقرَّ في أَذْهانِ عُلَماءِ العربيّةِ أَنّ أَرْقَى نَمُوذَجٍ لِلْعَرَبيّةِ، إِنّما بَرَزَ بِجَلاءٍ تامٍّ في لُغةِ القُرْآنِ الكريم. ولَيْسَ عِنْدي ما يُثِيرُ شُبْهةَ أَنّ الطّابَعَ الدِّينيَّ لِلْمادّةِ المَعْرِفيّةِ القُرْآنيّةِ قد نَأى بِلُغةِ القُرْآنِ عِنْدَهم عن أَن تكونَ نَمُوذَجًا عالِيًا لِلّغةِ العَرَبيّة. بَلْ كانَ تَظَهُّرُ دِينِ الإِسْلامِ بِاللّغةِ العَرَبيّةِ في القُرْآنِ الكريم، مَحَلَّ تَقْدِيسٍ وإِعلاءٍ لِمَنْزِلَةِ العربيّة. وقد اسْتَفادَتِ العربيّةُ كثيرًا مِن كَوْنِها الوِعاءَ لِوَحْيِ اللهِ في القُرْآنِ الكريم. فالشَّكْلُ اللُّغَوِيُّ العَرَبيُّ أَصْلَحُ شَكْلٍ لُغَوِيٍّ لِلْمادّةِ المَعْرِفيّةِ الإيمانيّةِ في كِتابِ اللهِ سُبْحانَه.

وقد أُسِّسَتْ قَوانِينُ الكَلامِ الفَصيحِ البَليغِ في العربيّةِ عَلَى نظائِرِها المُتميِّزةِ في الكِتابِ العَزِيز. وتَبَعًا لِذلكَ جاءَ الشَّطْرُ الأَعْظَمُ مِن شَواهِدِ البلاغةِ العربيّة، في أُمَّهاتِ مَصادِرِ البَلاغةِ وكُتُبِ التَّفْسِيرِ، مِن مَسْبُوكاتٍ قُرْآنيّة.

- اخْتِصاصُ البلاغةِ العربيّةِ مِنْ بَيْنِ بَلاغاتِ الأُمَمِ جَمِيعًا بِالجَمْعِ بَيْنَ المَضْمونِ الإلهيِّ والتَّقْنِياتِ الأَدائيّةِ المُتَحَلِّيةِ بِرَوْعَةِ الصِّياغةِ وجاذِبيّةِ السَّبْكِ:

يَنْبَغي أَن يَتَذكَّرَ مُعَلِّمُو البلاغةِ العربيّةِ دائمًا أَنّ الشّواهِدَ البلاغيّةَ القُرْآنيّةَ هِيَ أَقْدَرُ أَدَواتِ التَّمْثِيلِ في اللّغةِ العربيّةِ لِصياغاتِ المعاني وصُوَرِ البَيانِ والحِلَى البَدِيعيّة. وتَمَكُّنُ مُعَلِّمِ البلاغةِ مِن فَهْمِها وإِفْهامِها باعِثٌ قَوِيٌّ عَلَى نَجاحِ المُعَلِّمِ وقُدْرَتِه عَلَى الارْتِقاءِ بِأَذْهانِ المُتَعَلِّمينَ وإِعْدادِهِم لِكَي يكونُوا رِجَالَ مُجْتَمَعٍ مُتميِّزينَ تُسْمَعُ كَلِمتُهم ويُسْتطابُ حديثُهم ويُرْكَنُ إِلَى آرائِهم.

- حِرْمانُ العُقُولِ العَرَبيّةِ مِنْ إِدْراكِ رَوْعَةِ البَيانِ الإلهيِّ والبلاغةِ القُرْآنيّةِ اعْتِداءٌ عَلَى العَقْلِ والدِّين:

يَعْتَقِدُ الكاتِبُ أَنّ الوُجودَ المُتَعَيِّنَ كُلَّه آياتٌ دالّاتٌ وشَواهِدُ قائماتٌ تُؤَدِّي الحُجّةَ عن الصّانِعِ العَظِيمِ القادِرِ الحَكِيم، وتَشْهَدُ لَهُ بِالرُّبُوبيّةِ الكامِلَةِ، وأَنّ القُرْآنَ في مَضْمُونِهِ وشَكْلِهِ آيةٌ دالّةٌ وشاهِدٌ قائمٌ لا يَغِيبُ عَلَى المُتكلِّمِ الإلهيِّ العَظيمِ القادِرِ الحَكِيمِ، وأَنّ القَصْدَ إِلَى حِرْمانِ العُقُولِ مِنْ تَعَرُّفِ مَظاهِرِ هذه الآيةِ الفِكْرِيّةِ والفَنّيّةِ حِرْمانٌ لَها مِن أَسْبابٍ قَوِيّةٍ لِلنّماءِ والازْدِهارِ، وإِضْعافٌ مُتَعَمَّدٌ لِرُوحِ الدِّين، وإِقْصاءٌ عَنِ التّحقُّقِ بِاليَقِين. وقد مَنّ شَيْخُ البلاغةِ القُرْآنيّة عَبْدُ القاهِرِ الجُرْجانيُّ عَلَينا بِتَحْدِيدِ بَعْضِ مَظاهِرِ رَوْعَةِ البَيانِ الإلهيِّ والبلاغَةِ القُرْآنيّةِ وبَيانِ فَضْلِ إِدْراكِها الإدْراكَ الدَّقيقَ في إِنْماءِ العَقْلِ والدِّينِ وزِيادةِ العِلْمِ واليَقِين حِينَ قالَ:

أَعْجَزَتْهُم [العَرَبَ] مَزايا ظَهَرَتْ لَهُمْ في نَظْمِه [القُرْآنِ]، وخَصائصُ صادَفُوها في سِياقِ لَفْظِهِ، وبَدائعُ راعَتْهُم مِنْ مَبادئِ آيِهِ ومَقاطِعِها ومَجاري أَلْفاظِها ومَواقِعِها، وفي مَضْرِبِ كُلِّ مَثَلٍ، ومَساقِ

كُلِّ خَبَرٍ، وصُورةِ كُلِّ عِظَةٍ وتَنْبيهٍ وإِعْلامٍ، وتَذْكِيرٍ وتَرْغِيبٍ وتَرْهِيبٍ، ومَعَ كُلِّ حُجّةٍ وبُرْهانٍ، وصِفَةٍ وتِبْيانٍ. وبَهَرَهُم أَنّهم تأمّلُوهُ سُورةً سُورةً، وعُشْرًا عُشْرًا، وآيةً آيةً، فلَمْ يَجِدُوا في الجميعِ كَلِمةً يَنْبُو بِها مَكانُها، ولَفْظَةً يُنْكَرُ شانُها، أو يُرَى أَنّ غَيْرَها أَصْلَحُ هُناكَ أو أَشْبَهُ، أو أَحْرَى وأَخْلَقُ. بَلْ وَجَدُوا اتّساقًا بَهَرَ العُقولَ، وأَعْجَزَ الجُمْهُورَ، ونِظامًا والْتِئامًا وإِتْقانًا وإِحْكامًا، لَمْ يَدَعْ في نَفْسِ بَليغٍ مِنْهم ولَوْ حَكَّ بِيافُوخِه السَّماءَ، مَوْضِعَ طَمَعٍ، حَتّى خَرِسَتِ الأَلْسُنُ عَن أَنْ تَدّعِيَ وتقولَ... نَعَمْ، فَإذا كانَ هذا هُوَ الذي يُذكَرُ في جَوابِ السّائِلِ، فَبِنا أَن نَنْظُرَ: أَيٌّ أَشْبَهُ بِالفَتَى في عَقْلِهِ ودِينِه، وأَزْيَدُ لَهُ في عِلْمِه ويَقِينِه، أَأَنْ يُقَلِّدَ في ذلكَ ويَحْفَظَ مَتْنَ الدَّليلِ وظاهِرَ لَفْظِه ولا يَبْحَثَ عن تَفْسِيرِ المَزايا والخَصائصِ: ما هِيَ؟- ومِنْ أَيْنَ كَثُرَتِ الكَثْرَةَ العَظيمةَ، واتَّسَعَتِ الاتّساعَ المُجاوِزَ لِوُسْعِ الخَلْقِ وطاقةِ البَشَرِ...؟- أَمْ أَن يَبْحَثَ عن ذلكَ كُلِّه، ويَسْتَقْصِيَ النَّظَرَ في جَميعِه، ويَتَتَبَّعَهُ شيئًا فَشَيْئًا، ويَسْتَقْصِيَهُ بابًا فَبابًا، حَتّى يَعْرِفَ كُلًّا مِنْهُ بِشاهِدِه ودَلِيلِه، ويَعْلَمَه بِتَفْسِيرِه وتَأْوِيلِه...؟[٢]

- البَلاغةُ القُرْآنيّةُ تَمْثيلٌ عالٍ جِدًّا لِانْتِماءِ سَمْتِ كلامِ العَرَب:

أَساليبُ التَّعْبيرِ وطَرائقُ البَيانِ في الكِتابِ الإلهيِّ العَزيزِ، هي عَيْنُ أَساليبِ التَّعْبيرِ وطرائقِ البَيانِ في اللّغةِ العربيّةِ التي عاصَرَتْ تَنَزُّلَ الوَحْيِ الإلهيِّ، لكنْ بِقَدْرٍ مِنَ الكَمالِ والرَّوْعَةِ والخِلابةِ غيْرِ موجودٍ في عَرَبيّةِ خَلْقِ ذلكَ الزّمان.

(٢) عَبْدُ القاهِرِ الجُرْجانيّ، دَلائلُ الإعجاز، قَرَأَهُ وعَلّقَ عَلَيْهِ محمود شاكر، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤١٣ه/ ١٩٩٢م، ص٣٩-٤٠.

ويَترَتَّبُ عَلَى هذا أَنّ تَدْرِيسَ طُلّابِ عِلْمِ العربيّةِ قَوانِينَ جَمالِ الأَداءِ التي حَدَّدَتْها عُلُومُ البلاغةِ العربيّةِ في مَجالاتِ المعاني والبَيانِ والبَديعِ، واجِبٌ تَفْرِضُه ضَرُوراتُ وَعْيِ العَرَبِ ذاتَهم وتَخْليقَهم في الفِكْرِ والخَيالِ والأَدَب. وفي التّاريخِ الفِكْرِيِّ والعِلْمِيِّ والأَدَبيِّ لِلْعَرَبِ أَنّ الوَعْيَ اللُّغَوِيَّ سَبَقَ كُلَّ حَرَكةٍ لِلتّقدُّمِ الفِكْرِيِّ والعِلْمِيّ. وقد ثَبَتَ أَنّ هذا الوَعْيَ اللُّغَوِيَّ هَيّأَ لِارتقاءِ عُقولِ العَرَبِ أَنْفُسِهم، ولِعُقُولِ المُسْتَعْرِبينَ الطّارِئينَ عَلَى العَرَبيّةِ.

– رُبّما يكونُ مُفِيداً في تَدْريسِ البلاغةِ العربيّةِ في عُلُومِها الثّلاثةِ، خَصُّها بِساعاتٍ دَرْسيّةٍ أكثَرَ، وجَعْلُ هذا التَّدْرِيسِ في اتّجاهَيْنِ: **اتّجاهٍ نَظَرِيٍّ** يُعْتَمَدُ فيه كِتابٌ مَدْرَسِيٌّ يَنْطَوِي عَلَى المادّةِ المَعْرِفيّةِ الأساسيّةِ في تَعْرِيفاتِها وتَقْسيماتِها وشَواهِدِها وأَمْثِلَتِها؛ **واتّجاهٍ تَطْبيقيٍّ** تُعْتَمَدُ فِيهِ مادّةٌ قُرْآنيّةٌ وحَدِيثيّةٌ وأَدَبيّةٌ عَرَبيّةٌ مُختارةٌ، حَيْثُ تُطَبّقُ عَلَى هذه المادّةِ المعارِفُ النَّظَرِيّةُ، ويَتلَمَّسُ الدّارِسُونَ بِأَنْفُسِهم المَزايا البلاغيّةَ ومَظاهِرَ الأداءِ القُرْآنيِّ المُعْجِزِ في مَجالاتِ عُلُومِ البلاغةِ العَرَبيّةِ: المَعاني والبَيانِ والبَديع.

– شَرّفَ الخالِقُ العَظيمُ سُبْحانَه العَرَبيّةَ باخْتيارِها لُغَةً عَرَضَ بِها كُلَّ عناصِرِ ما شاءَ أَن يَعْرِفَهُ البَشَرُ في شَأْنِ ذاتِه وصِفاتِه وأَفْعالِه وما فَرَضَهُ عَلَيهم مِنْ طاعاتٍ وعباداتٍ، وما سَيُواجِهُهُم في الحَياةِ، وما يَنْتَظِرهُم مِن مَصِير. والبادِي لِلْعِيانِ أَنّ رَبَّ الوُجُودِ سُبْحانَه هَيَّأَ هذه اللّغةَ ومُتكَلِّميها قَبْلَ نُزُولِ الوَحْيِ المُحَمَّديّ بِزَمانٍ لِكَيْ تكونَ هِيَ لُغةَ كَلامِه ولِكَيْ يكونُوا هم **النَّوْعَ البَشَرِيَّ الأَوّلَ الذي يَتَلَقَّى كلامَه، ويتحسَّسُ بِالقَلْبِ والعَقْلِ واللِّسانِ عَظَمةَ المُعْجِزةِ البَيانيّةِ في القُرْآن.** فكانَ الأَمْرُ ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٣٥]. وكانَ العالِمُ الفَقِيهُ اللُّغَويُّ ابْنُ جِنّي (ت٣٩٢هـ) بَصِيرًا تَمامًا حِينَ رَبَطَ بَيْنَ النَّحْوِ والعَرَبِ فقالَ:

«النَّحْوُ هُوَ انْتِحاءُ سَمْتِ كَلامِ العَرَبِ، في تَصَرُّفِهِ مِنْ إِعْرابٍ وغَيْرِه؛ كالتَّثْنِيَةِ والجَمْعِ والتَّحْقِيرِ والتّكسِيرِ والإضافةِ والنَّسَبِ والتَّركِيبِ، وغَيْرِ ذلك؛ لِيَلْحَقَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ اللّغةِ العربيّةِ بِأَهْلِها في الفَصاحةِ، فيَنْطِقَ بِها وإنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُم، وإنْ شَذَّ بَعْضُهم عَنْها رُدَّ به إلَيها»[٣]. ولَنْ نَتَلَكَّأَ هنا في استنتاجِ رَبْطٍ مَشْروعٍ تَمامًا بَيْن العَرَبيّةِ والعَرَبِ مِن جِهَةٍ، والإعْرابِ الإلهيِّ عَنِ المُرادِ. فالقُرْآنُ الكريمُ قاصِدٌ أَساسًا إلى الإعْرابِ عَنْ مُرادِ اللهِ سُبْحانَهُ مِن خَلْقِه؛ والعَرَبيّةُ قادِرةٌ بِسَمْتِها، بِإِذْنِ اللهِ، عَلَى أَداءِ المُهمّةِ؛ وأَهْلُ العَرَبيّةِ المُتْقِنُونَ المُجَوِّدُونَ لَها المُدْرِكُونَ دَلائلَ إعْجازِ بَيانِها في الذِّكْرِ الحكيم هُمُ الأَقْدَرُ عَلَى بَيانِ مُرادِ الحَقِّ تعالَى مِنَ الخَلْق.

- القُرْآنُ شَرَفٌ لِنَبِيِّ اللهِ العَرَبِيِّ، عَلَيْهِ الصّلاةُ والسّلامُ، وكذا شَرَفٌ لِلْعَرَبِ، وقَدْ خُصَّ العَرَبُ بِأَنَّهم سَيُسْأَلُونَ عَنْهُ يَوْمَ القِيامةِ، ولِيَعْلَمْ ذلكَ مَن لا يَعْلَمْهُ. قالَ المَولَى سُبْحانَهُ عَنِ القُرْآنِ مُخاطِبًا النّبِيَّ العَدْنانَ والعَرَبَ أَهْلَ اللِّسانِ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤]. يقولُ الزَّمَخْشَرِيُّ في تَفْسِيرِ المُرادِ هنا: «وإنَّ الّذي أُوحِيَ إلَيْكَ ﴿لَذِكْرٌ﴾: لَشَرَفٌ ﴿لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ﴾، لَسَوْفَ ﴿تُسْـَٔلُونَ﴾ عَنْهُ يَوْمَ القِيامةِ، وعَنْ قِيامِكُم بِحَقِّه، وعَنْ تَعْظِيمِكُم لَهُ، وشُكْرِكُم عَلَى أَنْ رُزِقْتُمُوه وخُصِصْتُمْ بِهِ مِن بَيْنَ العالَمِينَ»[٤].

ولَيْسَ مِن صَلاحِ الأَمْرِ ولا صَوابِ التَّدْبيرِ الإخْلالُ بِتَدْريسِ مَظاهِرِ فصاحَتِه وبلاغَتِه. ويَبْدُو أَنّ الاهْتمامَ بِذلكَ وإيلاءَهُ حَقَّهُ مِن فُروضِ الكِفايةِ. ويَنْبَغي أَنْ يأتِيَ هذا الاهْتِمامُ مِنَ الرّاعِي والرَّعِيّةِ مَعًا.

---

(٣) الخصائصُ، بِتحقيقِ محمّد علي النّجّار، نُسْخة مُصوّرة عن طبعة دار الكتب المصريّة، القاهرة ١٣٧١هـ-١٩٥٢م، ج١ ص٣٤.

(٤) الكشّاف، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ج٤ ص٢٥٤.

– لِلْعَرَبيّةِ خاصِّيّاتٌ ذاتِيّةٌ انْفَرَدَتْ بِها، أَهّلَتْها، واللهُ الأَعْلَمُ، لِأَنْ تُختارَ لُغةً لِلْقُرْآنِ الكَرِيم؛ **فلا يُختارُ لِلْجَميلِ إِلّا الجَمِيلُ:**

العَرَبيّةُ لُغةُ «الإِعْرابِ» أَي الإِبانةِ، ويَرَى المُحَقِّقُ ابْنُ جِنِّي أنّ «الإِعْرابَ» مَأْخُوذٌ لُغةً مِنَ «العَرَب»، وعِنْدَه «أَصْلُ هذا كُلِّهِ قَولُهُم: «العَرَبَ»؛ وذلكَ لِما يُعْزَى إِلَيها مِنَ الفَصاحَةِ والإِعْرابِ والبَيانِ»[٥].

وفي مادّةِ العربيّةِ نَفْسِها مُواطَأةٌ ومُوافَقةٌ لِطِباعِ البَشَرِ «فَجَميعُ عِلَلِ النَّحْوِ إِذًا مُواطِئةٌ لِلطِّباعِ، وعِلَلُ الفِقْهِ لا يَنْقادُ جَمِيعُها هذا الانْقِيادَ»[٦]. فَهُناكَ، مَثَلًا، تَجَنُّبٌ تامٌّ لِلثِّقَلِ في العَرَبيّةِ، و«إِهْمالُ ما أُهْمِلَ مِمّا تَحْتَمِلُه قِسْمَةُ التّركيبِ في بَعْضِ الأُصُولِ المُتَصَوَّرةِ أَكثَرُه مَتْرُوكٌ لِلاسْتِثْقالِ»[٧]، و«إِذا اجْتَمَعَ حَرْفانِ مِنْ حُرُوفِ الحَلْقِ قُدِّمَ الأَقْوَى عَلَى الأَضْعَفِ»[٨]، «وأَنا أُرَى أَنَّهُم إِنّما يُقَدِّمونَ الأَقْوَى مِن المُتقارِبَيْنِ، مِنْ قِبَلِ أَنّ جَمْعَ المُتقارِبَيْنِ يَثْقُلُ عَلَى النَّفْسِ، فَلَمّا اعْتَزَمُوا النُّطْقَ بِهِما قَدَّمُوا أَقْواهُما لِأَمْرَيْنِ: أَحَدُهُما أَنّ رُتْبَةَ الأَقْوَى أَبَدًا أَسْبَقُ وأَعْلَى؛ والآخَرُ أَنَّهُم إِنّما يُقدِّمُونَ الأَثْقَلَ ويُؤخِّرُونَ الأَخَفَّ مِنْ قِبَلِ أَنّ المُتكلِّمَ في أَوّلِ نُطْقِه أَقْوَى نَفْسًا وأَظْهَرُ نَشاطًا، فَقَدّمَ أَثْقَلَ الحَرْفَيْنِ، وهُوَ عَلَى أَجْمَلِ الحالَيْنِ، كما رَفَعُوا المُبْتَدَأَ لِتَقَدُّمِه، فأَعْرَبُوه بِأَثْقَلِ الحَرَكاتِ وهِيَ الضّمّةُ، وكَما رَفَعُوا الفاعِلَ لِتَقدُّمِهِ، ونَصَبُوا المَفْعُولَ لِتَأَخُّرِه»[٩].

---

(٥) الخصائص، ١ ص٣٦.

(٦) نَفْسُه، ١ ص٥١.

(٧) نَفْسُه، ١ ص٥٤.

(٨) نَفْسُه.

(٩) نَفْسُه، ١ ص٥٥.

- شَطْرٌ كبيرٌ مِن تَخَلُّفِ العَرَبِ في الزّمانِ المُتأخِّرِ ناشِئٌ عن إهْمالِ التَّعْليمِ الجادِّ لِعُلُومِ البلاغةِ العَرَبيّةِ:

يُظْهِرُ التَّطْبيقُ الدَّقيقُ لِمَبْدَأ الفَصاحةِ والبَلاغةِ الأساسيِّ، القائِلِ: «البَلاغةُ هِيَ مُطابَقةُ الكلامِ لِمُقتضَى الحالِ مَعَ فصاحَتِه»، الحِدّةَ الذِّهْنيّةَ وثَقابةَ التّبَصُّرِ عِنْدَ المُتحَدِّثينَ والمُحَدَّثين؛ فَإنّ البَلِيغَ حِينَ يَشاءُ مُباشَرةَ تَكْليمِ أَحَدٍ يُعْمِلُ عَقْلَهُ وذَكاءَهُ في تَصَوُّرِ الحالِ الإدْراكيّةِ لِمُخاطَبِه، وهِيَ حالٌ في غايةِ التَّعْقيدِ والتّركيبِ وتَعَدُّدِ المُكَوِّناتِ والعَناصِرِ؛ ثُمّ اعْتِمادًا عَلَى هذا التَّصَوُّرِ يَخْتارُ عناصِرَ كلامِهِ مِن أَلْفاظٍ ومَعانٍ فيَسْبِكُها ويُفْرِغُها في قَوالِبَ كلاميَّة. وقد نَبّهَنا الجاحِظُ (ت٢٥٥هـ) عَلَى صِفاتِ خَيْرِ الكَلامِ فقالَ: «وأَجْوَدُ الشِّعْرِ ما رَأَيْتَه مُتلاحِمَ الأَجْزاءِ، سَهْلَ المَخارِجِ، فتَعْلَمُ بذلك أَنّهُ قد أُفْرِغَ إفْراغًا واحِدًا وسُبِكَ سَبْكًا واحِدًا فهُوَ يَجْري عَلَى اللِّسانِ كما يَجْري الدِّهانُ»(١٠).

وقد حَدَثَ في قديمِ العَهْدِ أَن أَخْطَأَ بَعْضُ حُذّاقِ الكَلامِ سَبيلَ إنتاجِ الكَلامِ البَلِيغِ، بِسَبَبِ سَهْوٍ أو غَفْلَةٍ أو خَطْرةِ بَلادةٍ، فلَمْ يأتِ كلامُه مُطابِقًا لِمُقتضَى الحال، فأثارَ حَفِيظةَ مَن جاءَ يَخْطِبُ مَوَدّتَه ويُؤمِّلُ مَرْضاتَه ومُكافأتَه. وقد ذَكَرَ ابنُ طَباطَبا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ العَلَويُّ (ت٣٢٢هـ) تَحْتَ عُنْوانِ: «الأَبْياتُ التي زادَتْ قَريحةُ قائِليها عَلَى عُقُولِهم»، أَبْياتًا كثيرةً لِشُعَراءَ كِبارٍ أَخْفَقُوا فِيها في تَطْبيقِ مَبْدَأ «مُطابَقةِ الكَلامِ لِمُقتضَى الحال»، فذَهَبُوا بِسَبَبِ ذلكَ بِرُواءِ الفَصاحةِ ورَوْنَقِ البَلاغة. ومِن ذلكَ مَثَلًا أنّ كُثَيِّرًا المُذْهَبَ العَقْلِ بِـ«عَزّةَ» تَمَنّى لَهُ ولَها أن يكونا بَعِيرَيْنِ هَمَلَيْنِ أَجْرَبَيْنِ لِرَجُلٍ كثيرِ المالِ بِهِ غِرّةٌ وسَذاجةٌ، يَتْرُكُهما لِشَأنِهما فيَدْفَعُهما النّاسُ عَنِ المَوارِدِ ويُرْمَيانِ ويُضْرَبانِ ويُنَحّيانِ عن الماءِ:

---

(١٠) البيانُ والتّبيينُ، بِتَحْقيقِ عَبْدِالسّلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج١، ص٦٧.

أَلَا لَيْتَنا - يا عَـزُّ - مِـنْ غَيْـرِ رِيبـةٍ بَعِيرانِ نَرْعَى فـي الخَـلاءِ ونَعْـزُبُ
كِلانـا بِـهِ عُـرٌّ، فمَـنْ يَرَنـا يَقُـلْ عَلَى حُسْنِها جَرْباءُ تُعْدِي وأَجْرَبُ
نكُـونُ لِـذِي مـالٍ كَثِيـرٍ مُغَفَّـلٍ فـلا هُـوَ يَرْعانـا ولا نَحْـنُ نُطْلَـبُ
إِذا مـا وَرَدْنـا مَـنْهَلًا صـاحَ أَهْلُـه عَلَينـا فـلَا نَنْفَـكُّ نُرْمَـى ونُضْـرَبُ
وَدِدتُّ - وبَيْـتِ اللهِ - أَنَّـكِ بَكْـرةٌ هِجـانٌ وأَنّـي مُصْـعَبٌ ثُـمّ نَهْـرُبُ

ولَمْ تَرُقْ أُمْنِيّتُهُ هذه عَزّةَ، فقالَتْ لَهُ: «لَقَدْ أَرَدتَّ بِيَ الشّقاءَ الطّويلَ، ومِن المَنِيّةِ ما هُوَ أَوْطَأُ مِن هذه الحالة»(١١).

وفي مُسْتطاعِ المُتأمِّلِ أن يقولَ إنّ «زِيادةَ القَرِيحةِ عَلَى العَقْلِ» عِنْـدَ ابْـنِ طَباطَبا تَشِي بِأنّ عَقْلَ الشّاعِرِ في الشّواهِدِ المُقدَّمةِ لَمْ يَعْمَـلْ عَمَلَـه المَنْشـودَ في اخْتِيارِ المَعْنَى المُطابِقِ لِمُقتضَى حالِ المُخاطَـبِ أَوِ المَقُـولِ فيـه الشِّـعْرُ؛ فأَساءَ وهُوَ قاصِدٌ إِلَى الإِحْسان.

- تَيْسِيرُ القُرْآنِ لِلذِّكْرِ يُعِينُ عَلَى اسْتِظْهارِ شَواهِدِ عُلُومِ البَلاغةِ العربيّةِ:

قالَ رَبُّنا في القُرْآنِ الذي لا يأتِيهِ الباطِلُ لا مِنْ بَيْنِ يَدَيْـهِ ولا مِـنْ خَلْفِـه: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ١٧]. ويَرَى بَعْضُهم أَنّ مَعْنـاهُ «ولَقَدْ سَهَّلْناهُ لِلْحِفْظِ وأَعَنّا عَلَيْـهِ مَـن أَرادَ حِفْظَـه، فهَـلْ مِـنْ طالِـبٍ لِحِفْظِـه لِيُعـانَ عَلَيـه؟»(١٢). أَمّـا أَمْـرُ تَسْـهِيلِ اسْـتِظْهارِ القُـرْآنِ فمَحَـلُّ إِجْمـاعٍ وأَمْـرٌ مَشْهُودٌ، ويُبْنَى عَلَى هـذا **أَنّ اعْتِمـادَ أُمّهـاتِ كُتُـبِ البلاغـةِ العربيّـةِ الشّـواهِدَ القُرْآنيّةَ أَمْثِلةً لِتَقْنِيـاتِ البلاغـةِ ومَظـاهِرَ لِجَمـالِ المَعْنَـى والمَبْنَـى فـي اللّغـةِ العربيّة، يُيَسِّرُ دَرْسَ البَلاغةِ العربيّةِ وتعَلُّمَ نَماذِجِهـا المُمْتـازة**. وذلـكَ باعِـثٌ

(١١) عِيارُ الشّعر، بِتَحْقِيق عبدالعزيز بن ناصِرِ المانع، مطبعة المَدَني، القاهرة، ص١٥٢.
(١٢) الزّمَخْشَريّ: الكشّاف، ٤ ص٤٣٥.

عَلَى إِغْناءِ مُتُونِ تَعْليمِ البلاغةِ بالشّواهِدِ القُرْآنيّةِ، **الأَمْرُ الذي يَعْمَلُ عَلَى إنماءِ العَقْلِ والدِّينِ**، كما شَدّدَ عَلَى ذلكَ الشَّيْخُ الجُرْجانيُّ.

قارِئي الكريمَ، ما قَدّمْتُه لَك في هذا المَقالِ أَنْظارٌ بَدَتْ لي في غايةِ الأَهَمّيّةِ في زَمانٍ بَدا واضِحًا فِيهِ أَنّنا نُسْلِسُ القِيادَ لِأَوْهامٍ كسَرابٍ بِقيعةٍ، يخالُهُ الظَّمْآنُ ماءً زُلالًا، حتّى إذا جاءَه وعايَنَهُ لم يَجِدْهُ شيئًا. وخُلاصَةُ قَصْدِي مِمّا تَقدّمَ أَن نَعِيَ أَهَمِّيّةَ ما يَحْصُلُ عَلَيْهِ طالِبُ عِلْمِ العربيّةِ مِنْ دِراسةِ عُلُومِ البَلاغةِ الأَصِيلةِ التي اجْتهَدَ ذَوُو الأَفْهامِ الثّاقِبَةِ والإِخْلاصِ التّامِّ في حُبِّ العربيّةِ مِنْ عُلَمائنا في اسْتِخْلاصِ مَبادِئها وقَوانِينِها وشَواهِدِها الرّائعةِ؛ فَهِي التي تُعَلِّمُ دِلالاتِ التّراكيبِ ومَظاهِرَ الجَمالِ الأَدَبيِّ الرّاقِي في فاتِناتِ الأَساليبِ. وما أَجْمَلَ ما قالَ في ذلكَ العَلّامةُ الفَذُّ عَبْدُالرّحمنِ الأَخْضَريُّ في مَنْظُومَتِه «الجَوْهَرِ المَكْنُون»:

هـــذا وإِنّ دُرَرَ البَيـــانِ وغُـــرَرَ البَـــدِيعِ والمَعـــاني
تَهْـدِي إِلَـى مَـوارِدِ شَـريفَهْ ونُبَـــذٍ بَدِيعـــةٍ لَطِيفَـــهْ
مِـنْ عِلْـمِ أَسْـرارِ اللِّسـانِ العَرَبـي ودَرْكِ مـا خُـصَّ بِـهِ مِـنْ عَجَـبِ
لِأَنَّـــهُ كـــالرُّوحِ لِلْإِعْـــرابِ وهْـوَ لِعِلْـمِ النَّحْـوِ كاللُّبـابِ

والحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ العالمينَ.

* * *

رِسَالَةُ الدَّارِ عَن مُحَاوَرَاتِ الفَارِ
لصفيِّ الدِّين الحلي (ت ٧٥٠هـ)

تحقيق: أ. د. عباس هاني الجرَّاخ(*)

وُلِدَ صفيُّ الدِّين الحليُّ في مدينة الحِلَّة بالعراق سنة ٦٧٧هـ، ورَحَلَ إلى الشَّام للتِّجَارَة، وانقطعَ مُدَّةً إلى الأَرَاتِقَةِ في «ماردين» ومدحَ ملوكها، ثمَّ سَافرَ إلى القاهرة، فمدح السلطانَ المَلكَ النَّاصرَ، وكانَتْ وَفَاتُهُ ببغدادَ نحو سنة ٧٥٠هـ.

وإذْ بَرَزَ شاعرًا كبيرًا، أجادَ في الموضوعات والفنون التي طَرَقَهَا، فقد كانتْ لهُ كتاباتٌ نثريَّةٌ، إلَّا أنَّها لمْ تشتهرْ كاشتهار شِعرهِ وسَيرُوتهِ، ومنها هذه الرِّسَالة المَوسومة بـ(رِسَالَة الدَّار عَن محاورات الفارِ)، التي نقومُ بتحقيقها.

موضوعها:

الرسالة هي شكوى كتبها صفيُّ الدين الحليُّ، يطلبُ فيها حَقَّهُ باستيفاء دَينِهِ مِن نائبِ السُّلطان، الذي مَاطَلَهُ نحو ثلاثة أشهر، وجعل الرسالةَ على لسان الدار التي كانَ يسكُنُهَا في مدينة «ماردين» من إقليم الجزيرة الفراتية، وأقامَ بِدايتها على غرارِ الرسائل الديوانية التي دبَّجها الكتَّابُ المُشتغلون

(*) رئيس تحرير مجلة (المحقق) المحكمة/ العراق.

ورد إلى المجمع بتاريخ ١٠/ ٩/ ٢٠٢٣م.

بديوان الإنشاء في عصره، وهي التي تتعلَّقُ بالمظالم التي «ترفع إلى ولاة الأمور بحكاية صورة الحال المتعلّق بتلك الحاجة»[١]، وبدأها -بعد البسملةَ- بعبارات مثل: «تُقبِّلُ الأرضَ»، و«تُنهي»، وغير ذلك، وختمها بخاتمة هي خلاصة ما دبَّجهُ وارتآهُ.

ثمَّ أرسلَ هذه الرسالة إِلى المَلكِ الصَّالحِ صالح شمس الدين بن غازي الأرتقي (ت ٧٦٥هـ)، الذي مدحَهُ بعددٍ من القصائد.

الدراسة:

كتبَ الصَّفيُّ رسالتَهُ هذهِ بأسلوب الفكاهة والسُّخرية، حتى وُصِفَتْ بأَنَّها «فكهة جميلة الأسلوب رقيقة العبارة»[٢]. وعمدَ فيها إِلى أنسنةِ الجَماد والحيوان عن طريق الحوار: «قال- قالت»، فأضفى الطابعَ الإنسانيَّ عليها، فالدارُ أخذت تخاطبُ القلعةَ الشهباءَ مقرَّ الملك الصَّالح، وشَكَتْ ممَّا أصابها، بعد العزِّ والنعيم، وما كابدَتْ بَعدَهُ مِن هَمٍّ وبُؤْسٍ، ثُمَّ جاءَ دورُ الفَأْرِ الذي أَوصَى إِخوَانَهُ بِحُسْنِ لقاءِ السَّاكِنِ الجديدِ، وَهو صفيُّ الدِّينِ، وهذا الفأر من العناصر السردية الرئيسة في الرسالة، ومحور مُهمّ في أحداثها!

وقد اطلع الملك الصالح على الرسالة، وأعجبَ بها، وفَهِمَ مرادَ الكاتِبِ ومَطلبه، وكانَ مِن نَتيجَةِ ذلك أنْ أَمَرَ بِسدَادِ مبلغِ ذَلِكَ الدَّينِ الذي أثقل الحليَّ؛ ليسكن البيتَ – بعد ذلكَ- بارتياح![٣].

---

(١) صبح الأعشى ٦/ ١٩٣.

(٢) من كلام المرحوم محمود رزق سليم في كتابه: صفي الدين الحلي ٣٧، وكان قد ذكرهُ بشيءٍ من الإطالة في: مجلة (الرسالة) القاهرية، ع ٨٠٣، الصادرة في ٢٢/ ١١/ ١٩٨٤م.

(٣) لهُ قطعةٌ همزيةٌ يصفُ فيها بيتًا آخر له. يُنظر: ديوانه ٢/ ٩٧٥.

وعند دراستنا للرسالة[٤] نَرَى اهتمام الصَّفيِّ بالنصوص الشعرية والنثرية التي استقاها من قراءاتِهِ المتتالية وثقافته الواسعة، في تناصٍ بارزٍ، وهو «علاقة بين نصَّين أو أكثر، ووجود آثار نصوص أُخرَى على النَّصِّ المتناص»[٥].

ويُمكنُ تَلَمُّسُ الصنعةَ بوضوحٍ، سواء بالمُحَسِّنَاتِ البديعية، أم اللَّفظية والمعنوية، ومنها:

١- السجع، وهو الغالب على الرسالة، بل هو عمادها، ويكون في «تماثل الحروف في مقاطع الفصول »[٦]، وتأتي أهميته من كونه بمنزلةِ القافية للشعر، فيُعطي الرسالةَ جرسًا موسيقيًّا جميلًا عن طريق التوافق بين الكلمات المسجوعة.

٢- حل المنظوم، أي جعل الأبيات الشعرية الذائعة إلى هيئة نثر، كقوله: «وأَوَّلُ أَرضٍ مَسَّ جِسْمَكُم تُرَابُهَا»، فهذه العبارة هي من قول الشَّاعرِ القَديمِ:

بِلَاد بهَا نِيطَتْ عليَّ تَمَائِمي وَأَوَّلُ أَرضٍ مَسَّ جِلدي تُرَابُهَا

٣- الجناس، وقد احتفل به كثيرًا، ومنهُ الجِناسُ التَّام، وهو «ما اتَّفَقَ رُكنَاهُ لَفظًا واختلفَا مَعنًى، بلا تفاوتٍ في تركيبهما»[٧]، كقوله: «حتَّى جلسَ في الشُّبَّاكِ الحَدِيدِ، المُشرِفِ على بَابِ الحَدِيدِ»، فالجناسُ بين كلمة (الحديد) الأولى بمعنى المُحادِد أو المجاور، و(الحديد) الأخرى، وهو المَعدِنُ المعروفُ.

---

(٤) حاولَ سلامة هليل الغريب دراسةَ هذهِ الرسالة دراسةً موضوعيةً وفنيَّةً في بحثٍ لهُ منشورٍ في: المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها. مج ١٢، ع ٣، ٢٠١٦م، ص ٧٧-١٠٠، ومذكور على الشابكة، ولم نستطع الاطلاع عليه على الرغم من جهودنا في ذلكَ، فاكتفينا بهذه الإشارة.

(٥) نظرية علم النص ١٩٤.

(٦) سر الفصاحة ١٧١.

(٧) فن الجناس ٦٢.

ومنه الجناس الناقص، كقوله: «وشَرَفُكِ بِإِترَابِكِ لا بِتُرَابِكِ»، وقوله: «ومَتَى رَآكُمْ بِهَا سَارِبِينَ، وفي قَرَارَتِهَا رَاسِبِينَ»، فبين «ساربين» و«رَاسِبين» جناسٌ ناقصٌ، وقوله: «رَبُّ المَقَامِ والمَقَالِ، وفَارِسُ الجِلَادِ والجِدَالِ».

٤- الطباق، كقوله: «يُسْكتُهَا الحَيَاءُ والأَدبُ، ويُنطِقُهَا الإِعيَاءُ والنَّصَبُ»، فالطباق واضح بين «يسكتها» و«ينطقها».

٥- الاقتباس من القرآن الكريم، وهو نوعان[٨]: الاقتباس النَّصيُّ، الذي يلتزمُ به باللفظ والتركيب في شواهده، ومنه قوله: «وفَرغَ من الشَّراب، و﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾»، فالأخير هو من سورة الرعد: ٣٨.

والاقتباس الإشاريّ، وهو مَا يشير إليه، من غير أنْ يلتزمَ بالنَّصِّ، ومنه قوله: «ونَبَذه بِالعَرَاءِ وَهُوَ سَقيم»، فهوَ مِن قوله تعالَى: ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ١٤٥].

وبخصوص الألفاظ، فهي تَكتَسِبُ أَهميَّتها ودلالتها من السِّياق الذي تَرِدُ فيه، فهو المسؤول عن توظيفِ اللُّغَةِ نَفسيًّا وموضوعيًّا وفنيًّا، والذي يَعنينا هنا هو محاولته إبراز مقدرته اللغوية، مع الإطناب في الأسلوب.

وتُؤَلِّفُ المادةُ التاريخيةُ - الأَدبيةُ الجانبَ الآخرَ، فالمادة التاريخية تتجلَّى في أسمَاءِ الأعلام العربية والأجنبية كالأَنبياء: آدم، ومحمد ﷺ، والشعراء: ابن المعتز، وأبي فراس، وأبي نواس، والخنساء، وصخر، فضلًا عن أعلام آخرين: عزازيل، وهاروت، والزباء، وقصير، وإشارات تاريخية: فؤاد أم موسى، وصاع العزيز.

ومن العُلُومِ التي أَودَعَهَا رسالته، وكشَفَ فيها عن ثقافته اللغويَّةِ: **علم**

(٨) معجم آيات الاقتباس ١٥، ١٩.

الأنواء والفلك، وفيه ذِكْرٌ للكواكب والنجوم، مثل: الإكليل والنَّثرة، والفرقدان، والسماكان، والثريا، والحمل، والجوزاء، والعواء، والمجرة، والعيُّوق.

وهناك أَلفاظٌ مِنَ المُعَرَّبِ والدخيل، مثل: الجنك، والعيدان، والنكريش.

ولم يَنسَ أَنْ يُزَيِّنَ الرسالةَ النثريةَ هذهِ بِقِطَعٍ مِن شِعرِهِ، وشِعرِ غَيرِهِ.

اهتمام الباحثين بها:

مِنَ المناسبِ الإشارة إلى أنَّ المرحوم محمود رزق سليم نَشَرَ مقتطفاتٍ منها سنة ١٩٧١م، ووَصَفها بـ«القصَّة»، وحَذفَ منها كثيرًا من النُّصُوصِ النثريةِ والشعرية؛ لأجلِ الاختصارِ والاختيار، وفي عمله أخطاءٌ في القراءة والضَّبط، ولم يذكرْ مَظَنَّةَ وجودها(٩).

وقامَ د. عمر موسى باشا بإثباتِ الرسالةِ كاملةً سنة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، مِن دُونِ ضَبطٍ أو تعليقٍ، اعتمادًا على طبعة بيروت الأولى من الديوان، وإنْ لَمْ يُشِرْ إلى ذلكَ صَرَاحَةً، وجاءتْ في عَمِلهِ أخطاءٌ واضحةٌ(١٠).

وأوردَ د. عمر فرُّوخ فِقرَةً منها، ووَصَفَها بـ«القصَّة» كذلكَ، ولم يُصرِّح بمصدَرِهِ أيضًا، وإنْ كان الكتابُ الأوَّلُ مِن مَرَاجِعهِ(١١).

وتناولتْ هذهِ الرسالة د. رغداء مارديني، ورأَتْ أنَّ الكاتبَ قَدَّمَها «ضمن صيغة فن تمثيلي يمكن تخيل طرافة القَصّ فيه، وما يتطلَّبه من خيال وحوار»(١٢).

وذكر هذه الرسالةَ الشيخُ آقا بزرگ الطهرانيُّ (ت ١٣٨٩هـ)(١٣).

---

(٩) صفي الدين الحليّ ٨١-٨٦.

(١٠) تاريخ الأدب العربي/ العصر المملوكي ٢٨٥-٢٩٣.

(١١) تاريخ الأدب العربي ٣/ ٧٧٦-٧٧٧.

(١٢) المناظرات الخيالية ٢٦٧.

(١٣) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٨/ ١٩.

ولكن لم يُشر إليها المرحومُ شاكر هادي شُكُر[١٤] في كتابه (الحيوان في الأدب العربي)، على الرغم من ذكره مادة (الفأر)، وما قيل فيه في الأمثال والقصص والشعر[١٥]، وكذلك لم يذكرها د. نسيب نشاوي عند إيراده آثارَ الصفيّ في «النثر»[١٦].

تحقيق الرِّسالةِ

رجعنا في تحقيق الرِّسالةِ إلى خَمْسِ نُسَخٍ، هي ثلاث مخطوطات، ومطبوعتان.

أمَّا المخطوطات فقد وَقَفنَا عليها إثرَ بَحثٍ وتَتَبُّعِ طويلَينِ، وهذا بيانٌ بها:

١/ نسخة معهد المخطوطات العربية

ضمن مجموع برقم ٥٥٤٢، في ١٤ ورقة، منسوخ سنة ٧٥٥هـ، يضمُّ أيضًا: الرسالة التوأمية، والرسالة المهملة، وحلّ المنظوم والمنثور.

وخطُّها واضحُ، وفيها نظامُ التَّعقيبَةِ. وفي كُلِّ صفحة نحو ١٥ سطرًا.

ورمزنا لها بـ(م).

٢/ نسخة الظاهرية ٦٩٨٢

ناسخُها: حُسين بن عليّ البغداديّ، سنة ١١٠٠هـ، وتقع بعد ختام (ديوان صفي الدين الحلي)، في الصَّفحات ٢٢٠-٢٢٥، وفي كُلِّ صفحة ١٦ سطرًا.

وتبدأُ بعبارَةِ: «ومِن مُصَنَّفَاتِهِ تَغَمَّدَهُ اللهُ بالرحمة والرضوان الرسالةُ الموسومةُ برسالة الفار والدار»، ثُمَّ الديباجة.

---

(١٤) وُلِد في بغداد سنة ١٩٠٧م، له تحقيقات كثيرة، منها: ديوان الشيخ كاظم الأزريّ. تُوُفِّيَ سنة ١٩٩٢م.

(١٥) الحيوان في الأدب العربي ٣/ ٧٣-٨٣.

(١٦) شرح الكافية البديعية (مقدمة التحقيق) ٣٠.

ورَمزنا لها بالرمز: ظ ١.

٣/ نسخة الظاهرية ٤٦٨٨

تَقَعُ في خَمْسِ أَورَاقٍ، في كُلِّ صفحة ١٦ سطرًا، وهي حديثةُ النَّسخ، وليس فيها اسمُ النَّاسِخِ.

وعُنوانها: «رسالة صفي الدين الحليّ رحمهُ الله أنشأها عن لسانِ دارٍ كانَ يَسكنها بماردينَ، مُخَاطبًا بها القلعة الشَّهبَاء، وأَرسَلهَا إلى الملك الصالح أبي المكارم شمس الدين»، وتبدأ بالبسملة ثُمَّ الدِّيباجة.

وقد رَمَزنَا لها بالرَّمز: ظ ٢.

وثمَّة نسخة رابعة في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد[١٧]، ولكنْ لم نَظفر بها؛ لِضَيَاعِهَا مَعَ مَا ضَاعَ مِن تُراثِ هذهِ المَكتبَةِ العَامِرَةِ[١٨].

ولكن ما بقي مِن وَصفِها، وخاصة أوَّل مقدمتها، يَتَّضحُ أَنَّها تشبه نسخةَ: ظ ٢.

وعلمنا بوجود نسخة خامسة في مركز البحوث والدراسات التابع لديوان الوقف السُّنِّيّ ببغدادَ[١٩]، الرقم ٢/ ٨ -٢١٠ ذ ٩٢٤.

وبعد الانتظار تَبيَّنَ أَنَّها أيضًا في عداد المفقود.

٤- ديوان صفيّ الدِّين الحلِّيّ، مطبعة الآداب، ولاية بيروت، ١٣٠٧هـ/ ١٨٩٢م. ٥٢٨ ص.

وشغلت الرسالة الصفحات ٤٨٤-٤٩١.

رمزنا لها بـ: د ١.

---

(١٧) فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد ٣/ ٢٦.

(١٨) أَعلَمَتني السيدةُ المسؤولةُ عن مخطوطات مكتبة الأوقاف يوم ١٤/ ٥/ ٢٠٢٣م أنَّ المخطوطةَ من ضمن المفقودات.

(١٩) معجم المخطوطات العراقية ٨/ ٢١٧.

٥- ديوان صفي الدِّين الحليّ، مطبعة أفندي حبيب خالد، دمشق، ١٢٩٧هـ/ ١٨٧٩م، و١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م - وقد وَقَعَ في ٥٧٢ ص. وشغلت الرسالةُ الصَّفحات ٣٥٥-٤٦٣.

رمزنا لها بـ: د ٢.

وفي هاتين النَّشرَتَين أَخطاءٌ في الطِّبَاعَةِ، وإيراد إِحدَى الجُمَلِ المسجوعة على هيئة بيت شعر!، وعدم ضبط أيّ كلمة في الرسالة.

منهج التحقيق:

حقَّقنا الرسالة على النُّسَخِ الثلاث، مَعَ ملاحظة أَنَّ نسخة (ظ ٢) برغم تأخُّرها فإنَّها قليلة الأسقاط، وإنْ لمْ تَسلم النسخُ جميعًا من تحريفات وتصحيفات الناسخين، في الكلمات أو الضَّبط، وقد قابلناها على النشرتين المطبوعتين.

وقُمنا بِضَبطِ النَّصِّ، وإيراد اختلاف الرواية بين النُّسَخِ، وتخريج الآيات القرآنية، وتفسير المفردات، والتعريف بالأَعلام، وتَخريجِ الأَشعَارِ، ومنها أَشعَارُ كاتبها، واكتفينا بالرّجوع إلى الطبعة العلمية من ديوانه[٢٠] بتحقيق د. محمد حوَّر، وما إلى ذلكَ مِن لَوَازمِ التَّحقيقِ وأُصُولهِ، مع إثباتِ صُوَرٍ من النُّسَخِ المخطوطة.

(٢٠) من المناسب أنْ أُشيرَ هنا إلى أنَّ لي مُستدركًا على ديوانهِ، بجميع نشراتهِ وتحقيقاته.

مخطوطة معهد المخطوطات العربية (م)

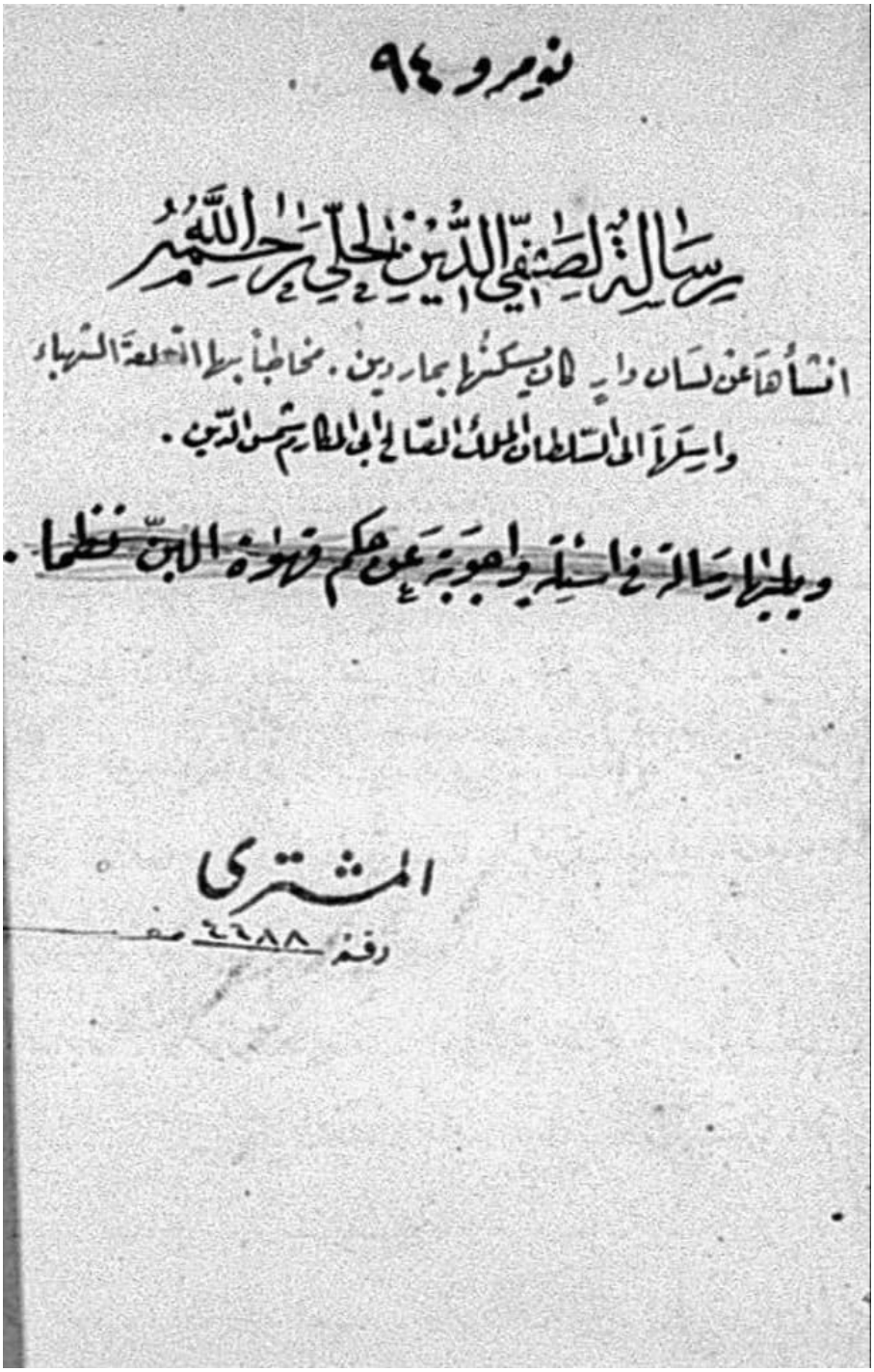
نومرو ٩٤

رسالة الصفي الدين الحلي رحمه الله

انشأها عن لسان والي ماردين مخاطبا بسط الغلة الشهباء

واسرا الى السلطان الملك الصالح ابي المظفر شمس الدين

وطلب رسالة في مسئلة واجوبة عن حكم قهوة البن نظما

المشترى

رقم ٤٦٨٨ ص
صفحة العنوان. نسخة الظاهرية ٤٦٨٨ (ظ ١)

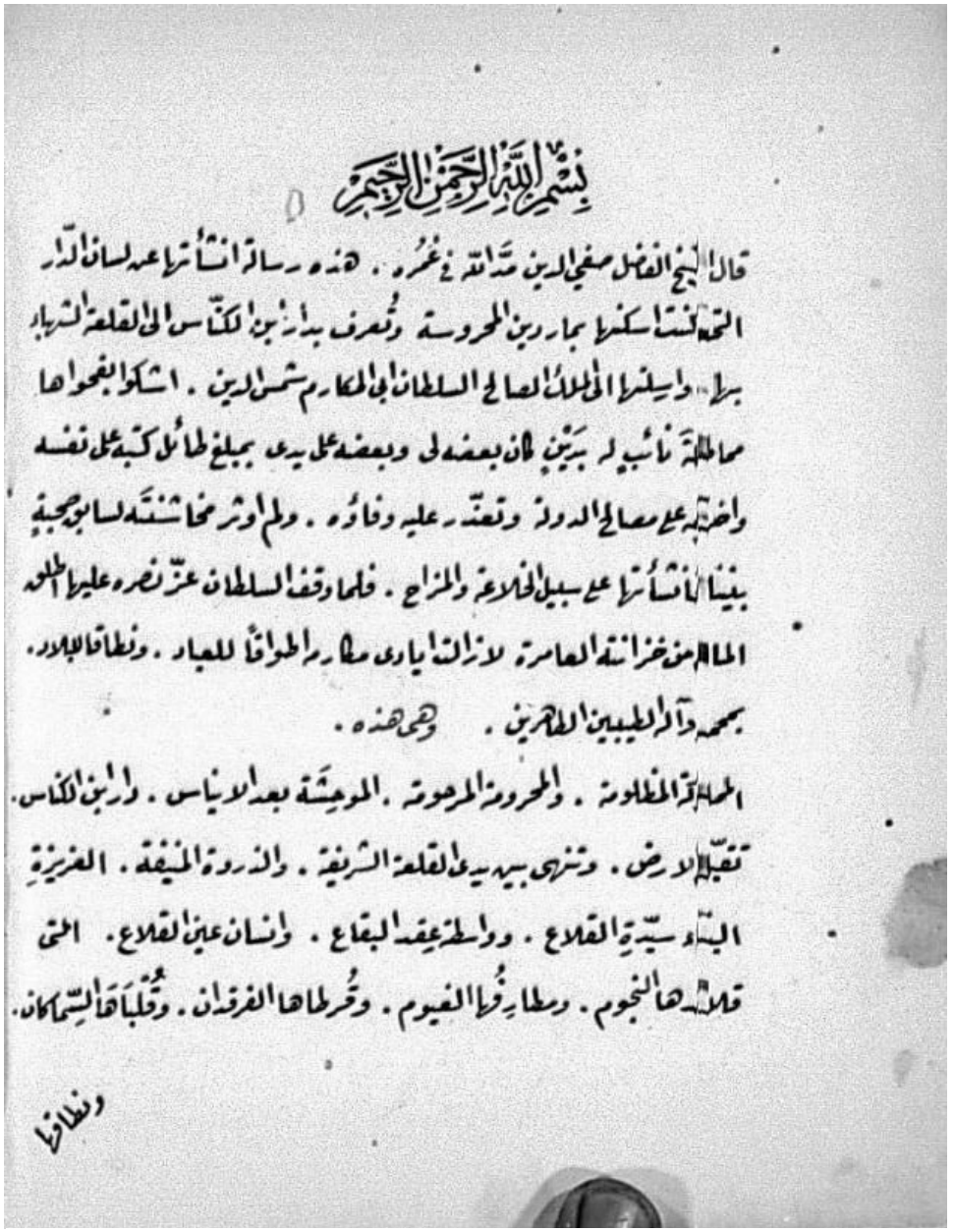

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الفاضل صفي الدين حماد الله في عمره. هذه رسالة أنشأتها عن لسان الدار التي كنا سكنا بها بدين المحروسة وتصرف بها ابن الكناس إلى القلعة الشريفة وأرسلتها إلى الملك الصالح السلطان أبي المكارم شمس الدين. أشكو إليه ما حل بها من نائبة نائبي له بدين فإن بعضه لي وبعضه على يدي يبلغ طائلة كبيرة على نفسه وأخذته على مصالح الدولة وتعذر عليه وفاؤه. ولم أوثر مخاشنته لسابق محبته بيننا فأنشأتها على سبيل الخلاعة والمزاح. فلما وقف السلطان عز نصره عليها أطلقه المال من خزانته العامرة لا زالت أيادي مكارمه الطوافا للعباد. وغطاقا للبلاد. بمحمد وآله الطيبين الطاهرين. وهي هذه.

الحمد لله المطلوبة. والمحروسة المرهوبة. الموحشة بعد الأنيس. دار ابن الكناس. تقبل الأرض. وتزجي بين يدي القلعة الشريفة. والذروة المنيفة. العزيزة البناء سيدة القلاع. وواسطة عقد البقاع. وإنسان عين القلاع. التي قلائدها النجوم. ومطارف غرها الغيوم. وحرطاها الفرقدان. وقلباها السماكان.

وغطاقها

الصفحة الأولَى. نسخة الظاهرية ٤٦٨٨ (ظ ١)

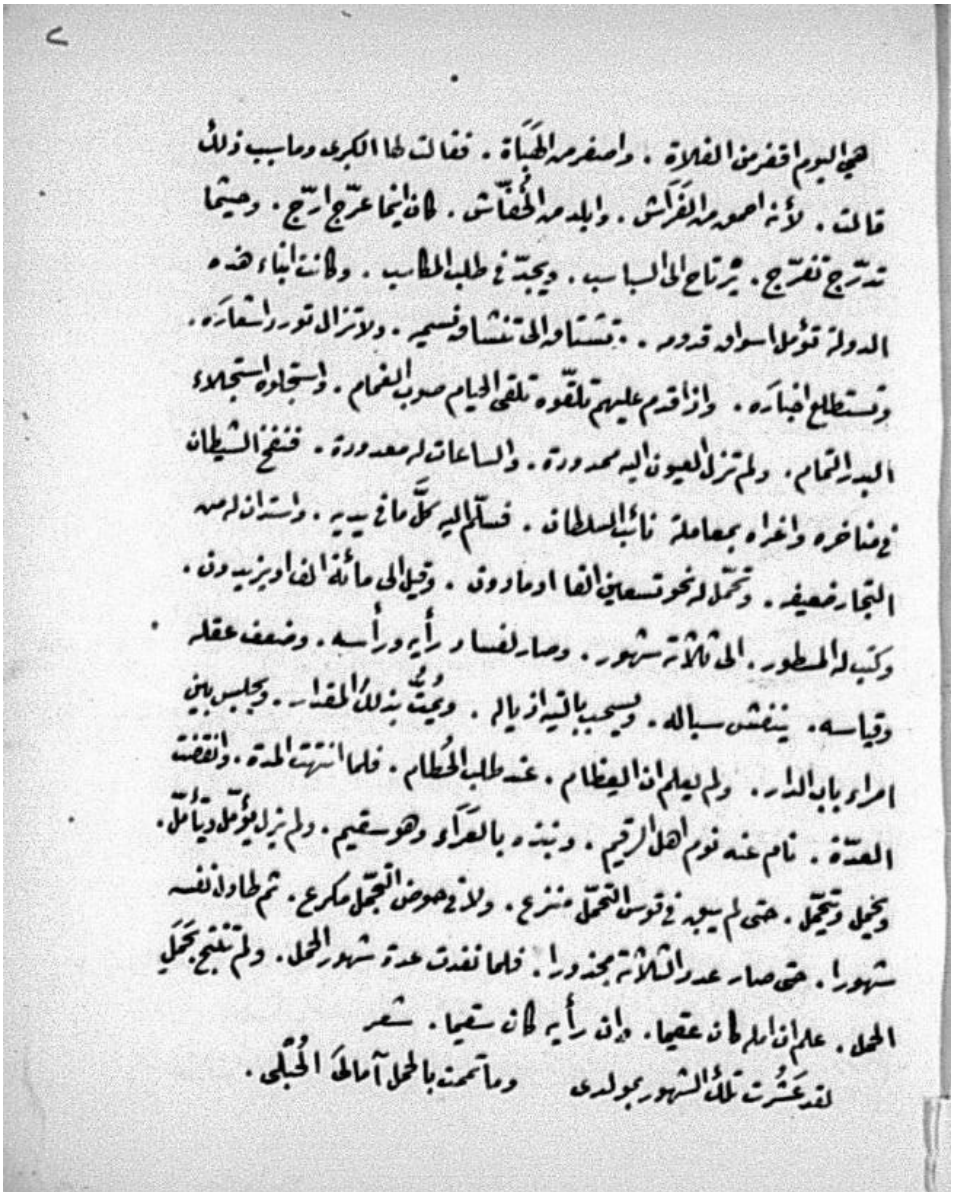

الصفحة الأخيرة. نسخة الظاهرية ٤٦٨٨ (ظ ١)

بداية نسخة الظاهرية ٤٦٨٨ (ظ ٢)

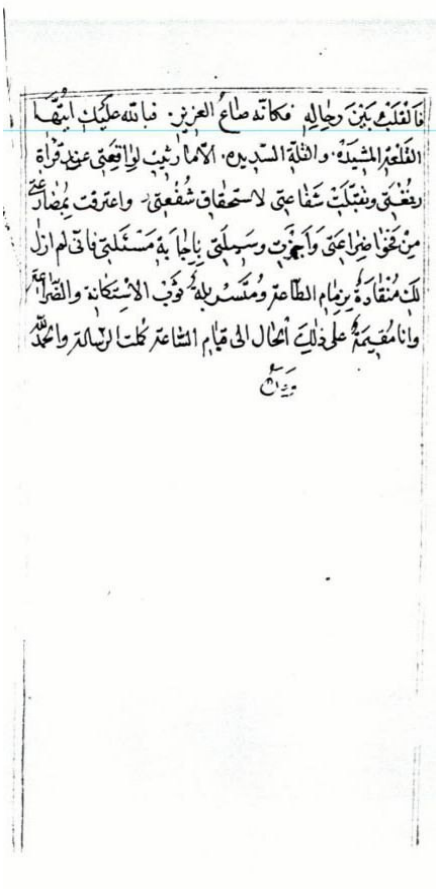

نهايةُ نسخة الظاهرية ٤٦٨٨ (ظ ٢)

[الرسالةُ]

قَالَ الشَّيخُ صَفيُّ الدِّينِ عَبدُ العَزيزِ الحِلِّيُّ مَدَّ اللهُ في عُمُرِهِ: هذِهِ[٢١] رِسَالةٌ أَنشَأْتُهَا عَن لِسَانِ الدَّارِ التي كُنتُ أَسكُنُهَا بـ«ماردين»[٢٢] المَحرُوسَةِ، وتُعرَفُ بِدَارِ «ابن الكنَّاس»[٢٣] إِلى القَلعَةِ الشَّهبَاءِ بِهَا، وأَرسلتُها إِلى المَلكِ الصَّالحِ «أَبي المكارم شمْس الدِّين»[٢٤]، أَشكُو بِفَحوَاهَا مُمَاطَلةَ نَائِبٍ لهُ بِدَينٍ كانَ بَعضُهُ لي، وبَعضُهُ على يَدي بِمَبلغِ طَائِلٍ كَتَبَهُ على نَفسِهِ، وأَخرَجَهُ على مَصالِحِ الدَّولةِ، وتَعَذَّرَ عليهِ وَفَاؤُهُ، ولمْ أُوثِرْ مُخَاشَنَتَهُ؛ لِسَابِقِ صُحبَةٍ بيننا، فَأَنشَأْتُها على سَبِيلِ الخَلاعةِ والمُزاح، فلمَّا وَقَفَ السُّلطانُ عزَّ نَصرُهُ عليها أَطلَقَ المَالَ مِن خِزَانَتِهِ العَامرة، لا زالتْ أَيادي مَكارِمِهِ أَطواقًا للعِبَادِ، ونِطاقًا للبِلادِ، بِمُحَمَّدٍ وآلِهِ الطَّيبينَ الطَّاهِرينَ.

وهي هذهِ[٢٥]:

---

(٢١) م: «مدّ الله في عمره، هذه»، لم ترد.

(٢٢) قلعة مشهورة على قنّة جبل الجزيرة مشرفة على دنيسر ودارا ونصيبين وذلك الفضاء الواسع وقدّامها ربض عظيم فيه أسواق كثيرة وخانات ومدارس وربط وخانقاهات. معجم البلدان ٥/ ٣٩، وتقع الآن جنوب شرق الأناضول بتركيا.

(٢٣) م: ابن الدكناس، لم ترد.

(٢٤) هو: صَالح بن المَنصُور نجم الدِّين غَازِي بن المظفر قرا أرسلان بن السعيد غَازِي بن أرتق بن أرسلان بن إيلغازي بن ألبي بن تمرداش بن إيلغازي بن أرتق. مَلَكَ ٥٤ سنة. تُوُفِّيَ سنة ٧٦٥هـ. يُنظر: السلوك لمعرفة دول الملوك ٤/ ٢٩٤.

(٢٥) جاءت الديباجة في ظ ١:

«وكان السببُ في ذلك أنَّ المَولَى صفيَّ الدِّينِ عفَى الله عنه حَصَلَ بَينَهُ وبَينَ أَربَابِ الدَّولةِ بِالخِزَانَةِ العَاليَةِ بِقَلعَةِ مَاردِينَ المَحرُوسَةِ معاملة مبلغ له صورة إلى مدة معينة، فلمَّا انقضَتْ تلكَ المُدَّة شَرعَ في تقاضي حَقّه، فمطلوهُ شهرًا[ا] بعد شهرٍ، حتَّى تجاوزوا في مطلهم الحَدَّ، وكان يومئذ ساكنًا بِدَار شَخصٍ يُسَمَّى البدر بن الكنَّاس، ولهُ =

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ][٢٦]

المَملُوكـةُ المَظلُومَـةُ، والمَرحُومَـةُ المَحرُومَـةُ[٢٧]، المُوحَشَـةُ[٢٨] بَعـدَ الإِينَاس، دَارُ ابنِ كنَّاس[٢٩]، تُقَبِّلُ الأَرضَ، وتُنهي بَينَ يَدَي القَلعَـةِ الشَّـريفَةِ، والذِّروَةِ المُنِيفَةِ. العَزِيزَةِ البِنَاءِ، الغَزِيـرَةِ السَّـنَاءِ[٣٠]، سَـيِّدَةِ القِـلاعِ، ووَاسِـطَةِ عِقْدِ البِقَاعِ، وإِنسَانِ عَينِ اليفاعِ[٣١]، المَخصُوصَةِ بِنَيـلِ العُلُـوِّ والارتِفَـاعِ[٣٢]، التي قَلائِـدُهَا النُّجُـومُ، ومَطَارِفُهَـا الغُيُـومُ، وقِرطَاهَـا الفَرقَـدَانِ، وقُلبَاهَـا[٣٣] السِّمَاكانِ[٣٤]. ونِطَاقُهَـا الجَـوزَاء[٣٥]، .....

= مُدَّة سنين قَد انزَاحَ عن ماردين وسَكنَ الشَّامَ المحروسَ، فلمَّا عَجزَ عن خـلاصِ المبلـغ صَنَّفَ هذهِ الرسالةَ على لسانِ الدَّارِ المذكورةِ، وهي تشرحُ حالَها بينَ يَدَي قلعةِ مَاردينَ، حمَاهَا اللهُ تَعالَى، فلمَّا وَقَفَ المَلكُ السلطانُ الصالحُ خَلَّد اللهُ ملكَهُ على الرِّسَالةِ أَحضَـرَ أَربَابَ الدَّولةِ، ولَزَمَهُمْ بأداء المبلغِ المذكورِ، وهي».

(٢٦) زيادة من د ١، د ٢.

(٢٧) م: «المحرومة والمرحومة».
د ١، د ٢: «المملوكة المحرومة والمرحومة».

(٢٨) ظ ٢: «الوحشية».

(٢٩) م، د ١، د ٢: «ابن الدكناس».

(٣٠) من: م، وفي: د ١، د ٢: «الغزيرة الثَّناء».

(٣١) م: «ووَاسِطَةِ عِقْدِ اليفاعِ، وإِنسَانِ عَينِ البقاعِ».
ظ ٢: «القلاع».

(٣٢) م، د ١، د ٢: «المَخصُوصَةُ بِنَيلِ العُلُوِّ والارتِفَاع»، لم ترد.

(٣٣) ظ ١: «وقلتاها».

(٣٤) السِّماكان: كوكبان، الأوَّل الرَّامحُ، وسُمِّيَ بذلك لكوكب بين يديه صغير، يقال لـه: رايـة السماك، فَصارَ رَامحًا به، والآخر: الأَعزلُ، ينزلُ بهِ القمرُ، وسُمِّيَ بـذلكَ؛ لأنَّـه لا شـيء بين يديه. الأنواء في مواسم العرب ٦٦، الأنواء والأزمنة ٧٩، ١٠٦.

(٣٥) الجوزاءُ: من أسماء البروج، وتُعدُّ في الكواكب اليمانية. الأنواء في مواسـم العـرب ٤٩، الأنواء والأزمنة ٢٤، ٩١، ٩٢.

وحُجُولُهَا[٣٦] العَـوَّاء[٣٧]، وفِرقُهَـا المجـرَّة، ونَثْـرُ إِكليلِهـا الإِكليـلُ والنَّثـرَةُ. حِصنُ النُّجَبَاءِ، وكَهْفُ الغُربَاءِ، وكَعبَةُ الأُدَبَـاءِ. القَلعَـةُ الشَّـهبَاءُ. شَـيَّدَ اللهُ[٣٨] بُنيَانَهَا، وأَبَّدَ سُكَّانها[٣٩]، وخلَّدَ مُلْكَ مَالِكِهَا، الـذي ثَبَّـتَ أَسَاسَـهَا، وصَـانَهَا وسَاسَهَا، وتَوَّجَ رَاسَها، وسَـادَهَا ورَاسَـهَا[٤٠]. لا زَالَـتْ[٤١] قَـودُهُ[٤٢] للعِـدَاةِ قُيُودَا، وصِيدُ[٤٣] المُلُوكِ لهَا[٤٤] صُيُودَا. [الكامل]

الصَّالحُ المَلكُ الذي صَـلُحَتْ بِـهِ رُتَبُ العَلَاءِ[٤٥] ولاحَ طَالِعُ سَعدِهِ[٤٦]

مَلِكٌ حَـوَى رُتَـبَ الفَخَـارِ بِسَـعيِهِ والمُلْـكَ إِرثًـا عَـن أَبِيـهِ وجَـدِّهِ

وتُنهي أَنَّ المَملُوكةَ المَنهُوكةَ[٤٧]، والمَظلُومةَ المَضنُوكةَ، يُسْكِتُهَا الحَيَاءُ والأَدبُ، ويُنطِقُهَا الإِعيَاءُ والنَّصَبُ. وشَكوَى الجَمَادِ إِلى الجَمَـادِ، كشَـكوَى العِبَادِ إِلى العِبَادِ. وإِنَّ المَعهُودْ، من[٤٨] تَقَادُمِ العُهُودْ، أَنَّ الله إِذا خَـصَّ بِنعمَـةٍ

(٣٦) د ١، د ٢: «عجولها».

(٣٧) العوَّاءُ: أربعة أنجم من منازل الجوزاء. الأنواء في مواسم العرب ٦٤، الأنواء والأزمنة ١٠٤. وعبارة: «وحجولها العواء» لم ترد في: م.

(٣٨) م: «الله تعالى».

(٣٩) ظ ٢، م، د ١، د ٢: «مبانيها، وأبد ساكنيها».

(٤٠) ليست في: ظ ١.

(٤١) م: «لا زال».

(٤٢) القَودُ: الخَيْلُ أَو جَماعةٌ من الخيْلِ. تاج العروس (قود) ٩/ ٧٦.

(٤٣) الصِّيدُ: الشُّجعان.

(٤٤) ظ ١: «لها».

(٤٥) د ١، د ٢: «الفخار».

(٤٦) ديوان صفي الدين الحليّ ١/ ٢٤٤.

(٤٧) د ١: «المنهوكة»، لم ترد.

(٤٨) ظ ١، م: «في».

مَخلُوقًا[٤٩] عَمَّ بِهَا أَبنَاءَ جِنْسِهِ، وأَشرَكَهُم فِيهَا مَعَ نَفْسِهِ.

وأَنتِ بِحَمْدِ الله قَد أَصبَحتِ أَغزَرَ ضِيَاءً مِنَ الشَّمسِ[٥٠]، وأَعَزَّ مِنهَا فِي[٥١] المَنَالِ واللَّمْسِ. فَأَيَّامُكَ بَاسِمَةُ الثُّغُورِ، وبِلَادُكَ آمِنَةُ الثُّغُورِ، ويَقصِدُكَ المَادِحُ والحَامِدُ، ويَشكُرُكَ الرَّائِدُ[٥٢] والوَارِدُ، وشَرَفُكِ بِإِترَابِكِ[٥٣] لا بِتُرَابِكِ[٥٤]، وشُكرُكِ لِفَيضِ نَدَاكِ، لا لِعُلُوِّ بِنَاكِ. [الكامل]

شَرَفَ السَّحَابِ بِمَا هَمَى مِن وَبْلِهِ لا بِالتَّرفُّعِ فِي عُلُوِّ مَكَانِهِ

فَلا تَزْوِي عَنِّي جَاهَكِ، وأَنَا بِاتِّجَاهِكِ[٥٥]، ولا تُظْمِئِينِي[٥٦] من زُلالِكِ، وأَنَا تَحتَ ظِلالِكِ.

فالذي تُنهِيهِ المَملُوكةُ أَنَّها لَمْ تَزَلْ مِن[٥٧] عَهْدِ صَاحِبِهَا الذي شَيَّدَ بُنيَانَهَا، وأَبَّدَ أَركَانَها، مَحَلَّ الرَّاحِ والرَّاحَاتِ، ومَعهَدَ[٥٨] السُّرُورِ والفَرحَاتِ، ومَوطِنَ الأَغَانِي والغَوَانِي[٥٩]، ومَقَرَّ المَثَالِثِ والمَثَانِي. [المتقارب]

مَحَلُّ الظِّبَاءِ ومَأْوَى الأُسُودِ فَطَورًا كناسًا وطَورًا عَرِينَا

فَلَمَّا طَوَّحَتْ بِسَاكِنِهَا الأَيَّامْ، إِلى أَقصَى بِلادِ الشَّامْ، جَفَاهَا الإِخوَانُ

(٤٩) م: «الله تعالى إذا خصَّ مَخلوقًا بنعمةٍ».

(٥٠) م: «من من ضياء الشمس».

(٥١) ظ ٢، م: «عن».

(٥٢) د ١، د ٢: «الزائد». م: «الوايد».

(٥٣) الإترابُ: الغِنَى.

(٥٤) ظ ١: «وشرفك لأترابك».

(٥٥) ظ ١: «فلا تروي... تجاهك».

(٥٦) ظ ١: «تقضيني».

(٥٧) د ١، د ٢: «منذ».

(٥٨) ظ ١: «وتعهد».

(٥٩) د ١، د ٢: «الغواني والأغاني».

حِينًا طويلًا، وهَجَرَهَا الرِّفَاقُ هَجْرًا جَمِيلًا[٦٠]، فَكَابَدَتْ بَعدَهُمْ هَمًّا وبُوسَا، وأَقَامَتْ[٦١] فَارِغَةً كفُؤَادِ أُمِّ مُوسَى. لا تَجِدُ أَنِيسًا في عِرَاصِهَا[٦٢] القِفَار، ولا تَسمَعُ حَسِيسًا غَير صَهِيلِ الفَارِ. حتَّى رَثَتْ[٦٣] لهَا أَكسَارُ البُيُوتْ، وخَيَّمَ[٦٤] على أَسِرَّةِ وَجهِهَا العَنكبُوتْ[٦٥]. [الخفيف]

بُدِّلتْ من حَوَادِثِ الدَّهْرِ وَحشًا[٦٦] بَعدَ أُنسٍ ووَحشَةً بَعدَ أُنسِ

فَبَينَمَا هيَ مُفَكِّرَةٌ فِيمَا غَيَّرَ حَالَها، وأَوجَبَ[٦٧] اضمِحلالَها، إِذْ رَأَتِ الفَأْرُ أَفوَاجًا يَهرَعُونَ من المَسلَخِ، ويَجتَمِعُونَ بِالمَطبَخِ، وبَينَهُم جُرذٌ قَد[٦٨] جَثَمَ قَرِيبًا، وانتَصَبَ على إِحدَى[٦٩] الأَثَافي[٧٠] خَطِيبًا، وهو يَقُولُ: الحَمدُ للهِ مُكَوِّنِ الأَكوان، والمَعبُودِ بِكُلِّ أَوَان، وخَالقِ أَصنَافِ الحَيَوَان، على اختِلَافِ الأَشكالِ والأَلوان. مُسَخِّر الأَفلَاك الدَّائِرات، ومُجري الفُلك السَّائِرَات، وخَالِقِ السَّارِحَات والطَّائِرَات، ومُولِّد الهَوام[٧١] والحَشَرَات، ﴿وَهُوَ[٧٢] ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم[٧٣] مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ [الأنعام: ٩٨]، وخَلَقَ ﴿كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم

(٦٠) اقتباس إشاري من قوله تعالى: ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمّل: ١٠].
(٦١) ظ ٢: «وغدتْ».
(٦٢) ظ ١: «عَرضِها».
(٦٣) ظ ٢: «رتب».
(٦٤) ظ ١، ظ ٢: «وختم».
(٦٥) د ١، د ٢: «على وجهها أسرة العنكبوت».
(٦٦) ظ ٢: «جنًّا».
(٦٧) ظ ١: «وأحبَّ».
(٦٨) د ١، د ٢: «وبينهم جرذان».
(٦٩) ظ ٢، د ١، د ٢: «أحد».
(٧٠) الأثافي جمع الأُثْفِيَّة: الحَجَرُ الذِي تُوضَعُ عَلَيْهِ القِدْرُ. تاج العروس (أثف) ٢٣/ ٨.
(٧١) الهَوَامُّ: الحَيَّاتُ، وَكُلُّ ذِي سُمٍّ، يَقْتُلُ سُمُّهُ. تاج العروس (هوم) ٣٤/ ١١٩.
(٧٢) ظ١: «وخالق السارحات والطَّائرات، ومُولّد الهَوام والحَشَرَات، و»، لم ترد.
(٧٣) في النسخ جميعًا: «خلقكم».

﴿مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ [النور: ٤٥][٧٤].

أَحمَدُهُ حَمْدَ عَارِفٍ بِـ[قَدرِ][٧٥] نَفسِهِ، نَاصِحٍ لِأَبنَاءِ جِنسِهِ، وأَستَغفرُهُ مِنَ العَبَثِ بِالقَرضِ، والفَسَادِ في الأَرضِ، وأَستَكفي بِهِ مِن شَرِّ كُلِّ ذي ظفرٍ ونَابٍ، ومِنسَرٍ ومِخلابٍ، وأَعوذُ بِهِ مِنَ الأَبلَقِ والأَحمَرِ والأَرقَطِ والأَنمَرِ والأَسوَدِ والأَبيَضِ[٧٦]، وأُصَلِّي على نَبِيِّهِ المَبعُوثِ مِن خَيرِ قَبِيلةْ، الشَّفِيقِ على أُمَّتِهِ، حَتَّى حَذَّرَهُمْ حَرَّ نَارٍ[٧٧] لِلفَتِيلَةْ، أَعاذَنَا اللهُ وإِيَّاكُم مِن وَكَائِدِ المَكائِدِ، ووَصَائِدِ المَصَائِدِ، وتَجَشُّمِ المَهَالِكِ، وأَكْلِ الخريق[٧٨] والهَالِك[٧٩].

اعْلَمُوا مَعَاشِرَ الفَأْرِ أَنَّكُمْ مِن أَكرَمِ جِيلٍ، وأَشرَفِ قِيلٍ[٨٠]، خُلِقتُم مِن عَفَنِ التُّرَابِ والطِّينْ، وتِلكَ جِبِلَّةُ[٨١] آدَمَ أَبي العَالَمِينْ. وشَارَكْتُمْ بَنِيهِ في سُكنَى[٨٢] الدَّارِ، فَلزِمَهُمْ لكُمْ[٨٣] حقُّ الجِوَارِ.

أَلَا وإِنَّ مُلكَ القَنَاعَةِ عَقِيمٌ، والبَغيَ مَصرَعُهُ وَخِيمٌ[٨٤]، والطَّمَعَ عَذَابُهُ

---

(٧٤) وأولها «والله خلق».

(٧٥) الزيادة من: د ١، د ٢.

(٧٦) د ١، د ٢: «وأعوز به من الأبلق والأنمر والأغبر والأسود والأحمر».

(٧٧) ظ ٢: «حتى أمرهم حرنا». د ٢: «حتى جرَّ نا».

(٧٨) ظ ١: «كالحريق». د ١، د ٢: «الخريف».

الخريق، الخرق: نبتٌ كالقسط لَهُ أوراق وخرق. تاج العروس (خرق) ٢٥/ ٢٢٠.

(٧٩) ظ ١: «وقراب الهالك».

(٨٠) ظ ١: «وأشرف قبيل». ظ ٢: «أسرف جيل وأسرق قبيل».

(٨١) ظ ١: «حيلة».

الجِبِلَّةُ: الأَصْلُ مِن كُلِّ مَخلُوقٍ. تاج العروس (جبل) ٣٨/ ١٧٧.

(٨٢) د ٢: «سكنى»، لم ترد.

(٨٣) ظ ١: «فلزمكم لهم».

(٨٤) وَخيم: ثقيل. تاج العروس (وخم) ٣٤/ ٣٤، وهذا المثلُ مَشهُورٌ. يُنظر: الأمثال المولّدة ١٠٢.

أَلِيمٌ، وهذِهِ الدَّارُ المُبارَكَةُ أَوَّلُ تُربَةٍ بَرَّكُمْ أَترَابُهَا[٨٥]، وأَوَّلُ أَرضٍ مَسَّ جِسْمَكُم تُرَابُهَا[٨٦]، فَلا يَكُونُ[٨٧] على أَيدِيكُمْ خَرَابُهَا، ألا وإِنَّها مُنذُ[٨٨] خَلا مَسْكَنُهَا مَن سَاكِنِهَا[٨٩]، وتَمَكَّنَ العَفَاءُ[٩٠] مِن أَماكِنِهَا، جَعَلتُمُوهَا نَدوَةَ نَهَارِكُمْ ولَيلِكُمْ، وحَلْبَةَ رِجلِكُمْ وخَيلِكُمْ، والآنَ قَد انجَابَتْ عنهَا أَيَّامُ[٩١] البُؤُوسِ، وأَفَلَتْ طَوَالِعُ النُّحُوسِ، ولَحِظَهَا الدَّهرُ بِعَينِ الرِّضَا، وقَضَى بِسَعدِهَا فَصْلُ القَضَا، وتَوَلَّاها نِعْمَ الوليّ، وابتَدَرَ لِسَكَنِهَا الصَّفيُّ الحِلِّيّ، وفي يَومِكُمْ هذا يُرسَلُ إليها[٩٢] مَنْ يَلُمُّ شَعَثَهَا، ويُطَهِّرُ خَبَثَهَا، ومَتَى رَآكُمْ بِهَا سَارِبِينَ، وفي قَرَارَتِهَا رَاسِبِينَ[٩٣]، كَرِهَ سُكنَاهَا[٩٤]، واتَّخَذَ لِنَفسِهِ سِوَاهَا،

(٨٥) ظ ٢: «ترابها».

الأترابُ، جمع التِّرْب: مَنْ وُلِدَ مَعَك. تاج العروس (ترب) ٢/ ٦٧.

(٨٥) ظ ١: «وشرفك لأترابك».

(٨٦) أفاد من قول الشاعر: [الطويل]

بِلَاد بِهَا نِيطَتْ عليَّ تَمَائِمي وَأَوَّلُ أَرضٍ مَسَّ جِلدي تُرَابُهَا

وهو لرقاع بن قيس الأَسديّ في: لسان العرب ٧/ ٤١٨ (نوط)، ١٢/ ٧٠ (تمم)؛ وتاج العروس ٢٠/ ١٦٠ (نوط)، (تمم)؛ ومن غير عَزْوٍ في: لسان العرب (عقق)، وتهذيب اللُّغة ١/ ٥٩، وتاج العروس ١٦/ ٣١٧ (فأس)، (عقق). وكذلك يُنسَبُ إلى رفاعة بن قيس في: شرح مقامات الحريري ١/ ٢٢٩، وإلى أبي النَّصر الأسديّ في: مثير العزم ١/ ١٠٧، وتحرَّفَ إلى: أَبي النضير الأسديّ في: سمط اللآلي ٢٧٢، وإلى امرأة من طيِّئ في: المنازل والديار ٢٦٧.

(٨٧) في النسختين: «يكن».

(٨٨) ظ ١: «وإن منذ». د ٢: «ألا وإنها خلا».

(٨٩) في النسخ جميعها: «سكنها»، ولعل الصواب ما أثبتناه؛ لتُوافق ما بعدا في السَّجعِ.

(٩٠) العفاء: الدرس والهلاك. تاج العروس (عفو) ٣٩/ ٧١.

(٩١) ظ ١: «أيام» لم ترد.

(٩٢) د ١، د ٢: «إليكم»، وسقطتْ من: ظ ٢.

(٩٣) ظ ١: «فمتى رآكم بها راسبين، وفي عراصها ساربين».

(٩٤) د ١، د ٢: «مغناها».

فَعَادَ(٩٥) رَبعُها كالرَّمْسِ، ورَجَعَ يَومُهَا كالأَمْسِ، ومَتَى تَقَبَّلها، إذا قَابَلَهَا، أَخصَبَ رَبعُها، وتَعَدَّى إلينَا(٩٦) نَفعُهَا.

أَلَا وإِنَّ مَن استَرشَدَ مِنكُمْ بِحِكْمَتي، واتَّبَعَ كَلِمَتي، أَثبَتُّهُ في أُمَّتي، وأَتمَمْتُ عَليهِ نِعمَتي(٩٧)، فَأَجَابَهُ الجَمِيعُ بِالسَّمْعِ والطَّاعةِ، وقَالُوا: سَنَتَّخِذُ نَفَقًا(٩٨) مِن هذِهِ السَّاعَة، غَيرَ أَنَّ هذِهِ الدَّارَ المَباركةَ قَد أوجَبَت(٩٩) علينَا حُقُوقها، وحُرِّمَ علينا عُقُوقُها(١٠٠)، وهي حَدَقَةُ عَينِ المَدِينَةِ، ووَاسِطَةُ عِقدِهَا الثَّمِينَةِ، فَهَلْ هذا المُبتَدِرُ لِسَكنَاهَا، ولِعِمَارَة مَغنَاهَا أَنْ يَكُونَ مُستَحِقَّهَا، ويُوفِيهَا(١٠١) مِنَ اللَّذَّةِ حَقَّهَا، أَمْ هُوَ مِمَّنْ يرَى خَزْنَ فَلْسِهِ، ولمْ يُوقَ شُحَّ نَفسِهِ(١٠٢)، فَقَالَ: بَلْ هُوَ رَبيبُ(١٠٣) الدَّولةِ الأَرتقيَّةِ، وجَليسُ الحَضرَةِ السُّلطَانيَّة، خفَّة رُوحِ الزَّمَانِ(١٠٤)، وهَارُوتُ سِحْرِ البَيَانِ، ورَبُّ المَقَامِ والمَقَالِ، وفَارِسُ الجِلَادِ والجِدَالِ. [مجزوء الكامل]

---

(٩٥) ظ ١: «فغادر».

(٩٦) ظ ١: «إليكم».

(٩٧) اقتباس إشاريّ من قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾، المائدة: ٣.

(٩٨) اقتباس إشاري من قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥].

(٩٩) ظ ٢: «وجب علينا».

(١٠٠) ظ ١: «حقها، وحرم علينا أن نعقها».

(١٠١) ظ ١، د ١، د ٢: «ويوفها».

(١٠٢) أفادَ من قوله تعالَى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

(١٠٣) ظ ٢: «رئيس».

(١٠٤) من قول الشريف الرضيِّ، ديوانه ٢/ ٣٧٧:

ليبك الزمانُ طويلًا عليك ... فقد كنتَ خِفَّةَ رُوحِ الزَّمَانِ

مَـا إِنْ يَـزَالُ أَخَـا مِـزَا ... حِ أَو يَكُـونَ أخـا مِـرَاس
طَـورًا تَـرَاهُ أبـا نُـوا ... س، وتـارةً كَـأَبي فِـرَاسِ

لكنَّهُ مَعَ ذَلِكَ إِكسِيرُ الخُمُورِ، وينبوعُ الفُجُورِ، قَائِلٌ بِالهَنَاءِ والهنَاتِ، مُولَعٌ بِالبَنِينَ والبَنَاتِ [الخفيف]

قَائِلٌ بِالنَّبِيذِ والمزرِ[١٠٥] والبو ... زةِ[١٠٦] والكيلسون والبختجوشِ[١٠٧]
فَإِذا مَا تَعَذَّرَتْ نَشوَةُ الرَّا ... حِ تَغَانى عن شُربِهَا بِالحَشِيشِ
وإذا هَمَّ بِاللِّوَاطِ فَمَا ... يَفكُرُ في أَمرَدٍ ولا نَكْرِيشِ[١٠٨]
لو دعا بِالفُجُورِ في دَيرِ هليا ... جَاوَبَتهُ الفِقَاحُ مِن عَقرِ شُوشِ[١٠٩]

فَعِندَهَا هَنَّئتُ نَفسي بِالسُّرُورِ، وعَلِمْتُ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [الحج: ٧]، وأَيقَنتُ بِانشِرَاحِ صَدري، وقُلتُ قَد طَلَعَ شَمْسي بَعدَ بَدري.

فَلَمْ أَسْتَتِمّ الخِطَابَ إِلَّا وقَد فُتِحَ البَاب، ووَلَجَ بِهِ نَفرَانِ، كأَنَّهمَا القَمَرَانِ[١١٠]، فَبَدءَا بِالكنسِ والرَّشِّ، وثَنَيَا بِالبُسَطِ والفَرشِ، وعزَّزَا بِتَعلِيقِ السُّتُورِ، وتَدخِينِ البُخُورِ، وفَرَشَا المِنظَرَةَ والطَّيَّارَةَ، ومَلآ البركَةَ والفَوَّارَةَ، وأَطلَقَا المَاءَ إِلى[١١١] البُستَانِ، وصَفَّا الخُضرَةَ في الإِيوَانِ، وأَنَا مَعَ ذَلِكَ

(١٠٥) المِزْر: نَبيذ الذُّرة والشَّعير والحِنطة والحُبوب، وَقيل: نَبيذ الذُّرة خاصّة. تاج العروس (مزر) ١٤/ ١١٨.
(١٠٦) البوز: شرابٌ مُسكرٌ من الذَرة وغيرها. تكملة المعاجم العربية ١/ ٤٧٩.
(١٠٧) هي: الحشيش.
ظ ٢: «النُحتحوش»، تصحيف.
(١٠٨) النكريشُ: حسنُ اللِّحيةِ. تاج العروس (نكرش) ١٧/ ٤٢٩.
(١٠٩) من بلاد الجزيرة. صبح الأعشى ٧/ ٣٠٧.
(١١٠) د ١، د ٢: «في».
(١١١) ظ ١: «حقها، وحرم علينا أن نعقها». ظ ٢: «وجب علينا».

مُتَرَقبة قُدُومَ السَّاكِنِ إليَّ، مُتَوَقِّعَةً مطلعه(١١٢) عليَّ، فَنَظَرتُ وإذا(١١٣) بِهِ قَد فُتِحَ البَابُ، ووَلَجَ وَمَعَهُ أَمرَدَانِ(١١٤)، كأَنَّهُمَا الفَرقَدَانِ، وهو يَتَهَادَى في مِشْيَتِهِ، ويَمِيسُ بَينَ حَاشِيَتِهِ، تَكادُ(١١٥) أَنْ تَقطُرَ مِن أَعطَافِهِ الخَلَاعَةْ، وتَلمَعُ مِن أَسِرَّةِ وَجْهِهِ الرَّقَاعَةْ، فَطَافَ أَقطَارَ الدَّارِ، وهَشَّ لِحُسْنِ الآثَارِ، ثُمَّ مَشَى ورُفقَتَهُ حَتَّى جَلَسَ بالشُّبَّاكِ(١١٦) الحَدِيدِ، المُشْرِفِ على بَابِ الحَدِيدِ.

فَلمَّا استَقَرَّ بِهِ المَكانْ، وسَرحَ طَرْفَهُ في مَحَاسِنِ البُسْتَانْ، أَبدَى لِغُلَامِهِ سَغَبًا ولَغَبًا، وتَلى: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢]، فَبَادَرَتِ الوَلَائِدُ بِالمَوَائِدِ، وسَلَكُوا مِنَ الآدَابِ(١١٧) أَجمَلَ العَوَائِدِ، حَتَّى إذا رُفِعَ الطَّعامُ مِن بَينِ أَيدِيهِمْ، ورُدَّتْ أَيدِيهم إِليهِمْ(١١٨)، حَمَدُوا اللهَ وشَكَرُوا، وطَعِمُوا ولمْ يَنتَشِرُوا(١١٩)، بَلْ قَالَ: إِنَّ أَولَى(١٢٠) ما هُضِمَ(١٢١) بِهِ الطَّعَامْ، شَيءٌ مِنَ أَرطَالِ المُدَامْ(١٢٢)، وأَنشَدَ(١٢٣): [السريع]

---

(١١٢) ظ ١: «متوقعة مطله». ظ ٢: «وقوع ظله». د ٢: «مطلع».

(١١٣) ظ ٢: «وإذ». د ١، د ٢: «وإذا قد».

(١١٤) د ٢: «وولج به أمردان». د ١: «وولج أمردان».

(١١٥) ظ ٢: «وهو يكاد».

(١١٦) ظ ١: «في الشباك».

(١١٧) ظ ١: «الأدب».

(١١٨) ظ ١: «إليهم أيديهم».

(١١٩) اقتباسٌ إشاريٌّ من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ﴾ [الأحزاب ٥٣].

(١٢٠) ظ ١: «أولا». ولم ترد «إن» في: د ١، د ٢.

(١٢١) ظ: «يهضم».

(١٢٢) ظ ١: «يهُضِمَ بِهِ الطَّعَام، شَيءٌ مِنَ المُدَام».

(١٢٣) من: ظ ٢، وفي ظ ١: «نظم».

مَـا يَهْضِـمُ الـزَّادَ سِـوَى قَهْـوَةٍ فَقَرِّبُوهَـا نَحوَنَـا واقْرَبُـوا[١٢٤]
ولا تَخَـافُوا الإِثْـمَ فـي شُـربِهَا فَاللهُ قَد قَالَ: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾[١٢٥]

فَقُلتُ: أَحسَنتَ يا دقنائيلُ، ووَارِثَ عِلْم عزازيلَ[١٢٦]، شَدَّ الله على المَعَاصي قُوَاكَ، وأَلْهَمَكَ فُجُورَكَ دُونَ تَقوَاكَ[١٢٧].

فَمَا اسْتَتَمَّ الكلامَ، إِلَّا والمُدَامُ تُجلَى، والكُؤُوسُ تُملَى، فَشَرِبُوا أَدوَارًا، وتَنَادَوا أَطوَارًا، وتَنَاشَدُوا أَشعَارًا، وتَحَاوَرُوا[١٢٨] أَخبَارًا. فَكانَتْ سَاعَاتُهُمْ أَحلَى مِن استِرَاقِ النَّظَرِ عِندَ قُفُولِ الرَّقيبِ[١٢٩]، وأَلَذَّ مِن اختِلاسِ القُبَلِ عِندَ حُضُورِ الحَبِيب. وكانَ بِمَوَاقِعِ اللَّذَّاتِ أَعرَفَ مِنَ السَّيلِ بِالوِهَادِ[١٣٠]، وأَروَى لِمَعَاهِدِي مِنْ صَوبِ العِهَادِ[١٣١]. [الخفيف]

كُـلَّ يَـومٍ لَـهُ حَبِيـبٌ جَدِيـدُ يَتَهَنَّـى بِـهِ وخَمْـرٌ عَتِيـقُ[١٣٢]
بِمُـدَامٍ[١٣٣] حَكَـتْ سُـهَيلَ اتِّقَـادًا فـي زُجَـاجٍ كأَنَّـهُ العَيُّـوقُ[١٣٤]

---

(١٢٤) البيتان من غير عزو في: رسالة في الشاي والقهوة والدخان ٢٧.

(١٢٥) الأعراف: ٣١، وتتمَّتُها: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.

(١٢٦) عزازيل: اسم إبليس لَعَنَه اللهُ. تاج العروس (بلس) ١٥/ ٤٦٥.
ظ ١، د ١، د ٢: «عِزرائيل».

(١٢٧) اقتباس إشاريّ من قوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٨].

(١٢٨) ظ ١: «تنادروا».

(١٢٩) أَفَادَ من قولِ العطويِّ:

أَحْسَـنُ مِـنْ غَفْلَـةِ الرَّقِيْـبِ وَلَحْظَةِ الوَعْـدِ مِـنْ حَبِيْـبِ

يُنظر: شعراء بصريون من القرن الثالث (العطوي) ١٧.

(١٣٠) من كلامه صلى الله عليه وآله: «إن الله ليغذي عبده المؤمن بالبلاء كما تغذي الوالدة ولدها باللبن، وإن البلاء إلى المؤمن أسرع من السيل إلى الوهاد». بحار الأنوار ٧٨/ ١٩٥.

(١٣١) العِهَادُ، جمع العهد: أَوَّلُ المَطَرِ (الوَسْمِيّ). تاج العروس (عهد) ٨/ ٤٥٦.

(١٣٢) ظ ٢: «ورفيق. وخمر شهي عتيق».

(١٣٣) ظ ٢: «ومدام».

(١٣٤) العَيُّوقُ: نَجْمٌ أحمَر مُضيءٌ فِي طَرَف المَجَرّة الأيْمَن، يتْلو الثُرَيّا، لَا يتقدَّمُها ويطلُع قبل =

في غَبوقٍ مِنَ الشُّمُوعِ صَبُوحِ[١٣٥] وصَبُوحٍ مِنَ الغُيُومِ غَبُوقِ[١٣٦]
وهُوَ يُبدي مِنَ الفُكاهَةِ لُطفًا كُلُّ لُطفٍ من حُسْنِهِ مَسرُوقُ[١٣٧]

ثُمَّ جَعَلَ يُرسِلُ الأَوراقَ، لِيستَدعي الرِّفاقَ، بِأَشعَارٍ لو حَاوَلَهَا ابنُ المُعتَزِّ[١٣٨] لَعَزَّتْ، ولو سَمِعَتْهَا الجِبَالُ طَرِبَتْ واهْتَزَّتْ، وأَقَامَ في نَعيمٍ مُفَاضٍ[١٣٩]، وعَيشٍ فَضَفَاضٍ[١٤٠]، تَقصدُهُ أَعيَانُ الدَّولَةِ، وفُرسَانُ الجَولَةِ، وأَهلُ الصِّلَّةِ والصَّولَةِ، وتَبَادَرُهُ أَهلُ العِلْمِ والعَلَمِ، وأَربَابُ السَّيفِ والقَلَمِ.

[الكامل]

مُتَطَلِّعِينَ إِلى أَسِرَّةِ وَجهِهِ مُتَعَطِّشِينَ إِلى جَوَاهِرِ لَفظِهِ
لا يُسرِحُونَ اللَّحظَ عِندَ حُضُورِهِ إِلَّا بِحَيثُ رَمَى مَوَاقِعَ لَحظِهِ[١٤١]

فَعَادَ لي بِهِ الأُنسُ الكامِلُ، والعِزُّ الشَّامِلُ[١٤٢]، وظَلَّتْ[١٤٣] مَسَارِحُ المَهَا والغِزلان، ومَسنَحُ الحُورِ والوِلْدَان، ومَعهَدُ الجُنُوكِ[١٤٤] والعِيدَانْ،

= الجوْزاء، سُمّي بذلك لأنّه يَعوقُ الدَّبَران عَن لِقاءِ الثُّرَيَّا. تاج العروس (عوق) ٢٥/ ٢٢٨-٢٢٩.

(١٣٥) الصَّبُوحُ: كلُّ مَا أُكِلَ أَو شُرِبَ غُدْوَةً، وَهُوَ خِلافُ الغَبُوق. تاج العروس (صبح) ٦/ ٥١٨.

(١٣٦) في البيت إقواء.

(١٣٧) ظ ٢: «وهو لطف وحسنه مسروق».

(١٣٨) عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون بن المهدي. أَخَذَ عن المبرّد وثعلب وغيرهما، كان أديبًا بليغًا وشاعرًا مطبوعًا. قُتِلَ سنة ٢٩٦هـ. وفيات الأعيان ٣/ ٧٦-٧٥.

(١٣٩) مفاض: واسع. تاج العروس (فيض) ١٨/ ٥٠٣.

(١٤٠) ظ ١: «مفضاض».

(١٤١) ورد البيتان قبلهما كلمة «نظم» في ظ ١، وجاءا في ظ ٢ على هيئة نثر.

(١٤٢) ظ ١: «الكامل».

(١٤٣) ظ ٢: «فظلتُ».

(١٤٤) الجنوك، جمع الجنك: آلة من ذوات الأوتار، طولها ١٦ عقدة، أو ١٨، والعمل يتم بتحريك بعض أجزائها. قاموس الموسيقَى العربية ٧٣.

ومَوطِنُ القناني[١٤٥] والقِيَانْ.

ولمْ أَزَلْ رَاضِعَةً[١٤٦] دَرَّ السُّرُورْ، مُدَّةَ تِسعَةَ شُهُورْ، ثُمَّ رَأَيتُ تِلكَ الغَلَبَةَ قَد قلَّتْ، والرِّفَاقَ قَد عَبسَتْ وتَوَلَّتْ، وأَوَاني الرَّاحِ قَد اضْمَحَلَّتْ، ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ [الانشقاق: ٤]، وصَارَ سَاكني يَصعَدُ القَلعَةَ مِرَارًا، ويخرجُ إلى[١٤٧] الفِردَوسِ أَطوَارًا، ويَتَظَلَّمُ طَورًا إِلى مَلِكِ الأُمَرَاءِ، ويَتَأَلَّمُ طَورًا مِنَ الدَّولَةِ الغَرَّاءِ، ويَذُمُّ الدَّهْرَ ونَوَائِبَهُ، والدَّينَ وشَوَائِبَهُ، وإِذا خَاطَبَهُ نَدِيمٌ في الانعِكَافِ، على شُربِ السُّلافِ[١٤٨] تَحَمَّضَ وتَلَمَّظ[١٤٩]، وتَسَخَّطَ وتَغَيَّظَ، وأَذَاعَ[١٥٠] أَنَّهُ تَابْ، وفَرِغَ من الشَّرَابْ[١٥١]، ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨]. [الخفيف]

ثُمَّ قِيل[١٥٢] اهتَدَى، فيا ليتَهُ دا مَ على ذلكَ الضَّلال القديم[١٥٣]

وأَنَا مَعَ ذَلِكَ لا أَعلَمُ ما عَنِ المُدَامِ دَهَاهُ، بَعدَمَا كانَ ازدَهَاهُ، ولا مَا عَنِ اللَّذَّةِ نَهَاهُ، بَعدَمَا أَرشَدَهُ[١٥٤] نُهَاهُ.

فَبَينَمَا أَنَا مُفكرةٌ فيمَا أَوجَبَ ذَلِكْ، وسَلكَ بِهِ أَصعَبَ المَسَالِكْ، إِذْ سَمِعَت جَرسًا لَطِيفًا وصَوتًا ضَعِيفًا، فَأَصغَيتُ فَإِذا فَأْرَةٌ على شَفِيرِ

(١٤٥) ظ ١: «القنانِ».

(١٤٦) ظ ١: «أباضعه».

(١٤٧) د ١، د ٢: «الى» لم يرد.

(١٤٨) السُّلاَفُ والسُّلاَفَةُ مِن الخَمْرِ: أَخْلَصُها وأَفْضَلُهَا. تاج العروس ٢٣/ ٤٥٧.

(١٤٩) ظ ٢: «تحمض». ظ ١: «وتلمَّضَ».

(١٥٠) ظ ١، د ١، د ٢: «وأذعن».

(١٥١) د ١، د ٢: «وفرغ من الشراب» لم ترد.

(١٥٢) ظ ١: «قالوا».

(١٥٣) البيت في: ديوان صفي الدين الحليّ ١/ ٥١٦، وقد وردَ في النسختين الخطيَّتين على هيئة نثر.

(١٥٤) ظ ٢: «أرشد».

الجُبِّ[١٥٥]، تُخَاطِبُ أُخرَى تَحتَ الحُبِّ[١٥٦]، وَهيَ تَقُولُ: أَ رَأَيتِ مَا فَعَلَ الزَّمَانُ الغَدَّارْ، بِسَاكِنِ هذِهِ الدَّارْ؟. كُنَّا[١٥٧] نُؤَمِّلُ أَنْ نَعيشَ في ذَرَاهْ[١٥٨]، ونَرتَعَ في حِمَاهْ، ولَمْ تَزَلْ خَزَائِنُهُ مَلْأَى مِن المَأكُولِ والمَشرُوبِ، والمَعَاجِينِ والرُّبُوبِ[١٥٩]، وكُلّ مَا[١٦٠] يُقضَمُ ويُخضَمُ[١٦١]، ويُثقَلُ ويُهضَم، فَإِذا هيَ اليَومَ أَقفَرُ مِنَ الفَلَاةِ، وأَصغَرُ مِنَ الهَبَاةِ، فَقَالتْ لهَا الكُبرَى: ومَا سَبَبُ ذَلِكَ؟ قَالتْ: لأَنَّهُ أَحمَقُ مِنَ الفَرَّاشِ، وأَبلَدُ مِنَ الخُفَّاشِ[١٦٢]. كانَ أينما عرَّجَ أَرَّجَ، وحَيثُمَا تَدَرَّجَ تَفرَّجَ[١٦٣]. تَرتَاحُ إِليهِ السَّبَاسِبُ[١٦٤]، وتَجِدُّ في طَلَبِهِ المَكَاسِبُ، وكانَتْ أَبنَاءُ هذه الدَّولةِ تُؤَمِّلُ أَن

(١٥٥) شَفِيرُ كُلِّ شَيْءٍ، حَرْفُهُ. تاج العروس (شفر) ١٢/ ٢١٠. الجُبُّ: البِئرُ غيرُ البَعِيدَةِ. المصدر نفسه (جبب) ٢/ ١٢١.

د ١، د ٢: «مع حفير الجب».

(١٥٦) الحُبُّ: الجَرَّةُ صَغِيرَة كَانَت أَو كَبِيرَة أَو هِيَ الضَّخْمَة مِنْهَا، الخَابِيَةُ. تاج العروس (جبب) ٢/ ٢٢٤.

(١٥٧) ظ ١: «وكنَّا».

(١٥٨) الذَّرا: الكِنُّ. هُوَ كلُّ مَا اسْتَتَرْتَ بِهِ. يقالُ: أَنا فِي ظلِّ فلانٍ وَفِي ذَراهُ، أَي فِي كَنَفِهِ وسِتْرِه ودِفْئِه. تاج العروس (ذرو) ٣٨/ ٩٠.

(١٥٩) الرُّبُوبُ، جمع الرُّبُّ: هُوَ مَا يُطْبَخُ من التَّمْرِ، والرُّبُّ: الطِّلَاءُ الخَاثِرُ، وقِيلَ هُوَ دِبْسُ، أَي سُلَافَةُ خُثَارَةِ كُلِّ تَمْرَةٍ بعدَ اعْتِصَارِهَا. تاج العروس (ربب) ٢/ ٤٧٨.

(١٦٠) في النسختين: «كلما».

(١٦١) د ٢: «ويخصم». د ١: «يخضم ويقضم».

الخَضْمُ: مَلْءُ الفمِ بالمَأكُول. وقِيل: الخَضْمُ للإِنْسَان بمنْزِلة القَضْم من الدّابّة. تاج العروس (خضم) ٣٢/ ١٠٥.

(١٦٢) د ٢: «الخنفاش».

(١٦٣) د ١، د ٢: «كانَ أينما عرَّجَ أَرَّجَ، وحَيثُمَا تَدَرَّجَ تَفرَّجَ» وردت على هيئة بيت شعر.

(١٦٤) السباسبُ، جمع السَّبْسَب: المَفَازَةُ والقَفْرُ، أَو الأَرْضُ المُسْتَوِيَةُ البَعِيدَةُ. تاج العروس (سبب) ٣/ ٤٠.

تتأمَّلَ قُدُومَهُ، وتَشتَاقُ أَنْ تَستَاقَ[١٦٥] نَسِيمَهُ، ولا تَزَالُ[١٦٦] تُورِدُ[١٦٧] أَشعَارَهُ، وتَستَطلِعُ أَخبَارَهُ، وإِذا قَدِمَ عَليهِمْ تَلَقَّوهُ تَلَقِّيَ الأحرار[١٦٨] صَوبَ الغَمَام، واسْتجلوهُ استِجلاءَ البَدرِ ليلةَ التَّمَامِ[١٦٩]، ولَمْ تَزَلِ العُيُونُ إِليهِ مَمْدُودَة، والسَّاعَاتُ لهُ مَعدُودَة، فَنَفَخَ في مَنَاخِرِهِ الشَيطَانْ، وأَغرَاهُ[١٧٠] بِمُعَامَلَةِ نَائِبِ السُّلطَانْ، فَسَلَّمَ إِليهِ مَا في يَدَيهِ[١٧١]، واستَدَانَ لهُ مِنَ التُّجَّارِ ضِعفَيهِ، وتَحَمَّلَ لهُ نَحو تِسعينَ[١٧٢] أَلفًا أَو مَا دُون، وقِيلَ: إِلى[١٧٣] مِئَةِ أَلفٍ أَو يَزِيدُون[١٧٤]، وكَتَبَ لهُ[١٧٥] المَسطُورْ، إِلى ثَلاثَةِ شُهُورْ، وصَارَ لِفَسَادِ رَأْيِهِ ورَاسِهِ، وضعفِ عَقْلِهِ وقِيَاسِهِ، يَنفشُ سِبَالَهْ[١٧٦]، بِأَليةِ أَذيَالِهْ، ويُمِتُّ بِذَلِكَ المِقدَارِ، ويَجلِسُ بَينَ أُمَرَاءِ بَابِ الدَّارِ، ولَمْ يَعلَمْ أَنَّ الفِطَامْ عِندَ طلبِ الحُطَامْ، فَلَمَّا انتَهَتِ المُدَّةُ، وانقَضَتِ العُدَّةُ، نَامَ عَنهُ نَومَ[١٧٧] أَهلِ الرَّقِيمْ، ونَبَذهُ بِالعَرَاءِ وَهُوَ سَقيمْ[١٧٨]، ولَم يَزَلْ يُؤَمِّلُ ويَتَأَمَّلُ، ويَحمِلُ ويَتَحَمَّلُ،

(١٦٥) ظ ٢: «تُؤَمِّلُ أَسوَاقَ قُدُومِهِ، وتَشتَاقُ إِلى تستاقِ نَسِيمِهِ».
(١٦٦) ظ ٢: «ولا تزل».
(١٦٧) د ١، د ٢: «تردد».
(١٦٨) د ١، د ٢: «الأجرار». ظ ٢: «الحيام».
(١٦٩) ظ ٢: «البدر التمام».
(١٧٠) ظ ١: «وأغره».
(١٧١) د ٢: «فسلم إليه كل ما في يديه».
(١٧٢) ظ١: «تسعون».
(١٧٣) ظ ١: «وقبل عليه».
(١٧٤) إشارة إلى قولهِ تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧].
(١٧٥) د ٢: «له» لم ترد.
(١٧٦) السِّبال: شَعَرُ اللحية. لسان العرب (زحلف) ٩/ ١٣٢.
(١٧٧) ظ ١: «نوم»، لم ترد.
(١٧٨) أفاد من قوله تعالى: ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [الصافات ١٤٥].

حَتَّى لمْ يَبقَ في قَوسِ التَّحَمُّلِ مَنزَعُ، ولا في حَوضِ التَّجَمُّلِ مَكرَعُ، ثُمَّ طَوَّلَ[١٧٩] نَفسَهُ شُهُورًا، حَتَّى صَارَ عَدَدُ الثَّلاثَةِ مَحذُورًا، فَلَمَّا تَعَدَّتْ عِدَّةُ شُهُورِ الحَملِ، ولمْ[١٨٠] يَنتُجْ بِحَملِ الحَملِ، عَلِمَ أَنَّ أَمَلَهُ كانَ عَقيمًا، ورَأيَهُ كانَ سَقِيمًا. وأَنشَدَ مُتَمَثِّلًا[١٨١]: [الطويل]

لقَد عَشُرَتْ تِلكَ الشُّهُورُ بِمَولِدي وَمَا نَتجَتْ بِالحَملِ آماليَ الحُبلَى

فَقَالَتْ لهَا الكُبرَى: وَيلَكِ، إِنِّي رَأَيتُهُ بِعَكْسِ مَا وَصَفتِ مِنَ الخَبَالِ، ورَثَاثَةِ الحَالِ. قَالَتِ الصُّغرَى: وكَيفَ ذلكَ ؟ قَالتْ: لأَنِّي لا أَزَالُ[١٨٢] أَرَى أَثوَابَهُ نَقِيَّة، وأَنفَاسَهُ ذَكِيَّة، فَصاحت الصُّغرَى صيحةً، خِلْتُ أَنَّ الدَّنَّ قَد انكَسَرَ، ولِثَامَ[١٨٣] الرَّفدِ[١٨٤] قَد انحَسَرَ. قَالتْ: وَيلَكِ إِنَّ للأَشيَاءِ مَوَاطِن[١٨٥]، ولِلأُمُورِ بَوَاطِن، أَلمْ تَعلَمي أَنَّ نَقَاءَ أَثوَابِهِ لِقِلَّةِ[١٨٦] الدِّهَانِ في مَنزِلِهِ، وذُكَاءَ أَنفَاسِهِ لَعَدَمِ الزَّفَرِ[١٨٧] في مَأْكَلِه، واللهِ إِنْ تَمَادَت به الحَالُ[١٨٨]

(١٧٩) ظ ٢: «طاول».

(١٨٠) ظ ١: «تعدت شهور الحمل، فلم».

(١٨١) ظ ٢: «شعر»، ولم ترد في: د ٢.

(١٨٢) ظ ٢: «لأني لم أزل».

(١٨٣) ظ ٢: «أو لثام».

(١٨٤) في النسخ جميعها: «الرعد»، ولعل الصواب ما أثبتناه.

الرفد: العُسُّ، وَهُوَ القَدَحُ الضَّخْمُ يُرْوِي الثّلاثةَ والأَربعةَ، والعِدَّةَ وَهُوَ أَكبَرُ من الغُمَر، والرَّفْد أَكبرُ مِنْهُ. تاج العروس (رفد) ٨/ ١٠٧.

(١٨٥) ظ ٢: «المواطن».

(١٨٦) ظ ١: «من قلة».

(١٨٧) د ١، د ٢: «الظفر».

(١٨٨) ظ ١: «والله فإن تمادى الحال». ظ ٢: «ووالله».

أَيَّامًا لَتَرَيَنَّهُ يَستَخرِجُ قُوتَ النَّملِ، ويجرسُ[١٨٩] القيحَ[١٩٠] مِن القَمْلِ، فَقَالَتِ الكُبرَى: ولِمَ لا يَتَقَاضَاهُ بِشِعْرِهِ[١٩١]، ويُغلِظُ لهُ في نَظْمِهِ ونَثْرِهِ[١٩٢]؟ فَإِنَّمَا تُعرَفُ السَّحَائِبُ بِوَبلِهَا، والقِسِيُّ بِنَبلِهَا، وأَنَّهُ إِذا قَالَ بَيتًا تَسَابَقَ[١٩٣] النَّاسُ إِلى حِفظِهِ، مِن قَبلِ مَا يَفُوهُ[١٩٤] بِلَفظِهِ، وشَاعَ في الآفَاقْ، مِن قَبلِ أَنْ تَسِيرَ بِهِ الرِّفَاقْ. أَوَ ليسَ القَائِلُ[١٩٥]: [الخفيف]

وإِذا ما تَلا[١٩٦] الزَّمانُ قَريظي[١٩٧] أَصبَحَتْ تَستَعِيدُهُ الأَيَّامُ

فَقَالَتِ الصُّغرَى: وكَيفَ يُغلِظُ في طَلَبِ حَقِّهِ، على مَالِكِ رِقِّهِ، ويَسِمُ بِمَقَالِهِ، مَنْ لمْ يَزَلْ حَامِلَ أَثقَالِهِ، فَإِنَّ الكَرْمَ لا يُثمِرُ[١٩٨] حَنظَلًا، ولو كانَ دَاءُ أَرضِهِ مُعضلًا، لا، بَل يَتَقَاضَى تَقَاضِيَ إِدلَال، لَا تَقَاضِيَ إِخلال[١٩٩]، ويَلُوذُ[٢٠٠] بِعَقلِهِ وعلمِهِ[٢٠١]، ويَنشِدُ مُرتَجِلًا مِن نَظْمِهِ[٢٠٢]: [الطويل]

---

(١٨٩) الجَرْسُ: اللَّحْسُ بِاللِّسَانِ. تاج العروس (جرس) ١٥/ ٤٩٣. د ١، د ٢: «ويحرش».

(١٩٠) د ١، د ٢: «القمح».

(١٩١) ظ ٢: «بشعر».

(١٩٢) ظ ٢: «ويغلظ في نظمه ونثر».

(١٩٣) ظ ١: «سابق».

(١٩٤) ظ ١: «أن يفوهَ».

(١٩٥) ديوان صفي الدين الحليّ ٢/ ١٠٣٦، وقد وردَ في ظ ١ على هيئة نثر.

(١٩٦) ظ ٢: «فإذا تلى».

(١٩٧) ظ ٢: «قريضي».

(١٩٨) ظ ٢: «ويغلظ في نظمه ونثر».

(١٩٩) ظ ١: «يحملُ».

(٢٠٠) د ١، د ٢: «ويلوز».

(٢٠١) ظ ٢: «وحلمه».

(٢٠٢) ديوان صفي الدين الحليّ ١/ ١٣٩.

سَأَصبِرُ إمَّا أَنْ تَدُومَ[٢٠٣] صُرَوفُهَا عَلَيَّ، وَإِمَّا تَستَقيمُ أُمورُهَا
فَإِنْ تكُنِ الخَنساءُ إِنِّيَ صَخرُهَا وَإِنْ تكُنِ الزَّبَّاءُ إِنّي[٢٠٤] قَصِيرُهَا[٢٠٥]

فَقَالتِ الكُبرَى: فَإِنْ طالَ بِهِ المَطالُ، وتَمادَتْ عليهِ الحَالُ، فَعَلامَ يَقوَى عَزمُهُ، وإِلامَ يَدُلُّهُ حَزمُهُ؟ قَالتْ: على الرَّحيلِ، وتَرْكِ الأَمل[٢٠٦] المُسْتَحِيلِ، وأَنْ يُفَارِقَ الدَّارَ والمَخزَنْ، ويَقُولُ: عَينٌ لا تَرَى، وقَلْبٌ لا يَحزَنْ[٢٠٧].

فلمَّا سَمِعتُ أَيَّتُها القَلعةُ المَحرُوسَةُ، والذِّروَةُ المَأْنُوسَةُ، أَنَّ حَالَهُ استحَالْ[٢٠٨]، وعَزَمَ على التِّرحَالْ[٢٠٩]، وَرَدَ عليَّ مَا أَزعَجَني وجَزَّعَني، وأَقلَقَني[٢١٠] وفلَّقَني. فَاكتَحلتُ السُّهَادَ، وهَجَرتُ المِهَادَ، وافتَرَشْتُ

(٢٠٣) ظ ٢: «يدوم». د ٢: «تدور».
(٢٠٤) ظ ١: «فإني»، في الموضعين، ولم ترد كلمة «قصيرها»، بل بقيتْ فراغًا.
(٢٠٥) في هذا البيت أربعةُ أعلام:
الخنساء: تُماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد الرياحية السُّلَمية، شاعرة مخضرمة. توفِّيتْ نحو ٢٤هـ.
صخر: صخر بن عمرو بن الحارث الشريد. من فُرسان بني سُليم وغُزاتهم. قُتل في الجاهليَّة، ولأُخته الخنساء شعرٌ كثيرٌ في رثائِهِ.
الزَّبَّاء: الزباء بنت عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع. صاحبة تدمر وملكة الشام والجزيرة في العصر الجاهليّ. قَتَلَتْ جذيمةَ الوضَّاحَ مَلِكَ العراق، ثُمَّ انتَحرَتْ بِمَصٍّ سُمٍّ في خاتمها.
قصير: قصير بن سعد بن عمرو اللخمي. كان صاحبَ رأيٍ ودهاءٍ. احتال على الزبَّاء فَجَدَعَ أَنفَهُ وأُذنَهُ، فضُربَ بِهِ المثلُ: لِأَمْرٍ ما جَدَعَ قَصِيرٌ أَنفَهُ؟. (يُنظر على التوالي: الأعلام ٢/ ٨٦، ٢٠١، ٤١، ٥/ ١٩٩).
(٢٠٦) ظ ١: «الأمر».
(٢٠٧) ظ ٢: «لا عين ترى ولا قلب يحزن». وسقط حرف الواو من: ظ ١.
(٢٠٨) ظ ٢: «حال».
(٢٠٩) ظ ١: «الارتحال».
(٢١٠) الكلمة هنا بياض في ظ ١.

القَتَادَ[٢١١]، [وأنشدتُ][٢١٢]: [مجزوء الكامل]

إنْ كـانَ قَـد أَلِـفَ[٢١٣] الرَّحِيـ ـلَ، ومَلَّنـي عَبـدُ العَزيـزِ
فَالقَلـبُ بَـينَ رِحَالِـهِ فَكأَنَّـهُ صَـاعُ العَزِيـزِ[٢١٤]

فَبِاللهِ عَليكِ أَيَّتُهَا القَلعَـةُ المَشِـيدَةُ، والقُلَّـةُ[٢١٥] الشَّـدِيدَةُ، إلَّا مَـا رَثَيـتِ لِوَاقِعَتي، عِندَ قِرَاءَةِ رُقعَتي، وقَبِلتِ شَفَاعَتي، لاسْـتِحقَاقِ شُـفعَتي، واعتَرَفـتِ بِمُضَارَعَتي، مِن فَحوَى ضَـرَاعَتي[٢١٦]، وأَجـزَتِ[٢١٧] رسـالتي[٢١٨]، بِإِجَابَـةِ مَسْـأَلتي، فَـإِنِّي لَـمْ أَزَل منقـادة لـك[٢١٩] بِزِمَـامِ الطَّاعَـةِ، ومُتَسَـربِلةً ثَـوبَ الاستِكانَةِ والضَّرَاعَةِ، وأَنَا مُقِيمَةٌ على ذلكَ الحالِ إلى قَيَامِ السَّاعَةِ[٢٢٠].

---

(٢١١) القَتَادُ: شَجَرٌ صُلْبٌ لَهُ شَوْكَةٌ كالإِبَرِ. تاج العروس (قتد) ٩/ ٥.

والنصُّ تناصٌّ من قول الحريريِّ في مقاماته ٢٦: «فَاكتَحَلتُ السُّهَادَ، وهَجَرتُ المِهَادَ، وافتَرَشْتُ القَتَادَ».

(٢١٢) زيادة من: د ١، د ٢.

(٢١٣) د ١، د ٢: «عزم».

(٢١٤) هنا إشارة إلى صاع الملك العزيز في سورة سويف: ٧٠-٧٦.

وفي البيتين إيطاءٌ، وقد وردا في ظ ١ على هيئة نَثر.

(٢١٥) القُلَّةُ: أَعلى الرّأْسِ، والسَّنامِ، والجَبَلِ، وقُلَّةُ كلِّ شيءٍ: رأْسُهُ وأَعلاهُ. تاج العروس (قلل) ٢٠/ ٢٧٤.

(٢١٦) الضراعة، ضَرَعَ: خضَعَ وذَلَّ، تَذَلَّلَ وتَخَشَّعَ. تاج العروس (ضرع) ٢١/ ٤٠٧.

(٢١٧) د ١، د ٢: «في فحوى ضراعتي، وأجزتي».

(٢١٨) ظ ١: «وسيلتي».

(٢١٩) ظ ١: «لك منقادة».

(٢٢٠) د ١، د ٢: «مقيمة على ذلك إلى يوم الساعة».

خاتمة ظ ١: «كملت الرسالة، والحمد لله وحده».

خاتمة ظ ٢: «والحمد لله حق حمده، وصلواته على خير خلقه محمد النبي العربي وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه الكرام أجمعين. م».

المصادر والمراجع

- القرآنُ الكريمُ.
- الأَمثالُ المولدةُ: محمد بن العباس الخوارزميّ (ت ٣٨٣هـ)، تحقيق د. محمد حسين الأعرجيّ، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٤هـ.
- الأَنواءُ في مواسم العرب: ابن قتيبة الدينوريّ (ت ٢٧٦هـ)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨م.
- الأَنواءُ والأزمنة: عبد الله بن حسين عاصم الثَّقفيّ (ت ٤٠٣هـ)، تحقيق د. نوري القيسي ومحمد نايف الدليميّ، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٦م.
- تاجُ العَروسِ: محمَّد مرتضَى الزبيديّ (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- تاريخُ الأدب العربيّ: د. عمر فَرُّوخ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م.
- تاريخُ الأدب العربي/ العصر المملوكي: د. عمر موسَى باشا، دار الفكر- دمشق، دار الفكر المعاصر- بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- تكملة المعاجم العربية: رينهارت دوزي (ت ١٨٨٣م)، نقلَهُ إلى العربية وعلَّق عليهِ د. محمَّد سليم النّعيمي، بغداد، ١٩٧٨م.
- تهذيبُ اللُّغَةِ: محمَّد بن أحمد بن الأَزهريّ الهرويّ (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.
- الحيوانُ في الأدب العربيّ: شاكر هادي شكر، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- ديوانُ الشَّريف الرَّضِيّ، شَرَحَهُ وعلَّقَ عليهِ وضبطهُ وقدَّمَ لهُ د. محمود

مصطفى حلاويّ، شركة الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
- ديوانُ صفيّ الدِّين الحلِّيّ، تحقيق د. محمد حوَّر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- الأردن، ٢٠٠٠م.
- ديوانُ صفيّ الدين الحليّ، مطبعة أفندي حبيب خالد، دمشق، ١٢٩٧هـ/ ١٨٧٩م، و١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م.
- ديوانُ صفيّ الدِّين الحلِّيّ، مطبعة الآداب، ولاية بيروت، ١٣٠٧هـ/ ١٨٩٢م.
- الذَّريعةُ إِلى تصانيف الشيعة: الشيخ آقا بزرگ الطَّهرانيّ (ت ١٣٨٩هـ)، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- رسالةٌ في الشَّاي والقَهوَةِ والدُّخَانِ: محمَّد جمال الدين بن محمَّد سعيد بن قاسم الحلَّاق القاسميّ (ت ١٣٣٢هـ)، دمشق ١٣٢٢هـ.
- سرُّ الفصاحةِ: عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- السلوكُ لمعرفة دول الملوك: أحمد بن عليّ بن عبد القادر المقريزيّ (ت ٨٤٥هـ)، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- سِمطُ اللآلي في شَرحِ أَمالي القالي: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكريّ (ت ٤٨٧هـ)، تحقيق عبد العزيز الميمنيّ، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م.
- شرحُ الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع: صفيّ الدِّين الحلّيّ (ت ٧٥٠هـ)، تحقيق د. نسيب نشاوي، مجمع اللغة العربية بدمشق، دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

- شَرحُ مقامات الحريريِّ: أحمد بن عبد المؤمن الشريشيّ (ت ٦١٩هـ)، تَحقِيق مُحمَّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريَّة، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- شعراء بصريون من القَرن الثالث الهجريّ، دراسة ونصوص: د. محمّد جبار المُعَيْبِد، مركز دراسات الخليج العربي، بغداد، مطبعة الإرشَاد، ١٩٧٧م.
- صفيُّ الدِّين الحلِّيّ: محمود رزق سليم، (سلسلة نوابغ الفكر العربي)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١م.
- صُبحُ الأَعشَى في صناعة الإنشا: أحمد بن علي القلقشنديّ (ت ٨٢١هـ)، شَرَحَهُ وعَلَّقَ عليهِ وقابل نصوصَهُ محمَّد حُسين شمس الدين، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- فنُّ الجِنَاسِ: عليّ الجنديّ، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٤م.
- فهرسُ المخطوطات العربيَّة في مكتبةِ الأَوقَافِ العامَّةِ في بَغدَادَ: عبد الله الجبوريّ، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٤م.
- قاموسُ الموسيقَى العربيَّةِ: د. حسين عليّ محفوظ، وزارة الثقافة والإرشاد، مديرية الثقافة العامة، بغداد، ١٩٧٥م.
- لسانُ العرب: جمال الدين ابن منظور (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.
- مثيرُ العزمِ الساكن إلى أشرف الأَماكن: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق مرزوق علي إبراهيم، دار الرَّاية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- مُعجمُ آيات الاقتباسِ: حكمت فَرَج البدريّ، دار الرَّشيد للنَّشر، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠م.
- معجمُ البُلدانِ: ياقوت بن عبد الله الحمويّ (ت ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

- مُعجمُ المَخطُوطاتِ العراقيَّةِ: مصطفَى درايتي، انتشارات سازمان وكتبخانه جمهوري إسلامي، وديوان الوقف الشِّيعيّ، إيران، ١٣٩٦هـ.
- مقاماتُ الحريريّ: القاسم بن علي الحريريّ (ت ٥١٦هـ)، مطبعة المعارف، بيروت، ١٨٧٣م.
- المنازلُ والديارُ: أُسامة بن منقذ الكنانيّ (ت ٥٨٤هـ)، تحقيق مصطفَى حجازي، القاهرة، ١٩٦٥م.
- المناظراتُ الخياليةُ في أدبِ المشرقِ والمغربِ والأَندلس: د. رغداء ماريني، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٨م.
- نظريةُ عِلمِ النَّصِّ: حسام أحمد فرج، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- وَفَيَاتُ الأَعيانِ وأَنباءُ أَبناءِ الزَّمان: أحمد بن محمَّد بن خلكان (ت ٦٨١هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

* * *

من الضّائعِ من رحلةِ ابنِ رُشَيدٍ السّبتيِّ (مِلءِ العَيبة):
(رِسَالَةُ المُصْحَفِ العَظِيمِ)
لأبي بكرٍ، محمّدِ بنِ عبدِ الملكِ بنِ طُفَيلٍ القيسيِّ (٥٨١هـ)

د. مُحَمَّد بَهَاء كَكُّو(*)

مُلَخّصٌ:

يعرضُ بحثُنا هذا وثيقةً دينيّةً، أدبيّةً، لغويّةً، تاريخيّةً، هندسيّةً تناولَت اجتلابَ أمراءِ دولةِ الموحِّدين من قرطبةَ في سنة (٥٥٢هـ) ما اعتقدُوه المصحفَ الخاصّ بأميرِ المؤمنينَ عثمانَ بنِ عفّانَ ﷺ الذي خطَّه بيدِه، ومبالغتَهم في تعظيمِه والعنايةِ به، بدءًا منِ انتخابِ كُسوتِه وحِليتِه، والتّأنّقِ والغرابةِ في صِوانِه، وصولًا إلى صنعِ مَحْمِلٍ فاخرٍ بديعٍ له، وكرسيٍّ يحملُه عندَ الانتقال، وتابوتٍ يحتوي ما سبقَ كلَّه، وانتهت وثيقتُنا هذه بالحديثِ عن بناءِ جامعِ مَرَّاكُشَ سنة (٥٥٣هـ).

وهذه الوثيقةُ (الرّسالة) نقلَها المَقَّريُّ (١٠٤١هـ) في: (نفح الطّيب) عن رحلةِ ابن رُشَيدٍ: (مِلء العَيبة)، ولم ترد في المطبوع من هذه الرّحلة. وبعد تمهيدٍ لا بدّ منه بين يدي هذه الرّسالة، انتسختُها من (نفح الطِّيب) المطبوع،

(*) عضوُ الهيئةِ التّدريسيّةِ في المعهدِ العالي للُّغات، جامعة حماة، سورية.
ورد إلى المجمع بتاريخ ٣/ ٣/ ٢٠٢٤م.

ثمّ بذلتُ جهدي - على قلّةِ الزّاد - في خدمتِها نثرًا وشعرًا، مطابِقًا منسوخيَ مع نصِّ (النّفح) المطبوع، ثمّ مع إحدى مخطوطاتِه لديّ، موضِّحًا ما رأيتُه يجلّيها من: توثيقٍ لنصٍّ من مصدرِه، أو ترجمةٍ لعلمٍ، أو شرحٍ لمبهمٍ لغويٍّ أو جغرافيٍّ، أو تصويبٍ لكلمةٍ... مبيحًا لنفسي وضعَ عناوينَ فرعيّةٍ لأجزاءِ الرّسالةِ؛ غايتُها التّسهيلُ والتّبيين. **والحمدُ لله من قبلُ، ومن بعد.**

تمهيد:

من المعلوم لدى المختصِّين أنّ كتابَ (نفح الطِّيب من غصنِ الأندلسِ الرّطيب) اتّخذَ طابعًا موسوعيًّا؛ جعلَه مُغنيًا عن عشراتِ الكتب؛ لصعوبةِ الرّجوع إليها مجتمعةً، وهو ذو قيمةٍ عاليةٍ، فرضَتْها جهودُ مصنِّفِه شهابِ الدّينِ المَقّريّ[(١)] (١٠٤١هـ) لَدُنْ وضعِه؛ إذ كدّسَ مادّتَه من المصادرِ التي تيسّرَت له حينئذٍ، وكانَ حريصًا على استنقاذِ الكثير من أخبارِ المغرب والأندلس من يدِ النّسيان والضّياع، «وما يزالُ قسمٌ كبيرٌ من كتابِه منقولًا عن أصولٍ ضاعَت»[(٢)]، وإذا لم يكن لمصنِّفِ (النّفح) «فضلُ النّاقدِ المؤرّخِ فله فضلُ الحافظِ المدوّن، وهو فضلٌ لا يُستهانُ به»[(٣)].

ومن منقولاتِ المقّريّ تلك نقلٌ له بجملتِه عن رحلةِ ابن رُشَيدٍ السَّبتيّ[(٤)] (٧٢١هـ) الموسوعيّةِ الماتعةِ الموسومةِ بـ(مِلءِ العَيبة بما جُمع بطولِ الغيبةِ في

(١) أحمد بن محمّد بن أحمد بن يحيى، أبو العبّاس، التِّلِمسانيّ. ونسبتُه إلى قريةٍ من قرى تِلِمْسان. مات في القاهرة. ترجمته في: ريحانة الألبّا وزهرة الحياة الدّنيا ٢/ ١٧٤، وخلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ١/ ٣٠٢.

(٢) مقدّمة محقّق (النّفح) ١٨. ومنها لخّصتُ ما سبق.

(٣) المقّريّ صاحب (نفح الطّيب) ص٤.

(٤) محمّد بن عمر بن محمّد، أبو عبدِ الله، محبّ الدّين. مات في فاس. ترجمته في: الوافي بالوفيات ٤/ ١٩٩، والإحاطة في أخبار غَرناطة ٣/ ١٣٥.

الوجهةِ الوجيهة إلى الحرمَين مكّة، وطيبة)، ما وجدتُه في ما بين يديّ من المطبوعِ منها[٥]، يتناولُ هذا النّقلُ رسالةً أنشأها الأديبُ أبو بكرٍ، محمّدُ بنُ عبدِ الملك بنِ طُفَيل[٦] (٥٨١هـ) ضمن كتابٍ له، أفادَها ابنُ رُشَيدٍ من حفيدٍ لابنِ طُفيل، ونقلَها عنه، وقد عرضَ ابنُ طُفيل في رسالتِه قصّةَ ما يُظَنّ أنّه مصحفُ أميرِ المؤمنينَ عثمانَ بنِ عفّانَ ﷺ الذي خَطَّه بيده، بدءًا من نقلِ الموحِّدين له سنة (٥٥٢هـ) من قرطبةَ إلى عاصمتِهم مَرّاكُشَ[٧]، وإلقاءِ ابنِ طُفيل قصيدةً مطوّلةً نظمَها للمناسبة، مجّدَ فيها أميرَهم عبدَ المؤمن بنَ عليٍّ[٨] (٥٥٨هـ)، ذاكرًا فيها حفظَهم المصحفَ المذكورَ، ثمّ فصّلَ بإسهابٍ دقيقٍ جدًّا في كُسوةِ المصحفِ، وصِوانِه، ومَحْمِلِه، وتابوتِه، وختمَ رسالتَه بكلامٍ على بناءِ المسجدِ الجامعِ في مَرّاكُشَ، وزيارةِ مدينةِ تِيْنمَلِ[٩] منطلقِ دعوةِ الموحِّدين، صحبةَ

(٥) والمطبوعُ من هذه الرّحلةِ الأجزاءُ: (٢، ٣، ٥، ٦، ٧). وبعد سؤال علّامة المغرب د. عبد العزيز السّاوريّ – شكرَ اللهُ له – عن هذا النّقل (الرّسالة) أكّد أنّه في الجزءِ الأوّلِ المفقودِ من هذه الرّحلةِ. والله أعلم.

(٦) أحد فلاسفةِ المسلمين، وشُهِرَ بتصنيفِه رسالة (حيّ بن يقظان)، صحبَ الأميرَ الموحِّديّ أبا يعقوبَ، يوسفَ بن عبدِ المؤمن (٥٨٠هـ). ماتَ ابن طُفيلٍ في مَرّاكُش. ترجمته في: المعجب في تلخيصِ أخبارِ المغرب ٣١١، وتحفة القادم ٩٦، والمُغرب في حُلى المغرب ٢/ ٨٥، والذّيل والتّكملة ٦/ ٤٠٧، والوافي بالوفيات ٤/ ٢٩. وانظر: ابن طُفيل (قضايا ومواقف) ١٣ – ١٧.

(٧) مدينةٌ بالمغرب، اختطّها يوسفُ بنُ تاشَفين في حدود سنة (٤٧٠هـ)، وصارت عاصمةَ الموحِّدين. انظر: معجم البلدان ٥/ ٩٤. وكانَ الموحِّدون حكموا المغرب، والأندلس بين سنتي: (٥٤٢هـ، و٦٦٨هـ).

(٨) ابنَ علَويّ، الكُوميّ التِّلِمسانيّ. قامَ بأمرِ الموحِّدين بعدَ ابنِ تُوْمَرْت (٥٢٤هـ)، وكانَ مؤثِرًا لأهلِ العلم، محسِنًا إليهم. ترجمته في: المعجب في تلخيص أخبارِ المغرب ٢٦٥، وتاريخ الإسلام ١٢/ ١٣٩ حيث طوّلَ الذّهبيُّ في سيرتِه.

(٩) وتُذْكَرُ في بعضِ المصادر بلامٍ مضعّفةٍ. «جبالٌ بالمغربِ، بها قرى ومزارعُ، يسكنُها =

المصحفِ المذكور.

وكانَ ابنُ رُشَيدٍ قدّمَ بين يدي رسالةِ ابن طُفَيلٍ بأبياتٍ نُظِمَتْ لدن طلبِ الأميرِ الموحّديِّ المنصورِ[١٠] (٥٩٥هـ) البدءَ بتحليةِ المصحف، كما أنّ المَقّريَّ قدّمَ بين يدي نقلِه عن ابنِ رُشَيدٍ بنقلٍ آخرَ ملخَّصًا عن ابنِ مرزوقٍ التِّلمسانيّ[١١] (٧٨١هـ) في كتابِه: (المسند الصّحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن) عرضَ فيه رحلةَ هذا المصحفِ من قرطبةَ في زمنِ الموحِّدين، مناقِشًا بعضَ الأمورِ المثارةِ حوله، ذاكرًا استخلاصَه من أيدي الموحّدين، ووصولَه إلى خزانةِ أمراءِ تِلِمْسان[١٢] إلى أن استقرَّ في خزانةِ بني مَرِين[١٣].

ولابدّ من تعليقٍ موجَزٍ على حقيقةِ المصحفِ المنقولِ من قرطبةَ إلى المغرب زمنَ الموحِّدين، الذي قامَت عليه رسالةُ ابنِ طُفَيل، أهو المصحفُ الشخصيّ لأميرِ المؤمنينَ عثمانَ بنِ عفّانَ ﷺ، أو غيره؟ وقد وقفتُ على جملةٍ من الآراء فيه، لعلّ أبرزَها الآتية[١٤]:

= البرابرُ... بها كانَ أوّلُ خروجِ محمّدٍ بن تُومَرْت، المسمّى بالمهديّ». معجم البلدان ٢/ ٦٩. وهي فيه: (تِينُ مَلَّل).

(١٠) يعقوب بن يوسف بن عبدِ المؤمن، أبي يوسف. هزم فرنجَ الأندلس في وقعةِ الأَرَك المشهورة سنة (٥٩١هـ). ترجمته في: المعجب في تلخيص أخبارِ المغرب ٣٣٦، وتاريخ الإسلام ١٢/ ١٠٥١ حيث طوّلَ الذّهبيُّ في ترجمته أيضًا.

(١١) محمّد بن أحمد بن محمّد، أبو عبدِ الله، شمس الدّين. رحلَ إلى المشرق؛ حاجًّا متعلّمًا، ولمّا انصرفَ إلى المغربِ صحبَ السّلطانَ أبا الحسنِ المَرينيّ (٧٥٢هـ). مات في القاهرة. ترجمته في: الدّيباج المذهّب ٢/ ٢٩٠، والدّرر الكامنة ٣/ ٣٦٠.

(١٢) مدينةٌ قديمة، وهي في دولةِ الجزائر حاليًا. انظر فيها: معجم البلدان ٢/ ٤٤، والرّوض المعطار ١٣٥. وكانت تحت سيطرةِ الموحّدين، ثمّ استقلّت عنهم سنة (٦٤٦هـ) بعد معركةٍ بين الطّرفين، سيأتي خبرُها في تضاعيف بحثِنا هذا. انظر: الأعلام ٨/ ٢٠٦.

(١٣) الذين حكموا المغرب بعد الموحِّدين بين سنتي: (٦٦٨هـ، و٨٦٩هـ).

(١٤) انظر فيها: رحلة ابن جبير ٨٠، والمعجب في تلخيص أخبارِ المغرب ٣٢٦، والذّيل =

* اعتقادُ أهلِ الأندلس، ومِن بعدهم الموحّدون أنّه المصحفُ الإمام، مصحفُ أميرِ المؤمنينَ عثمانَ بنِ عفّانَ ﷺ، ممّا خَطَّه بيمينِه، وأنّه الذي كان بين يديه حين استُشهد في داره ﷺ.

* ويرى غيرهم أنّ المصحفَ الإمامَ ضاعَ في المدينةِ المنوّرةِ في بعضِ الفتنِ الطارئةِ عليها.

* وبعضهم يرى أنّه نُقل إلى بغدادَ في زمنِ الخليفةِ العبّاسيِّ المعتصم بالله (٢٢٧هـ). ثمّ استُخرجَ من خزائنِ الخليفةِ العبّاسيِّ المقتدر بالله (٣٢٠هـ)، ونُقل إلى مصر؛ ليوضع في جامع عمرو بنِ العاص ﷺ، ثمّ استقرّ في المدرسةِ الفاضليّة[١٥] في القاهرة.

* وآخرون يرون أنّ الموجودَ في الأندلس هو أحدُ المصاحفِ التي بعثَ بها أميرُ المؤمنينَ عثمانُ بنُ عفّانَ ﷺ إلى الأمصار، ولعلّه الشّاميُّ، اجتُلب إلى قرطبةَ بطريقةٍ ما...

* وصرّحَ بعضُهم أنّ مصحفَ أميرِ المؤمنينَ عثمانَ بنِ عفّانَ ﷺ الشّخصيَّ المخطوطَ بيدِه موجودٌ في القُبّةِ اليهوديّةِ داخلَ الحرمِ المكّيّ.

* ونصَّ الإدريسيُّ[١٦] (٥٦٠هـ) - وحده فيما علمتُ - على وجودِ

= والتّكملة ١/ ١٥٨- ١٦٦، ٨/ ١٦٩، ومستفاد الرّحلة والاغتراب ٣٢٦، ٣٢٧، وتحفة النّظّار في غرائبِ الأمصار (رحلة ابن بطّوطة) ١/ ٣٧٦، والمواعظ والاعتبار ٤/ ٣٣، ٤٦٢، ووفاء الوفا بأخبار دارِ المصطفى ٢/ ٤٥٧- ٤٦٠، ونفح الطّيب ١/ ٥٤٨، ٥٥٩، ٥٦٢، وقرطبة في التّاريخ الإسلاميّ ٤٤، وأضواء على مصحفِ عثمانَ بنِ عفّانَ ﷺ ورحلته شرقًا وغربًا ٢٢- ٥١.

(١٥) بناها القاضي الفاضلُ عبدُ الرّحيم بن عليّ، البَيسانيّ سنة (٥٨٠هـ). انظر: المواعظ والاعتبار ٤/ ٤٦٢.

(١٦) في: نزهة المشتاق ٥٧٧. وعنه في: الرّوض المعطار ٤٥٧، وفي: أضواء على مصحفِ عثمانَ بنِ عفّانَ ﷺ ورحلته شرقًا وغربًا ٣٢، ٥٠.

أربعِ أوراقٍ فحسب من أوراقِ المصحفِ الشّخصيّ لأميرِ المؤمنينَ عثمانَ ابنِ عفّانَ ﷺ في المصحفِ الموجودِ في مسجدِ قرطبة.

وأمّا قولُ العبدريُّ (بعد ٧٠٠هـ) في: (رحلته)[١٧] لدن وصفِه مشاهداتِه في جامعِ القَيروان: «ودخلنا به بيتَ الكتبِ؛ فأُخرجت لنا مصاحفُ كثيرةٌ بخطٍّ مشرقيٍّ، ومنها ما كُتب كلُّه بالذّهب... ورأيتُ بها [كذا] مصحفًا كاملًا مضمومًا بين لوحَين مجلّدَين، غيرَ منقوطٍ ولا مشكول، وخطُّه مشرقيٌّ بيِّنٌ جدًّا مليحٌ، وطولُه شبران ونصفٌ في عرضِ شبرٍ ونصف، وذكروا أنّه الذي بعثَه عثمانُ ﷺ إلى المغرب، وأنّه بخطِّ عبدِ الله بن عمر رضيَ الله عنهما. والله أعلم». فهذا غير ما نحن فيه.

ولا بدّ لنا أيضًا من التّعرضِ لما وصلَنا إلينا من صفةِ مصحفِ قرطبة؛ إذ كانَ محفوظًا في غرفةٍ عن شمالِ محرابِ مسجدِها، يرفعُه رجلان؛ لثقلِه «يُخرَجُ في صبيحةِ كلّ يومٍ، ويتولّى إخراجَه رجلان من قَوَمةِ المسجد، وأمامَهم رجلٌ ثالثٌ بشمعةٍ، وللمصحفِ غشاءٌ بديعُ الصّنعةِ، منقوشٌ بأغربِ ما يكونُ من النّقشِ وأدقِّه وأعجبِه، وله بموضعِ المصلّى كرسيٌّ؛ يُوضَعُ عليه، ويتولّى الإمامُ قراءةَ نصفِ حزبٍ منه، ثمّ يُرَدُّ إلى موضعِه»[١٨]. ونقلَ ابنُ عبدِ الملكِ المَرّاكُشيّ[١٩] (٧٠٣هـ) عن جماعةٍ ممّن شاهدوا ذلك المصحف، وباشروه -ومنهم بعض شيوخِه- «أنّ طولَه دون الشّبر، وأنّ أسطاره دون

(١٧) رحلة العبدريّ ١٦١، ١٦٢.

(١٨) نزهة المشتاق ٥٧٧. وعنه في: الرّوض المعطار ٤٥٧، وفي: دولة الإسلام في الأندلس (العصر الثّالث، القسم الأوّل) ٣٤٣، وفي: أضواء على مصحفِ عثمانَ بنِ عفّانَ ﷺ ورحلته شرقًا وغربًا ٥٤. وانظر: نفح الطّيب ١/ ٥٤٨، وقرطبة في التّاريخ الإسلاميّ ٤٤.

(١٩) في: الذّيل والتّكملة ١/ ١٦٦، ١٦٧.

العشَرة... [وأنّ] المعوّذتين في صفحتين منه، كلٌّ واحدةٍ منهما في صفحة».

وقد علّلَتْ د. سحر سالم –أثابها الله– في كتابها: (أضواء على مصحفِ عثمانَ بنِ عفّانَ ﷺ ورحلته شرقًا وغربًا)[٢٠] نقلَ أميرِ الموحِّدين عبدِ المؤمن بنِ عليٍّ المصحفَ من جامعِ قرطبةَ إلى المغربِ بشعورِه بالقلقِ على مصيرِه بعد اقترابِ الخطرِ النّصرانيّ القشتاليّ منها، وخشيتِه من تعرّضِ المصحفِ الإمام للسّرقةِ والضّياعِ بسبب ذلك.

ثمّ سنَّ هذا الأميرُ سنّةَ حملِ هذا المصحفِ على الرّاحلةِ في الأسفارِ والحروب؛ تبرّكًا به، وحفاوةً[٢١]، فكانَ يُحمَلُ بين يدي الأمير (الخليفة) منهم «على ناقةٍ حمراء عليها من الحليِّ النّفيسِ، وثيابِ الدّيباجِ الفاخرةِ، ما يعدِلُ أموالًا طائلةً، وقد جعلوا تحته بَرْدَعَةً[٢٢] من الدّيباجِ الأخضر؛ يجعلونه عليها، وعن يمينِه ويساره عَصَيان [كذا] عليهما لواءان أخضران، وموضعُ الأسنّةِ منهما ذهبٌ شِبْهُ تفّاحتين»[٢٣]. وأضحى ما يُعتقَدُ أنّه المصحفُ العثمانيّ ذخيرةً من ذخائرِ دولةِ الموحِّدين.

[قصّةُ مصحفِ قرطبة:]

قالَ المَقَّرِيُّ[٢٤]:«وكانَ كما تقدّمَ بقرطبةَ المصحفُ .....

(٢٠) ص ٥٥.

(٢١) أضواء على مصحفِ عثمانَ بنِ عفّانَ ﷺ ورحلته شرقًا وغربًا ص٦٣.

(٢٢) ما يُوضعُ على الدّابّة؛ ليُركَبَ عليه. المعجم الوسيط (بردع).

(٢٣) المعجب في تلخيص أخبارِ المغرب ٣٢٦. وعنه في: تاريخ الإسلام ١٢/ ٦٤٩. كما فصّلَ ابنُ عبدِ الملك في: ١/ ١٦٨، ١٦٩ في آليّة حملِه مع الجيش في أسفارِه. وانظر: الحلل الموشية في ذكرِ الأخبارِ المَرّاكشيّة ١٥٢، ١٥٣، وحضارة الموحِّدين ١٧٩.

(٢٤) في: نفح الطّيب ١/ ٦٠٥– ٦١٥. ونقلُنا المطوّلُ عن (النّفح) سيستمرُّ إلى نهاية رسالتنا هذه.

العثمانيُّ[٢٥]، وهو متداولٌ بين أهلِ الأندلسِ. قالُوا: ثمّ آلَ أمرُه إلى الموحِّدين، ثمّ إلى بني مَرِيْن[٢٦]. قالَ الخطيبُ ابنُ مرزوقٍ في كتابِه: (المسند الصّحيح الحسن)[٢٧] ما ملخّصُه: «وكانَ السّلطانُ أبو الحسن[٢٨] لا يسافرُ[٢٩] إلّا ومعه المصحفُ الكريمُ[٣٠] العثمانيُّ، وله عند أهلِ الأندلسِ شأنٌ عظيمٌ، ومقامٌ كبيرٌ، وكيف لا[٣١]؟!

قالَ ابنُ بَشْكُوال[٣٢]: «أُخرِجَ هذا المصحفُ من .....

(٢٥) كانَ المَقّريُّ قد ذكرَ المصحفَ في: نفحِه ١/ ٥٤٨ لدن نقلِه عن صاحبِ كتاب (مجموع المفترق) بعضًا من أوصافِ مسجدِ قرطبةَ، فقالَ: «وكان بالجامعِ المذكورِ في بيتِ منبرِه مصحفُ أميرِ المؤمنين عثمانَ بنِ عفّانَ رضيَ اللهُ تعالى عنه، الّذي خَطَّه بيدِه، وعليه حليةُ ذهبٍ مكلّلةٌ بالدّرِّ والياقوت، وعليه أغشيةُ الدِّيباجِ، وهو على كرسيِّ العودِ الرَّطْبِ بمساميرِ الذّهب». وكذلك ذكرَه في ١/ ٥٥٩ لدن نقلِه عن بعضِ المؤرِّخِين وصفًا لقرطبةَ، ومسجدِها، فقال: «وبهذا الجامعِ مصحفٌ، يقالُ: أنّه عثمانيٌّ».

وذكرَه ثالثةً في ١/ ٥٦٢ لدن نقلِه عن ابنِ سعيدٍ في: (المُغرب) عن ابنِ بَشْكُوال قصّةَ بناءِ جامعِ قرطبةَ، والزياداتِ المتتابعةِ فيه، فقال: «وذكرَ مصحفَ عثمانَ بنِ عفّانَ رضيَ اللهُ تعالى عنه، الذي كانَ في جامعِ قرطبةَ، وصارَ إلى بني عبدِ المؤمن؛ فقالَ: هو مصحفُ أميرِ المؤمنينَ عثمانَ بنِ عفّانَ رضيَ اللهُ تعالى عنه، ممّا خَطَّه بيمينِه، وله عند أهلِ الأندلس شأنٌ عظيمٌ».

(٢٦) في مخطوطةِ الرّاغب ٧٠ب: «ثمّ آلَ أمرُ الموحِّدين إلى بني مَرِيْن».

(٢٧) ٤٥٦- ٤٦٢. وعنوانُه كاملًا: (المسندُ الصّحيحُ الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن) صنّفَه ابنُ مرزوقٍ بعد عشرين سنةً من وفاةِ السّلطانِ أبي الحسن المَرينيّ الآتية ترجمتُه.

(٢٨) عليّ بن عثمان بن يعقوب، بُويع له بعد أبيه سنة (٧٣١هـ)، ومات سنة (٧٥٢هـ). ترجمته في: الإحاطة في أخبار غرناطة ٤/ ٣٢١، وجذوة الاقتباس ٤٦١.

(٢٩) في مخطوطةِ الرّاغب ٧٠ب: «لا يسافرُ موضعًا».

(٣٠) في مخطوطةِ الرّاغب ٧٠ب: «المُكرّم».

(٣١) قوله: «ومقام كبير، وكيف لا؟» ليس في: (المسند الصّحيح) المطبوع.

(٣٢) خلف بن عبدِ الملك بن مسعود، أبو القاسم، القرطبيّ. وكتابُه (الصّلة) في علماءِ الأندلس من أجلِّ كتبِه، وصلَ به تاريخَ ابنِ الفَرَضيّ (٤٠٣هـ). مات في قرطبةَ سنة =

قرطبةَ[٣٣]، وغُرِّبَ منها، وكانَ بجامعِها الأعظمِ، ليلةَ السّبتِ، حادي عشَر شوّال، سنةَ اثنتين وخمسين وخمسمئةٍ»[٣٤]، «في أيّامِ أبي محمّدٍ، عبدِ المؤمنِ بنِ عليٍّ، وبأمرِه. وهذا أحدُ المصاحفِ الأربعةِ التي بعثَ بها عثمانُ رضيَ اللهُ تعالى عنه إلى الأمصارِ: مكّةَ، والبصرةِ، والكوفةِ، والشّام. وما قيلَ: إنّ فيه دمَ عثمانَ هو بعيدٌ[٣٥]، وإنْ يكن أحدُها فلعلَّه الشّاميُّ». قالَه ابنُ عبدِ الملك[٣٦].

قالَ أبو القاسمِ التُّجِيْبيُّ السّبتيُّ[٣٧]:«أمّا الشّاميُّ فهو باقٍ بمقصورةِ جامعِ بني أميّةَ بدمشقَ المحروسةِ، وعاينتُه هناك سنة (٦٥٧)[٣٨]، كما

= (٥٧٨هـ). ترجمته في: التكملة لكتابِ الصّلة ١/ ٤٥٩، وتاريخ الإسلام ١٢/ ٦١٢.

(٣٣) في مخطوطة الرّاغب ٧٠ب: «منها أي قرطبة».

(٣٤) قولُ ابن بَشْكُوال هذا هو حاشيةٌ له على كتابِ (المقتبس) لابن حيّانَ القرطبيّ (٤٦٩هـ)، نقلَها عنه ابنُ عبدِ الملك في: الذّيل والتّكملة لكتابَي الموصول والصّلة ١/ ١٥٩. وانظر: الاستقصا ٢/ ١٢٦.

(٣٥) قوله: «وما قيل... بعيد» ليس في: (الذّيل والتّكملة) المطبوع، ولا في: (المسند الصّحيح) المطبوع.

(٣٦) محمّد بن محمّد، المرّاكُشيّ، أبو عبدِ الله، قاضي مَرّاكُشَ. مات في تِلِمْسان سنة (٧٠٣هـ). ترجمته في: تأريخ قضاةِ الأندلس ١٣٠، والدّيباج المذّهب ٢/ ٣٢٥. وقولُه في: الذّيل والتّكملة ١/ ١٥٨. وانظر: الاستقصا ٢/ ١٢٦، ١٢٧. ونصَّ ابنُ مرزوقٍ تصريحًا في: (المسند الصّحيح) في بداية حديثِه عن هذا المصحف على نقلِه عن ابن عبدِ الملك.

(٣٧) متعقّبًا على ابنِ عبدِ الملك ظنَّه أنّ المصحفَ الذي في الأندلس هو الشّاميّ. وقوله منسوبًا في: الاستقصا ٢/ ١٢٧. وسيأتي تعليقُنا على التّعريف بالتُّجِيبيّ.

(٣٨) كذا في: الاستقصا أيضًا. وفي: (المسند الصّحيح) المطبوع: «سبع وتسعين وستّمئة». وأكادُ أجزم أنّ هذا التّاريخ هو الصّواب، وأنّ المرادَ بالتُّجِيبيّ السّبتيّ ههنا: القاسمُ بنُ يوسف (٧٣٠هـ) صاحبُ (البرنامج، ومستفاد الرّحلة والاغتراب)، لا أبو القاسم؛ إذ ذَكَرَ في (المستفاد) ص٣٢٧ دخولَه قُبّةَ اليهوديّة، ومعاينتَه المصحفَ فيها في سنة (٦٩٦هـ)، وعليه فإنّه كانَ في الشّام في السّنةِ التّالية (٦٩٧هـ). والله أعلم.

عاينتُ المكّيَّ بقُبَّةِ اليهوديّةِ». [قلتُ][٣٩]: وهي قُبَّةُ الشّراب[٤٠].

قلتُ[٤١]: عاينتُهما مع الذي بالمدينةِ سنة (٧٣٥)[٤٢]، وقرأتُ فيها. قالَ النّخعيُّ[٤٣]:«لعلَّه الكوفيُّ، أوِ البصريُّ». وأقولُ[٤٤]: اختبرتُ[٤٥] الذي بالمدينةِ[٤٦]، والذي نُقِلَ من الأندلسِ؛ فألفيتُ خطَّهَما سواءً[٤٧]، وما توهّموا أنّه[٤٨] (خَطَّه بيمينِه) فليسَ بصحيحٍ[٤٩]؛ فلم يَخُطَّ عثمانُ واحدًا منها، وإنّما جَمَعَ عليها بعضًا من الصّحابةِ، كما هو مكتوبٌ على ظهرِ

(٣٩) يعني ابنَ مرزوق. وهذه الزّيادةُ من: (المسند الصّحيح) المطبوع.

(٤٠) في: (نفحِ الطّيب) المطبوع، ومخطوطةِ الرّاغب ٧٠ب: «التّراب». تحريف. وقُبّةُ اليهوديّة: داخل المسجدِ الحرام. ويقالُ: أنّها كانت بيتًا ليهوديّةٍ في الجاهليّة. وقُبّةُ الشّراب: داخل المسجدِ الحرام أيضًا، يبرّدُ فيها ماءُ زمزم المباركة؛ لسقي الحجّاج والمجاورين. وتُعرف أيضًا بقُبّةِ السّقاية، وقُبّةِ العبّاس. والقّبّتان متقاربتان، وهما «مخزنان لأوقافِ البيتِ الكريم، من: مصاحفَ، وكتبٍ، وأتوار شمعٍ، وغير ذلك». رحلة ابن جبير ٦٦، وانظر فيهما: رحلة ابن جبير ٧٧، ٧٨، ٨٠، ومستفاد الرّحلة والاغتراب ٣٢٣- ٣٢٦، وتحفة النّظّار ١/ ٣٧٥.

(٤١) يعني ابنَ مرزوق.

(٤٢) في: (المسند الصّحيح) المطبوع: «سنة خمسٍ وعشرين وسبعمئة». وقوله: «سنة (٧٣٥)» ليس في مخطوطةِ الرّاغب ٧٠ب.

(٤٣) سقطت من: الاستقصا ٢/ ١٢٧. ولم أتبيّنِ المقصودَ ههنا، مع ظنّي أنّ تحريفًا أصابَ الاسم. والله أعلم به.

(٤٤) القائلُ ابنُ مرزوق، والنّقل عنه في: الاستقصا ٢/ ١٢٧ تصريحًا.

(٤٥) في مخطوطةِ الرّاغب ٧٠ب: «اختبر».

(٤٦) بعدها في مخطوطةِ الرّاغب ٧٠ب: «سنة خمسٍ وثلاثين وسبعمئة».

(٤٧) ليست في مخطوطةِ الرّاغب ٧٠ب. وفيها: «فرأيتُ خطّهما».

(٤٨) في مخطوطةِ الرّاغب ٧٠ب: «من أنّه».

(٤٩) يتعقّبُ ابنُ مرزوقٍ ههنا على ابنِ عبدِ الملك وغيره ما ظنَّه وهمًا منهم، وابنُ عبدِ الملك -على ما ظهرَ لي- لم يقل بذلك. انظر: الذّيل والتّكملة ١/ ١٦٥، ١٦٦.

المدنيّ[٥٠]، ونصُّ ما على ظهرِه: «هذا ما أجمعَ[٥١] عليه جماعةٌ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ منهم: زيدُ بنُ ثابتٍ، وعبدُ الله بنُ الزّبير، وسعيدُ بنُ العاصي[٥٢]» وذُكِرَ العددُ الذي[٥٣] جمعَه عثمانُ رضيَ اللهُ تعالى عنه من الصّحابةِ رضيَ اللهُ تعالى عنهم على كَتْبِ المصحفِ. انتهى[٥٤].

«واعتنى[٥٥] به عبدُ المؤمن بنُ عليٍّ، ولم يزلِ الموحِّدون يحملونه في أسفارِهم[٥٦]؛ متبرِّكين به، إلى أن حملَه المعتضدُ، وهو السّعيدُ عليُّ[٥٧] بنُ

(٥٠) في: الاستقصا ٢/ ١٢٧: «المتنيّ». تحريف.

(٥١) في: (المسند الصّحيح) المطبوع: «اجتمع».

(٥٢) في مخطوطةِ الرّاغب ٧٠ب: «وسعيد، والعاصي». خطأ. وانظر في ترجمةِ الصّحبِ الثلاثةِ المذكورين -رضيَ اللهُ عنهم- تباعًا: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢٤٥، ٣٩٩، ٢٧٢.

(٥٣) سقطت من: (المسند الصّحيح) المطبوع، ومن: مخطوطةِ الرّاغب ٧٠ب. وقد بلغَ عددُهم اثني عشَر رجلًا، من قريشٍ، والأنصار. رضي الله عنهم أجمعين. انظر في جمعِ عثمانَ بنِ عفّانَ ﷺ المصاحفَ: كتاب المصاحف لابن أبي داوود ١٩٥- ٢١٥.

(٥٤) يعني نصَّ ما على ظهرِ المصحفِ المدنيّ، وتعليقَ ابن مرزوقٍ عليه.

(٥٥) عادَ ابنُ مرزوقٍ للنقل بتصرّفٍ عن ابن عبدِ الملك في: الذّيل والتّكملة ١/ ١٦٧، ١٦٨ حيث فصّلَ في اعتناءِ الموحِّدين بالمصحف. وانظر: دولة الإسلام في الأندلس (العصر الثالث، القسم الأوّل) ٣٤٣. وسبقَ الحديثُ عن آليّة حملِ المصحف مع الجيش في أسفارِه.

(٥٦) انظر: الذّيل والتّكملة ١/ ١٥٦، ١٥٧، والبيان المُغرب ١٥٦، ١٧١، ودولة الإسلام في الأندلس (العصر الثالث، القسم الأوّل) ٣٤٣، وآخر رسالتنا هذه لدن الحديث عن بناء جامعِ مَرّاكُشَ. أمّا في حلّهم فـ«كانوا أبدًا يحضرونه في مجالسِهم في ليالي رمضان، ويباشرونه بالقراءة فيه، ويصفحون ورقَه بصفيحةِ ذهبٍ مستطيلةٍ، شبهِ المسطرة». الذّيل والتّكملة ١/ ١٦٧.

(٥٧) ابن إدريس بن يعقوب، أبو الحسن. مات مقتولًا سنة (٦٤٦هـ). ترجمته في: المعجب في تلخيص أخبارِ المغرب (الإضافات) ٤١٨، وتاريخ الإسلام ١٤/ ٥٥٢.

المأمون أبي العلاءِ[٥٨] إدريسَ[٥٩] بنِ المنصور[٦٠]، حين تَوَجَّهَ لتِلِمْسانَ آخرَ سنة (٦٤٥)، فقُتِلَ قريبًا من تِلِمْسان، وقُدِّمَ ابنُه إبراهيمُ[٦١]، ثـمّ قُتِـلَ، ووقـعَ النّهبُ في الخـزائنِ[٦٢]، واسـتولتِ العـربُ وغيـرُهم علـى معظـمِ العسـكر، ونُهِـبَ المصـحفُ، ولـم يُعلَـمْ مسـتقَرُّه». وقيـل: إنّـه فـي خزانـةِ ملـوكِ تِلِمْسان[٦٣]. قلتُ[٦٤]: لم يزلْ هذا المصحفُ في الخزانةِ[٦٥] إلى أنِ افتتحَهـا إمامُنا أبو الحسن، أواخرَ شهرِ رمضانَ سنة (٧٣٧)؛ فظفرَ به، وحصلَ عنـده، إلى أن أُصِيبَ في وقعةِ طريـف[٦٦]، وحصـلَ فـي بـلادِ برتقـال[٦٧]، وأَعْمَـلَ

(٥٨) في: (المسند الصّحيح) المطبوع: «الميمون أبي العلا». وفي مخطوطـةِ الرّاغـب ٧٠ب: «أبي العلا».

(٥٩) ابن يعقوب بن يوسف. مات سنة (٦٢٩هـ). ترجمته في: المعجـب فـي تلخـيص أخبـارِ المغرب (الإضافات) ٤١٦، وتاريخ الإسلام ١٣/ ٨٧٦.

(٦٠) سبقت ترجمته.

(٦١) لم أقف له على ترجمة.

(٦٢) يعني خزائنَ السّلطانِ الموحِّديّ إبراهيم، وذلك بعدَ اختلالِ جيشِه؛ إثرَ مقتلِـه ثـاني يـوم تقديمِه. وانظر خبرَ حركةِ المعتضدِ السّعيد هذا من مرّاكُشَ إلى تِلِمْسـان، وانهزامَـه فـي: البيان المُغرب ٣٨٤- ٣٨٧.

(٦٣) لا أدري لم استعملَ المَقّريُّ –رحمه الله– عبارةَ الشّكّ هذه، وقبلهـا عبـارةَ: «ولـم يُعلَـمْ مستقَرُّه»! وابنُ مرزوقٍ – الذي ينقلُ المَقّريّ عنه، والناقلُ بدوره عن ابـنِ عبـدِ الملـك– نصَّ في: (المسند الصّحيح) المطبوع ص٤٦٠ على أنّه بعد نهبِه وبيعِه استقرَّ فـي سـوقِ الكتبِ في تِلِمْسان، وانتهـى خبـرُه إلـى أميرهـا يَغْمُراسِـن الزّنـاتيّ (٦٨١هـ)، الـذي أمـرَ بصونِه والاحتياطِ عليه، وورثَه أولادُه من بعده.

(٦٤) يعني ابن مرزوق.

(٦٥) يعني خزانةَ أمراءِ تلمسان.

(٦٦) طَريف: مدينةٌ صغيرةٌ جنوبيّ الأندلس، على ساحلِ المحيطِ الأطلسيّ، نزلَ بهـا طريـفٌ – وهو أحد موالي موسى بن نصير من البربر، ويكنى أبا زرعة – قائدًا لأوّلِ سريّةٍ =

الحيلةَ في استخلاصِه، ووصلَ إلى فاس[٦٨] سنةَ (٧٤٥) على يدِ أحدِ تجّارِ أَزَمُّور[٦٩]، واستمرَّ بقاؤُه في الخزانةِ». انتهى باختصار[٧٠].

واعتنى به ملوكُ الموحِّدين غايةَ الاعتناءِ، كما ذكرَه ابنُ رُشَيدٍ[٧١] في (رحلتِه)[٧٢]، ولابأسَ أن أذكرَ كلامَه بجملتِه، والرّسالةَ في شأنِ المصحفِ؛

= عبرت؛ لفتحِ الأندلس؛ فسُمّيت باسمِه. انظر فيها: نزهة المشتاق ٥٣٩، والمعجب في تلخيص أخبارِ المغرب ٤٣٨، ٤٥٢، والمُغرب في حُلى المغرب ١/ ٣١٩، والرّوض المعطار ٣٩٢. وقد حاولَ السّلطانُ أبو الحسن المذكورُ استردادَها من الفرنج سنة (٧٤١هـ) إلّا أنّه انهزمَ أمامهم. انظر: الإحاطة في أخبارِ غرناطة ٤/ ٣٢٢، واللّمحة البدريّة في الدّولةِ النّصريّة ٩٢.

(٦٧) وهي دولةُ البرتغال حاليًا.

(٦٨) مدينةٌ مشهورةٌ كبيرةٌ، وهي أجلُّ مدنِ المغرب قبل أن تُختَطَّ مَرّاكُشُ. معجم البلدان ٤/ ٢٣٠.

(٦٩) مدينةٌ في المغرب، في جبالِ البربر. انظر: معجم البلدان ١/ ١٦٩ وفيه: (أُزُمُّورة)، والرّوض المعطار ٥، وفيه: (آزَمُّور) بالمدّ، وفتحِ الزّاي. وفي: (المسند الصّحيح) المطبوع ص٤٦١: «آمزور». تحريف. وفيه أنّ اسمَ التّاجر: أبو عليّ، الحسنُ بن جمي، وأنّ افتكاكَ المصحفِ كانَ بآلافٍ من الذّهب.

(٧٠) يعني نقلَ المَقّريّ عنِ ابن مرزوقٍ من كتابِه: (المسند الصّحيح الحسن في مآثرِ ومحاسنِ مولانا أبي الحسن). قال أبو العبّاس النّاصريّ في: الاستقصا ٢/ ١٢٩ ذاكرًا نهايةَ المصحفِ العثمانيّ: «...إلى أن سافرَ أبو الحسن سفرتَه المعلومةَ إلى إفريقيّةَ؛ فاستولى عليها. ولمّا كانت سنة خمسين وسبعمئةٍ ركبَ أبو الحسن البحرَ من تونس؛ قافلًا إلى المغرب، وذلك في إبّان هيجانِ البحر؛ فغرقَتْ مراكبُه، وهلكَتْ نفوسٌ تجلُّ عن الحصر، وضاعَت نفائسُ يعزُّ وجودُ مثلها، ومن جملتِها المصحفُ العثمانيّ؛ فكانَ ذلك آخرَ العهد به».

(٧١) في مخطوطةِ الرّاغب ٧٠ب: «رشد». تحريف.

(٧٢) وممّن ذكرَ أنّ ابنَ رُشَيدٍ تكلّمَ على هذا المصحفِ في رحلتِه (ملءِ العيبة): تلميذُه ابنُ مرزوقٍ في: (المسند الصّحيح الحسن) ٤٦٠، ٤٦٢ حيث نقلَ طرفًا من بدايةِ (رسالةِ) الوزيرِ ابنِ طُفيل في وصفِ المصحف. وممّن ذكر هذا أيضًا أبو العبّاس النّاصريّ في: =

لما فيها من الفائدةِ. ونصُّ محلِّ الحاجةِ منه:

[تقديمٌ لابنِ رُشَيدٍ بين يدي رسالةِ: (المصحفِ العظيم)]:

«أنشدني الخطيبُ أبو محمّدٍ بنُ بُرْطُلُهْ(٧٣) من لفظِه، وكتبتُه من خطِّه قال: أنشدني الشّيخُ الفقيهُ القاضي أبو القاسم، عبدُ الرّحمنِ(٧٤) ابنُ كاتبِ الخلافةِ أبي عبدِ الله(٧٥) بنِ عيّاشٍ لأبيه -رحمَهم اللهُ تعالى- ممّا نظمَه، وقد أمرَ أميرُ المؤمنين المنصورُ(٧٦) بتحليةِ(٧٧) المصحفِ(٧٨): [من الطّويل]

= الاستقصا ٢/ ١٢٧- ١٢٩ حيث نقلَ طرفًا منها، وأوردَ أكثرها مختصرًا. ومن دونِ الإشارةِ إلى ورودِ هذه (الرّسالة) في: (رحلةِ ابن رُشَيدٍ) نقلَ أ. عبد الله كنّون في: النّبوغ المغربيّ في الأدبِ العربيّ ١٤٠- ١٤٢ قسطًا وافرًا منها، يتناولُ: (أوعيةَ المصحف، ومَحمِلَه)؛ شاهدًا على أنّ (تحليةَ المصحفِ العثمانيِّ الإمام) كانَ الغايةَ في تقدّمِ صنائعِ الفنونِ الجميلة كالنّقش والتّزويق في زمنِ الموحّدين.

(٧٣) عبد الله بن عبدِ الرّحمن بن عبدِ الله بن موسى. مات سنة (٦٦١هـ). وهو من بيتٍ عريقٍ في العلم؛ فأبوه (أبو بكر ٥٩٩هـ)، وجدّه (أبو محمّدٍ ٥٦٣هـ) كانا إمامَين في جامعِ مرسيةَ في الأندلس دهرًا طويلًا. ترجمته في: عنوان الدّراية ٣٢٢، ووفَيَات ابن قنفذ ٣٣٠.

(٧٤) ابن محمّد بن عبدِ العزيز، التُّجِيبيّ. ولي القضاء في مدنٍ عدّة. مات في مالَقة سنة (٦٣٦هـ). ترجمته في: أعلام مالَقة ٢٦٠، والتكملة لكتابِ الصّلة ٣/ ١٨٢.

(٧٥) محمّد بن عبدِ العزيز بن عبدِ الرّحمن، التُّجِيبيّ. ماتَ في مَرّاكُشَ سنة (٦١٨هـ). ترجمته في: التّكملة لكتابِ الصّلة ٢/ ٣١٣، والذّيل والتّكملة ٦/ ٣٨٤. وإنّما لُقِّبَ ب(كاتب الخلافة)؛ لخدمتِه كاتبًا للإنشاء عند ثلاثةٍ من أمراءِ الموحِّدين، وهم: المنصورُ يعقوبُ بنُ يوسفَ بنِ عبدِ المؤمن (٥٩٥هـ)، وابنُه محمّدٌ (٦١٠هـ)، وحفيدُه يوسفُ (٦٢٠هـ). انظر: المعجب في تلخيص أخبارِ المغرب ٣٣٨، ٣٩١، ٤٠٥، ٤٠٦.

(٧٦) أبو يوسف، يعقوب. وسبقت ترجمته.

(٧٧) في مخطوطةِ الرّاغب ٧٠ب: «بتخلية». تصحيف.

(٧٨) الأبياتُ الآتيةُ خلا ثالثَها بالإسنادِ المذكور في: التكملة لكتابِ الصّلة ٢/ ٣١٤، ومستفاد الرّحلةِ والاغتراب ٣٢٨، وهي لأبي عبدِ الله المذكور من دون إسناد، وخلا =

ونُفِّلْتَهُ[٧٩] مِن كلِّ مَلْكٍ[٨٠] ذَخيرةً كـأنّهُمُ كـانُوا بِرَسْـمِ مَكاسِـبِهْ
فإنْ وَرِثَ[٨١] الأملاكُ[٨٢] شرقًا ومَغربًا فكم قد[٨٣] أَخَلُّوا جاهلِين بواجِبِهْ
وكيف يفوتُ النّصرُ جيشًا جعلتَه أمام[٨٤] قنَاه في الوغى وقَواضِبِهْ
وأَلبسْتَهُ الياقوتَ والدُّرَّ حِلْيةً وغيرُكَ قد رَوَّاهُ من دمِ[٨٥] صاحِبِهْ

= ثالثَها أيضًا في: الذّيل والتّكملة ١/ ١٦٤، ١٦٥، ٦/ ٣٨٧ وفيه؛ توضيحًا: «وقد أمرَ المنصورُ من بني عبدِ المؤمن بتحليتِه، وتغشيتِه بجليلِ الدّرّ، ونفيسِ الياقوت والزّمرّد». وكذلك الأبيات خلا ثالثها، في: تاريخ الإسلام ١٣/ ٥٥٨، ٥٥٩ عن تكملةِ ابنِ الأبّار تصريحًا، ومن دون ذكرِ السّند، وفي: المستملح من كتابِ التّكملة ١٢١، وفي: الوافي بالوفَيَات ٣/ ١٩٣، وفي: الإحاطة في أخبار غرناطة ٢/ ٤٨٦. وانظر: الإعلام بمن حلّ مرّاكُشَ وأغَمات من الأعلام ٤/ ١٨١ حيث نقلَ السّمالليُّ عن ابنِ الأبّار السّندَ، والأبياتَ خلا ثالثها، ثمّ قال: «وذكرَها في (النّفح) بسندِ ابن رُشَيدٍ، وزادَ بيتًا بين الثّاني والثّالث، وهو: وكيف يفوتُ النّصرُ [البيت]».

(٧٩) في: الذّيل والتّكملة: «ونُقِّلتَه» بالقاف، وفي: الإحاطة: «ونَقَلْتَ». وبها لا يصحّ المعنى، ولا الوزن.

(٨٠) في: تاريخ الإسلام، والمستملح، والوافي بالوفَيَات: «قوم». وفي: الإحاطة ضُمَّ ميم «مَلْكٍ».

(٨١) فُتِحَ الرّاءُ في: تاريخ الإسلام، وهو خطأ.

(٨٢) هي منصوبةٌ في: الذّيل والتّكملة، وتاريخ الإسلام، والمستملح. ولعلّ تقديرَ الرّفع: (ورثَ الأملاكُ المصحفَ).

(٨٣) سقطت من: التّكملة، والمستملح، وبسقوطها يختلُّ الوزن.

(٨٤) قرأها في: الإعلام بمن حلّ مرّاكُشَ وأغَمات من الأعلام: «أقام» وأراها تحريفًا؛ إذِ الحديثُ عن حملِ المصحفِ في مقدّمةِ الجيش عند المسير، ومن ورائه رماحُ وسيوفُ الجند.

(٨٥) ضُعِّفَ الميمُ في: التّكملة، والمستملح. وفي: الوافي بالوفَيَات:

..... وغيرُكَ قد حلّاه من دمِ كاتبِه

والنّاظمُ يشيرُ -في هذا العجز- إلى مقتلِ سيّدِنا عثمانَ بنِ عفّانَ ﷺ.

[نصُّ الرِّسالةِ كما أوردَه المَقّريُّ عن ابنِ رُشَيدٍ]:

[وصولُ المصحفِ إلى المغرب]:

وعلى ذكرِ هذا المصحفِ الكريمِ فلنذكرْ كيفيّةَ الأمرِ في وصولِه إلى الخليفةِ أميرِ المؤمنين عبدِ المؤمن، وما أبدى في ذلك من الأمورِ الغريبةِ التي لم يُسمَعْ بمثلِها في سالفِ الدّهر، حسبما أطرَفَنا به الوزيرُ الأجلُّ أبو زكريّاءَ، يحيى[٨٦] بنُ أحمدَ بنِ يحيى بنِ محمّدٍ بنِ عبدِ الملكِ بنِ طُفيلٍ القيسيُّ -حفظَه اللهُ تعالى، وشكرَه- ممّا استفادَه، وأفادَه لنا ممّا لم نسمعْ به قبلُ، عن كتابِ جدِّه الوزيرِ أبي بكرٍ، محمّدٍ بنِ عبدِ الملكِ بنِ طُفيلٍ المذكورِ، ممّا تضمّنَه من وصفِ قصّةِ المصحفِ، فقالَ: «وصلَ إليهم -أدامَ اللهُ سبحانَه تأييدَهم- قمرا الأندلسِ النّيران[٨٧]، وأميراها المتخيَّران، السيّدان[٨٨] الأجلّان أبو سعيدٍ[٨٩]، وأبو يعقوبَ[٩٠] -أيّدَهما الله- وفي صحبتِهما مصحفُ عثمانَ بنِ عفّانَ رضيَ اللهُ تعالى عنه[٩١]، وهو الإمامُ

(٨٦) لم أقف له على ترجمة، أو تاريخ وفاة.

(٨٧) ليست في: (المسند الصّحيح) المطبوع.

(٨٨) قالَ أبو العبّاس النّاصريّ في: الاستقصا ٢/ ١٢٢: «كانَ بنو عبدِ المؤمن يسمّون أبناءَهم بالسّادة».

(٨٩) عثمان بن عبدِ المؤمن بنِ عليّ. ولّاه أبوه غَرناطةَ، وأعمالَها. كان مؤثِرًا لأهلِ الأدب والشّعر. ولم أقف على تاريخ وفاته. ترجمته في: المعجب في تلخيص أخبارِ المغرب ٢٩٣، والبيان المُغرب ٥٠، ٥٥.

(٩٠) يوسف بن عبدِ المؤمن بن عليّ، مَلَكَ المغربَ والأندلسَ بعد أبيه. كانت له مشاركةٌ في بعضِ العلوم. مات سنة (٥٨٠هـ). ترجمته في: المعجب في تلخيص أخبارِ المغرب ٣٠٨، وتاريخ الإسلام ١٢/ ٦٤٦.

(٩١) عبارةُ التّرضّي ليست في مخطوطةِ الرّاغب ٧٠ب.

الذي لم يَختلفْ فيه مختلِفٌ، وما زال ينقلُه خلفٌ عن سلفٍ[٩٢]، قد حُفِظَ شخصُه على كثرةِ المتناولِين، وذَخَرَه[٩٣] اللهُ لخليفتِه المخصوصِ بمن سخّرَ لخدمتِه من المتداولِين[٩٤]، وله من غرائبِ الأنباءِ، ومتقدّمِ الإشعارِ بما آلَ إليه أمرُه من الإيماءِ، ما مُلِئَتْ به الطُّروسُ[٩٥]، وتحفّظَه من أهلِ الأندلسِ الرّائسُ والمرؤوس، فتُلُقّي عند وصولِه بالإجلالِ والإعظام، وبُودِرَ إليه بما يجبُ من التّبجيلِ والإكرامِ، وعُكِفَ عليه أطولَ العكوفِ، والتُزِمَ أشدَّ الالتزامِ، وكانَ في وصولِه ذلك الوقتَ من عظيمِ العنايةِ وباهرِ الكرامةِ ما هو معتبَرٌ لأولي الألبابِ، وبلاغٌ في الإغرابِ والإعجاب، وذلك أنّ سيّدَنا ومولانا الخليفةَ أميرَ المؤمنين[٩٦] –أدامَ اللهُ له عوائدَ النّصرِ والتّمكين– كانَ قبلَ ذلك بأيّامٍ قد جرى ذِكْرُه في خاطرِه الكريمِ، وحرّكَتْه إليه دواعي خُلُقِه العظيمِ، وتراءى[٩٧] مع نفسِه المطمئنّةِ المرضيّةِ، وسجاياه الحسنةِ الرّضيّةِ في معنى اجتلابِه من مدينةِ قرطبةَ، محلِّ مثواه القديمِ، ووطنِه الموصَلِ بحرمتِه للتّقديمِ، فتوقّعَ أن يتأذّى أهلُ ذلك القطرِ بفراقِه، ويستوحشُوا؛ لفقدانِ إضاءتِه في أفقِهم وإشراقِه، فتوقّفَ عن[٩٨] ذلك؛ لِمَا جُبِلَ عليه من

(٩٢) في مخطوطةِ الرّاغب ٧٠ب: «خلف». وهو سبقُ نظر.

(٩٣) في: (المسند الصّحيح) المطبوع: «ودخره» بالدّال. وفي مخطوطةِ الرّاغب ٧٠ب ضُعّفَ الخاءُ.

(٩٤) ههنا انتهى نقلُ ابنِ مرزوق طرفًا من الرسالة عن رحلةِ شيخِه ابنِ رُشَيدٍ (مِلءِ العيبة).

(٩٥) الطِّرْسُ: الصّحيفة. المعجم الوسيط (طرس).

(٩٦) يعني عبدَ المؤمن بنَ عليٍّ.

(٩٧) لم تتضح ليَ الكلمةُ في مخطوطةِ الرّاغب ٧٠ب. وفي: الاستقصا: «وتروّى» ولعلّها الأصحّ.

(٩٨) في مخطوطة الرّاغب ٧٠ب: «عند».

رحمتِه وإشفاقِه، فأوصلَه اللهُ إليه تحفةً سنيّةً[٩٩]، وهديّةً هنيّةً، وتحيّةً من عنده مباركةً زكيّةً، دون أن يكدِّرَها من البشرِ اكتسابٌ، أو يتقدَّمها استدعاءٌ أوِ اجتلابٌ، بل أوقعَ اللهُ سبحانه وتعالى[١٠٠] في نفوسِ أهلِ[١٠١] ذلك القطرِ من الفرحِ بإرسالِه إلى مستحقِّه، والتّبرعِ به إلى القائمِ إلى اللهِ تعالى بحقِّه، ما اطُّلِعَ[١٠٢] بالمشاهدةِ والتّواترِ على صحّتِه وصدقِه، وعضَدَتْ[١٠٣] مخايلَ بَرْقِه سواكبُ[١٠٤] وَدْقِه، وكانَ ذلك من كراماتِ سيّدِنا ومولانا الخليفةِ معدودًا، وإلى أمرِه الذي هو أمرُ الله مردودًا، وجَمَعَ[١٠٥] عند ذلك بحضرةِ مَرَّاكُشَ - حرسَها اللهُ تعالى - سائرَ الأبناءِ الكرامِ، والسّادةِ الأعلامِ، بدورِ الآفاقِ، وكواكبِ[١٠٦] الإشراقِ، وأهلِ الاستئهالِ للمقاماتِ الرّفيعةِ، وذوو[١٠٧] الاستحقاقِ؛ فانتُظِمَ عند ذلك هذا القصيدُ؛ مشيرًا إلى اجتماعِ

(٩٩) في: الاستقصا: «سبنيّة». تحريف. وانظر: أضواء على مصحفِ عثمانَ بنِ عفّانَ ﷺ ورحلته شرقًا وغربًا ٥٦.

(١٠٠) عبارة: «سبحانه وتعالى» ليست في مخطوطةِ الرّاغب ٧٠ب.

(١٠١) سقطت من مخطوطةِ الرّاغب ٧٠ب.

(١٠٢) في: الاستقصا: «أطلع».

(١٠٣) في: الاستقصا: «صحّة صدقه، وعضلت».

(١٠٤) ضُبِطَت بالفتح في مخطوطةِ الرّاغب ٧٠ب. مخايلُ: مفردُها: (مَخِيْلَة): السّحابةُ التي تخالُها ماطرةً؛ لرعدِها، وبرقها. ويقالُ: ظهرت فيه مخايلُ النّجابة: دلائلُها، ومظنّتُها. المعجم الوسيط (خيل). والسَّكْبُ: «الهطَلانُ الدّائم من المطر، وغيره». المعجم الوسيط (سكب). والمرادُ من التّركيب: موافقةُ إرسالِ أهلِ قرطبةَ المصحفَ (فرحين متبرّعين) ما كان يتمنّاه الأميرُ في خاطرِه.

(١٠٥) في مخطوطةِ الرّاغب ٧٠ب: «وأجمع».

(١٠٦) في مخطوطةِ الرّاغب ٧٠ب: «وكرام».

(١٠٧) كذا في: (نفح الطّيب) المطبوع، ومخطوطةِ الرّاغب ٧٠ب. والصّوابُ: «ذوي».

هذه الدّراريِّ الزّاهرةِ، والتئامِ خطوطِها على مركزِ الدّائرةِ، ووصولِ المتقدِّمِ ذكرُه، المشهورِ في جميعِ المعمورِ أمرُه[١٠٨]، وهو هذا[١٠٩]: [من الطّويل]

١ دَراريُّ مـن نـورِ الهـدى تَتوقّـدُ مَطالِعُهـا فـوقَ المَجَـرّةِ أَسْـعُدُ
٢ وأنهـارُ جـودٍ كلَّمـا أمسـكَ الحَيـا يُمَـدُّ بهـا طـامِي الغَـوارِبِ[١١٠] مُزْبِـدُ
٣ وآسـادُ حَـرْبٍ غابُهـا شَـجَرُ القَنـا ولا لبْـدَةٌ[١١١] إلّا العَجـاجُ المُلَبَّـدُ
٤ مَساعيرُ في الهيجا[١١٢] مَساريعُ للنَّدى بأيـديهمُ يَحْمَـى الهجيـرُ ويَبْـرُدُ
٥ تُشَـبُّ بهـمْ نـارانِ: للحَـرْبِ، والقِـرَى ويَجري بِهِمْ سَيلانِ: جيشٌ، وعَسْجَدُ[١١٣]
٦ ويَسْـتَمْطِرون البـرقَ، والبـرقُ عِنْـدَهمْ سـيوفٌ علـى أُفْـقِ العُـداةِ تُجَـرَّدُ[١١٤]
٧ إذا عنَّ سجفُ السَّارياتِ[١١٥] مضـاؤها فمـاذا الَّـذِي يُغنـي الحديـدُ المُسَـرَّدُ؟
٨ ويَسْترشِدون النَّجْمَ، والنَّجمُ عِنْدَهُمْ[١١٦] نُصُـولٌ إلـى حَـبِّ القلـوبِ تُسـدّدُ

---

(١٠٨)في مخطوطةِ الرّاغب ٧٠أ: «منه».

(١٠٩)القصيدةُ الآتية في: ديوان ابن طفيل ٨١. عن: نفح الطّيب.

(١١٠)الحَيَا: الخِصْبُ، والمطر. المعجم الوسيط (حَيِيَ). طما النّهرُ، ونحوُه: امتلأ، وغَزُر. المعجم الوسيط (طما). غواربُ الماء: أعالي موجِه. المعجم الوسيط (غرب). فممدوحو النّاظم كرماء.

(١١١)اللِّبْدَةُ: «الشَّعرُ المتراكبُ بين كتِفَي الأسد. وفي المثل: (هو أمنعُ من لِبْدَةِ الأسد)». المعجم الوسيط (لبد).

(١١٢)في مخطوطةِ الرّاغب ٧٠أ: «للهيجا».

(١١٣)«العسجدُ: الذّهب». المعجم الوسيط (عسجد). فممدوحوه ههنا شجعان، وكرماء أيضًا.

(١١٤)في مخطوطةِ الرّاغب ٧٠أ: وردَ هذا العجز (سيوفٌ...) في البيت الثّامن، ووردَ عجز البيت الثّامن (نُصُولٌ...) ههنا.

(١١٥)في مخطوطةِ الرّاغب ٧٠أ: «السّابرات». «أَسْجَفَ اللّيلُ: أظلمَ». المعجم الوسيط (سجف). فالممدوحون ذوو بأسٍ قلبيٍّ في الأهوال والمعارك، لا يرتبطُ بما عليهم من لباسِ الحرب. والله أعلم.

(١١٦)لعلّه يعني الأميرَ (الخليفة) عبدَ المؤمن.

٩ تَــزاحَمُ فــي جــوِّ السَّــماءِ كأنّمــا عواملُها فـي الأفْـقِ صَـرْحٌ مُمَـرَّدُ[١١٧]

١٠ تَخـازَرُ[١١٨] ألحـاظُ الكواكـبِ دُونَهـا ويَفـرَقُ منهـا: المِرْزَمـانِ، وفَرقـدُ[١١٩]

١١ ألـمْ تَرَهـا فـي الأُفْـقِ خافقـةَ الحَشـا كما تَطْرِفُ العَيْنان، والقَلْـبُ يُـزْأَدُ[١٢٠]

١٢ ولـيسَ احمـرارُ الفَجْـرِ مـنْ أَثَـرِ السَّـنا ولكنَّــهُ ذاكَ النَّجيــعُ[١٢١] المُــوَرَّدُ

١٣ ومـا انبسـطَتْ كـفُّ الثُّريّـا فـدافعَتْ ولكنَّهـا فـي الحـربِ شِـلْوٌ مُقَـدَّدُ

١٤ وحــطَّ سُــهيلًا ذُعْــرُه عــن سَــمِيِّه فأَضْـحَى عَلـى أُفْـقِ البَسـيطةِ يُرْعَـدُ

١٥ ولمَّــا رأى نِسْــرٌ وقــوعَ أليفِــهِ تطـايرَ مـنْ خَـوفٍ فمـازالَ يَجْهَـدُ

١٦ مواقــعُ أمــرِ اللهِ فــي كــلِّ حالــةٍ يكــادُ لهــا رأسُ الثَّــرى يَتَمَيّــدُ

١٧ أَهــابَ بأَقْصَــى الخــافِقَين فنُظِّمَــتْ وهَيّـبَ جمـعَ[١٢٢] المُخْفِقِـين فبُـدِّدُوا

١٨ وأَضْـفَى علـى الـدُّنيا مَلابـسَ رَحْمـةٍ نَضـارتُها فــي كــلِّ حــينٍ تجــدَّدُ

١٩ وأخضَــلَ أرجــاءَ الرُّبــا فكأنّمــا عليها مـن النّبْـتِ النّضـيرِ[١٢٣] زَبَرْجَـدُ

٢٠ فمِـن طَـرَبٍ مـا أصـبحَ البـرقُ باسـمًا ومن فرحٍ ما أضحتِ المُزْنُ تَرْعُـدُ[١٢٤]

٢١ وغَنّــى علــى أفنــانِ كــلِّ أراكــةٍ غـذاها حيـا النُّعْمـى حَمَـامٌ مُغَـرِّدُ

---

(١١٧)مرَّدَ البناءَ: سوّاه، وملّسَه، وطوّلَه. المعجم الوسيط (مرد).

(١١٨)تضيقُ. المعجم الوسيط (خزر).

(١١٩)المِرزمان: نجمان. المعجم الوسيط (رزم). والفرقد: «نجمٌ قريبٌ من القطبِ الشَّماليّ، ثابتُ الموقعِ تقريبًا؛ ولذا يُهتَدَى به، وهو المسمّى: (النّجم القطبيّ)». المعجم الوسيط (فرقد).

(١٢٠)«الزُّؤْدُ: الفَزَعُ». مجمل اللّغة ٤٤٧.

(١٢١)النّجيعُ: دمُ الجوف. المعجم الوسيط (نجع).

(١٢٢)في مخطوطةِ الرّاغب ٧٠أ: «وهِيبَ جميع».

(١٢٣)في مخطوطةِ الرّاغب ٧٠أ: «الضّمير». تحريف.

(١٢٤)ضُمّ حرفُ العين في: مخطوطةِ الرّاغب ٧٠أ؛ فالفعل فيها مبنيّ للمعلوم، وأظنُّه الأصوبَ للمعنى.

٢٢ وكَبَّـرَ ذو نُطـقٍ، وسَـبَّحَ صـامتٌ وكادَ بـه المعـدومُ يحيـا[١٢٥]، ويُوجَـدُ
٢٣ وأبـرزَ للأذهـانِ مـا كـانَ غائبًـا فسِـيّانِ فيهـا مُطْلَـقٌ ومُقَيَّـدُ
٢٤ سلامٌ على المَهـدِيّ[١٢٦]، أمّـا قَضـاؤُهُ فَحَـتْمٌ، وأمّـا أمـرُهُ فَمؤكَّـدُ
٢٥ إمـامُ الـوَرى عـمَّ البسـيطةَ عدلُـهُ على حينِ[١٢٧] وَجْهُ الأرضِ بالجَورِ أَرْبَـدُ[١٢٨]
٢٦ بَصـيرٌ رأى الـدُّنيا بعَـينٍ جَلِيّـةٍ فلـم يُغْنِـهِ إلّا المَقـامُ المُمَجّـدُ
٢٧ ولمّـا مَضـى[١٢٩]، والأمـرُ للهِ وحـدَهُ وبُلِّـغَ مـأمولٌ، وأُنجِـزَ مَوْعِـدُ
٢٨ تَـردَّى أميـرُ المـؤمنين[١٣٠] رداءَهُ وقـامَ بـأمرِ اللهِ، والنّـاسُ هُجَّـدُ
٢٩ بعَزْمـةِ شَـيْحانِ[١٣١] الفـؤادِ مُصَـمِّمٍ يقـومُ بـه أقصـى الوجـودِ، ويَقعُـدُ
٣٠ مشـيئتُهُ مـا شـاءَهُ اللهُ، إنّـه إذا هـمَّ؛ فـالحكمُ الإلهـيُّ يُسْـعِدُ
٣١ كتائبُـهُ مشـفوعةٌ بملائـكٍ تُرادِفُهـا[١٣٢] فـي كـلِّ حـالٍ، وتُرْفِـدُ
٣٢ ومـا ذاكَ إلّا نيّـةٌ خَلَصَـتْ لـه فلـيسَ لـه فيمـا سِـوى اللهِ مَقْصَـدُ

---

(١٢٥)في مخطوطةِ الرّاغب ٧٠أ: «يُحيَى» -كذا بالمقصورة- وبصيغةِ المبنيّ للمجهول، وأظنُّها الأصوبَ للمعنى.

(١٢٦)محمّد بن عبدِ الله بن تُوْمَرْت، المدّعي أنّه المهديُّ المعصوم، والبادئ بأمر دولةِ الموحِّدين في المغرب. مات سنة (٥٢٤هـ). ترجمته في: المعجب في تلخيص أخبارِ المغرب ٢٤٥، وتاريخ الإسلام ١١/ ٤٠٨ حيث طوّلَ الذّهبيُّ في ترجمته.

(١٢٧)سقطت من مخطوطةِ الرّاغب ٧٠أ.

(١٢٨)رَبَدَ بالمكانَ: أقامَ. المعجم الوسيط (ربد). [أربد: مكدَّر قد اختلط سواده بكدرة، يريد أنه مظلم، أربد: مُغبّر، مُسودّ تغيّر لونه]. المجلة.

(١٢٩)كذا في: (النّفح) المطبوع، ومخطوطة الرّاغب ٧٠أ، وأظنُّ الأنسب: «قضى» بمعنى مات.

(١٣٠)إشارة إلى عبدِ المؤمن بنِ عليٍّ، الذي خلف ابنَ تومرت في أمرِ الموحِّدين.

(١٣١)في مخطوطةِ الرّاغب ٧٠أ: «شَيْخان» بالخاء. ورجلٌ شَيحان: جادٌّ، وحَذِر. المعجم الوسيط (شاح). [شيحان الفؤاد: قوي القلب]. المجلة.

(١٣٢)في مخطوطةِ الرّاغب ٧٠أ: «تزاد بها».

٣٣ إذا خَطَبَتْ راياتُه وَسْطَ مَحْفِلٍ ... ترى قِمَمَ الأعداءِ في الترْبِ تسجُدُ

٣٤ وإن نَطَقَتْ بالفصلِ فيهم سُيوفُهُ ... أقرَّ بأمرِ اللهِ مَن كانَ يجْحَدُ

٣٥ مُعيدُ علومِ الدّين بعدَ ارتفاعِها ... ومُبْدي علومٍ لم تكنْ قبلُ تُعْهَدُ

٣٦ وباسطُ أنوارِ الهدايةِ في الورَى ... وقد ضمَّ قُرْصَ الشّمسِ في الغربِ مَلْحَدُ

٣٧ وقد كانَ ضوءُ الشَّمسِ عندَ طُلُوعِها ... يُغانُ بأكنانِ[١٣٣] الضّلالِ، ويُغْمَدُ

٣٨ فما زالَ يجْلو عن مطالعِها الصَّدَا ... ويُبْرِزُها بيضاءَ، والجوُّ أسودُ

٣٩ جزى اللهُ عن هذا الأنامِ خليفةً ... به شَرِبُوا ماءَ الحياةِ؛ فخُلِّدوا

٤٠ وحيّاهُ ما دامَتْ محاسنُ ذِكْرِهِ ... على مَدْرَجِ الأيّامِ تُتْلى، وتُنْشَدُ

٤١ بمصحفِ عثمانَ الشّهيدِ وجمعِه ... تَبَيَّنَ أنّ الحقَّ بالحقِّ يُعْضَدُ

٤٢ تحامَتْه أيدي الرّومِ بعدَ انتسافِه[١٣٤] ... وقد كادَ لولا سعدُه يَتَبدَّدُ

٤٣ فَما هوَ إلّا أنْ تمرَّسَ صارخٌ ... بدعوتِه العَلْيا فصِينَ المبَدَّدُ

٤٤ وجاءَ وليُّ الثأرِ يرغبُ نَصْرَهُ ... فلبّاهُ منه عزمُه المتجرِّدُ

٤٥ رأى أثرَ المسفوحِ في صَفَحاتِه ... فقامَ لأخذِ الثّأرِ منه مؤيّدُ

٤٦ وشبّهه بالبدرِ وقتَ[١٣٥] خُسُوفِه ... فللّهِ تشبيهٌ لَه[١٣٦] الشّرعُ يَشْهَدُ

٤٧ زمانَ ارتفاعِ العلمِ كانَ خسوفُه ... وقد عادَ بالمهديّ، والعَودُ أحمدُ

٤٨ أتَتْكَ أميرَ المؤمنين أَلوكةٌ ... من الحَرمِ الأَقْصى لأمرك تَمْهَدُ

٤٩ سيوفُ بني عَيْلانَ[١٣٧] قامَتْ شهيرةً ... لدعوتِك العَلْياءِ تَهدِي، وتُرْشِدُ[١٣٨]

---

(١٣٣) في مخطوطةِ الرّاغب ٧٠أ: «يغار بأكناف». وغانتِ السّماءُ: غامَت. والغينُ: لغةٌ في الغيم. المعجم الوسيط (غان).

(١٣٤) نَسَفَ الشّيءَ: اقتلعَه من أصلِه. المعجم الوسيط (نسف).

(١٣٥) في مخطوطةِ الرّاغب ٧٠أ: «قبل».

(١٣٦) في مخطوطةِ الرّاغب ٧٠أ: «به».

(١٣٧) كانَ أميرُ الموحِّدين عبدُ المؤمن بنُ عليّ يقولُ بنسبتِه إلى قيس عيلان بن مضر بن نزار.

٥٠ وطافَتْ ببيتِ اللهِ؛ فاشتدَّ شوقُهُ إليكَ ولَبّى منه حِجْرٌ، ومسجِدُ
٥١ وحَجَّ إليكَ: الرّكنُ، والمرْوُ، والصَّفا فأنتَ لذاكَ[١٣٩] الحجّ حَجٌّ ومَقصَدُ
٥٢ مشاعرُها الأجسامُ، والرّوحُ أمرُكم ومنكم لها يرضى البقاءُ[١٤٠] المخلّدُ
٥٣ فللّهِ حَجٌّ، واعتمارٌ، وزَوْرَةٌ[١٤١] أتتنا ولم يبْرَحْك بالغربِ مشهَدُ
٥٤ ولله سبعٌ نَيّراتٌ تَقارنَتْ بها فئةُ الإسلامِ تُحْمَى[١٤٢] وتُسعَدُ
٥٥ إذا لم يكن إلّا فِناءكَ[١٤٣] عصمةٌ فماذا الَّذي يرجو القصيُّ المُبعَّدُ؟
٥٦ فدُمْ للورى غيثًا، وعزًّا، ورحمةً فقُربُكَ في الدَّارَين مُنْجٍ، ومُسْعِدُ
٥٧ وزادتْ بكَ الأعيادُ حُسنًا، وبهجةً كأنّكَ للأعيادِ زِيٌّ مجَدَّدُ
٥٨ ولا زلتَ للأيّامِ تُبلي جديدَها وعُمْرُكَ في ريعانِهِ ليسَ يَنْفَدُ

[أوعيةُ المصحفِ: كُسْوَتُه، وصِوانُه[١٤٤]]:

ثمّ إنّهم – أدامَ اللهُ سبحانَه تأييدَهم، ووصلَ سعودَهم – لمّا أرادُوا من المبالغةِ في تعظيمِ المصحفِ المذكورِ، واستخدامِ البواطنِ والظّواهرِ فيما يجبُ له من التّوقيرِ والتّعزيرِ[١٤٥]، شرعُوا في انتخابِ كُسوتِه، وأخذُوا في

انظر: المعجب في تلخيص أخبارِ المغرب ٢٦٥، وتاريخ الإسلام ١٢/ ١٣٩.

(١٣٨)فُتِحَ الشّينُ في مخطوطةِ الرّاغب ٧٠أ.

(١٣٩)في مخطوطةِ الرّاغب ٧٠أ: «فأنتَ الذي لذاك».

(١٤٠)في مخطوطةِ الرّاغب ٧٠أ: «المقام».

(١٤١)«الزَّوْرَةُ: المرّةُ من الزّيارة». المعجم الوسيط (زور).

(١٤٢)في مخطوطةِ الرّاغب ٧٠أ: «تحيا».

(١٤٣)في مخطوطةِ الرّاغب ٧٠أ: «فناؤك».

(١٤٤)الصِّوانُ: بكسرِ الصّادِ، وضمِّها، «ما يُصانُ به، أو فيه الكتبُ والملابسُ ونحوها. ج: أَصْوِنةٌ». المعجم الوسيط (صان).

(١٤٥)التّعزيرُ: العونُ، والنّصر. المعجم الوسيط (عزر).

اختيارِ حِلْيَتِه، وتأنّقُوا في استعمالِ أحفظتِه، وبالغُوا في استجادةِ أصونتِه؛ فحشرُوا له الصُّنّاعَ المتقنِين، والمهرةَ المتفنِّنين، ممّن[١٤٦] كانَ بحضرتِهمُ العليّةِ، أو سائرِ بلادِهمُ القريبةِ والقصيّةِ؛ فاجتمعَ لذلك حذّاقُ كلِّ صناعةٍ، ومهرةُ كلِّ طائفةٍ من: المهندسِين، والصّوّاغِين، والنّظّامِين، والحلّائِين، والنّقّاشِين، والمرصّعِين، والنّجارِين، والزّوّاقِين[١٤٧]، والرّسّامِين، والمجلِّدِين، وعرفاءِ البنّائِين، ولم يبقَ مَن يُوصَفُ ببراعةٍ، أو يُنسَبُ إلى الحَذْقِ في صناعةٍ، إلّا أُحضِرَ؛ للعملِ فيه، والاشتغالِ بمعنىً من معانيه، فاشتغلَ أهلُ الحيلِ الهندسيّةِ بعملِ أمثلةٍ مخترَعةٍ، وأشكالٍ مبتدَعةٍ، وضمّنُوها من غرائبِ الحركاتِ، وخفيِّ إمدادِ الأسبابِ للمسبّباتِ، ما بلغُوا فيه منتهى طاقتِهم، واستفرغُوا فيه جَهدَ قوّتهم، والهمّةُ العليّةُ -أدامَ اللهُ سمّوَها[١٤٨]- تترقّى فوق معارجِهم، وتتخلّصُ كالشّهابِ الثّاقبِ وراءَ موالجِهم[١٤٩]، وتنيفُ على ما ظنُّوه الغايةَ القصوى من لطيفِ مدارجِهم، فسلكُوا من عملِ هذه الأمثلةِ كلَّ شِعْبٍ، ورأبُوا من منتشِرِها كلَّ شَعْبٍ[١٥٠]، وأشرفُوا عند تحقيقِها وإبرازِ دقيقِها على كلِّ صعبٍ، فكانت منهم وقفةٌ كادَتْ[١٥١] لها النّفسُ تيأسُ عن مطلبِها، والخواطرُ تَكِرُّ راجعةً عن خفيِّ مذهبِها، حتّى أطلعَ اللهُ خليفتَه في خَلْقِه، وأمينَه المرتضَى لإقامةِ حقِّه على وجهٍ انقادَتْ فيه تلك الحركاتُ بعدَ اعتياصِها،

(١٤٦)في مخطوطةِ الرّاغب ٧٠أ: «ممّا».

(١٤٧)في مخطوطةِ الرّاغب ٧٠أ: «والزّرّاقين». تحريف.

(١٤٨)عبارةُ: «أدامَ اللهُ سمّوها» ليست في: مخطوطةِ الرّاغب ٧٠أ.

(١٤٩)المَوالج: المداخل. مفردها: (المَوْلَج). المعجم الوسيط (ولَج).

(١٥٠)في مخطوطةِ الرّاغب ٧٠أ: «شِرب». «شَعَبَ الشيءُ شَعْبًا: تفرّقَ». المعجم الوسيط (شعب).

(١٥١)في مخطوطةِ الرّاغب ٧٠أ: «تكادُ».

وتخلّصَتْ أشكالُها عن الاعتراضِ على أحسنِ وجوهِ خلاصِها، ألقَوا[١٥٢] ذلك - أيّدَهمُ اللهُ بنصرِه، وأمدَّهم بمعونتِه ويُسرِه - إلى المهندسين والصّنّاعِ، فقبلُوه أحسنَ القَبولِ، وتصوّرُوه بأذهانِهم؛ فرأَوه على مطابقةِ المأمولِ، فوقَفَهم حسنُ تنبيهِه ممّا جهلُوه على طَوْرٍ غريبٍ[١٥٣] من موجباتِ التّعظيمِ، وعلمُوا أنّ الفضلَ للهِ ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١]. وسيأتي بعد هذا إشارةٌ إلى[١٥٤] تفصيلِ تلك الحركاتِ المستغرَبةِ، والأشكالِ المونقةِ المعجبةِ، إن شاءَ اللهُ تعالى[١٥٥].

ممّا صُنِعَ للمصحفِ العظيمِ[١٥٦] من الأصونةِ الغريبةِ، والأحفظةِ العجيبةِ أنّه كُسِيَ كلُّه بصِوانٍ واحدٍ من الذّهبِ والفضّةِ، ذي صنائعَ غريبةٍ من ظاهرِه وباطنِه، لا يشبهُ بعضُها بعضًا، قد أُجرِيَ فيه من ألوانِ الزّجاجِ الرّوميِّ ما لم يُعهَدْ له في العصرِ الأوّلِ مثالٌ، ولا عُمِرَ قبله بشبهِه خاطرٌ ولا بالٌ، وله مفاصلُ تجتمعُ إليها أجزاؤُه، وتلتئمُ، وتتناسقُ عندها عجائبُه[١٥٧]، وتنتظمُ،

---

(١٥٢)كذا في: (نفح الطّيب) المطبوع، ومخطوطةِ الرّاغب ٧١ب، ولعلّ الصواب: «فألقوا».

(١٥٣)في مخطوطةِ الرّاغب ٧١ب: «على ما جهلوه على طورٍ عظيم».

(١٥٤)قوله: «إشارة إلى» ليست في: مخطوطةِ الرّاغب ٧١ب.

(١٥٥)وذلك لدن الحديث عنِ آليّةِ انفتاحِ بابِ التّابوتِ الذي صُنع لحفظِ المصحف، ومَحْمِلِه، وكرسيِّه، وخروجهما منه، ثمّ عودهما.

(١٥٦)ليست في: مخطوطةِ الرّاغب ٧١ب. وقد نقلَ محمّد المنونيّ في: حضارة الموحِّدين ١٧٩ - عن (النّفح) باختصارٍ يسير - حديثَ ابن طُفيلٍ الآتي عن: زخرفة أوعيةِ المصحف، ووصف مَحْمِلِه، وكرسيِّه، ومطلع وصفِ تابوتِه؛ وذلك ضمن حديثِه عن (صناعةِ التّزويق، والزّخرفة) في عهدهم.

(١٥٧)في مخطوطةِ الرّاغب ٧١ب: «عند عجائبه».

قد أُسْلِسَتْ للتّحرّكِ أعطافُها[١٥٨]، وأُحْكِمَ إنشاؤُها على البغيةِ وانعطافُها، ونُظِمَ على صفحتِه[١٥٩] وجوانبِه من فاخرِ الياقوتِ[١٦٠]، ونفيسِ الدّرِّ، وعظيمِ الزّمرّدِ ما لم تزلِ الملوكُ السّالفةُ والقرونُ الخاليةُ تتنافسُ في أفرادِه، وتتوارثُه على مرورِ الزّمنِ وتَرْدادِه، وتظنُّ العزَّ الأقعسَ[١٦١]، والمُلكَ الأنفسَ في ادّخارِه وإعدادِه، وتُسمّي الواحدَ منها بعد الواحدِ بالاسمِ العلمِ؛ لشذوذِه في صنفِه[١٦٢] واتّحادِه، فانتظمَ عليه منها ما شاكلَه زُهْرُ الكواكبِ في تلألئِه واتّقادِه، وأشبهه الرّوضُ المزخرَفُ غبَّ سماءٍ[١٦٣] أقلعَتْ عن إمدادِه، وأتى هذا الصِّوانُ الموصوفُ رائقَ المنظرِ، آخذًا بمجامعِ القلبِ والبصر، مستوليًا بصورتِه الغريبةِ على جميعِ الصّورِ، يدهشُ العقولَ بهاءً، ويحيّرُ الألبابَ رُواءً[١٦٤]، ويكادُ يعشي النّاظرَ[١٦٥] تألّقًا وضياءً، فحين تمَّتْ خصالُه واستُركبَتْ أوصالُه، وحان ارتباطُه بالمصحفِ العظيمِ واتّصالُه، رأَوا - أدامَ اللهُ تأييدَهم، وأعلى كلمتَهم - ممّا رزقهمُ اللهُ تعالى من ملاحظةِ الجهاتِ، والإشرافِ على جميعِ الثنيّاتِ، أن يُتلطَّفَ في وجهٍ يكونُ به هذا

(١٥٨)العِطفُ: الجانبُ. المعجم الوسيط (عطف).

(١٥٩)في حضارة الموحّدين: «صحيفته».

(١٦٠)ومنه: ياقوتة (الحافر)، وهي على قدرِ استدارة حافرِ الفرس، أُهديت إلى أميرِ الموحّدين يوسفَ بن عبدِ المؤمن (٥٨٠هـ) من ملك صقلّيَة، وجُعلت فيما زُيّن به المصحف. انظر: المعجب في تلخيص أخبارِ المغرب ٣٢٦، والحلل الموشية ١٥٢.

(١٦١)أي: الثّابتَ الممتنعَ. المعجم الوسيط (قَعِسَ).

(١٦٢)في: مخطوطةِ الرّاغب ٧١ب، وحضارة الموحّدين: «صنعه».

(١٦٣)الماءُ الغِبُّ: البعيد. المعجم الوسيط (غبب).

(١٦٤)كُسِرَ حرفُ الرّاءُ في مخطوطةِ الرّاغب ٧١ب. والرُّواءُ: المنظرُ الحسن. المعجم الوسيط (روى).

(١٦٥)في مخطوطةِ الرّاغب ٧١ب: «يُغشي النّواظرَ». ولعلّها الأصوب.

الصِّوانُ المذكورُ طورًا متّصلًا، وطورًا منفصلًا، ويتأتّى به للمصحفِ الشّريفِ العظيمِ أن يبرزَ تارةً للخصوصِ متبذِّلًا[١٦٦]، وتارةً للعمومِ متجمِّلًا؛ إذ معارجُ النّاسِ في الاستبصارِ تختلفُ، وكلٌّ له مقامٌ إليه ينتهي، وعنده يقفُ؛ فعُملَ فيه على شاكلةِ هذا المقصدِ، وتُلطّفَ في تتميمِ هذا الغرضِ المعتمَدِ، وكُسِيَ المصحفُ العزيزُ بصِوانٍ لطيفٍ من السّندسِ الأخضرِ، ذي حليةٍ خفيفةٍ[١٦٧] تُلازمُه في المغيبِ والمحضرِ، ورُتِّبَ ترتيبًا يتأتّى معه[١٦٨] أن يُكسَى بالصِّوانِ الأكبرِ؛ فيلتئمَ به التئامًا يغطّي على العينِ[١٦٩] من هذا الأثرِ، وكَمُلَ ذلك كلُّه على أجملِ الصّفاتِ وأحسنِها، وأبدعِ المذاهبِ وأتقنِها.

[وصفُ: مَحْمِلِ المصحفِ العظيمِ، وكرسيِّه، وتابوتِه]:

وصُنِعَ له مَحْمِلٌ[١٧٠] غريبُ الصّنعةِ، بديعُ الشّكلِ والصّيغةِ[١٧١]، ذو مفاصلَ ينبو عن دقّتِها الإدراكُ، ويشتدُّ بها الارتباطُ بين المفصلَين، ويصحُّ الاشتراكُ، مغشّىً كلُّه بضروبٍ من التّرصيعِ، وفنونٍ من النّقشِ البديعِ، في قطعٍ من الآبنوسِ[١٧٢] والخشبِ الرّفيعِ، لم تُعملْ قطُّ في زمانٍ من الأزمانِ، ولا

(١٦٦)في مخطوطةِ الرّاغب ٧١ب: «متبدّلًا» بالدّال. والتّبذُّل: تركُ التّصوّن، والتّجمّل. المعجم الوسيط (بذل). والمراد ههنا: نزع صِوان المصحف عنه عند الحاجة.

(١٦٧)في مخطوطةِ الرّاغب ٧١ب: «حلية عظيمة خفيفة»، وكذا في: حضارةِ الموحّدين، مع سقوط كلمة: «حلية».

(١٦٨)في مخطوطةِ الرّاغب ٧١ب: «ورتّب معه ترتيبًا...».

(١٦٩)في مخطوطةِ الرّاغب ٧١ب: «على هذا».

(١٧٠)في حضارةِ الموحّدين: «محل». تحريف.

(١٧١)في حضارةِ الموحّدين: «الصّبغة». بالباء.

(١٧٢)بضمّ الباء، وكسرها، وضمّ النّون: «شجرٌ ينبُتُ في الحبشة، والهند، خشبُه أسودُ صُلبٌ، ويُصنع منه بعضُ الأدواتِ، والأواني، والأثاث». المعجم الوسيط (الآبنوس).

انتهَتْ قطُّ إلى أيسرِه نوافذُ[١٧٣] الأذهانِ، مدارٌ بصنعةٍ قد أُجريَتْ في صفائحِ الذّهبِ، وامتدّتِ امتدادَ ذوائبِ الشُّهبِ، وصُنِعَ لذلك المَحْمِلِ كرسيٌّ يحملُه[١٧٤] عند الانتقالِ، ويشاركُه في أكثرِ الأحوالِ، مرصّعٌ مثلَ ترصيعِه الغريبِ، ومُشاكِلٌ له في جودةِ التّقسيمِ وحُسنِ التّرتيب، وصُنِعَ لذلك كلِّه تابوتٌ يحتوي عليه احتواءَ المِشكاةِ على أنوارِها، والصّدورِ على محفوظِ أفكارِها[١٧٥]، مكعّبُ الشّكلِ، سامٍ في الطّولِ، حسنُ الجملةِ والتّفصيلِ، بالغٌ ما شاءَ من التّتميمِ في أوصالِه والتّكميل، جارٍ مجرى المَحْمِلِ في التّزيينِ والتّجميلِ، وله في أحدِ غواربِه[١٧٦] بابٌ رُكِّبَتْ عليه دفّتان قد أُحْكِمَ إرتاجُهُما[١٧٧]، ويُسِّرَ بعد الإبهامِ انفراجُهُما، ولانفتاحِ هذا البابِ وخروجِ هذا الكرسيِّ من تلقائِه وتركّبِ المَحْمِلِ عليه ما دَبَّرَتِ الحركاتُ الهندسيّةُ، وتُلُقِّيَتْ تلك[١٧٨] التّنبيهاتُ القدسيّةُ، وانتظمَتِ العجائبُ المعنويّةُ والحسيّةُ، والتأمَتِ الذّخائرُ النّفيسةُ والنّفسيّةُ؛ وذلك أنّ بأسفلِ هاتين الدّفتين فيصلًا فيه موضعٌ قد أُعِدَّ له مفتاحٌ لطيفٌ يدخلُ فيه، فإذا

(١٧٣)في حضارةِ الموحّدين: «تواقد». تصحيف.

(١٧٤)في مخطوطةِ الرّاغب ٧١ب: «مجمله». تحريف.

(١٧٥)في مخطوطةِ الرّاغب ٧١ب، وحضارة الموحّدين: «أمكارها». بالميم.

(١٧٦)مفردها: الغارب، وهو: «أعلى كلِّ شيءٍ». المعجم الوسيط (غرب). وقد نقلَ محمّد المنونيّ في: حضارة الموحّدين ١٧٥، ١٧٦ –عن (النّفح)– وصفَ ابن طُفيلٍ الآتي لهذا التّابوت؛ وذلك ضمن حديثِه عن (مهنةِ الصّناعاتِ الميكانيكيّة) ومظاهرها في عهدهم، وعلّقَ قبل النّقل بقولِه: «أمّا التّابوتُ فقد كانَتْ [كذا] قطعةً فنّيّةً ناطقةً بما كانَ لهذه المهنةِ حينئذٍ من الرّقيِّ العظيم».

(١٧٧)في: مخطوطةِ الرّاغب ٧١ب، وحضارةِ الموحّدين: «إرتجاجهما». تحريف. ورَتَجَ البابَ: أغلقَه. المعجم الوسيط (رتج).

(١٧٨)ليست في: مخطوطةِ الرّاغب ٧١ب، وحضارةِ الموحّدين.

أُدْخِلَ ذلك المفتاحُ فيه، وأُديرَتْ به اليدُ انفتحَ البابُ بانعطافِ الدّفتَين إلى داخلِ الدّفتين من تلقائِهما، وخرجَ الكرسيُّ من ذاتِه بما عليه إلى أقصى غايتِه، وفي خلالِ خروجِ الكرسيِّ يتحرّكُ عليه المَحْمِلُ حركةً منتظمةً مقترنةً بحركتِه[١٧٩]، يأتي[١٨٠] بها من مؤخّرِ الكرسيِّ زحفًا إلى مقدّمِه، فإذا كَمُلَ الكرسيُّ بالخروجِ، وكَمُلَ المَحْمِلُ بالتّقدّمِ عليه انغلقَ البابُ، برجوعِ الدّفتين إلى موضعِهما من تلقائِهما دون أن يمسَّهُما أحدٌ، وترتّبَتْ[١٨١] هذه الحركاتُ الأربعُ على حركةِ المفتاحِ فقط، دون تكلّفِ شيءٍ آخرَ، فإذا أُديرَ المفتاحُ إلى خلفِ الجهةِ التي أُديرَ إليها أوّلًا انفتحَ البابُ[١٨٢]، وأخذَ الكرسيُّ في الدّخولِ، والمَحْمِلُ في التّأخّرِ عن مقدّمِ الكرسيِّ إلى مؤخّرِه، فإذا عادَ[١٨٣] كلٌّ إلى مكانِه انسدَّ البابُ بالدّفتين أيضًا من تلقائِه، كلُّ ذلك يترتّبُ على حركةِ المفتاحِ، كالذي كانَ في حالِ خروجِه، وصَحَّتْ[١٨٤] هذه الحركاتُ اللّطيفةُ على أسبابٍ ومسبّباتٍ غائبةٍ عن الحسِّ في باطنِ الكرسيِّ، وهي ممّا يَدِقُّ وصفُها، ويَصْعُبُ ذكرُها، أظهرَتْها بركاتُ هذا الأمرِ السّعيدِ، وتنبيهاتُ سيّدِنا ومولانا الخليفةِ – أدامَ اللهُ تعالى أمرَهم، وأعزَّ نصرَهم[١٨٥] –.

---

(١٧٩)في حضارةِ الموحّدين: «بحركة».

(١٨٠)كذا في: (نفح الطّيب) المطبوع، ومخطوطةِ الرّاغب ٧١ب، وحضارةِ الموحّدين. ولعلّ صيغةَ المبنيّ للمجهول (يُؤتى) أصلحُ للسّياق.

(١٨١)في مخطوطةِ الرّاغب ٧١ب، وحضارةِ الموحّدين: «وترتيب». وأجدها الأنسبَ للسياق.

(١٨٢)في: مخطوطةِ الرّاغب ٧١ب، وحضارةِ الموحّدين: «انفتحَ أوّلًا الباب».

(١٨٣)عبارة: «فإذا عاد» ساقطة من: حضارة الموحّدين.

(١٨٤)في: مخطوطةِ الرّاغب ٧١ب، وحضارةِ الموحّدين: «وصحّة». بالتاءِ المربوطة.

(١٨٥)ههنا ينتهي نقلُ أ. عبد الله كنّون في: النّبوغ المغربيّ في الأدبِ العربيّ ١٤٣. وعلّق

[بناءُ المسجدِ الجامعِ في مَرّاكُشَ]:

وفي خلالِ الاشتغالِ بهذه الأعمالِ التي هي غُرَرُ الدّهرِ، وفرائدُ العمرِ، أمرُوا - أدامَ اللهُ تعالى تأييدَهم - ببناءِ المسجدِ الجامعِ[١٨٦] بحضرةِ مَرّاكُشَ - حرسَها اللهُ تعالى -؛ فبُدِئَ ببنيانِه، وتأسيسِ قِبلتِه في العشرِ الأوّلِ من شهرِ ربيعٍ الآخرِ، سنة ثلاثٍ وخمسينَ وخمسمئةٍ، وكَمُلَ منتصفَ شعبانَ المكرّمِ من العامِ المذكورِ، على أكملِ الوجوهِ، وأغربِ الصّنائعِ، وأفسحِ المساحةِ، وأبعدِ[١٨٧] البناءِ والنّجارةِ، وفيه من شمسيّاتِ الزّجاجِ، وحركاتِ المنبرِ والمقصورةِ[١٨٨] ما لو عُمِلَ في السّنينَ العديدةِ لاستُغربَ تمامُه، فكيف في هذا الأمدِ[١٨٩] اليسيرِ، الذي لم يتخيّل أحدٌ من الصّنّاعِ أن يتمَّ فيه [تقديرُه، وتخطيطُه][١٩٠] فضلًا عن بنائِه؟! وصُلِّيَتْ فيه الجمعةُ منتصفَ شعبانَ المذكورِ[١٩١].

ونهضُوا - أدامَ اللهُ سبحانَه تأييدَهم - عقبَ ذلك لزيارةِ البقعةِ المكرّمةِ، والرّوضةِ المعظّمةِ بمدينةِ تِيْنمَلِلِ[١٩٢] -أدامَ اللهُ رفعتَها-؛ فأقامُوا بها بقيّةَ

قائلًا: «هذا ما أردنا نقلَه من (رسالةِ) ابن طُفَيل، وهي -على طولها- ممتعةٌ ومفيدة في معرفة مدى ما وصلَت إليه هذه الصّنائعُ الدّقيقةُ [يعني الفنونَ الجميلة كالنّقش، والتّزويق] من الرّقيّ والكمال».

(١٨٦)انظر خبرَه في: الحلل الموشية في ذكرِ الأخبار المَرّاكشيّة ١٤٤، ودولة الإسلام في الأندلس (العصر الثّالث، القسم الأوّل) ٣٤٣.

(١٨٧)في: الاستقصا: «وأحكم».

(١٨٨)في: الاستقصا: «ودرجاتِ المنبر، وسياج المقصورة». وانظر صفة: المنبر والمقصورة، وحركاتهما في: الحلل الموشية ١٤٤، ١٤٥.

(١٨٩)في: النفح: «الأمر». تحريف، تصويبه من: الاستقصا.

(١٩٠)زيادةٌ؛ يستقيم بها السّياق، وهي من: الاستقصا.

(١٩١)قوله: «على أكملِ الوجوه... المذكور» ساقطٌ من مخطوطةِ الرّاغب ٧١ب.

(١٩٢)في مخطوطةِ الرّاغب ٧١ب : «يتنملل». تصحيف. والرّوضةُ المرادةُ ههنا هي روضةُ المهديّ، ابن تومرت، حيث قبره. انظر: المعجب في تلخيص أخبارِ المغرب ٢٥٤،

شعبانَ المكرّمِ، وأكثرَ شهرِ رمضانَ المعظّمِ، وحَمَلُوا في صحبتِهمُ المصحفَ العزيزَ، ومعه مصحفُ الإمامِ المهديِّ[١٩٣] المعلومِ –رضيَ اللهُ تعالى عنه– في التّابوتِ الموصوفِ؛ إذ كانَ قد صُنِعَ له غرفةٌ في أعلاه، وأُحكِمَتْ فيه إحكامًا كَمُلَ به معناه، واجتمعَ في مِشكاتِه؛ فعادَ النّورُ إلى مبتداه، وخُتِمَ القرآنُ العزيزُ في مسجدِ الإمامِ المعلومِ[١٩٤] ختماتٍ كادَتْ لا تُحصَى؛ لكثرتِها». وهنا انتهى ما وجدناه من هذا المكتوبِ[١٩٥]».

ثمّ قالَ ابنُ رُشَيدٍ – بعد إيرادِ ما تقدَّمَ – ما صورتُه: «نَجَزَتِ الرّسالةُ في المصحفِ العظيمِ، والحمدُ للّهِ ربِّ العالمين». انتهى محلُّ الحاجةِ منه»[١٩٦].

المصادر والمراجع

- **الإحاطة في أخبار غَرناطة**: لابنِ الخطيب (٧٧٦هـ) تح: محمّد عبد الله

وتاريخ الإسلام ١١/ ٤١٠، ٤١١، والاستقصا ٢/ ١٢٨.

(١٩٣)وكلا المصحفَين بين يدي الأمير (الخليفة). ويُحمَلُ مصحفُ المهديّ هذا على بغلٍ محلَّى خلفَ الرّاحلةِ التي تحملُ المصحفَ العثمانيَّ. و«يُقالُ: أنّه بخطِّ ابن تومرت، دون مصحفِ عثمانَ في الجِرم، محلّى بفضّةٍ مموّهةٍ بالذّهب». المعجب في تلخيص أخبارِ المغرب ٣٢٦. وعنه في: تاريخِ الإسلام ١٢/ ٦٤٩، وحضارةِ الموحِّدين ١٨٠. وكانَ الموحِّدون يحملونه في أسفارِهم مع المصحفِ الإمام. انظر: البيان المُغرب ١٥٦. ١٥٧.

(١٩٤)يعني المهديّ، ابنَ تومرت المذكور قريبًا. انظر: الاستقصا ٢/ ١٢٩. وكانَ من عادةِ الموحّدين تعظيمُ هذا المسجد، والتّبرّكُ به، والإكثارُ من التّلاوةِ فيه. انظر: مجموع رسائل موحِّديّة ٨٦، ٨٧.

(١٩٥)يشيرُ ابنُ رُشَيدٍ ههنا إلى نهايةِ نقلِه عن كتابِ الوزيرِ أبي بكرٍ بنِ طُفَيلٍ، الذي أطرفَه به حفيدُه الوزيرُ أبو زكريّاء.

(١٩٦)انتهى نقلُنا المطوّلُ عن (نفح الطّيب) عن: (المسنَد الصّحيحِ الحسن) لابن مرزوقٍ، ثمّ عن رحلةِ ابنِ رُشَيدٍ (مِلءِ العَيبة).

عنان، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ط٢، ١٩٧٣م.

- **الاستقصا لأخبار دولِ المغربِ الأقصى**: لأبي العبّاس النّاصريّ (١٣١٥هـ) تح: جعفر النّاصريّ، ومحمّد النّاصريّ، دار الكتاب، الدّار البيضاء، د.ط، ١٩٩٧م.
- **الاستيعابُ في معرفةِ الأصحاب**: لابن عبدِ البَرّ (٤٦٣هـ) تح: عادل مرشد، دار الأعلام، عمّان، ط١، ٢٠٠٢م.
- **أضواءٌ على مصحفِ عثمانَ بن عفّانَ ﷺ، ورحلته شرقًا وغربًا**: د. سحر السيّد عبد العزيز سالم، مؤسّسة شباب الجامعة، الإسكندريّة، د.ط، د.ت.
- **الإعلامُ بمَن حلّ مَرّاكُشَ وأغماتَ من الأعلام**: للسّملاليّ (١٩٥٩م) المطبعة الملكيّة، الرباط، ط٢، ١٩٩٣م.
- **أعلامُ مالَقة**: لابن عسكر (٦٣٦هـ)، وابن خميس (كان حيًّا ٦٣٨هـ)، تح: د. عبد الله المرابط الترغيّ، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ودار الأمان، الرّباط، ط١، ١٩٩٩م.
- **البيانُ المُغرب في أخبارِ الأندلس والمغرب (قسمُ الموحِّدين)**: لابن عِذاري المَرّاكُشيّ (ق ٨هـ) تح: محمّد إبراهيم الكتانيّ، وزملائه، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، دار الثّقافة، الدّار البيضاء، ط١، ١٩٨٥م.
- **تاريخُ الإسلام ووفَيَاتِ المشاهير والأعلام**: للذّهبيّ (٧٤٨هـ) تح: د.بشّار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.
- **تأريخ قضاةِ الأندلس**: للبنَّاهيّ (كان حيًّا ٧٩٣هـ)تح: لجنة إحياء التّراث العربيّ في دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٥، ١٩٨٣م.
- **تحفةُ القادم**: لابن الأبّار (٦٥٨هـ) تح: د. إحسان عبّاس، دار الغرب

الإسلاميّ، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.
- **التّكملةُ لكتابِ الصّلة**: لابنِ الأبّار (٦٥٨هـ) تح: د. بشّار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلاميّ، تونس، ط١، ٢٠١١م.
- **جِذوةُ الاقتباس في ذكر مَن حلّ من الأعلام مدينةَ فاس**: لابن القاضي (١٠٢٥هـ)، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، د.ط، ١٩٧٣م.
- **حضارةُ الموحِّدين**: محمّد المنونيّ، دار توبقال للنّشر، الدّار البيضاء، ط١، ١٩٨٩م.
- **الحللُ الموشية في ذكرِ الأخبارِ المَرّاكشيّة**: لمؤلِّفٍ أندلسيٍّ من أهلِ القرنِ الثّامنِ الهجريّ، تح: د. سهيل زكّار، وأ. عبد القادر زمامة، دار الرّشاد الحديثة، الدّار البيضاء، ط١، ١٩٧٩م.
- **خلاصةُ الأثر في أعيانِ القرنِ الحادي عشر**: للمحبّيّ (١١١١هـ) دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.
- **الدّررُ الكامنة في أعيانِ المئةِ الثامنة**: لابن حجر (٨٥٢هـ) دار الجيل، بيروت، د.ط،١٩٩٣م.
- **دولةُ الإسلام في الأندلس (العصرُ الثّالث، القسمُ الأوّل)**: لمحمّد عبد الله عنان، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ط٢، ١٩٩٠م.
- **الدّيباجُ المذهّب في معرفة أعيان علماءِ المذهب**: لابن فَرحون المالكيّ (٧٩٩هـ) تح: د. محمّد الأحمديّ أبو النّور، دار التّراث، القاهرة، د.ط، د.ت.
- **ديوانا ابن باجة، وابن طُفَيل**: جمع: د. أنس أمين، دار الكتب العلميّة، بيروت، د.ط، ٢٠٢٢م. (من الشّابكة).
- **الذيلُ والتّكملةُ لكتابَي الموصول والصّلة**: لابن عبدِ الملكِ المَرّاكُشيّ

(٧٠٣هـ) تح: د. محمّد بن شريفة، د.إحسان عبّاس، مطبوعات أكاديميّة المملكة المغربيّة، د.ط، د.ت.

- **رحلةُ ابنِ بطوطة الطّنجيّ (٧٧٩هـ) (تحفةُ النّظّار في غرائبِ الأمصار وعجائبِ الأسفار)**: تح: عبد الهادي التّازيّ، مطبوعات أكاديميّة المملكة المغربيّة، الرّباط، د.ط، ١٩٩٧م.
- **رحلةُ ابنِ جُبير (٦١٤هـ)**: دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.
- **رحلةُ العبدريّ (بعد ٧٠٠هـ)**: تح: د. عليّ إبراهيم كرديّ، دار سعد الدّين، دمشق، ط٢، ٢٠٠٥م.
- **الرّوضُ المعطار في خبرِ الأقطار**: لابن عبدِ المنعم الحميريّ (٧٢٧هـ) تح: د. إحسان عبّاس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤.
- **ريحانةُ الألبّا، وزهرةُ الحياة الدّنيا**: للخفاجيّ (١٠٦٩هـ) تح: د. عبد الفتّاح محمّد الحلو، مطبعة عيسى البابيّ الحلبيّ وشركاه، القاهرة، ط١، ١٩٦٧م.
- **ابنُ طُفَيل (قضايا ومواقف)**: مدني صالح، منشورات وزارة الثّقافة والإعلام، بغداد، د.ط، ١٩٨٠م.
- **عنوانُ الدّراية فيمَن عُرف من العلماء في المئةِ السابعة ببِجاية**: للغبرينيّ (٧١٤هـ) تح: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.
- **قرطبةُ في التّاريخِ الإسلاميّ**: د. جودة هلال، ومحمّد محمود صبح، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، د.ط، ١٩٨٦م.
- **اللّمحةُ البدريّةُ في الدّولةِ النَّصْريّة**: للسانِ الدّين بنِ الخطيب (٧٧٦هـ) تح: محبّ الدّين الخطيب، المطبعة السّلفيّة، القاهرة، د.ط، ١٣٤٧هـ.
- **مُجمَلُ اللّغة**: لابن فارس (٣٩٥هـ) تح: د. زهير عبد المحسن سلطان،

مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.

- **مجموع رسائل موحِّديّة من إنشاءِ كُتّابِ الدّولةِ المؤمنيّة**: أصدرها: لافي بروفانصال، مطبوعات معهدِ العلومِ العليا المغربيّة، الرّباط، د.ط، ١٩٤١م.
- **مستفادُ الرّحلة والاغتراب**: للتُّجيبيّ (٧٣٠هـ) تح: عبد الحفيظ منصور، الدّار العربيّة للكتاب، ليبيا، تونس، د.ط، د.ت.
- **المستملَحُ من كتابِ التّكملة**: للذّهبيّ (٧٤٨هـ) تح: د. بشّار عواد معروف، دار الغربِ الإسلاميّ، تونس، ط١، ٢٠٠٨م.
- **المسندُ الصّحيحُ الحسنُ في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**: لابن مرزوقٍ التِّلِمْسانيّ (٧٨١هـ) تح: د. ماريّا خيسوس بيغيرا، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، د.ط، ١٩٨٦م.
- **المصاحف**: لابن أبي داود (٣١٦هـ) تح: د. محبّ الدّين عبد السَّبحان واعظ، دار البشائر الإسلاميّة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢م.
- **المُعجِبُ في تلخيص أخبارِ المغرب**: للمَرّاكُشيّ (٦٤٧هـ) تح: محمّد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، د.ط، د.ت.
- **معجمُ البلدان**: لياقوت الحمَويّ (٦٢٦هـ) دار صادر، بيروت، د.ط، ١٩٧٧م.
- **المعجمُ الوسيط**: مجمع اللّغة العربيّة، القاهرة، ط٣.
- **المُغرب في حُلى المَغرب**: لابن سعيدٍ الأندلسيّ (٦٨٥هـ) تح: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٤، د.ت.
- **المَقّريّ صاحبُ (نفح الطّيب)**: لمحمّد عبد الغني حسن، الدّار القوميّة للطباعة والنّشر، القاهرة، د.ط، د.ت.
- **مِلءُ العَيبة بما جُمع بطولِ الغيبة في الوجهةِ الوجيهة إلى الحرمين: مكّة**

وطيبة ج٢: لابن رُشَيدٍ السَّبتيّ (٧٢١هـ) تح: د. محمّد الحبيب ابن الخوجة، الدّار التونسيّة للنشر، تونس، ط١، ١٩٨٢م.

- **المواعظُ والاعتبار في ذِكرِ الخِطط والآثار**: للمقريزيّ (٨٤٥هـ) تح: د. أيمن فؤاد سيّد، مؤسّسة الفرقان للتّراث الإسلاميّ، لندن، د.ط، ٢٠٠٣م.
- **النّبوغُ المغربيّ في الأدبِ العربيّ**: لعبدِ الله كَنّون، ط٢، لا بيانات نشرٍ أخرى.
- **نزهةُ المشتاق في اختراقِ الآفاق**: للإدريسيّ (ق ٦ هـ) مكتبة الثّقافة الدّينيّة، القاهرة، د.ط، ٢٠٠٢م.
- **نفحُ الطّيب من غصنِ الأندلسِ الرّطيب**: للمَقّريّ (١٠٤١هـ) تح: د. إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، د.ط، ١٩٨٨م. ومخطوطة مكتبة راغب باشا، رقم (١١٦٢)، ومصدرها الشابكةُ العالميّة.
- **الوافي بالوفَيات**: للصّفديّ (٧٦٤هـ) تح: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
- **وفاءُ الوفا في أخبارِ دارِ المصطفى** ﷺ: للسّمهوديّ (٩١١هـ) تح: قاسم السّامرّائيّ، مؤسّسة الفرقان للتّراثِ الإسلاميّ، ط١، ٢٠٠١م.
- **الوفَيات**: لابن قنفذ (٨٠٩هـ) تح: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٤، ١٩٨٣م.

* * *

المقالاتُ والآراء

عقود الجُمان في المعاني والبيان
بشرح عبد الرحمن العُمري الشهير بالمُرشديّ

أ. د. مازن المبارك(*)

هو كتاب في علوم البلاغة، ألّفه الإمام السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ.

وشرحه شرَف المدرّسين، عبد الرحمن بن عيسى العُمَري الشهير بالمرشدي، مفتي مكة، المتوفَّى سنة ١٠٣٧هـ.

قرأ متنه وقابلهُ بأصوله أ. د. عيسى علي العاكوب، عضو مجمع اللغة العربية بدمشق، وأستاذ البلاغة والنقد في جامعة حلب.

وصدر عن دار نينوى في دمشق سنة ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م في جزأين كبيرين وملحق للفهارس سمّاه «بيانات مادّة الكتاب».

بلغت صفحاته مع ملحقه (١٤٦٦) ستًّا وستين وأربعمئة وألف صفحة.

* * *

أهدى د. العاكوب الكتاب إلى أم المدائن «مكّة»، وافتتحه بما سمّاه «كلمات للبدء» بيّن فيها أسباب رغبته في إخراج الكتاب، وهي كلّها أسباب علميّة وجيهة، وتربويّة تعليميّة، وخُلُقيّة يتصف بها المخلصون من العلماء

(*) عضوُ مجمع اللغة العربية بدمشق.

والمعلِّمين. وهي قبل ذلك وبعد ذلك متّصلة بشرح وتقريب ما لا يُفهم إعجاز الأسلوب القرآني، ولا تقام الحجّة له إلّا بإدراكها واستيعابها؛ لأنَّه رأى في الكتاب مرآة لصفحات من كنوز التراث البلاغي التي استطاع الشارح أن ينقلها إلينا وأن يسخّرها لما أراد من بيان وإيضاح. وبيّن المحقق في هذه الكلمات ما يتطلّبه التحقيق من حديث عن النسخ التي قام عليها العمل، والخطوات التي سارها، والمنهج الذي اتبعه في التحقيق والتعليق والمقابلة بين النسخ.

وأتبع «الكلمات» بما عنوانه: «مجازان إلى عَتبة حقيقة الكتاب».

وكان الأول منهما بعنوان: «البيّنات وأولو النُّهى: البلاغة القرآنية والعقل العربي».

وكان كلام د. العاكوب هنا على اللغة وأسلوب التعبير بها، وعلى العقل وقدرته، وعلى الصلة بين العقل المفكر واللسان الناطق، وعلى أثر البيئة في مدى انطلاق الفكر إلى المسمَّيات وإلى المجرَّدات... وعلى غير ذلك من هيمنةِ الأسلوب القرآني وما يحتوي عليه، وما يؤدّي إليه، ومن إرادة إلهية في خَلق الإنسان وجعله مهيّئًا لإدراك لغة قرآنية جاءت في ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ [العلق: ١-٥] وما تلاها.. ولعلّ من الصعب تقطير المقطَّر، وتلخيص الأفكار الرفيعة من عقلية وروحية وإيمانية بكلمات، ولطالما رأيت شروحًا أرادت شرح الجميل فشوّهته، أو أساءت إلى بلاغته! فرأيت أن أترك التلخيص لأقول: إن من يقرأ كلام الدكتور العاكوب يدرك لماذا يشتدّ الهجوم على اللغة العربية؟! ولماذا تحارب بالاتهامات الباطلة، وبالضرائر من أجنبيّات وعاميّات، ولماذا تحرّف الأساليب، وتُخرج المصطلحات والمفردات عن

دلالاتها، ولماذا تُستبعد كل كلمة من العربيّة لها صلة بالقرآن أو قرابة بتاريخ إسلاميّ، أو كانت ذات إيحاء إيمانيّ، أو كانت باعثًا على ذكريات تنبعث في النفوس فتضيئها كالشموس!!

لن أقول عن كل ذلك في هذه العجالة شيئًا، ولكن اقرأ لتفهم ولتدرك ولتعي ولينكشف عن عينيك الغطاء، ولتدرك أثر اللغة في صنع الإنسان! و﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ [الأعلى: ١٠].

ستدرك أن الجمال البلاغيّ خُلق العقلُ قادرًا على إدراكه، إذا توافقا صفاءً ونقاء، وأنه قادر على أن يرشدك إلى التعقّل وإلى الفهم وإلى الخير وإلى الحقيقة، إنه يجعلك تدرك لماذا سمع العربي أول مرّة قوله تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤]. فصدع واستسلم وقال: إنّه كلام يُسجد له!!

وأما المجاز الثاني فكان عن الشارح والكتاب:

والشارح هو شرف المدرّسين[(١)]، عبد الرحمن بن عيسى العُمري الشهير بالمُرشديّ، مفتي مكة، وقد تحدّث عنه الدكتور العاكوب حديثًا استوفى فيه كل ما يتّصل بحياته ونسبه وعلمه وأعماله وشيوخه وآثاره وشعره وآراء العلماء وأقوالهم فيه، وأنهى ذلك بالحديث عن مقتله سنة ١٠٣٧هـ، وكان له عن الأسرة المرشدية حديث مفصّل ذكر فيه بعض من شهر من علمائها.

وأتبع ذلك بالحديث عن كتاب المرشديّ وهو شرح عقود الجُمان، فقدّم لنا في حديثه طرفًا من مراحل التأليف في تراثنا البلاغيّ، وكان على

(١) لُقّب به لأن عدد حروفه بحساب الجُمَّل يطابق تاريخ ولادته، وهي عادة عند المشارقة يحفظون بها التواريخ.

النحو الآتي:

١- عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ): ألّف «أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز» للكشف عن وجه البلاغة في النص المعجز بأسلوبه.

٢- الزمخشري (٥٣٨هـ) يريد في «الكشاف» أن يكشف الحجة القائمة في المعاني والبيان في الكتاب المعجز.

٣- السكاكي (٦٢٦هـ): قنّن البلاغة في الجزء الثالث من «مفتاح العلوم»، بعد أن كانت ذوقًا وتجليًّا جماليًا، فأراد وضع هيكل يضبطه العلم بما فيه من حدود وتعريفات وأصول وتفريعات.

٤- القزويني (٧٣٩هـ): لخّص الجزء الثالث من «مفتاح العلوم» في «الإيضاح»، ثم لخصه فكان «تلخيص الإيضاح» خير المختصرات جمعًا وتصنيفًا. وهو الذي بنى أستاذنا التنوخي كتابه في فنون البلاغة عليه.

٥- السيوطي (٩١١هـ): نظم «تلخيص القزويني» في أرجوزة في ألف بيت وأربعة أبيات وسمّاها «عقود الجُمان في المعاني والبيان».

٦- المرشدي (١٠٣٧هـ) شرح أرجوزة السيوطي شرحًا مفصلًا مطوّلًا ممزوجًا؛ والممزوج هو الذي يمزج فيه كلام الشارح بكلام المؤلّف.

ولهذا الشرح صفات مميّزة كثيرة عدّدها د. العاكوب، منها:

١- اعتماد الشارح على كتب عدد من علماء البلاغة السابقين.

٢- شرح الكثير من المفردات اللغوية والمصطلحات.

٣- مراعاة أحكام الذوق في إدراك الجمال البلاغي وإيحاءاته.

٤- يقف أحيانًا عند أوجهٍ نحوية مختلفة عازيًا أكثر الآراء إلى أصحابها.

٥ً- له شخصيته الواضحة في المواقف والآراء العلمية الكثيرة سواء أكانت للسيوطي صاحب العقود أم كانت لمن ينقل عنهم أو يستشهد بأقوالهم.

٦ً- يكاد يكون معجمًا للمصطلحات البلاغية، وحسبك أن أسماء فنون البديع بلغت عنده حدًّا قل نظيره عند غيره.

وقد أضاف المحقق ذكر أبيات الأرجوزة في بدء كل موضوع.

ويبدأ الكتاب بعد ذلك بالفنّ الأول وهو «علم المعاني». وقد سار الشرح فيه على نَسَق جُمع فيه البيت المنظوم من قول السيوطي، وتلاه الشرح الممزوج وهو شرح مزج فيه عبارة النظم بالشرح، وعلى طريقته في تفسير المفردات وتوضيح الدلالات. والتنبيه على كثير من الأمور اللغوية والنحوية والإعرابية والخلافية إذا وجدت... وكان المحقق يلاحق ذلك في حواشيه معرّفًا بالأعلام، معلِّقًا على ما يحتاج إلى تعليق أو تعقيب، بادئًا في كل فقرة جديدة ببيت الناظم أو أبياته المشروحة، ليتمّ في ذهن القارئ الرَّبط بين النظم وشرحه، مع الضبط والعزو إلى المصادر التي يذكرها الشارح.

ولا ينسى الشارح في البدء أن يقف عند (الرجز) ما دام عقود الجمان رجزًا، فيشرح معنى (الأرجوزة) في حديث صرّفي ولغوي ودلاليّ يشمل ما يذكر من إعراب مفردات ومعاني أدوات ودلالات مفردات.

وفي مقدمة الفصل كلام طويل على الفصاحة والبلاغة وما قيل فيهما... وفيه الكثير كما في الشرح كلّه ما لا يخطر ببال أحدنا أن يسأل عنه! كقوله وهو يتحدّث تحت عنوان (مقدمة): عن الفرق بين مقدّمة (العِلم) ومقدّمة (الكتاب)، وفيه مجموع لعدد من الآراء عن معنى كل من الفصاحة

والبلاغة وما قيل فيهما، في كلام يستغرق صفحات! حتى إذا وصل إلى الصفحة الثمانين وصل إلى الحديث عن (علم المعاني) فضبط حدّه وعرّف مفرداته، وبيّن الفرق بين (العلم) و(الفن) على طريقة شرح المفردات ومناقشة دلالاتها وعرض آراء العلماء في حدودها وتعريفاتها.

وتتابع صفحات الكتاب في نسق واحد يبدأ بالعنوان ثم ذكر أبيات الأرجوزة، ويتلو ذلك الشرح الذي يستوعب كل ما سألت أو نسأل أو يمكن أن تسأل عنه من صرف وإعراب ودلالة مفردة وعلاقة أجزاء في جملةٍ أو تركيب، جاء على النحو الذي وصفه محققه د. العاكوب بقوله:

«إن هذا الكتاب عُصارةُ أذهان خمسة مفكرين كبار في تاريخ التفكير البلاغي في حضارة الإسلام: عبد الرحمن المرشدي (ت١٠٣٧هـ) وعبد الرحمن السيوطي (ت٩١١هـ) ومحمد بن عبد الرحمن القزويني (ت٧٣٩هـ) ويوسف السكّاكي (ت٦٢٦هـ) وعبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)، وقد تناول الخمسةُ موضوعًا واحدًا هو: أسرار البلاغة، وأدلّة الإعجاز، وقوانين الكلام المتَّصف بالحُسن والبهجة والقَبول والسحر، في اللغة العربية، وقد أطلّ عقلُ العلّامة المُرشدي من علٍ على حَصاد عقول سابقيه العلماءِ الأعلام، وأضاف إليه ممّا عنده هو، وممّا عند غيره الشيءَ الكثير. وكل ذلك لكي يجيء عِقد الجُمان الذي صنعه الإمام السيوطي للبلاغة العربية عِقدًا تزدان به معانيها وبيانُها وبديعها في كل زمان، عِقدًا يُظهر عملَ العبقرية السّالكة لسبيل ربّها ذليلةً مُغتبطة بخدمة كتابه، وإظهار مزايا تراكيبه وتصاويره وتعابيره، وبخدمة اللغة العربية التي آلت آيات جمالِ الكتاب الإلهي أن تكون آياتِ جمالٍ لها، إذ طالما شرُف الملبوس باللّابس

وافتخر الوعاء الحاوي بما احتواه من النفائس، على طريقة قول شاعر الإسلام الكبير محمد إقبال:

أنا أعجميُّ الدنِّ، لكنْ خمرتي صُنعُ الحجاز وكرمِها الفَيْنانِ
إنْ كان لي نَغَم الهنودِ ولَحنُهم لكنَّ هذا الصوتَ من عدنان

والحمد لله ربِّ العالمين».

وإتمامًا للفائدة أضيف إلى الحاشية (١) في ص (ج ج) من المقدمة، والمتعلّقة بكتاب الشرف الوافي ما يأتي:

كتاب (الشرف الوافي في علم الفقه والعروض والتاريخ والنحو والقوافي) لإسماعيل بن أبي بكر المقرئ (٧٥٤-٨٣٧هـ) له عدّة طبعات:

الأولى في الهند، لم أرها ولا أعرف تاريخها. والثانية في مطبعة العزيزية بحلب سنة ١٢٩٤هـ. والثالثة في المطبعة المصرية بمصر سنة ١٣٠٩هـ، والرابعة في الدوحة، وهي الطبعة القطريّة الأولى سنة ١٣٩٦هـ و١٩٧٦م، والخامسة وهي طبعة قطرية، كُتِب عليها (الطبعة الرابعة)! صدرت في سنة ١٤٠٠هـ و١٩٨٠م، كما جاء في مقدمة محققها الشيخ إبراهيم عبد الله الأنصاري عن مطبعة مؤسسة دار العلوم في الدوحة. وهي أجمل الطبعات، وقد ضبط نصّها الشيخ الأنصاري وجعل كلَّ علمٍ فيها مميَّزًا بلونٍ، مما يسهّل قراءة كل علمٍ على حدة.

ويمكن القول بعد ذلك إنه اجتمع في «عقود الجمان» صورتان، إحداهما الصورة التراثية للمؤلفات في الشروح الممزوجة التي يتعاقب فيها الكلام، ويمتزج كلام المؤلف بكلام الشارح، ويمتلئ كلام الشارح بكلام من يستشهد بآرائهم وأقوالهم من العلماء، في عرض وردّ ونقد ومناقشة.

وفي زحمة من علوم مختلفة من لغة وصرف ونحو ومنطق...

والثانية هي الصورة الحديثة التي تتجلّى في عمل المحقق ضبطًا للنص وإعجامًا وشكلًا للمشكل من مفرداته، والتعليق أو التعقيب على ما يحتاج من النصّ إليه، وعزو ما فيه من نقول أو وشواهد إلى مصادرها في المكتبة العربية، وتخريج للأقوال وصحّة نسبتها إلى أصحابها. والدلالة على مواضع الآيات القرآنية من سورها، والأحاديث النبويّة من مصادرها... وبذلك تبقى الصلة بين قديم التراث والإخراج الحديث لكنوزه.

إن الكتاب مكتبة في التثقيف البلاغي نشأةً وتعليلًا وتاريخًا ومراحل، وإلقاءً للضوء على أبرز علماء البلاغة وكتبهم ومناهجهم من ذوقية جمالية وتقعيديّة تصنيفيّة، وجمعًا لمعظم ما جاء فيها من أصول وفروع أو علوم وفنون ومصطلحات وشواهد وأمثلة. وفي تحقيقه والعمل على إخراجه وتحشيته والتعليق على ما فيه... تبدو جهود الدكتور العاكوب ودقته في متابعة المؤلف والشارح، ومراعاته متطلَّبات القارئ للأخذ بيده إلى تيسير فهم ما جاء في النصّ وشرحه.

كما تظهر في مقدمة الكتاب والتمهيد بمجازيه إلى حقيقته خصائص أسلوب الدكتور العاكوب المتميز بمفرداته وتعبيراته وإيحاءاته واستلهاماته، وبكل ما يتّصل بحياة الإنسان الروحيّة أو الروحانية وما تطلقه من تجليّات تنتظم العلم والفن والجمال والخَلْق في وحدة متناسقة يشدّ بعضها أزر بعض لتقف أمام القارئ فكرةً وحجَّةً وحقيقة وواقعًا... وذلك بعض ما تميّز به الأسلوب العاكوبي في آثاره تأليفًا وترجمة وتحقيقًا.

وهل لنا أن نقول اليوم: إن متابعة السلسلة البلاغية واللغوية، بل سلسلة

الكشف عن الإعجاز اللغوي في الكتاب العربي المعجز، وهو الأمر الذي وقف عنده الجرجاني في كتابيه «أسرار البلاغة» و«دلائل الإعجاز»، وتابعه أئمة من أولي النُّهى، يشرحون ويوضّحون، لم يَخلُ منهم عصر، كلٌّ على قدر طاقته، وإنه كان ممن ساهم في هذا البيان اليوم الدكتور العاكوب الذي جرّد قلمه ليزيد الأمر وضوحًا في الرّبط بين العقل الذي خُلق أصلًا للعقل والرَّبط حتّى سُمّي عقلًا، وبين الكلام الموحَى به للإبلاغ والدعوة ليكونا جميعًا وسيلة إلى إدراك بعض الحجّة البالغة وراء الكلام المعجز الذي ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨]، ولو حاولوا الإتيان بمثله جيلًا بعد جيل ونظروا ونظّروا لعاد نظرهم منكفئًا حسيرًا، وكان تنظيرهم عن الإدراك قصيرًا ومقصورًا، ولآمنوا بأن القرآن من عند الله ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

ألم يأنِ للبشر اليوم أن يدركوا أن العقل مخلوق؟ وأن الخالق سبحانه وتعالى هو القادر المالك لما خلق، وأنه أراد الهداية للبشر فدلّهم على طريقها، وأن الوحي فوق العقل، وأن العقل طريق إلى إدراكه وفهمه وتدبّره؟ أفلا يعقلون؟ أليس في هذا السؤال المكرَّر في القرآن إشارة واضحة إلى أن العقل السليم إذا استخدم بسلامة نيّة وصدق طويّة يوصل صاحبه إلى الهدى؟!

لقد كان كلام الدكتور العاكوب في هذا الموضوع ما إن يُقرأ بالنظر أو بالبصر حتى يلوح منه ما يُدرك بالبصيرة، ولكنْ ببصيرة نفس نقيّةٍ تقرأ وتسمع باحثة عن الحق والحقيقة لتعلم وتؤمن، لا نفس معاند يقرأ أو يسمع

ليعاجز! ألم يقل ربّنا جلّ جلاله: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩]؛ إنه علمٌ خُلق وخُلق له أهله، ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ [الليل: ١٢]. ولكنه هدى لمن يطلبه ويبحث عنه، ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]. وأما المعاجزون فقد قال سبحانه فيهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ [سبأ: ٣٨]. وقد عرفنا في تاريخنا هؤلاء وأولئك من الوفود التي كانت تلقى رسول الله ﷺ، وتسمع منه بعض ما أوحي إليه، ثم تنصرف بين مؤمن مصدِّق، ومعاند مكابر.

وبعدُ، فعقود الجمان كتاب جدير بأن يقرأه المختصّون بالبلاغة وتاريخها وتعليمها، وبأن تحرص عليه مكتبات المعاهد والكلّيات وأقسام اللغة العربيّة، وهي الأقسام التي عرف أكثرها كتاب المحقق الدكتور عيسى العاكوب «المفصَّل في علوم البلاغة».

رحم الله العلماء الأعلام وأثاب خير الثواب الدكتور العاكوب الذي ذكّرنا بهم وأحياهم بعلمهم، وذكّرنا بالمحقّقين الأثبات وبمن عرفنا منهم، ولن ننسى فضلهم كالأساتذة الشيخ محمد أحمد شاكر، ومحمود محمد شاكر، ومحمد علي النجار، ومحمود الطناحي، ومحمد أحمد الدالي وأمثالهم... وأين اليوم من يملك لغتهم ويحقق تحقيقهم ويفري فريَهم؟!

* * *

أيهما أفضل السمع أو البصر[1]

أ. د. مكي الحسني[*]

اختلف ابن قتيبة وابن الأنباري في السمع والبصر أيهما أفضل؟

ففضل ابن قتيبة السمع ووافقه طائفة واحتج بقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

(١) جاءت صيغة عنوان هذا المقال كما في «بدائع الفوائد» لابن قيّم الجوزية (ت٧٥١هـ) الذي نشرته (دار الحديث) بتحقيق (سيّد عِمران وعامر صلاح). ومن المعلوم أن الأفصح استعمالُ (أيّ) الاستفهامية بلفظٍ واحد للمذكر والمؤنث كما وردت في القرآن الكريم، وقد تُطابق تذكيرًا وتأنيثًا. قال الكُميت:

بأيِّ كتابٍ أم بأيَّة سُنّةٍ ترى حُبَّهم عارًا عليّ وتحسَبُ؟

إنّ (أيّ) الاستفهامية هي لِطلب **تعيين أحد الشيئين** أو الأشياء. قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ [الكهف: ١٢]. وقال: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٦٩]. أمّا الهمزة فَلَها عدة استعمالات، منها طلب التعيين. قال تعالى: ﴿أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٩].

وأما الأداة (هل) فهي - بتعبير النحاة - لِطَلَب التصديق، أي العلاقة بين جزأي الجملة (رُكنَيْها: المُسند والمسند إليه).

لعلّ ما قُلتُه آنفًا قد فات محققَيْ كتاب ابن القيِّم، وربما كان الخطأ من الناشر، فصواب عنوان المقال: **أيُّهما أفضل السّمْع أم البصر؟**

﴿تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يونس: ٤٢-٤٣]، قال: فلما قرن بذهاب السّمع ذهابَ العقل، ولم يقرن بذهاب النظر إلا ذهاب البصر كان دليلًا على أن السمع أفضل.

قال ابن الأنباري: هذا غلط، وكيف يكون السمع أفضل وبالبصر يكون الإقبال والإدبار، والقرب إلى النجاة والبعد من الهلاك، وبه جمال الوجه وبذهابه شَيْنُه، وفي الحديث[٢] **(من ذهبت كريمتاه فصبر واحتسب لم أَرْضَ له ثوابًا دون الجنة)**، وأجاب عما ذكره ابن قتيبة بأن الذي نفاه الله تعالى مع السمع بمنزلة الذي نفاه عن البصر، إذ كأنه أراد إبصار القلوب، ولم يرد إبصار العيون، والذي يبصره القلب هو **الذي يعقله**، لأنها نزلت في قوم من اليهود كانوا يستمعون كلام النبي ﷺ فيقفون على صحته ثم يكذبونه فأنزل الله فيهم: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾، أي: المُعرضين ولو كانوا **لا يعقلون** ومنهم من ينظر إليك بعين نَقصٍ **أفأنت تهدي العمي**، أي: المُعرضين ولو كانوا **لا يبصرون**، قال: ولا حجة في تقديم السمع على البصر هنا، فقد أخبر في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ [هود: ٢٤]، قلت: واحتج **مفضلو السمع** بأن به ينال غاية السعادة مَن سمع كلام الله وسماع كلام رسوله، قالوا: وبه حصلت العلوم النافعة. قالوا: وبه يُدرك الحاضر والغائب، والمحسوس والمعقول، فلا نسبة لمُدرك البصر إلى مُدرك السمع، قالوا: ولهذا يكون فاقدُه أقلَّ علمًا من فاقد البصر، بل قد يكون **فاقد البصر** أحد العلماء الكبار بخلاف، **فاقد صفة السمع** فإنه لم يعهد من هذا الجنس عالم البتة. قال **مفضلو البصر**، أفضل النعيم النظر إلى الرب تعالى

(٢) وهو صحيح، أخرجه الترمذي في كتاب «الزهد» باب: «ما جاء في ذهاب البصر».

وهو يكون بالبصر والذي يراه البصر لا يقبل الغلط بخلاف، ما يُسمع فإنه يقع فيه الغلط والكذب والوهم فمدرَك البصر أتم وأكمل، قالوا: وأيضًا فمحلّه أحسن وأكمل وأعظم عجائبَ من محل السمع وذلك لشرفه وفضله.

قال شيخنا: والتحقيق أن السمع له مزية والبصر له مزية، فمزية السمع العموم والشمول، ومزية البصر كمال الإدراك وتمامه، فالسمع أعمّ وأشمل، والبصر أتمّ وأكمل، فهذا أفضل من جهة شمول إدراكه وعمومه، وهذا أفضل من جهة كمال إدراكه وتمامه[٣].

* * *

(٣) هذا المقال منقول من كتاب «بدائع الفوائد» لابن قيّم الجوزيّة، ما عدا التعريف بابن قتيبة وابن الأنباري.

ابن قتيبة: أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢١٣-٢٧٦هـ) أديب لغوي فقيه محدث مؤرخ عاش في زمن الدولة العباسية له العديد من المصنفات أشهرها: عيون الأخبار، أدب الكاتب، غريب القرآن، غريب الحديث.

ابن الأنباري: أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد الأنباري (٢٧١-٣٢٨هـ) مقرئ نحوي، له العديد من المصنفات أشهرها: كتاب الأضداد، الزاهر في معاني كلمات الناس، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات.

الكشكول اللغوي (٧)

المِزراب والمِرزاب والمِيزاب والمِئْزاب والمَسْرَبُ والمَثْعَب

أ. د. رفعت هزيم(*)

«المِزرابُ» لفظٌ شائع في بلاد الشام اليوم في لغة الخاصّة والعامّة، وهو «أُنبوبة من الحديد ونحوه تُركّبُ في سطح البيت لينصرف منها ماءُ المطر، وجمعه المزاريب»(١)، ولكن اللغويين المتقدمين ذكروا لهذه الدلالة أو نحوها ثلاثة ألفاظ أخرى ولذا اضطروا إلى ذكر تلك الألفاظ التي اختلفوا في عربيّتها أو عجمتها وإلى تكرار القول في بيان اشتقاقها والصلة بينها في أربعة مواضع من معاجمهم، فأورد «القاموس المحيط» و«لسان العرب» و«تاج العروس» ألفاظ «المئزاب» في «أزب» و«المزراب» في «زرب» و«المرزاب» في «رزب» و«الميزاب» في «وزب»(٢). وهذا ما ذكره ابن منظور في المواضع الأربعة: «أَزَبَ الماءُ: جرى، والمِئزابُ: المِرزاب، وهو المَثْعبُ الذي يَبولُ الماءَ، وهو مِن ذلك. وقيل: بل هو فارسيٌّ معرّب معناهُ بالفارسيّة: بُلِ الماءَ، وربما لمْ يُهمز،

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

(١) التكملة لـ دوزي ٥/ ٢٩٩ والمعجم الوسيط.

(٢) وتابعهم في ذلك المحْدّثون، انظر: محيط المحيط.

والجمع المآزيب. ومنهُ مِئزابُ الكعبة، وهو مَصَبُّ ماء المطر. والمِرزابُ لغةٌ في المِيزاب وليست بالفصيحة، وأنكرهُ أبو عبيد. والزَّرْبُ: مسيلُ الماء، وزَرِبَ الماءُ وسَرِبَ: إذا سال، ابن الأعرابي: المِزرابُ لغةٌ في المِيزاب، ابن السكيت: المِئزابُ وجمعهُ مآزيب ولا يُقال: المِرزاب، وكذلك الفرّاءُ وأبو حاتم. التهذيب: وزبَ الشيءُ يَزِبُ وزوباً: إذا سال، الجوهري: الميزابُ: المَثْعب، فارسي معرّب وجمعه ميازيب، قال: وقد عُرِّبَ بالهمز، وربما لمْ يُهمز»[٣].

ولعلّ فرنكل **Siegmund Fraenkel** كان أسبق المُحْدثين إلى البحث عن أصل هذه الألفاظ وبيان الصلة بينها في كتابه «الألفاظ الآراميّة الدخيلة في العربية» الذي نشره بالألمانية في لايدن عام ١٨٨٦، فذكر أن «مِرْزاب» و«ميزاب» – ومعهما «إرْدَبّ» و«إرْدَبّة» بمعنى «قناة الماء» – دخلت العربية من الآرامية بوساطة السريانية، وأن «ميزاب» عامية وليست فارسية، بل أخذتها الفارسية من العربية وصاغتها صياغة فارسية فصارت فيها «آب مِيز»، ثم عادت من الفارسية إلى العربية بصيغتها الجديدة «ميزاب» لأن اللغويين العرب غفلوا عن أصلها العربي، والدليل على ذلك – عنده – أن الجوهري – وهو فارسيّ – يقول إن «المِرْزاب لغةٌ في الميزاب وليست بالفصيحة»، ويرى فرنكل أن «إرْدَبّة» في العربيّة أصلها **'rzft'** – بالزاي والفاء– التي تحولت إلى **'mrzft'** في الآرامية ثم **marzībâ** في السريانية ثم «مِرزاب» – بتقديم الراء– في العربية فنشأت عنها – بالقلب المكاني – «مِزراب» التي اشتقوا منها الفعل «زربَ» الذي لا صلة بينه وبين الفعل **zrab** «سَدَّ، حصرَ» في السريانية[٤] ثم يذكر بروكلمان أن «مرزاب»

(٣) اللسان.

(٤) Fraenkel 24-25.

– بتقديم الراء– في العربية من الآرامية اليهودية بوساطة **marzībâ** «قناة» في السريانية دون إشارة إلى لفظي «مزراب»– بتقديم الزاي– و«ميزاب»[٥].

وإذا كان معجم الفارسية اليوم يخلو من «آب ميز» فإن فيه أمثلةً كثيرة من المركّب المزجي الذي يحوي كلمة «آب= ماء» نحو: «آب زَر = ماء الذهب» و«آب كل= ماء الورد» و«آب رَز= ماء العنب أيْ النبيذ أو الخمر»، وفيه كذلك «ميزاب» و«مِرزاب» – بتقديم الراء– التي يصفها بأنها عامّيّة[٦] وكان ادي شير اطلع على ما ذكره فرنكل وما نقله سعيد الشرتوني عن المتقدمين في معجمه «أقرب الموارد» المنشور عام ١٨٨٩، وعلّق قائلاً: «المئزاب مركّبٌ من مِيز أي بول ومن آب أيْ ماء، وسبب التسمية ظاهر»[٧].

ولكن فحص هذا كله ينتهي إلى استبعاد واحدٍ من هذه الألفاظ وهو «مِرْزاب» – والراء فيه مقدّمة على الزاي– لأنه ناشئ عن الداء الذي ابتلي به الخطّ العربيّ وهو «التصحيف والتحريف» مما أدّى إلى اختلاف المتقدمين في قراءة الكلمات في النصوص التي ينقلون منها، ويسعى المختصون بتحقيق كتب التراث اليوم إلى البيان والتصحيح فينجحون غالباً ويخفقون أحياناً. ويرجّح هذا الاستبعادَ إنكارُ اللغويين المتقدمين فصاحته كقول الجواليقي نقلاً عن سابقيه: «ولا يقال مِرزاب»[٨]، ووصفُ الشهاب الخفاجي له بأنه غلط[٩]، فإن قيل إن ابن منظور ينقل عن ابن السكّيت أنه «لا يُقالُ: المِزراب – بتقديم

(٥) Brockelmann 723a.

(٦) المعجم الذهبي.

(٧) معجم الألفاظ الفارسيّة المُعرَّبة ١٤٩.

(٨) المعرّب ٥٩٨.

(٩) شفاء الغليل ٢٧٦.

الزاي- وكذلك الفراء وأبو حاتم»[١٠] فالردّ أنّ هذا تصحيف ؛ والدليل على ذلك أنه ورد بصيغة «مِرزاب» – بتقديم الراء- في «اللسان» نفسه في الجذر رزب، كما ورد دون تصحيف في المعاجم الأخرى كـ «الصحاح» و«التاج»[١١]. أضف إلى ذلك أن المتقدمين لم يذكروا - فيما أعلم - شاهداً واحداً لاستعمال «مرزاب» - بتقديم الراء - بهذه الدلالة المزعومة في الشعر أو النثر فيكون دليلاً على صلته بـ **marzībâ** في السريانية ونظيراً لـ «مِزْراب» في العربية، في حين وردت شواهد لاستعماله بصيغتي المفرد والجمع بدلالته الحقيقية وهي «السفينة الطويلة أو العظيمة»، كما في قول جرير:

يَنْهسنَ في كل مَخْشِيّ الرَّدى قَذَفٍ كما تَقاذف في اليَمِّ المرازيبُ[١٢]

وقوله في مدح الحجّاج:

سَلكتَ لأهلِ البَرِّ بَرّاً فَنِلتَهُمْ وفي اليَمِّ يأتمُّ السفينُ الجوافلُ

ترى كلَّ مرزابٍ يُضمَّنُ بَهوُها ثمانين ألفاً زايلتها المنازلُ

أما «المزراب» - بتقديم الزاي- الشائع اليوم فقد كان مستعملاً في القديم، وممن ذكره الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) في فصلٍ من أحد كُتبه عنوانه «في تفصيل أسماء الحُفَر» نقلاً عن ثعلب عن ابن الأعرابي، قال: «إذا كانت الحُفرة في الأرض فهي الهُوّة،... فإذا حفرها ماءُ المِزراب فهي ثُجارة بالثاء والجيم»[١٣]، وقد بينوا اشتقاقه، فهو من: زَرِبَ الماءُ وسَرِبَ: إذا سال، والزِّرْبُ: مسيلُ الماء. وهذا يعني أن الفعلين منفصلان في العربية، أحدهما: زرَب ووزنه «فعَلَ»- بفتح

(١٠) اللسان زرب.

(١١) الصحاح، والتاج رزب + زرب، وأصابه التصحيف في : ديوان الأدب ١/ ٣٠٨.

(١٢) اللسان وتاج العروس رزب.

(١٣) فقه اللغة ٩٨.

العين- كقولهم: زربتُ الغنم - وهو نظير الفعل السريانيّ **zrab** «سدَّ، حصَرَ»- ومنه «الزَّريبة» للحيوانات، والآخر: زرِبَ ووزنه «فعِلَ»- بكسر العين- ولا صلة له بما ذكره فرنكل البتة، والصحيح أن نظيره في السريانية – كما يقول بروكلمان- فعلٌ آخر هو **zraf** – بالفاء- «رشَّ الماءَ» ومنه الاسم **zâriftâ** «مطرٌ غزير» الذي يرد بصيغة **zâribtâ** – بالباء- أيضاً![١٤].

وقد قرن اللغويون الفعل «زرِبَ» بالفعل «سربَ» - بفتح الراء وكسرها - الذي يقال فيه: «سرِبَ الماءُ يَسرَبُ سَرَباً فهو سرِبٌ، و: سرَبَ يسرُبُ سُروباً إذا سال وجرى ، و: انسربَ، و: أسْرَبَهُ هو، و: سَرَّبَهُ، قال ذو الرمة:

ما بالُ عينِكَ منها الماءُ ينْسكبُ كأنّه مِن كُلىً مَفْريّةٍ سَرَبُ

... والسَرَبُ: القناةُ الجوفاء التي يدخلُ منها الماءُ الحائطَ»[١٥]، وكذلك «المَسْرَبُ» الذي يشبه «المِزراب»، وقد ورد بصيغة الجمع «المَسارب» في روايةٍ ذكرها النويري في «نهاية الأرب في فنون الأدب» والسيوطي في «حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة»؛ وفحواها أنّ أحد ملوك مصر قبل زمان الطوفان علِمَ بوقوعه «فأمرَ ببناء الأهرام وبأن يُعملَ لها مساربُ يَدخلُ منها النيلُ إلى مكانٍ بعينه ثم يفيضُ إلى مواضع من أرض الغرب وأرض الصعيد»، فإما أن يكون هذا – وهو الأرجح- من باب «الإبدال» بين السين والزاي أيْ أن «سرِبَ» تحوّل إلى «زرِبَ»، وله أمثلة كثيرة في العربية، نحو: غرسَ الوردَ وغرزهُ، و: بخسَ العينَ وبخزها، و: سرطَ الطعامَ وزرطهُ، وإما أن يكون من اختلاف اللهجات، ولكن الاتفاق بينهما في المبنى والمعنى واضح. وليس الجذر «سرب» خاصاً بالعربية، فقد ورد منه في

(١٤) Brockelmann 207b+205b.

(١٥) اللسان.

الجعزية - وهي أقدم اللغات الساميّة في الحبشة- الفعل **saraba** «فاضَ» والاسم بصيغة الجمع **srâb'** «مَسارب الفيضان»(١٦).

وهكذا يتضح أصل لفظي «المِزْراب» و«الميزاب»، فأولهما- خلافاً لفرنكل وبرصوم ونخلة (١٧) - عربيّ أصيل، والتشابه بينه وبين «المَسْرَب» في اللفظ والدلالة بيّنٌ، ولا صلة له بالآراميّة والسريانيّة، والآخر - وهو «الميزاب» أو «المئزاب» - فارسيّ صاغتهُ العربيّة وانتقل منها إلى الفارسيّة وشاع استعماله عند الحديث عن مكة المكرمة لأنه في البيت الحرام، وقد حاول القرامطة اقتلاعه سنة ٣١٧هـ، وهذا يفسّر قول الجواليقي نقلاً عن سابقيه: «وقد استعمله أهل الحجاز، وأهل المدينة وأهل مكة يقولون: صلّى تحت الميزاب»(١٨).

ولعل البحث اللغوي الحديث سيُثبت أن اللفظين لم يكونا مستعملين في بيئةٍ واحدة، فقد كان «الميزاب» - وهو فارسيّ- في الجزيرة العربية والعراق، وكان «المزراب» – وهو عربيّ- في بلاد الشام، ولذا اختار الأوّلَ اثنان من أعلام الشعر والغناء في عهد هارون الرشيد، فقال أبو العتاهية:

أنتَ مثلُ الذي يَفرُّ من القَطْـ ـرِ حَذارَ النَّدى إلى الميزابِ

وقال إسحاق الموصلي:

فكنتَ كَمَنْ خافَ النَّدى أنْ يَبُلّهُ فَعاذَ من الميزابِ والقَطْرِ بالبَحْرِ(١٩)

وإذا كان اللغويون لم يُصرّحوا بأنّ «المَسْرب» قد استُعمل للدلالة على ميزاب البيت الحرام فإنهم فعلوا ذلك بلفظ «المثعب»، «قال الأزهري:

---

(١٦) Leslau 511.

(١٧) برصوم ١٦٤ ونخلة ١٨٣.

(١٨) المعرّب ٥٩٨.

(١٩) الأمالي ١/ ٢١٦.

الحِجْرُ حَطيمُ مكة كأنّه حُجْرةٌ مما يلي المَثعب من البيت»[٢٠].

وأيّاً كانت نتيجة البحث فإن المرء لا يحتاج إلى ذكر أمثلةٍ للألفاظ الدخيلة في العربية قديماً وحديثاً التي أخذتها من شتى اللغات بالرغم من وجود نظائر لها في الفصحى، وقد جمع السيوطي ما ذكره سابقوه من هذا الضرب في بابٍ من كتابه «المُزهر» بعنوان «فصلٌ في المُعرّب الذي له اسمٌ في لغة العرب»، ونقل فيه عن **صاحب الصحاح قوله**: «والميزاب يُسمّى المثعب»[٢١]!

* * *

المصادر والمراجع

بالعربية:

- الألفاظ السريانية في المعاجم العربية: مار أغناطيوس أفرام الأول برصوم، دمشق ١٩٥١
- الأمالي: أبو علي القالي، جزآن، بيروت د.ت
- تاج العروس من جواهر القاموس: مرتضى الزبيدي، طبعة الكويت ١٩٦٥-٢٠٠١
- تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت ١٩٧٩
- تكملة المعاجم العربية: رينهارت دوزي، ج٥ ترجمة محمد سليم النعيمي، بغداد ١٩٨٢

(٢٠) اللسان.

(٢١) المزهر ١/ ٢٨٣.

- ديوان الأدب، أبو إبراهيم الفارابي، تحقيق أحمد مختار عمر وإبراهيم أنيس، مجمع اللغة العربية، القاهرة ١٩٧٧
- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل: الشهاب الخفاجي، تحقيق محمد كشاش، بيروت ١٩٩٨
- غرائب اللغة العربية: رفائيل نخلة، بيروت ط٣ ١٩٨٤.
- فقه اللغة وسر العربية: الثعالبي، بيروت ط١ ١٩٩٧
- القاموس المحيط: الفيروزابادي، ٤ أجزاء، بيروت د.ت
- لسان العرب: ابن منظور، بيروت د.ت
- محيط المحيط: بطرس البستاني، بيروت ١٨٧٠
- المزهر في علوم اللغة، السيوطي، تحقيق جاد المولى والبجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة د.ت
- معجم الألفاظ الفارسيّة المُعرَّبة: السيّد أدّي شير، بيروت ط١، ١٩٠٨، ط٢ ١٩٨٠
- المعجم الذهبي: محمد التونجي، دمشق ١٩٩٣
- المعجم الوسيط: ط٢ القاهرة ١٩٧٢.
- المعرّب من الكلام الأعجميّ: الجواليقي، تحقيق ف.عبد الرحيم، دمشق ١٩٩٠

باللغات الأجنبية:

-Brockelmann,k.: Lexicon Syriacum.1928, Neud.Hildesheim 1966

−Fraenkel , S.: Die aramäischen Fremdwörter im Arabischen. Leiden1886 , Neud. 1982

- Leslau , W.: Comparative Dictionary of Gecez. Wiesbaden 1987

التعريفُ والنقد

نظرات في معجم لسان العرب

(القسم السابع)(**)

د. محمد يحيى زين الدين(*)

(أدم) (ق١٤/ ٢٧٤):

أَلا ظَعَنَـــتْ لِطِيَّتِهـــا إِدامُ وكـلُّ وِصـالِ غانِيـةٍ زِمـامُ

وفي الحاشية: «قوله: زمام، كذا في الأصل وشرح القاموس بالزاي ولعله بالراء»(١).

والصواب: بالراء، كما نبّه عليه مصحّح اللسان. أي: متقطّع. وظعنت: سارت. وطِيَّتها: المنزل الذي أرادته. وإِدامُ: اسم امرأة. والبيت لبشر بن أبي خازم الأسدي. شرح اختيارات المفضل ٣/ ١٣٩٤ وكتاب الاختيارين ٦٠٩ وديوانه ٢٠٢.

(أدم) (ق١٤/ ٢٧٦)، وقول ذي الرمة:

(*) باحث في اللغة العربية.

ورد إلى المجمع بتاريخ: ١٠/ ١/ ٢٠٢٤م.

(**) نشرت الأقسام الخمسة الأولى من هذا المقال في مجلة المجمع. مج ٧١ ص٨٢٨-٨٦٢، مج ٧٣ ص٥٣-٨٨، مج ٧٣ ص٣٦٣-٣٩٠، مج ٧٤ ص٣٧١-٤٠٨، مج ٧٧ ص٣١١-٣٤٦، مج ٩٧ ص٦٥-١٠٢، وهي تتضمن ما وقع في مطبوعتي بولاق (ق) وبيروت من تحريف أو تصحيف، وفي بعض المطبوعات الأخرى التي أوردت الشاهد.

(١) ومثله أيضًا ما جاء في المحكم ١٠/ ٩٦، وحاشية التاج (أدم، ٣١/ ١٩١).

والجِيدُ من أُدْمانَةٍ عَتُودُ

صوابه: عَنُودِ، بالنون[٢]. وهو من أبيات مخفوضة الرويّ. العنود: التي تعدل عن الظباء لمكان ولدها، والأدمانة: ظبية ليست بخالصة البياض. ديوان ذي الرمة ١/ ٣٥٩ وفيه: والكَشْحِ.

(أدم) (ق١٤/ ٢٧٨)، قال ذو الرمة[٣]:

كأَنَّهُنَّ ذُرى هَدْيٍ محوبة عنها الجِلالُ إذا ابْيَضَّ الأَياديمُ

صوابه: مُجَوَّبَة؛ بالجيم؛ أي: مشقوقة. كأنهن: يعني القِنان، جمع قُنّة. وهي الصغار من الجبال. والإيدامة: أرض مستوية صلبة ليست بالغليظة. وابيض الأياديم: أي: ابيضت من السراب، وذلك إذا قرب نصف النهار. شَبَّهَ هذه القنان بأسنمة إبل تُهدى إلى البيت، شُقّت عنها أَجِلَّتها فبدت أسنمتُها. ديوان ذي الرمة ١/ ٤١٤.

(أطم) (ق١٤/ ٢٨٤)، قال الأَعشى:

فإِمَّا أَتَتْ آطامَ جَوٍّ وأَهلَهُ أُنِيخَت فأَلقَتْ رَحْلَها بِفِنائكا

والصواب: فلمّا. آطامَ: جمع أُطُم. وهو حصن مبني بحجارة، وقيل: هو كل بيت مربع مُسَطَّح. وجو: هي اليمامة. المحكم ٩/ ١٧٢ وديوانه: ٩١ وفيه: وألقت.

(برم) (ق١٤/ ٣١٠)، قال الكَروّس بن حصن[٤]:

وقائلةٍ نِعْمَ الفَتى أَنتَ مِن فَتىً إذا المُرضِعُ العَرْجاءُ جالَ بَريمُها

(٢) ومثله أيضًا ما جاء في المحكم ١٠/ ٩٨، والتاج (أدم، ٣١/ ١٩٥).

(٣) ومثله أيضًا ما ورد في تهذيب اللغة ١٤/ ٢١٣، وفي هامش مطبوعة بولاق: «بمجوبة». تحريف.

(٤) في الحاشية: قوله: « قال الكروس بن حصن » هكذا في الأصل وفي شرح القاموس: الكروس بن زيد، وقد استدرك الشارح هذا الاسم على المجد في مادة (كرس).

وفي رواية: مُحَضَّرةٌ لا يُجْعَل السِّتْرُ دُونها. قال ابن بري: وهذا البيت على هذه الرواية ذكره أَبو تَمّام للفرزدق في باب المديح من الحماسة. اهـ.

قوله «العرجاء» تحريف، صوابه: العوجاء[٥]. أي: اعوجّت خلقتها فجال عليها وشاحها، لانحسار اللحم عنها، وتأثير الهزال فيها. ومُحَضَّرة: لا يُمنع منها أحد، ولا تُقنَّع بما يستُرها عن العيون إذا أمحل الزمان، واشتد القحط. والبريم: خيط يُفتل من صوف أبيض وأسود، يُشدّ في أَحقِي الصِّبيان لتُدفعَ العينُ به عنها. الصحاح (برم) (دون نسبة) والمحكم ١١/ ٢٤٠ (دون نسبة) وشرح الحماسة (المرزوقي) ٣/ ١٧٠٤ (للفرزدق)[٦].

(بطم) (ق١٤/ ٣١٧)، قال عديّ بن الرِّقاع:

وعُونٍ يُباكِرْنَ البُطَيْمَةَ مَوْقِعًا حَزأنَ فما يَشْرَبْنَ إلّا النَّقائِعا

والصواب: جَزأن، أي: اجتزأن برعي الرطب عن الماء. والبُطَيمة: بقعة معروفة. وعون: جمع عانة. وهي حمير الوحش. والنقائع: جمع نَقيعة. وهو المكان يمُسك الماءَ ويستنقع فيه. تهذيب إصلاح المنطق ٢٦٥ وفيه: النَّظِيمة مربعا، وديوان عدي بن الرقاع ٢٥٧[٧] وفيه: «النظيمة/ مربعا.. فلا»، والبيت في معجم ما استعجم ٤/ ١٣١٤ لعدي بن زيد وفيه: النَظِيمة. والأرجح أن البيت لعدي بن زيد. ديوانه ١٤٤[٨].

(بقم) (ق١٤/ ٣١٩): قال جرير:

أَعْطوا البَعِيثَ جَفَّةً ومِنْسَجا

---

(٥) ومثله أيضًا ما جاء في تهذيب اللغة ١٥/ ٢٢٠.

(٦) للفرزدق عدة كلمات على هذا الرويّ، ليس البيت الشاهد في أيٍّ منها. ديوان الفرزدق ٢/ ٨٠٣، ٨٠٨، ٨١٤، ٨٢٠.

(٧) ليس في ديوان عدي بن الرقاع على هذا الرويّ غير هذا البيت.

(٨) لعدي بن زيد أبيات كثيرة على هذا الرويّ. ديوانه ١٣٩-١٤٦.

والصواب: حَفَّة. وهي الخشبة التي يَلُفُّ عليها الحائك الثوب. ديوان جرير ١/ ١٨٨.

(بلسم) (ق١٤/ ٣٢٢)، قال العجاج يصف شاعرًا أفحَمَه:

فلم يَزَلْ بالقَوْم والتَّهَكُّمِ

وإنما الصواب: بالقول. التَّهَكُّم: أن يُلقيَ الرجل نفسه على آخر يهزأ به ويستجهله. تهذيب اللغة ١٣/ ١٥٨ وديوان العجاج ١/ ٤٧٥.

(بهم) (ق١٤/ ٣٢٣)، وعليه قول سلمى بن ربيعة الضبّي[٩]:

أَهلَك طَسْمًا وبَعْدَهم غَذِيَّ بَهْمٍ وذا جَدَنِ

والرواية: وذا جُدُونِ، وقبله:

من لَذَّة العَيْشِ والفَتَى للدهر والدَّهْرُ ذُو فُنُونِ

اللسان (غذا) وتهذيب اللغة ٨/ ١٧٥، ٩/ ٦١، ولسلمى في شرح الحماسة (المرزوقي) ٤/ ١١٣٧ على هذا الرويّ ستة أبيات، ليس فيها الشاهد. غَذيَّ بهم: أحد أملاك حِمير، وسمي بذلك لأنه كان يغذّى بلحوم البَهم. ذو جدن: من ملوك حمير. ويروى: غُذَيَّ بَهْمٍ بالتصغير (اللسان: غذا).

(تأم) (ق١٤/ ٣٢٨)، قال أبو دواد[١٠]:

نَخَلاتٌ من نَخْل نَيْسانَ أَيْنَعَ نَ جميعًا ونَبْتُهُنَّ تُؤامُ

صوابه: بيسان، بالباء الموحدة. وهو اسم موضع في اليمامة كثير

(٩) ويقال: سلم، وسليمان بن ربيعة. المصادر السابقة وخزانة الأدب: ٦/ ١٥٥، ٧/ ٥٥٥، ٨/ ٣٦، ٤٩. وفي سمط اللآلي ١/ ٢٦٧: « هكذا رواه أبو علي: سَلمَى، ولم يختلف الرواة أنه: سُلْمِيّ، بضم السين وتشديد الياء». وهو شاعر جاهلي. وفي تهذيب اللغة: ٩/ ٦١: سليمان بن ربيعة بن ريان، بالياء المثناة التحتية، وهو تصحيف صوابه: زبان. بفتح الزاي وتشديد الباء الموحدة. سمط اللآلي ١/ ٢٦٧ وخزانة الأدب ٨/ ٤٩.

(١٠) ومثله أيضًا ما جاء في تهذيب اللغة ١٤/ ٣٣٧ والتاج (تأم، ٣١/ ٣١٨).

النخل. وتؤام: جمع توأم. اللسان (بسن) والمحكم ١٠/ ٢٠٢، ومعجم البلدان (بيسان) ١/ ٥٢٧، والأصمعيات ١٨٦، وديوان أبي دواد ٣٣٨.

(تأم) (ق١٤/ ٣٢٩)، قول المرقِّش:

يُحَلَّيْنَ ياقوتًا وشَذْرًا وصَيْعةً وجَزْعًا ظَفارِيًّا ودُرًّا تَوائِما

وإنما الصواب: وصِيغةً، بالغين المعجمة، أي: ما سُبك من الذهب. والشذر: ضرب من اللؤلؤ. والجزع: خرز فيه سواد وبياض. والتوائم: يشبه بعضه بعضًا. شرح اختيارات المفضل ٢/ ١٠٩٩ وفيه: تَحَلَّيْنَ.

(ثمم) (ق١٤/ ٣٤٧)، قال الشاعر:

فأَصبح فيه آلُ خَيْمٍ مُنَضَّدٍ وثُمٍّ على عَرْش الخيام غَسِيلِ

قوله: «غسيل» كذا بالكسر، وفي مادة (خيم)، والنبات (ليدن) ٧٨، والتاج (ثمم، ٣١/ ٣٦٥): «وثمٌّ / غسيلُ» بالضم، ولم أجد ما يرجح إحدى الروايتين. الثم: لغة في الثُّمام، وهو نبت معروف. يعني ما تُجلّل به الخيام من الثمام. وقوله: «فأَصبح فيه آل خيم منضد» جاء في شعر النابغة الذبياني (ديوانه برواية ابن السكيت ٧٤):

فلم يبقَ إلا آلُ خيمٍ مُنضَّبٍ وسُفعٌ على أُسٍّ ونُؤيٌ مُعثلَبُ

وفي شعر زهير (اللسان (خيم) وديوانه ٢١٩):

أَربَّت به الأرواحُ كلَّ عشيّةٍ فلم يبقَ إلا آلُ خيمٍ مُنضَّدِ

الأرواح: جمع ريح. والآل: جمع آلة. وهو عود له شُعبتان يُعَرَّض عليه عود آخر، ثم يُلقى عليه ثمام يُستظل به.

(ثمثم) (ق١٤/ ٣٤٩)، قول العجاج:

مُسْتَرْدِفًا مِن السَّنام الأَسْنَمِ

حَشًا طويلَ الفَرْعِ لم يُثَمْثَمِ

أي: لم يُكسر ولم يُشدخ بالحمل، يعني سنامه، ولم يصبه عمد فينهشم. العمد: أن ينشدخ فينغمر. اهـ.

وإنما الصواب في البيت الثاني: جَنثًا طويل الفرع. وهو أصل السنام. وقوله «الأسنم» للمبالغة. ولم يثمثم: لم يحركه رَحْل ولا غيره. وقوله «ولم يصبه عمد فينهشم» شرح لبيت آخر يلي هذين البيتين لم يرد في اللسان هو:

ولم يُصبْهُ عَنَتٌ فيَهشمِ

لم يصبه عنت: أي: ثِقل فيضغطَ اللحمَ من داخلٍ فيرمَ حتى يُقيّح. خلق الإنسان (الأصمعي) ١١٩ وديوان العجاج ١/ ٤٧٩.

(جثم) (ق١٤/ ٣٥١)، قال بشر:

أَمُونٌ كدُكَّان العِباديِّ فَوْقَها سَنامٌ كجُثْمان البَنِيَّةِ أَتْلَعا

والصواب: أتلعُ. وهو من كلمة مرفوعة الرويّ[١١]. الأمون: الناقة الصلبة الشديدة، الوثيقة الخَلْق التي يُؤمَن عِثارها. والعبادي: نسبة إلى العِباد، وهم قوم من قبائل شتى من بطون العرب اجتمعوا على النصرانية. والجُثْمان: الجِسم. والبنية: الكعبة. والأتلع: الطويل المرتفع. التكملة (جثم) وديوانه: ١٢٠ وفيه: «أمونا/ البَلِيَّةِ». البلية: الناقة أَو الدابة التي كانت تُعْقَلُ في الجاهلية تُشدّ عند قبر صاحبها، لا تعلف ولا تسقى حتى تموت. شبه سنام ناقته بجثمانها.

(جدم): (ق١٤/ ٣٥٣)،قال مُلَيْح:

بذِي حُبُكٍ مثلِ القُنِيِّ تَزِينُه جُدامِيَّةٌ من نَخْل خَيْبرَ دُلَّخِ

(١١) ومثله أيضًا ما ورد في الصحاح (جثم)، وفيه أيضًا: العَبادي بالفتح والصواب: بالكسر. اللسان (عبد).

والصواب: دلح، بالحاء المهملة؛ أي: مواقير، كثيرة الحمل. والحبك: الشعر الجعد المتكسر. والقني: الكبائس. وجدامية: قد أوقرت. شرح أشعار الهذليين ٣/ ١٠٤٠ والمحكم ٧/ ٢٤٥.

(جرثم) (ق١٤/ ٣٦٢)، قال نُصَيْب:

يَعُلُّ بَنِيهِ المحَضَ من بَكَراتِها ولم يُحْتلَبْ زِمْزيرُها المُتجَرْثِمُ

والصواب: زِمزِيمها. الزمزيم: الجماعة من الإبل إذا لم يكن فيها صغار. ويعل: يسقي. والمحض: اللبن. والبكرات: الفتيّات. والمتجرثم: الكثير المجتمع. اللسان (زمزم) والمحكم ٧/ ٤١١ والمخصص ٧/ ١٣٢ وتهذيب الألفاظ ٦٨.

(جسم) (ق١٤/ ٣٦٦)، قال الراجز:

يُلِجْنَ من أصواتِ حادٍ شَيْظَمِ

صوابه: يُلِحن، بالحاء المهملة، أي: يحذرن ويشفقن. والشيظم: الشديد الطويل. والبيت لأبي محمد الفقعسي. اللسان والتكملة (شظم) والصحاح (جسم)، وإصلاح المنطق ٢٤٥، وتهذيب إصلاح المنطق ٥٥٣، ومثله قول جساس بن قطيب (تهذيب إصلاح المنطق ٥٥٣ وأراجيز المقلين لكاتبه. (مجلة المجمع مج٥٧ ج١ ص١٥٧):

يُلِحنَ من ذي دَأَبٍ شِرواطِ

الشرواط: الطويل المتشذَّب القليل اللحم.

(جهم) (ق١٤/ ٣٧٨)، أنشد:

قد أَغْتَدي لِفِتْيَةٍ أَنْجابِ

وإنما الصواب: بفتية. وقوله «أنجاب» جمع نجيب، على غير قياس.

أساس البلاغة (نجب)، وتهذيب اللغة ٦/ ٦٧، وإصلاح المنطق ١١٣، وتهذيب إصلاح المنطق ٢٩٢.

(حتم) (ق١٥/ ٤):

يأْكل أَزْمانَ الهُزالِ والسِّنِي
هَيَّاب عَيْرٍ مَيْتةٍ غيرِ ذَكِي

وإنما الصواب في البيت الثاني: هنات عير. هنات: عَنَت ذَكَر العير، فكنّت عنه لأنها امرأة. والهزال: أصابت مَواشيهم سَنة فهُزلت. والهَزْل: موت مواشي الرجل. النوادر ٩١ وخزانة الأدب ٧/ ٣٧٥[١٢].

(حرم) (ق١٥/ ١٧)، قال الكَلْحَبة اليربوعي:

فأَدْرَكَ أَنْقاءَ العَرَادةِ ظَلْعُها وقد جَعَلَتْني من حَريمةَ إصْبَعا

صوابه: إبقاء، وهو بقيّة جري فيها. والمُبقِيات من الخيل: التي يبقى جريها بعد انقطاع جري الخيل. والظلع: الغمز والعَرَج. وجعلتني: صيرتني. وحريمة[١٣]: رجل من أنجادهم. وإصبعا: قدر إصبع. اللسان (بقي)، والمحكم ٣/ ٢٤٨، والنوادر ١٥٣، وشرح اختيارات المفضل ١/ ١٤٦.

(حشم) (ق١٥/ ٢٥): وأَنشد ابن بري لكُثَيِّر في الاحتِشام بمعنى الاستحياء:

إنِّي مَتى لم يَكُنْ عَطاؤهما عندي بما قد فَعَلْتُ أَحْتَشِمُ

والصواب: أحتشمِ. ديوان كثير ٢٧٣ وهو من كلمة مخفوضة الرويّ، وفيه: نوالهما.

---

(١٢) ومثله أيضًا ما ورد في حاشية الصحاح (حتم)، وفي النوادر: عين. تحريف كذلك.

(١٣) ومثله أيضًا ما جاء في التاج (حرم، ٣١/ ٤٧٢)، وفي شرح اختيارات المفضل، واللسان (بقي): حزيمة، بالزاي، وهو ابن طارق التغلبي.

(حشم) (ق١٥/ ٢٥)، قال ساعدة:

إن الشَّبابَ رِداءٌ مَنْ يَزِنْ تَرَهُ يُكْسَى جَمالًا ويُفْسِدْ غير مُحتَشِم

وإنما الصواب: يُفنِد[١٤]. أي: يأتي بالقبيح وبالحمق وما لا خير فيه، لا يحتشم من ذلك بخلاف الشيخ. وليس البيت في شرح أشعار الهذليين، وإنما أثبته محققه عن شرح شواهد المغني ٥٧. شرح أشعار الهذليين ٣/ ١١٢٢ وفيه: الجمال.

(حمم) (ق١٥/ ٤٦)، قال الأعشى[١٥]:

فأما إذا رَكِبوا للصَّباحِ فأَوجُههم من صدىَ البَيْضِ حُمُّ

صوابه: من صدا البيض حُمْ. أي: سوداء. وللأعشى كلمة على هذا الرويّ لم يرد فيها هذا البيت وأولها:

أَتهجُرُ غانِيةً أم تُلِمْ أم الحبلُ واهٍ بها مُنجذِمْ

ديوان الأعشى ٣٥. والبيت في الصبح المنير ٢٥٧ في الزيادات وفيه:

فأما إذا ركبوا فالوجوهُ في الرَّوعِ من صدإِ البَيضِ حُمٌّ[١٦]

(حمم) (ق١٥/ ٤٦)، قال أبو كبير الهُذَلي:

أَحَلا وشِدْقاه وخُنْسَةُ أَنْفِهِ كحناء ظهر البُرمة المُتحَمِّمِ

وفي الحاشية: قوله «كحناء ظهر» كذا بالأصل والذي في المحكم كجآء.. اهـ[١٧].

والصواب: أَخَلا. أراد: خَلاوة، وهو اسم ابنه. والخَنَس: قِصَر الأنف.

---

(١٤) في شرح شواهد المغني: يَفنَد. خطأ. يقال: أفند إفنادًا فهو مُفْنِد.

(١٥) ومثله أيضًا ما جاء في تهذيب اللغة ٤/ ١٩.

(١٦) كذا، والصواب: فالوجو ه... حُمْ.

(١٧) كذا، والذي في المحكم: ٢/ ٣٨٧:كحناء.

والبرمة: قِدْر من حجارة. والمتحمم: المُسْوَدّ. الحناء: الانحناء. ولأبي كبير كلمة على هذا الرويّ، لم يرد فيها هذا البيت. شرح أشعار الهذليين ٣/ ١٠٩٠، وأثبته الأستاذ فراج – رحمه الله – في زيادات شعر أبي كبير ص ١٣٣٥.

(حمم) (ق١٥/ ٥٠)، وحُمَّةُ موضع أَنشد الأَخفش[١٨]:

أَأَطْـــلالَ دارٍ بالسِّـــباعِ فَحُمَّـــةِ سأَلْت فلما اسْتَعْجَمَتْ ثم صَمَّتِ

والصواب: بالنباع، بالنون أو بالنون وبالياء المثناة التحتية. معجم ما استعجم (النباع) ٤/ ١٢٩٢ ومعجم البلدان (النياع) ٥/ ٣٢٩. والبيت لكثير عزة. ديوانه: ٣٢٣ وفيه: بالنياع بالياء المثناة التحتية.

(خدم) (ق١٥/ ٥٧):

مُخَـدَّمون ثِقـالٌ فـي مَجالسـهم وفـي الرِّجـال إِذا رافقـتَهمْ خَـدَمُ

والصواب: الرحال، بالحاء المهملة. الخَدَم: الخُدّام، الواحد خادِم، غلامًا كان أَو جارية. أساس البلاغة (خدم) وتهذيب اللغة ٧/ ٢٩٠ والعين ٤/ ٢٣٥.

(خزم) (ق١٥/ ٦٨)، كقول مطر بن الأشيم[١٩].

وإنما هو مطير بن الأشيم، على هيئة التصغير، وهو أحد بني أسد. شاعر جاهلي. التكملة (حمل) والجيم ١/ ١١٤، والنوادر ١٩، والمؤتلف والمختلف ١٧، ١٠٣، ومعجم الشعراء ٤٣٩، وأسماء خيل العرب ١١٧، والمعاني الكبير ١/ ١٠٦، ١١٤، ١٣٨، ٢/ ٦٠٦، ومعجم البلدان (البرتان) ١/ ٣٧١.

(خشم) (ق١٥/ ٦٩)، قال الأعشى:

إذا كان هِنْزَمْنٌ[٢٠] ورحتُ مُخشَّمًا

---

(١٨) ومثله أيضًا ما جاء في المحكم ٢/ ٣٨٨.

(١٩) ومثله أيضًا ما جاء في اللسان (شيم) (ق ١٥/ ٢٢٤)، والمحكم ٥/ ٦٦، والوحشيات ٢٦٧. وفي كتاب الجيم ١/ ١٦٧: مطير بن الأشمّ. خطأ.

(٢٠) جاء هذا اللفظ على الصحة في مطبوعة بيروت، وليس كما توهم الأستاذ هارون في =

صوابه: مخشما، غير منون، وصدره: وآسٌ وخِيريٌ ومروٌ وسوسنٌ. الآس والخيري والمرو والسوسن: ضروب من النبات. والهنزمن[٢١]: من أعياد النصارى. والمخشم: السكران. اللسان (هنزمر، سوسن، هنزمن، مرا)، والمحكم ٥/ ٢٢، والبارع ٢٢٢، وكتاب النبات (ليدن) ١٦٠، و(بيروت) ٢٢١، وديوان الأعشى ٢٩٣.

(خشرم) (ق١٥/ ٧٠):

ابن شميل: الخَشْرَمَةُ أَرض حجارتها رَضْراضٌ كأَنها نُثِرَتْ على وجه الأَرض نَثْرًا، فلا تكاد تمشي فيها حجارتها حُمٌّ.

والصواب: حمر، بالراء. تهذيب اللغة ٧/ ٦٤٤، والعين ٤/ ٣٢٤.

(خمم) (ق١٥/ ٨٠)، قال ذِروة بن خَجْفة الصَّموتي..

في اللسان (مطا) (ق٢٠/ ١٥٣) ذَروة بن جُحْفَة بفتح الذال وبضم الجيم. وفي التنبيهات ٢٩٠: ذِروة بن جُحْفَة، بكسر الذال وبضم الجيم. وفي اللسان (جود) مطبوعة بيروت: جحفة، بالجيم ودون ضبط أيضًا. وفي المحكم ٣/ ٦٤ جَحَفة: أبو ذِروَة بن جَحَفَة بكسر الذال وبفتح الجيم. وفي معجم البلدان (بتيلة) ١/ ٣٣٧: ذِروة بن جُحْفة الكلابي بكسر الذال وبضم الجيم. وفي اللسان (جود) (ق٤/ ١١١): ذروة بن حجفة، بالحاء المهملة ودون ضبط. وفي مادة (حجف) (ق١٠/ ٣٨٤): وحَجَفة: أبو ذَروَة بن حَجَفة وفي مادة (ذرا) (ق١٨/ ٣١٣): وذَروة بن حُجْفة من شعرائهم، وعوف بن ذِروة، بكسر الذال: من شعرائهم. والصواب في هذا كله: ذِروَة بن حَجَفة. بتقديم الحاء على الجيم، وبكسر الذال. اللسان (حجف) والتكملة (ذري). الحَجَفة:

= تحقيقات وتنبيهات ص ٢٧٧. وفي مطبوعة بولاق: هيزمر. تحريف.

(٢١) ويروى: الهنزمر، والهِيزمن. اللسان (هنزمر).

الترس إذا كان من جلود ليس فيه خشب ولا عَقَب.

(خيم) (ق١٥/ ٨٣)، قال النابغة:

فلـــم يَبْـــقَ إلَّا آلُ خَـــيْمٍ مُنَضَّـــدٍ وسُـفْعٌ علـى آسٍ ونُـؤْيٌ مُعَثْلِـبُ

... ويروى عجزه أيضًا:

وثُمَّ على عَرْشِ الخِيامِ غَسِيلُ

ورواه أبو عبيد للنابغة، ورواه ثعلب لزهير. اهـ.

قولـه: «ورواه أبـو عبيـد للنابغـة، ورواه ثعلـب لزهيـر» مـن المحكـم ٥/ ١٦٥، وانظر ما سبق في التنبيه على مادة (ثمم). وقولـه «معثلـب» بكسـر الـلام، هـو فـي تهـذيب اللغـة ٧/ ٦٠٨ واللسـان والتـاج (عثلـب) ٣/ ٣١٧ والقاموس المحيط (عثلب) وفيه: أمر معثِلب بالكسـر، غيـر محكـم. ونـؤي معثِلب: مهدوم. وفي اللسان (أوس، نأي)، وكتاب العين ٧/ ٣٣٤، وتهذيب اللغـة ٣/ ٣٦١، ١٣/ ١٣٨، ١٥/ ٥٤٣، وكتـاب الجـيم ٢/ ٣٠٢، والعبـاب (أسس)، وديوان النابغة (ابن السـكيت) ٧٤، وتصـحيحات للسـان العـرب[٢٢]: معثلَب، بفتح اللام. الآل هنا: عمـود الخيمـة. والخـيم: عيـدان يبنـى عليهـا الخيام. والسفعة: سواد يضرب إلـى الحمـرة. والآس: الرمـاد. والنـؤي: مـا يحفر حول الخباء لئلا يدخله الماء.

(دسم) (ق١٥/ ٩١)، أنشد أبو عمرو لبشير الفربري[٢٣]...

وإنما الصواب: الفريري، نسبة إلى فرير، بطن مـن طيـئ. راجـز شـاعر. الاشتقاق ٣٨٧، وأراجيز المقلين (مجلة المجمع) مج٧٠ ج٢ ص٢٦١.

---

(٢٢) مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة - مج٢١ ص٤٣.

(٢٣) ومثله أيضًا ما جاء في التاج (دسم، ٣٢/ ١٥٣) وفي الحاشية: الفربري، نسـبة إلـى فربـر مدينة ببخارى.

(دلخم) (ق١٥/ ٩٦)، أنشد:

دِلَّخْمَ تِسْعِ حَجِيجٍ دَلَهْمَسَا

والبيت مختلّ الوزن، وإنما الصواب: حِجَجٍ دلهمسا. الدِلَّخْم: الجليل من الجمال الضخم العظيم. والدلهمس: الجريء الماضي على الليل. مطبوعة بولاق وتهذيب اللغة ٧/ ٦٣٤، والتكملة (دلخم).

(دمم) (ق١٥/ ٩٨): أنشد ابن بري لذي الرمة:

إذا التَخَّ الدَّياميمُ

وإنما الصواب: التجَّ، بالجيم. أي: صار له كاللُّجَج من السراب، وهي الماء الكثير. والبيت بتمامه:

كأَنَّنا والقِنانَ القُودَ يَحْمِلُنا مَوْجُ الفُراتِ إذا التَجَّ الدَّيامِيمُ

كأننا: أي: معشر الركب. والقنان: جمع قُنَّة. وهي الصغار من الجبال. والقود: الطوال المستطيلة. واحدها: قوداء. وإنما جعلها قودًا لأن لها أعناقًا ممتدة. والدياميم: الفلوات، واحدها: ديمومة. أي: كأننا والقنانَ القودَ نجري في موج الفرات من كثرة السراب. اللسان (لجج، قنن)، وتهذيب اللغة ١٠/ ٤٩٤، وديوان ذي الرمة ١/ ٤١٣[٢٤].

(دهم) (ق١٥/ ١٠٢)، وقال[٢٥]:

رَوائم وهُنَّ مثل الرُّؤَّمِ

وإنما الصواب: أو هُنَّ. الرُّؤَمَّ: جمع رائم. وهي التي تعطف على غير ولدها. شَبَّهَ الأثافي على الرماد بأينق تعطف على ولد. ديوان العجاج ١/ ٤٤٤.

---

(٢٤) ومثله أيضًا ما جاء في التاج (دمم، ٣٢/ ١٧٦)، وفي تهذيب اللغة ١٠/ ٤٩٤: الشراب. تصحيف.

(٢٥) أي: العجاج، ومثله أيضًا ما جاء في تهذيب اللغة ٦/ ٢٢٧، والتاج (دهم، ٣٢/ ١٩٨).

(دوم) (ق ١٥/ ١٠٧)، قول الراجز:

يَنْباعُ من ذِفْرَى غَضُوبٍ حُرَّةٍ

قوله «حرة» تحريف، صوابه: جَسرة. وهي الطويلة الضخمة. وقوله «الراجز» صوابه: الشاعر[٢٦]، والبيت لعنترة العبسي وعجزه:

زَيّافةٍ مثلِ الفَنِيقِ المُكْدَمِ

ينباع: يسيل. أراد ينبع، فأشبع الفتحة فصارت ألفًا. والذفرى: الحَيْد الناتئ بين الأذن ومنتهى الشعر. وغضوب: من السوط. والزيافة: المختالة من النوق. والفنيق: الفحل. والمكدم: الغليظ. اللسان (غضب، بوع، تنف، زيف)، والمحكم ٢/ ١٣٦، ٢٧٢، وشرح المعلقات العشر ٢٢٧، وديوانه ٢٠٤ وفيه: المُقرم. وهو الذي نُحّي عن الركوب، واتُّخذ فحلًا لكَرَمه.

(ديم) (ق١٥/ ١٠٩)، قال لبيد:

باتَتْ وأَسْبَلَ والِفٌ من دِيمَةٍ تَرْوي الخَمائِلَ دائمًا تَسْجامُها

صوابه: واكِف، كما في تحقيقات وتنبيهات ص ٢٧٨، وهو القَطْرُ. وقوله «تَروي الخمائل» صواب محض، وليس بتحريف لقوله «يُروي الخمائل» بالياء المثناة التحتية، كما توهم الأستاذ هارون. وهو رواية أخرى. أي: ديمة تروي الخمائل. وباتت: أي: البقرة. والواكف: القطر. والديمة: المطر الدائم. والخمائل: جمع خميلة. وهي الرملة التي قد غطّاها النبت. والتسجام: المطر الجَود. شرح المعلقات العشر ص ١٨٣ ونص فيه على الروايتين. وفي التكملة (سجم) وديوان لبيد ٣٠٩: يُروي.

(ذمم) (ق١٥/ ١١٢): وقوم ذمة: معاهدون أي: ذوو ذمة، وهو الذم. قال أسامة الهذلي:

---

(٢٦) وقع مثل هذا الوهم في مواقع لا تحصى من اللسان.

يُغَـرِّدُ بالأَسْـحار فـي كـلِّ سُـدْفَةٍ تَغَـرُّدَ مَيَّـاحِ النَّـدَى المُتَطَـرِّب

وليس في البيت أيُّ شاهد، وإنما بيت أسامة هو (شرح أشعار الهـذليين ٣/ ١٢٩٧):

يُصَيِّحُ في الأَسحارِ في كلِّ صَـارةٍ كما ناشـدَ الـذِّمَ الكَفيـلُ المُعاهَـدُ

كما نبه على ذلك الأستاذ فراج[٢٧]. إلا أنه أثبـت هـذا البيـت فـي زيـادات شـعر أسـامة (٣/ ١٣٥٠)، وإنمـا هـو لامـرئ القـيس. اللسـان (طـرب، غـرد) وديوانه ص٤٥ وفيه: النَّدامى المُطـرَّبِ. الميـاح: الـذي يمـيح فـي جانبيـه، أي: يميل شدة ونشاطًا، أو من أجل السُّكْر. وناشد: قال لـه: أنشُـدُك الله. والمعاهـد: الذي أُعطي عهدًا إذ يُوفى له قضى مَذَمَّته، أي: ذِمامه. والذِّمام: الحُرمة.

(رزم) (ق١٥/ ١٣٠): وقيل لابنة الخُسّ: هل يفلح البازِل؟ قالت: نعـم وهو رازِم.

وإنما الصواب: يُلقح. مـن الإلقـاح. والـرَّازم مـن الإبـل: الثابـت علـى الأرض الذي لا يقوم من الهُزال. النوادر ٢٥١ والمزهر ٢/ ٥٤٥.

(رمم) (ق١٥/ ١٤٧)، قال رؤبة:

نَعَم وفيها مُخُّ كلِّ رِمّ

صوابه: وفينا مخ. وقبله:

والملكُ فينا والإمامُ الأمّي

الرم: النِّقْيُ والمخ. ديوان رؤبة ١٤٣ وفيه: لنا وفينا.

(زنم) (ق١٥/ ١٦٧)، قال المُعَلَّى بن حَمّال العبدي...[٢٨].

---

(٢٧) مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة - مج٢١ ص٤٤.

(٢٨) ومثله أيضًا مـا ورد فـي حاشـية الصـحاح (زنـم)، والعبـاب (دهـس)، والأضـداد (ابـن الأنباري) ٣٧، والأشباه والنظائر ٢/ ٢٤٨-٢٤٩. وفي الجيم ٢/ ١١٤: المعلى بن =

وإنما هو ابن جمّال العبدي، بالجيم. اللسان (ظأب، دهس، صوع) وحماسة البحتري ٤٠، ١٦٤، ١٦٩. وفي اللسان (جمل): «والجَمَّالان من شعراء العرب. حكاه ابن الأعرابي وقال: أحدهما إسلاميٌّ، وهو الجمّال بن سَلَمة العبدي، والآخر جاهليٌّ لم ينسبه إلى أب».

(سدم) (ق١٥/ ١٧٧).. مسعود بن عمرو القم.

قوله «القم» لا معنى له، وإنما هو العتكي، وهو سيد الأزد بالبصرة. وكان يقال له: قمر العراق في اليمن. النقائض ١/ ١١٣، وديوان جرير ١/ ٣٤٠.

(سطم) (ق١٥/ ١٧٩): يقال لسِداد القِنِّينة العِذامُ والسِّطام..

وإنما الصواب: الفِدام. اللسان (فدم)، وتهذيب اللغة ١٢/ ٣٤٩.

(سقم) (ق١٥/ ١٨٠)، قال ذو الرمة[٢٩]:

هامَ الفُؤادُ بِذكْراها وخامرَها منها على عُدَواء الدار تَسْقِيمُ

وإنما الصواب: وخامره. أي: دخل قلبه ولزمه. وهام: ذهب فؤاده من حبها. وعدواء الدار: صرفها واختلافها. والتسقيم: المرض. اللسان (خمر، عدو)، وديوانه ١/ ٣٨٤ وفيه: لذكراها وخامره.

(سلجم) (ق١٥/ ١٩٣)، قال الراجز:

يَغْدُو بكَلْبَيْنِ وقَوْسٍ قارِح
وقَرَنٍ وصِيغَةٍ سَلاجِم

والبيتان مغيرا الرواية، وإنما الصواب: (فارج/ سلامج). الفارج: القوس التي بان وترها عن كبدها. والقرن: الجعبة. والصيغة: السهام

= جلم. تحريف. وفي الوحشيات ١١٧: المعلى بن طارق الطائي. وفي حماسة البحتري ١٢٨ الجمال بن المعلِّي العبدي.

(٢٩) ومثله أيضًا ما جاء في المحكم ٦/ ١٥٤.

المستوية من عمل رجل واحد. والسلامج والسلاجم: المحدَّدَة. تهذيب اللغة ١١/ ٢٤٣[٣٠] والتكملة (سلمج).

(سمم) (ق١٥/ ١٩٧)، أنشد[٣١]:

فارَقَني ذَأْلانُه وسَمْسَمُه

وإنما الصواب: فارَطني. أي: تقدّمني. وقبله:

إلى أُجُونِ الماءِ داوٍ أَسدُمُه

الذألان: الذئب. والسمسم: الثعلب. وداو: عليه دُواية كدُواية اللبن، أي: قِشرة. والسُّدْم: الماء المُندفن. والبيت لرؤبة. اللسان والتكملة (ذأل) وديوانه ١٥٠.

(شأم) (ق١٥/ ٢٠٧)، أنشد سيبويه للأحوص اليربوعي:

مَشائِيمُ ليسوا مُصْلحين عَشيرةً ولا ناعِبٍ إلَّا بشُؤْمٍ غُرابُها

وإنما الصواب: الأخوص، بالخاء المعجمة. وهو زيد بن عمرو. شاعر فارس. تهذيب إصلاح المنطق ٣٦٩، والمؤتلف والمختلف ٦٠[٣٢]، وشرح أبيات سيبويه[٣٣] ١/ ٧٤، وفرحة الأديب ٣٢، واللسان (ثنن).

(شبرم) (ق١٥/ ٢١٠)، قال همميان[٣٤]:

---

(٣٠) أحال محقق التهذيب على اللسان دون أن ينبه على ما وقع في الرواية من تحريف، ونحوه أيضًا ما ورد في حاشية التاج (دهم، ٣٢/ ٤١٠).

(٣١) ومثله أيضًا ما ورد في كتاب العين ٧/ ٢٠٧، وتهذيب اللغة ١٢/ ٣٢٢.

(٣٢) في المؤتلف (حاشية على متن الكتاب): عن ابن بري النحوي رحمه الله: أهمل صاحب الكتاب الأحوص الرِّياحي، وهو الأحوص بن زيد بن عمرو بن عتاب بن رياح القائل: مشائيم..، كذا، والذي في اللسان (ثنن) عن ابن بري: الأخوص، بخاء معجمة.

(٣٣) في ٢/ ١٥٠ منه، وحاشية الصحاح (شأم): الأحوص. تصحيف.

(٣٤) أثبت محقق الصحاح في الحاشية رواية التهذيب وما وقع فيها من تحريف على أنها رواية أخرى. الصحاح (شبرم)، وفي التكملة (شبرم) أنَّ البيت ليس لهميان.

ما منهمُ إلا لئيمٌ شُبْرُمُ
أَسْحَمُ لا يأْتي بخَيْرٍ حَلْكَمُ

وفي التهذيب:

أرصعُ لا يُدعى لعَنْزٍ حلكم

كذا في تهذيب اللغة ١١/ ٤٥١، وهي رواية لا معنى لها، وصوابها على الأرجح: لا يدعى لخير. الحلكم: الأسود. اللسان (حلكم، شبرم) والمحكم ٨/ ٩٩ وتهذيب الألفاظ ٢٣١، ٢٤٧.

(شدقم) (ق١٥/ ٢١٣)، قال الزَّفَيان[٣٥]:

شُداقِمٍ ذي شِدْقٍ مُهَرَّتِ

والبيت مختلُّ الوزن، وإنما الصواب: شَدَقٍ مُهرَّتِ. شداقم: واسع الشدق. وهي مما يُستحَبُّ في البعير. ومثلها شَدَق ومهرت. يصف بعيرًا. مجموع أشعار العرب ج٢/ ٩٣.

(صمم) (ق١٥/ ٢٣٨)، قال الكميت:

أَشَيْخًا كالوَليدِ برَسْمِ دارٍ تُسائِلُ ما أَصَمَّ عن السُّؤالِ

والصواب: السَّؤُولِ[٣٦] وقبله:

أَلَم تُلْمِم على الطَّلَلِ المُحِيلِ بفَيْدَ وما بُكاؤك بالطُّلولِ

اللسان (هتف، حول)، وديوان الكميت: ٢/ ٥٢.

(صمم) (ق١٥/ ٢٣٨)، وبيت امرئ القيس بكماله هو...

قَوْمٌ يُحاجُون بالبِهامِ ونِسـ ـوان قِصار كهَيْئةِ الحَجَلِ

وإنما الصواب: يحاحُون، أي: يصيحون. والبهام: أولاد الضأن. أراد

(٣٥) لم تضبط الدال في مطبوعة بولاق.

(٣٦) ومثله ما ورد في في الصحاح (صمم)، والمخصص ١٤/ ٢٤٣.

أنهم ليسوا أصحاب إبل، فهو يذمهم بذلك. اللسان (حيا، حا)، وتهذيب اللغة ٥/ ٢٨١، وديوان امرئ القيس ٣٤٨.

(طحم) (ق١٥/ ٢٥٢)، وأنشد ابن بري لعمارة بن عُقيل...

صوابه: ابن عَقيل. بفتح العين. وهو ابن بلال بن جرير بن عطية. معجم الشعراء ٧٨، وطبقات الشعراء ٣١٦، وشرح ديوان الحماسة ٣/ ١٤٣٢، ١٤٣٩.

(طرم) (ق١٥/ ٢٥٤)، قال الأعزّ بن مأنوس...

وإنما هو الأغرّ، بالراء. وهو أحد بني يَشكر بن بكر. المؤتلف والمختلف ٤٨[٣٧].

(عتم) (ق١٥/ ٢٧٥)، قال أبو محمد الحذلمي[٣٨]:

فيها ضَوىً قد رُدَّ من إعْتامِها

صوابه: صوًى، أو صرًى. وهو أن تترك الإبل أيّامًا لا تحلب، ليجتمع اللبن في ضرعها. والإعتام: أن تُحلَبَ الإبلُ عشاء، وهو من الإبطاء والتأخر. المحكم ٢/ ٤٥، والمخصص ١٥/ ١٦٧، والجيم ٢/ ٦، ١٩١.

(عتم) (ق١٥/ ٢٧٥): وقوله: طَيْفٌ أَلَمَّ بذِي سَلَمْ يَسْرِي عَتَمْ بينَ الخِيَمْ...[٣٩].

كذا جاءت الأبيات الأربعة مختلطة بالنثر، وهي من الرجز على جزء واحد، التزم فيها الراجز الفتحة البتة إلا قافية واحدة. وقوله «عتم» يجوز أن يكون على حذف الهاء، أو أن يكون من البطء. أي: يسري بطيئًا. الخصائص ٢/ ٢٦٣.

---

(٣٧) ومثله ما ورد في معجم البلدان (الطرم) ٤/ ٣٢.

(٣٨) أثبت محقق التاج (عتم، ٣٣/ ٤٩) رواية اللسان وما وقع فيها من تصحيف في المتن، في حين أورد رواية المحكم في الحاشية، ومثل ذلك كثير في الأجزاء الأخيرة من التاج.

(٣٩) جاءت الأبيات الأربعة في المحكم ٢/ ٤٥، وفي التاج (عتم،٣٣/ ٤٩) في بيتين.

وهي في العمدة ١/ ١٨٤ لعلي بن يحيى، أو يحيى بن علي المنجم[٤٠].

(عجم) (ق١٥/ ٢٨٤)، قول المتلمس:

جاوَزْتُــه بــأَمونٍ ذاتِ مَعْجَمــةٍ تَهْـوي بكَلْكَلِهـا والـرأْسُ مَعْكـومُ

والبيت مغير العجز، وإنما هو من كلمة سينية، والصواب: معكوس[٤١].

أي: عُنُق الناقةِ مَلويّة من نشاطها، فراكبها يجذبها وهي تنازعه السير. والأمون: الناقة المأمونة الخَلْق أو المأمونة العِثار. وذات معجمة: ذات صبر على مشاقّ السير، قد اختُبرت فوُجدت قوية على قطع الفلاة. والكلكل: الصدر. اللسان (عكس)، والمحكم ١/ ١٥٤، والمخصص ٧/ ١٥١، والألفاظ ٣٨٧، وتهذيب الألفاظ ٥٢٥، وجمهرة أشعار العرب ٢/ ٤٤٣، وديوان المتلمس ١٠٢ وفيه: تنجو.

(عرم) (ق١٥/ ٢٨٨)، وقيل هو لابن الدنبة الثقفي...[٤٢].

وإنما هو: ابن الذِّئبة الثقفي، واسمه ربيعة. اللسان والتكملة (ذأب)، وكتاب الجيم ٢/ ٨٢، ٣/ ٥٨، ومجالس ثعلب ١/ ١٧٣، والمؤتلف والمختلف ١٨٣، وسمط اللآلي ١/ ٦٣، ٢/ ٧٥٠، ٧٩٢، والحيوان ١/ ٢٥٤.

(عرم) (ق١٥/ ٢٩١)، أنشد ابن بري[٤٣]:

حاذَرْنَ رَمْلَ أَيْلةَ الدَّهاسا

---

(٤٠) الأرجح أنه علي بن يحيى. معجم الشعراء ١٤١، ومعجم الأدباء ٥/ ٢٠٠٨، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٧٥، وثمار القلوب ١/ ١٠٣، وسمط اللآلي ١/ ٥٢٥.

(٤١) ومثله أيضًا ما جاء في التاج (عجم، ٣٣/ ٦٤)، حيث لم يتكلَّف المحقّقُ عناء الرجوع إلى ديوان الشاعر.

(٤٢) في الأمالي ٢/ ١٧٢ ابن أذينة الثقفي، وفي حماسة البحتري ٢٤٣: ابن الدَّثنة. تصحيف؛ وفي من نُسِبَ إلى أمه من الشعراء (نوادر المخطوطات) ١/ ٩٠ ابن الذيبة.

(٤٣) ومثله أيضًا ما جاء في التاج (عرم، ٣٣/ ٧٩)، وفي معجم البلدان (لبنى) ٥/ ١١: حاذرن. تصحيف كذلك.

وبَطْنَ لُبْنى بَلَدًا حِرْماسا
والعَرَماتِ دُسْتُها دِياسا

وإنما الصواب في البيت الأول: جاوزن، وفي البيت الثالث: دسنها. أي: وطئنها. الدهاس: الرمل لا ينبت شجرًا وتغيب فيه القوائم. والحرماس: الأملس. والعرمات: واحدها: عرمة، وهو مجتمَع الرمل. يصف سير الإبل في هذه المواضع. اللسان والتكملة والعباب (حرمس).

(عردم) (ق١٥/ ٢٩٢)، قال العجاج:

نَحْمي حُمَيَّاها بعَرْدٍ عَرْدَمِ

صوابه: يحمي[٤٤] حمياها بعز عردم. وقبله ببيت:

إذ أُحجمت أقرانُهُ لم يُحجمِ

العردم: الشديد الصلب. وأُحجِمَتْ: من الحجامة، وهي الكِمامة تجعل على فم البعير؛ لئلا يعض. وديوان العجاج ١/ ٤٦٧.

(عوم) (ق١٥/ ٣٢٦)، قال العجاج:

كأَنَّها بَعْدَ رِياحِ الأَنجُمِ
تُراجِعُ النَّفْسَ بِوَحْيٍ مُعْجَمِ

وإنما الصواب في البيت الثاني: مراجع النَّقْس. المراجع: الآثار. والنَّقْس: المِداد. والوحي: الكتاب. يصف آثار الديار. ديوان العجاج ١/ ٤٤٥ وفيه: الرياح الهُجَّمِ. أي: اللواتي تهدم كل شيء. وبين البيتين بيتان آخران.

(غذم) (ق١٥/ ٣٣٠)، وأنشد أبو عمرو الفقعسي[٤٥]:

---

(٤٤) ومثله أيضًا ما جاء في تهذيب اللغة ٣/ ٣٤٩، والتاج (عردم، ٣٣/ ٨٥)، وفي التكملة (عردم): تحمي. تصحيف.

(٤٥) ومثله أيضًا ما ورد في حاشية كتاب العين ٤/ ٣٩٩، وحاشية تهذيب اللغة ٨/ ٨٦، وفهارس تهذيب اللغة ٦٧٨، وحاشية البارع ٣٧١.

قَدْ تَرَكَتْ فَصِيلَها مُكَرَّما
ممَّا غَذَتْهُ غُذَمًا فَغُذَما

وإنما الصواب: وأنشد أبو عمرو للفقعسي، وهو أبو محمد على الأرجح. له بيت آخر على هذا الرويّ في اللسان (وشم). الفصيل: ولد الناقة إذا فُصِل عن أُمه. الغذم: الكثير من اللبن. واحدته: غُذْمة.

(فأم) (ق١٥/ ٣٤٤)، قال:

كأنَّ مَجامِعَ الرَّبَلاتِ منها فِئامٌ يَنْهَضُون إلى فِئامِ

وفي التهذيب: فئام مجلبون إلى فئام[٤٦].

قوله «فئام مجلبون» تصحيف صوابه: محُلبون، أي: مُعِينون، يُعين بعضهم بعضًا، وهو عجز بيت للنابغة الذبياني وصدره:

وأن القومَ نصرهُمُ جميعٌ

ديوانه (ابن السكيت) ١٦٢. أما قوله «كأنَّ مَجامِعَ الرَّبَلاتِ» فهو لرجل من اليهود. الألفاظ ٢٧ والمحاسن والأضداد ٢٢٥ وقبله:

وأشعثَ غرَّهُ الإسلامُ منِّي لهوتُ بماله ليلَ التِّمامِ

وفي تهذيب الألفاظ ١٣٤، والمخصص ٣/ ١٢٣: يدلِفون، وفي كتاب العين ٨/ ٢٦٥: ينظرون. الفئام: الجماعة من الناس، لا واحد له من لفظه. والربلات: أصول الأفخاذ. يصف فرسًا. والتِّمام: أَطول ما يكون من ليَالي الشِّتاء. والبيت في اللسان (ربل)، وكتاب العين ٨/ ٤٠٥، وجمهرة اللغة ٣/ ١٦١، والمخصص ٢/ ٤٨، وخلق الإنسان (الأصمعي) ٢٢٥، و(ابن أبي ثابت) ٣١٣.

(٤٦) كذا، والذي في تهذيب اللغة (ربل، ١٥/ ٢٠٢): ينهدون، وفي (فأم، ١٥/ ٥٧٣): ينهضون.

(فطم) (ق١٥/ ٣٥٢)، قال[٤٧]:

وإن أَغــارَ فلــم يَحْلــو بِطائِلــةٍ في لَيْلةٍ مـن حَمِيـر سـاوَرَ الفُطُمـا

وفي تحقيقات وتنبيهات ٢٨٨: «والصواب: فلم يحلَ/ .. في ليلة ابن جمير..».

قوله: «فلم يحلو» صواب محض، وهي لغة لبعض العرب، يجعلون جزم المضارع الناقص بحذف الضمة المقدرة على الألف أو الواو أو الياء. المحكم ٩/ ١٦٠، والجمل في النحو ٢٢٣، والألفاظ ٣٠٤. وفيه: قال أبو العباس: فلم يحلى، لم يحذف للجزم شيئا، من لغة الذين يقولون[٤٨]:

ألــم يأتيــكَ والأنبــاءُ تَنمــي بمــا لاقــت لبــونُ بنــي زيــادِ

وفي تهذيب الألفاظ ٤١٩: «ولو روي: لم يحلَ بطائلة، لجاز ولم ينكسر الشعر؛ لأنه من البسيط، والطَّيُّ في البسيط جائز». وقوله «من حمير» تصحيف صوابه: من جَميرٍ، أو من جُميرٍ، على هيئة التصغير. وهو الأقرب إلى رسم البيت كما في اللسان (طول). وفي مادة (جمر): ولم يظفر / في ظلمة ابن جَمير. جمير: الليلة التي لا يطلع فيها القمر. وساور: واثب. والفطم: جمع فطيم. وهي ما قُطِعَ عنِ الرضاعة من الماشية؛ أي: إن أغار الذئب، فلم يتمكَّن من أخذ شاة كبيرة أخذ فطيمة أو فطيمًا. واللبون: ما كان فيها لبن من الشاء والإبل. والبيت لكعب بن زهير. ديوانه ٢٢٦ وفيه: ولم يحلَ/ ظُلمةِ ابن جَميرٍ.

(فطم) (ق١٥/ ٣٥٢): إذا تناولت أولادُ الشِّياهِ العِيدانَ قيل: رَمَّت وارتَمَّت، فإذا أكلَتْ قيل: بَهْمة سابع[٤٩] حتى يدنو فطامها...

---

(٤٧) في تهذيب الألفاظ ٤١٩: وإن أغارا فلم يحلا. تحريف.

(٤٨) هو لقيس بن زهير. شرح أبيات سيبويه ١/ ٣٤٠.

(٤٩) لم تنقط الباء في (سابع) في مطبوعة بولاق وبيروت.

قوله: «سابع» تصحيف صوابه: شابع: يقال: بهمة شابع إذا بلغت الأكل، لا يزال ذلك وصفًا لها حتى يدنو فِطامُها. اللسان (شبع).

(فعم) (ق١٥/ ٣٥٣)، قول لبيد[٥٠]:

الناطِق المبرُوز والمخْتُوم

لم يضبط قول لبيد[٥١]، وهو من أبيات مرفوعة الرويّ، وتمامه:

أو مُـذهَبٌ جَـدَدٌ علـى ألواحِهِنْـ ـنَ النـاطقُ المَبـروزُ والمَختـومُ

المذهب: المطليُّ بالذهب. والجدد: الطرائق التي فيه، واحدها: جدّة. والناطق: الكتاب البين. والمبروز: المنشور. والمختوم: الذي لم ينشر. اللسان (ذهب، برز، نطق)، وكتاب العين ٤/ ٤١، ٥/ ١٠٤، ٧/ ٣٦٤، وتهذيب اللغة ٦/ ١٤٨، ٢٦٥، ١٣/ ٢٠١، والمحكم ٢/ ١٤٧، والمخصص ١٤/ ١٧٧، وديوانه ١١٩.

(فقم) (ق١٥/ ٣٥٥)، وهذا الرجز للأغلب العجلي وقد تقدم في (فغم).

قوله «للأغلب» سهو من ابن منظور رحمه الله، صوابه: لهدبة بن خشرم. اللسان (فغم)، وتهذيب اللغة ٨/ ١٥١-١٥٢، وأسماء المغتالين (نوادر المخطوطات) ٢/ ٢٥٦- ٢٥٧، وديوان هدبة ١٣٣؛ والأبيات في الصحاح (فغم) دون نسبة.

(قسم) (ق١٥/ ٣٨٢)، قال باعث بن صُرَيم اليشكري، ويقال هو كعب بن أرقم اليشكري قاله في امرأته وهو الصحيح:

ويومًـا تُوافِينـا بوجـهٍ مُقسَّـمٍ كأن ظبية[٥٢] تَعْطُو إلى وارِق السَّلَمْ

(٥٠) ومثله أيضًا ما ورد في تهذيب اللغة ٣/ ٢٠ ولم ينسبه المحقق.

(٥١) جاء مثل هذا في مواضع كثيرة من اللسان.

(٥٢) لم يضبط قوله «ظبية» في هذا الموضع من اللسان وفي المخصص ١٤/ ٣٠.

قال أبو زيد: سمعت بعض العرب ينشده: كأن ظبيةٌ، يريد كأنها ظبية فأضمر الكناية.

كذا، والذي في تهذيب اللغة ٨/ ٤٢٤: سمعت العرب تنشده: كأن ظبيةً، وكأن ظبيةٍ، وكأن ظبيةٌ. فمن نصب خَفَّفَ «كأن» وأعملها، ومن كسر أراد كظبيةٍ، ومن رفع أراد كأنَّها ظبيةٌ، كما نبه على ذلك مصحح مطبوعة بولاق(٥٣)، أما ناشر مطبوعة بيروت فقد أغفل تلك الحاشية. مقسم: جميل كله كأن كل موضع منه أخذ قسمًا من الجمال. تعطو: تمد يدها إلى أغصان الشجر فتُميلها وتأكل منها. كما نُسِبَ البيت أيضًا إلى علباء بن أرقم(٥٤) في الأصمعيات ١٥٧، وكتاب الاختيارين ٢٠٥.

(قوم) (ق١٥/ ٤٠٤)، قال الراجز(٥٥):

يَوْمَ تَلاقى شاؤُه ونَعَمُهْ
واخْتَلَفَتْ أَمْراسُه وقِيَمُهْ

وإنما الصواب في البيت الثاني: واحتلفت، بالحاء المهملة، بدليل قوله: تلاقى. النَّعم: الإبل والشاء. القيم: جمع قامة. وهي البكرة يستقى عليها. والأمراس: الحبال. التعليقات والنوادر ١٠٠١. والبيتان من كلمة تنسب إلى أبي محمد الفقعسي وأبي نخيلة. مجلة العرب (زيادات في بعض الأراجيز) س٣١ ج١، ٢ ص٩١-٩٢ لكاتبه.

---

(٥٣) أغفل ابن منظور رحمه الله الإشارة إلى تلك الروايات في مادة (قسم) إلا أنه أشار إليها في مادة (أنن).

(٥٤) في شرح أبيات سيبويه ١/ ٥٢٥: أرقم بن علباء اليشكري. وصوابه: علباء بن أرقم. معجم الشعراء ١٦٩.

(٥٥) ومثله أيضًا ما ورد في المحكم ٦/ ٣٦٦، ومجالس ثعلب ١/ ٢٣٤-٢٣٥، وطبقات الشعراء لابن المعتز ٦٥، والتاج (قوم، ٣٣/ ٣١٤).

(كتم) (ق١٥/ ٤٠٩)، قال أبو النجم[٥٦]:

وكانَ في المَجْلِسِ جَمّ الهَذْرَمَهْ

لَيْثًا على الدَّاهِية المُكَتَّمهْ

وإنما الصواب في البيت الثاني: لَيْنًا. أي: لين الجانب. والهذرمة: السرعة في القراءة. يذمُّ رجلًا. اللسان (هذرم).

(كمم) (ق١٥/ ٤٣١)، قال الطرماح:

تَظَلُّ بالأَكمامِ مَحْفُوفةً تَرْمُقُها أَعْيُنُ حُرّاسِها

والبيت مغير العجز، وإنما هو من أبيات ميمية، والرواية: جُرَّامُها[٥٧]. وهم الذين يَصرِمون التمر. وتظل: أي: تظل قِنوانها، والقِنوان: عِذق النخلة. والأكمام: ما غطّى جُمَّار النخل من السَّعَف والليف والجذع. ديوان الطرماح ٤٤٣، ومجاز القرآن ٤٠٢.

(لجم) (ق١٦/ ٧)، أنشد لرؤبة[٥٨]:

ولا أُحِبُّ اللُّجَمَ العاطوسا

وإنما الرواية: العَطُوسا، وهو من كلمة أولها:

دعوت ربَّ العِزَّةِ القُدُّوسا

اللجم: الطِّيَرَة؛ لأنها تلجم عن الحاجة، أي: تمنع، وذلك أنهم كانوا يتطيرون من العُطاس، فإذا غدا الرجل لسفره فسمع بعاطس يعطس تطير، ومنعه ذلك من المضيِّ. اللسان والعباب وأساس البلاغة (عطس) وتهذيب

(٥٦) ومثله أيضًا ما ورد في المحكم ٦/ ٤٨٤، وديوان أبي النجم ٢١٩.

(٥٧) أثبت محقق التاج (كمم، ٣٣/ ٣٧٧) في المتن رواية اللسان، وما وقع فيها من تحريف.

(٥٨) في تهذيب اللغة ١١/ ١٠٣، والتكملة (لجم)، والمعاني الكبير ٣/ ١١٨٥، وديوان العجاج ٢/ ١٥٧: العواطسا. تحريف.

اللغة ٢/ ٦٥ وديوان رؤبة ٧١ وفيه: ألا تخافُ[٥٩].

(لطم) (ق١٦/ ١٧)، قول أبي ذؤيب:

فجاءَ بها ما شِئتَ من لَطَمِيَّةٍ تَدُورُ البحارُ فوقَها وتَمُوجُ

صوابه: تدوم، أي: تسكُن. وقوله «بها»؛ أي: بالدُّرة. واللطمية: عِير تحمل التجارة والعطر. وتموج: تتحرك. اللسان (دوم)، وجمهرة اللغة ٣/ ٥٠٤، وفي اللسان (فرت)، والتنبيهات ٢٣٥ وفيه: يدوم الفرات فوقها ويموج. شرح أشعار الهذليين ١/ ١٣٤.

(لغم) (ق١٦/ ١٩)، وأنشد ابن بري لرؤبة:

تَزْدَجّ بالجادِيّ أَو تَلَغَّمُهْ

وفي الحاشية «هكذا في الأصل وحرره».

قوله «تزدَجُّ» صواب محض. أي: تدققه وتطوله. والجادي: الزعفران. يقال: ازدَجَّ الحاجب: إذا تم إلى ذُّنابى العين. وتلغَّمَهُ: تضعه على ملاغمها، وهو ما حول فمها. التكملة (زجج)، وديوان رؤبة ١٥٠ وفيه: تضمَّخُ.

(لوم) (ق١٦/ ٣٥)، وأنشد:

يا عَمْرُو أَحْسِنْ نَوالَ الله بالرَّشَدِ واقْرَأ سلامًا على الأنقاءِ والثَّمدِ

وإنما الصواب: نواك، أي: قَصْدَك به وأوصله إليك. يدعو له. والأنقاء: واحدها نَقا، وهو القطعة المُحْدودِبة من الرمل. والثمد: الماء القليل. اللسان وأساس البلاغة (نوي) وتهذيب اللغة ١٥/ ٥٥٦.

(نجم) (ق١٦/ ٤٦)، قول المرار:

---

(٥٩) أورد محقق ديوان رؤبة هذا البيت سهوًا في الملحقات ص ١٧٦ على أنه مما لم يرد في مخطوطة الديوان، وتبعه في ذلك الدكتور عزة حسن، فأحال إلى الملحقات في تخريج هذا البيت. ديوان العجاج ٤٤٦.

ويـــومٌ مِـــن الـــنَّجْم مُسْـــتَوْقِد يَسـوقُ إِلـى المـوت نُـورَ الظِّبـا

وإنما الصواب: الظِّباء[٦٠]، مقيدةً أو مخفوضةَ الرويّ. والـنجم: أراد بـه الثريا. ويسوق إلـى المـوت: أراد يسـوق الظبـاء إلـى كنسـها، فشـبه الكـنس بالقبور لها وجعلها كالموتى. والنُّور: النُّفَّر، واحدها: نَوار. الوحشـيات ٥٥، وشعراء أمويون ٢/ ٤٣٥.

(نهم) (ق١٦/ ٧٥)، قال رؤبة:

والهُوجُ يُذْرينَ الحَصى المهْجوما

صوابه: يذرين، أي: ترمي. الهوج: واحدها: هوجاء، وهـي الـرِّيح التـي تَقلع البيوت. والمهجوم: الملقى. ملحقات ديـوان رؤبـة ١٨٤. ومثلـه قـول العجاج (ديوانه ١/ ١٥٧):

تَذرِي الرياحُ تربَها السوافي

(نهم) (ق١٦/ ٧٥)، قال الطرماح[٦١]:

فتَلاقَتْـــه فلاثَـــتْ بـــه لَعْوةٌ تَضْبَحُ ضَبْحَ النُّهـامْ

صوابه: فتلافته، بالفاء. أي: تداركته. ولاثت به: دارت حوله. واللعوة: الكلبة الشرهة الحريصة. والنهام: ذكر البوم. يصف ثورًا وكلابًا. ديوان الطرماح ٤١٤.

(وثم) (ق١٦/ ١١٤)، فأما قوله[٦٢]:

فســقَى بـــلادَك غيـــرَ مُفْسِـــدِها صَـــوبُ الرَّبيـــع ودِيمـــةٌ تَـــثِم

ولم تُضبَطِ الميم في قولـه «تـثم» والروايـة: تهمـي. والبيـت لطرفـة بـن

(٦٠) جاءت ثلاثة أبيات أخرى من كلمة المـرار فـي اللسـان (كـأب، صـنع، صـها) مهمـوزة، مقيدة الرويّ، وهي في الوحشيات مخفوضة الرويّ، وكلاهما جائز. ومثله أيضًا مـا ورد في التاج (نجم، ٣٣/ ٤٧٦).

(٦١) ومثله أيضًا ما ورد في حاشية تهذيب اللغة ٦/ ٣٣٢، وحاشية الصحاح (نهم).

(٦٢) ومثله أيضًا ما جاء في تهذيب اللغة ١٥/ ١٦٢، والمحكم ١١/ ١٩٦.

العبد، من كلمة مخفوضة الرويّ. غير مفسدها: أي: أصابها مطر نافع لا يخربها ولا يزيد على ريّها وحاجتها. وهذا من أحسن ما وُصِفَ به المطر. الديمة: المطر الدائم في لين. تهمي: تسيل. اللسان (همي)، وتهذيب اللغة ٦/ ٤٦٧، وديوانه ٩٧.

(وزم) (ق١٦/ ١٢١): الليث: يقال: اللحم يتزيم ويتزيب، إذا صار زيما، وهو شدة اكتنازه وانضمامه بعضه إلى بعض.

كذا، وليس موضع هذه العبارة في مادة (وزم)، وإنما في مادة (زيم). تهذيب اللغة ١٣/ ٢٧٢، وكتاب العين ٧/ ٣٩٤، والتكملة (زيم).

(وسم) (ق١٦/ ١٢١)، أنشد ثعلب:

تَرْشَحُ إِلَّا موضِعَ الوُسومِ

يقول ترشح أبدانها كلها إلا...

وفي العبارة بياض بعد قوله «إلا» وتتمتها: هذا الموضع. والوَسْمُ: أثر الكَيِّ. وترشح: تعرق، وموضع الوسم لا يرشح. مجالس ثعلب ٢/ ٥٣٨.

(وسم) (ق١٦/ ١٢٣)، قال:

لهِنّك مِنْ عَبْسِيّةٍ لَوَسِيمةٌ على هَنواتٍ كاذبٍ مَن يقولها

أراد وواسمتُ فلانًا فوسمته إذا غلبتَهُ بالحُسن.

وفي العبارة بياض بعد قوله «أراد» تتمته من اللسان (لهن): أراد لله إنك من عبسية، فحذف اللام الأولى من لله والألف من إنك. وانظر أيضًا: تهذيب اللغة ٦/ ٤٢٣، ١٠/ ٥٠٣، والبارع ١٠٩.

[للبحث صلة]

المحاضرات والمدارسات(*)

(*) **المدارسة**: هي المقابل العربي لكلمة (سيمِنار seminar) الأجنبية، وتعني بحثاً يقدمه أحد أعضاء المجمع، للتذاكر به ومناقشته في مجلس المجمع.

التقويم الزمني في حضارة بلاد الرافدين (العراق القديم)

أ. د. عيد مرعي(*)

يُعرَّف التقويم في اللغة العربية بأنه «حساب الزمن بالأيام والشهور والسنين»(١)، وفي اللغات الأوربية الحديثة Calendar بالإنكليزية، وCalendrier بالفرنسية، وKalender بالألمانية وغيرها، مشتقة من الكلمة اللاتينية calendarium التي معناها: «سجل، كتاب ديون، كتاب حساب»، وهذه بدورها مشتقة من كلمة Calendae (Kalendae) التي كانت الاسم اللاتيني لليوم الأول من كل شهر في التقويم الروماني القديم، وهو اليوم الذي كانت تسجل فيه الأيام والأعياد والمناسبات المستقبلية(٢). والمصطلح الأكثر شيوعًا في العربية هو «روزنامه» الفارسي المؤلف من كلمتين هما: «روز»: يوم، و«نامه»: كتاب، والمعنى: «كتاب الأيام».

(*) ألقى عضو مجمع اللغة العربية بدمشق الأستاذ الدكتور عيد مرعي هذه المحاضرة في قاعة المحاضرات في المجمع بتاريخ ٣١/ ١/ ٢٠٢٤.

(١) المعجم الوسيط، إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة الرابعة، مكتبة الشروق الدولية ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.ص٧٦٨.

(٢) Langenscheidts Taschenwörterbuch, Lateinisch, ateinische-Deutsch, Duetsch-Lateinisch, Berlin-München-Wien-Zürich 1963, S. 79.

عاش الإنسان آلافًا من السنين حياة الحل والترحال في العصرين الحجريين القديم (Palaeolithic قبل نحو أربعة ملايين سنة إلى نحو خمسة عشر ألف سنة قبل الميلاد)، والوسيط (Mesolithic) من نحو خمسة عشر ألف سنة قبل الميلاد إلى نحو عشرة آلاف قبل الميلاد)، معتمدًا في توفير قوته على ما تجود به الطبيعة من ثمار ومحاصيل، وعلى ما يستطيع صيده بأدواته الحجرية من حيوانات البر والبحر. وكان يتخذ من المغاور والكهوف ملجأً ومسكنًا مؤقتًا له لاتقاء حر الصيف وبرد الشتاء واعتداءات الحيوانات المفترسة. ولم يكن للتقويم وحساب الزمن وعدّ الأيام والأشهر والسنوات أهمية في حياته. نلحظ ذلك حتى الآن عند الأقوام والشعوب التي مازالت تعيش حياةً بدائية في مجاهل آسيا وإفريقيا وأستراليا.

لكن الإنسان أدرك الحاجة إلى حساب الزمن (علم التوقيت) Chronology، وتقسيمه إلى وحدات متتابعة مع انتقاله من مرحلة الصيد وجمع القوت وحياة التنقل والترحال إلى حياة الاستقرار والإقامة الدائمة بعد اكتشاف الزراعة ومعرفة المدنية (الألف العاشر قبل الميلاد في مواقع متعددة من الشرق القديم) وتطور الحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية والفكرية. فقام بحسابه وتأريخ الحوادث المهمة في حياته بناءً على دورات ثابتة لظواهر طبيعية أو فلكية كدوران الأِرض حول محورها من الغرب إلى الشرق، أي اليوم (الشمسي) ومدته أربع وعشرون ساعة، ودوران القمر حول الأرض دورة كاملة، أي الشهر، ودوران الأرض حول الشمس دورة كاملة بدءًا من نقطة معينة، أو دورة الشمس بين اعتدالين ربيعيين، أي السنة، وهذا ما سُمي التقويم Calendar، أي النظام الذي يقسم الزمن إلى فتراتٍ

محددة، كالأيام، والأسابيع والشهور، والسنين، ويرتبها بحسب نظام معين. وهو ضروري جدًّا لتنظيم الحياة المدنية، والاقتصادية، والاجتماعية، والمناسبات الدينية، والأحداث التاريخية، والعلمية، وغيرها، أي لتأريخ الأحداث التي تحدث مع الإنسان في مختلف مجالات الحياة. وقد حدث ذلك بعد مراقبته للنجوم والكواكب القريبة من الأرض، ولا سيما تلك المؤثرة في حياة الإنسان على نحو مباشر كالشمس والقمر. فالشمس أول الكواكب التي لفتت أنظار الإنسان إليها، فمن شروقها وغروبها يستطيع الإنسان معرفة النهار والليل، وهي التي تمده بالحرارة والدفء والنور، وبدونها لا يمكن أن تنشأ حياة على سطح الأرض. فأشعة الشمس ضرورية وأساسية لحياة الإنسان والحيوان والنبات، لذلك هناك ارتباط عضوي بين الحياة ككل وأشعة الشمس، ولاسيما بالنسبة لحياة الإنسان والنبات، لذلك تم الربط بين دورة الشمس والتقويم الشمسي والدورة الزراعية، إذ يمكن قياس طول السنة الشمسية من وقت فلاحة الأرض وبذر البذور إلى الموسم التالي. وقد أدرك الإنسان أهمية حساب طول السنة الشمسية بعد أن اكتشف الزراعة وعرف بناء البيوت، والاستقرار الدائم.

أما القمر فيبدو أن اهتمام الإنسان بمراقبته ارتبط بحياة التنقل والترحال التي عاشها في العصرين الحجريين القديم والوسيط (قبل الألف العاشر قبل الميلاد)، وكان القمر الهادي والرفيق للمسافر في انتقاله من مكان إلى آخر، سواء برًّا أم بحرًا. لذلك نجد القمر يحظى بأهمية أكبر من الشمس في معظم حضارات الشرق القديم.

تحتاج الأرض للدوران حول الشمس إلى ٣٦٥ يومًا وخمس ساعات

و٤٨ دقيقة و٤٦.١ ثانية، وهذا ما يعرف بالسنة الشمسية Solar year المرتبطة بالتغيرات المناخية، وتقسم إلى فصول أربعة، هي: الشتاء والربيع والصيف والخريف. وتأتي هذه الفصول في أوقات سنوية ثابتة لا تتغير. أما السنة القمرية Lunar year فتقوم أساسًا على دورة القمر حول الأرض التي تبلغ مدتها نحو ٢٩.٥٠ يومًا، ومن ثَمَّ فإن السنة القمرية تساوي نحو ٣٥٤.٣٦ يومًا، أي أقصر من السنة الشمسية بمقدار ١١.٢٤ يومًا. وهذا ما نلاحظه على نحو واضح كل سنة عندما يأتي شهر رمضان في وقت مختلف عن السنة السابقة، ولا يعود إلى التاريخ نفسه من السنة الشمسية إلا بعد مرور نحو ثلاث وثلاثين سنة قمرية، وذلك لأن التقويم الهجري تقويم قمري.

وقد أوجدت معظم شعوب العالم القديم ولاسيَّما شعوب الشرق الأدنى القديم، كالسومريين والبابليين، والآشوريين وغيرهم، الذين كان لهم قصب السبق في مجال التقدم والحضارة، تقاويم خاصة بها لحساب الأيام والشهور والسنين. وسنتحدث فيما يلي عن التقويمين السومري والبابلي.

أ- التقويم السومري The Sumerian Calendar:

يُعدُّ السومريون من أشهر الجماعات التي سكنت أقصى القسم الجنوبي من بلاد الرافدين (العراق الآن) منذ منتصف الألف الرابع قبل الميلاد. وأقاموا لهم بعض ممالك المدن في العصر المعروف باسم عصر السلالات السومرية الباكرة (٢٩٠٠-٢٣٥٠ق.م). واشتُهرت من تلك الممالك أور، وأُوروك، ولاجاش، وكيش، وأُوما وغيرها. وقد حقق السومريون إنجازاتٍ حضاريةً رائعة يأتي في مقدمتها اختراع الدولاب، وابتكار الكتابة، وبناء الزقورات (المعابد العالية المدرجة) التي استخدمت قممها لمراقبة النجوم والكواكب

المختلفة. وقد أوجد السومريون تقويمًا قمريًّا لحساب الزمن، يتألف من اثني عشر شهرًا، كل شهر تسعة وعشرون أو ثلاثون يومًا. ويبدأ الشهر مع رؤية هلال القمر الجديد. لكنهم لم يعرفوا أسماءً موحدة للأشهر؛ وذلك بسبب التمزق السياسي الذي ساد بينهم؛ إذ لم تقم لهم دولة مركزية واحدة، وبسبب التنوعات الدينية عندهم، إذ عرفوا عبادة الكثير من الآلهة التي يأتي في مقدمتها «نانا: Nanna» إله القمر، و«أوتو: Utu» إله الشمس، و«إنانَّا: Enanna» (نجمة الزُّهرة) إلهة الخصب والحب والحرب.

وكانت الأشهر تسمى بأسماء الأعياد المحلية التي تجري فيها، أو بحسب الأحداث المختلفة والنشاطات الزراعية التي تجري إبَّانها. وقد حلَّ رجال الدين الذين كانوا مسؤولين عن مختلف فروع المعرفة مشكلة أسماء الأشهر بتسميتها بحسب تتابعها، فهناك «الشهر الأول»، و«الشهر الثاني»، و«الشهر الخامس»،.... إلخ. وهذا ما فعله كتَّاب العهد القديم بعد قرون طويلة في سِفر التكوين.

وللحفاظ على التوازن بين السنة القمرية المؤلفة من ٣٥٤.٣٦ يومًا والسنة الشمسية المؤلفة من ٣٦٥.٢٥ يومًا (سنة باللغة السومرية «مو: MU»)، وعلى ثبات أزمنة فصول السنة والمواسم الزراعية، كان الملك أو الحاكم يأمر بإضافة شهر مؤلف من ثلاثين يومًا إلى التقويم كل ثلاث سنوات، أو كلما دعت الحاجة إلى ذلك(٣).

(٣) هذا ما يُعرف باسم «الكَبْس Intercalary» الذي يعني لغة إضافة يوم أو شهر إلى التقويم المعمول به للمحافظة على التزامن بين التقويم والسنة الشمسية. ففصول السنة والأحداث الفلكية تأتي في أوقات محددة من السنة الشمسية، لذلك لا بد من إضافة يوم أو شهر إلى السنة كل فترة للإبقاء على التزامن بين التقويم (القمري مثلًا) والتقويم =

لم يجد السومريون في دورة الشمس تغيرات واضحة تلبي حاجتهم لمعرفة أقسام السنة من خلالها، فهي تشرق وتغيب كاملة دون أن يطرأ على شكلها أي تغيير. لذلك اعتمدوا على القمر كون له مراحل واضحة في أثناء دورانه حول الأرض. فهو يظهر هلالًا ثم يحتاج إلى سبعة أيام منذ ظهوره في بداية الشهر القمري ليصبح نصف بدر. وهذا ما ساعدهم على معرفة الأسبوع كوحدة زمنية أكبر من اليوم ومؤلفة من سبعة أيام. وعندما يصبح القمر بدرًا يكون قد مضى على ظهوره أسبوعان، أي أربعة عشر يومًا. وكان يتم عادة الاحتفال بالأيام المقدسة في الأول والسابع والرابع عشر والحادي والعشرين والثامن والعشرين من كل شهر. فضلًا عن هذه الأيام المقدسة وجدت أيام أعياد ومناسبات دينية كانت تختلف من مدينة إلى أخرى.

وكان اليوم (أُود) UD يبدأ وينتهي مع غروب الشمس (كذلك فعل كتَّاب العهد القديم في سِفر التكوين فيما بعد)، ويعبر عنه كتابة عندما ظهرت المرحلة الصورية من الكتابة في أواخر الألف الرابع قبل الميلاد برسم صورة الشمس تشرق من خلف الجبال.

ويتألف من اثنتي عشرة ساعة مضاعفة، ستٌّ للنهار، وستٌّ لليل، يختلف طول كلٍّ منها من فصلٍ إلى آخر، حيث كانت أقصر في الشتاء وأطول في الصيف. وتم التعبير عن أهمية القمر كإله (نانا NANNA بالسومرية وسين Sin بالأكادية) يحدد طول السنة في إحدى المدائح الدينية الموجهة لنانا على لسان

= الشمسي. ويُستخدم الكبس الآن بإضافة يوم إلى شهر شباط كل أربع سنوات ليصبح عدد أيامه تسعة وعشرين يومًا بدلًا من ثمانية وعشرين. وتسمى تلك السنة سنةً كبيسة، وتتميز بقابلية قسمة عدد أيامها على العدد أربعة. انظر لسان العرب، المجلد الخامس، باب الكاف، مادة كبس.

ريم سين Rim Sin ملك مملكة لارسا (نحو ١٧٦٣ق.م) التي تقول: «نانا هو الذي يحدد الشهور، والذي يكمل السنة». ويبرز تفوق القمر على الشمس في الميثولوجيا السومرية التي تعدّ القمر أبًا للشمس(٤).

وبسبب اعتماد النظام الستيني في العد والحساب كانت الساعة السومرية تتألف من ستين دقيقة، وكل دقيقة من ستين ثانية، وهذا ما ورثه العالم عن السومريين ومستخدم حتى الآن في كل أرجاء المعمورة، وهناك تقسيم آخر لليوم (النهار والليل) يقوم على تقسيمه إلى ستة أجزاء يدعى كل جزء سوسُّو sussu، ثم قسَّموا كل sussu إلى قسمين يسمى كل قسم كَسبو kasbu، ويساوي نحو ساعتين من حساباتنا الحالية. فيما بعد جزَّؤوا كل kasbu إلى ثلاثين جزءًا يدعى كل منها أوش uš، وبذلك تطابق أصغر وحدة زمنية في حسابهم نحو أربع دقائق من حسابنا.

أما أيام الأسبوع فقد سماها السومريون بأسماء الآلهة الكبرى والكواكب المرتبطة بها. وقد ورث سكان بلاد الرافدين اللاحقين ولا سيما البابليين نظام التسمية هذا، وانتقل فيما بعد إلى اليونان والرومان، ومن ثم بقية شعوب الأرض، وما يزال مستخدمًا حتى الآن في التسميات السائدة في أوروبا وأميركا. نورد فيما يلي التسميات السومرية لأيام الأسبوع:

اليوم	الكوكب الخاص به	الاسم السومري للكوكب	الإله السومري الخاص به
الأحد	الشمس	أوتو Utu	أوتو
الاثنين	القمر	سوإين (سين) Suen	نَنَّار Nannar

(٤) Cohen, Mark.E, The cultic calenders of the ancient near east, CDI press, Bethesd .1993, p. 3

الثلاثاء	المِريخ	آن An	آن (إله السماء)
الأربعاء	عُطارد	كوإود	إنكي Enki (إله الأرض)
الخميس	المُشتري	سكميكار	إنليل Enlil
الجمعة	الزُّهرة	نانسي أنَّا	إنانا Enanna
السبت	زُحل	تور دش (جيّنا)	نينورتا Ninurta

وقسَّمَ السومريون السنة إلى فصلين، يتألف كل فصل من ستة أشهر:

١ - فصل الصيف: إيميش Emesh (سيد الحَرّ)، باللغة الأكادية: «أُومُّو أُومَّاتو» ummu ummatu (أيام حارَّة)، الذي كان يبدأ مع الاعتدال الربيعي في شباط / آذار، أي مع بداية السنة الجديدة. وكان يتم فيه حصاد الحبوب في أواخر شهر أيار وبداية حزيران. وبذلك فهو يطابق فصلي الربيع والصيف بحسب التقسيمات الحالية. وكان فيضان نهري الفرات ودجلة السنوي الذي يحدث نتيجة ذوبان الثلوج في هضبة الأناضول يجري في شهري نيسان وأيار، أي إبَّان هذا الفصل.

٢ - فصل الشتاء: إينتين Enten (سيد البرد) باللغة الأكادية «كُوصّو» kuṣu(m)، kuṣṣu(m): برد، فصل الشتاء[٥]، الذي كان يبدأ مع الاعتدال الخريفي

(٥) Akkadisches Handwörterbuch, bearbeitet von Wolfram von Soden,drei Bände, Otto harrassowitz, Wiesbaden 1965- 1981 ; S 516 a;

سنشير لاحقًا إلى هذا «المعجم الأكَّادي» المؤلف من ثلاثة مجلدات بشكله المختصر باللغة الألمانية AHw.The Chicago Assyrian Dictionary of the University of Chicago, 22 Band, Chicago-Gluckstadt 1956 ff., 8, K, 594.

سنشير لاحقًا إلى هذا «معجم جامعة شيكاغو الآشوري»، المؤلف من واحدٍ وعشرين مجلدًا بشكله المختصر باللغة الإنكليزية CAD.

في أيلول / تشرين الأول، أي مع بداية سقوط الأمطار. ويطابق بذلك فصلي الخريف والشتاء الحاليين. وتجري فيه زراعة الأرض والعناية بالنباتات.

وثمة أسطورة سومرية تتحدث عن الصراع بين إيميش (الصيف) وإينتين (الشتاء)، وتصفهما بأنهما أَخَوَان، وتسمي إيميش راعي الآلهة، وإينتين فلاح الآلهة، ومن ثم فإنها تخفي الصراع التقليدي بين الراعي والمزارع، وتنتهي بأن يفضل الإله إنليل كبير الآلهة السومرية الشتاء والزراعة على الصيف والرعي(٦). فهي إذن تعبِّر عن تعاقب فصول السنة. وقصة الصراع هنا الذي يوصف بأنه بين أخوين تذكِّرُنا بالصراع الدموي بين قابيل (الفلاح) وهابيل (الراعي) الذي يتحدث عنه العهد القديم. بيد أن الفرق بينهما هو أن الصراع في الأسطورة السومرية ينتهي بالمصالحة نتيجة تدخل الإله إنليل، في حين ينتهي في العهد القديم بمقتل هابيل على يد أخيه قابيل.

ومما تجدر الإشارة إليه أن السومريين قَسَّموا نتيجة مراقبتهم للسماء والكواكب السماء إلى اثني عشر برجًا سماويًّا، وذلك بناءً على دورة القمر في السنة وظهور نجوم بعينها في هذه البروج. وسموا هذه البروج بأسماء الآلهة الكبرى المعروفة لديهم أو بأسماء رموزها الحيوانية.

ب- التقويم الأكّادي-البابلي: The Akkadian - Babylonian Calendar

اهتم جميع سكان بلاد الرافدين بعلم الفلك Astronomy منذ الألف الثالث قبل الميلاد، وعرفوا الكواكب والنجوم ومساراتها وحساب الزمن.

(٦) Kramer, S.N., Sumerian Mythology: study of spiritual and literary Achievment in the third Millennium B.C. 1944, rev. 1961, p.49 - 51.

كريمر، صموئيل نوح، الأساطير السومرية، ترجمة يوسف داود عبد القادر، بغداد ١٩٧١، ص٣٥.

ولعل ما تذكره أسطورة خلق الكون البابلية (إنوما إليش) Enuma Elish التي يعود زمن تدوينها الأول إلى عصر حمورابي (١٧٩٠-١٧٥٠ ق.م) أفضل دليل على معرفة سكان بلاد أكّاد وبابل للتقويم وحساب السنين. ففي اللوح الخامس من هذه الأسطورة نقرأ:

«صمَّم» (المقصود الإله مردوك بطل الأسطورة) منصات للآلهة العظماء.

أما بالنسبة للنجوم؛ فقد وضع لكلٍ منها كوكبات تقابلها.

وعيَّن السنة وحدَّد أقسامها، ووزع حصصًا من ثلاثة أنجم لكلٍ من الشهور الاثني عشر. وبعد أن وضع خططًا لأيام السنة أسس منصة نجم القطب (نبرو) ليحدد مسيرتها؛ كيلا يُخطئ أي منها أو يتيه.

وثبَّتَ إليها أيضًا منصة إنليل وإيا.

فتح بوابات في الضلعين،

وصنع مزلاجين قويين إلى اليسار واليمين.

وحدَّد الأعالي بكبدها (بكبد الإلهة تيامات غريمته)،

وجعل هلال القمر يظهر، وائتمنه على الليل

وعيَّنَه جوهرة الليل، ليحدد به النهارات.

انطلقْ بهالةٍ كل شهر من دون إخفاق،

لتشعَّ على الأرض بداية كل شهرٍ.

تلتمع بأبواقٍ تحدد ستة أيام»،

وفي اليوم السابع ينتصف الإكليلُ.

وسيكون اليوم الخامس عشر أبدًا نقطة الوسط،

منتصف كل شهر.

وعندما ينظر إليك شماش (إله الشمس) من الأفق،
أبهتْ رؤياك تدريجيًّا، وادخُل المُحاق.
واجعل يوم أفولك دائمًا على مقربةٍ من مسار الشمس،
وفي اليوم الثلاثين تتساوى السنة
دائمًا؛ لأن شماش مسؤول عن السنة»(٧).

مما تجدر الإشارة إليه أن «أسطورة خلق الكون البابلية» تتحدث عن الصراع بين النظام الكوني والفوضى. وسميت بحسب الكلمات الأولى منها «إنوما إليش»: عندما في العلا. وكانت تُلقى في اليوم الرابع من احتفالات رأس السنة البابلية التي كانت تتم في بداية شهر نيسان / أبريل. وقد كُتبت بالكتابة المسمارية، باللغة الأكادية، اللهجة البابلية القديمة، على سبعة ألواح طينية. والنسخة الموجودة الآن تعود إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد، عُثر عليها في منتصف القرن التاسع عشر في خرائب قصر آشوربانيبال في نينوى، ونشرها أَوَّلَ مرة جورج سميث G. Smith في عام ١٨٧٦ بعنوان Genesis The Chaldean «التكوين البابلي». ويرقى تاريخ تدوين هذه النسخة إلى القرن الثامن عشر قبل الميلاد، إذ يظهر فيها مردوك الإله الحامي لمدينة بابل بطلًا يتفوق على بقية الآلهة. وهناك نسخة أقدم من هذه النسخة كُتبت باللغة السومرية القديمة، أبطالها الآلهة آنو وإنليل ونينورتا.

كانت **السنة** (شَتُّوم šattum في اللغة الأكادية)(٨) تبدأ في بلاد بابل في

(٧) دالي، ستيفاني، أساطير من بلاد ما بين النهرين، طبعة جديدة منقحة ومزادة، ترجمة نجوى نصر، بيروت ٢٠١١، ص٣٨٣-٣٨٥.

(٨) باللغة الأكادية «شَتُّوم (شَنتوم) šattum, šantum: سنة، وبالأوجاريتية «شنت»، وبالآرامية «شينا، شَتَّا»، وبالعبرية «شَنَه»، AHw 1201 b; CAD 17, Š, II, 197; Aistleitner,J. Wörterbuch der ugaritischen Sprache, Berlin 1963, 311. =

فصل الربيع مع بداية شهر نيسان، إذ تتم احتفالات ضخمة تعبر عن فرحة الناس بعودة الخصوبة إلى الطبيعة تدوم اثني عشر يومًا. وعدد أيامها ٣٥٤ يومًا مقسمة إلى اثني عشر شهرًا، عدد أيام كل شهر ثلاثون أو تسعة وعشرون يومًا على نحو متتالٍ بدءًا من شهر نيسان.

وقد قُسمت إلى ثلاثة أقسام هي: رأس السنة resh shattim: ريش شَتّيم، ومنتصف السنة:mishil shattim ميشيل شَتّيم، ونهاية السنة kit shattim: كيت شَتّيم.

أما التقسيم الأكثر انتشارًا في بلاد بابل للسنة، فهو ذلك الذي يقسمها إلى قسمين رئيسين، هما: الأول الربيع والصيف، ويبدأ في شهر آذار وينتهي في أيلول، والثاني الخريف والشتاء، ويبدأ في شهر تشرين الأول، وينتهي في آذار. ويأتي الحصاد وجني المحصول في منتصف القسم الأول، ويدوم نحو شهرين، وتسمى هذه المدَّة «الحر»، كما يسمى منتصف الشتاء «البرودة»(٩).

= قسَّم البابليون السنة إلى أربعة فصول، هي:

١- فصل الربيع: دَشئو(م)، ديشو(م): daš'ū (m), dešû(m) ربيع، عشب الربيع، AHw 165 .b, CAD 3 D, 163

٢- فصل الصيف: إبورو(م) ebūru(m): صيف، وقت الحصاد، محصول. AHw 183 b; .CAD 4, E, 16

وهناك تسمية ثانية للصيف هي: أومّو أومَّاتو ummu ummātu: أيام حارة. كما توجد تسمية ثالثة هي: أومشو(م)، أوشُّو، أونشو: umšu, uššu, unšu صيف، حرّ، AHw .Landsberger, S. 248 ،1418 b; CAD 20 U and w, 137

٣- فصل الخريف: خَرْپو(م) harpu(m): خريف، AHw 326 b; CAD 6 H, 106.

٤- فصل الشتاء: كوصّو(م) kuṣṣu(m), kuṣu(m): شتاء، برد، AHw 516 a; CAD 8 K, 594. Landsberger, B., Jahreszeiten im sumerischen- Akkadischen, in: Journal of .Near Eastern Studies (JNES) VIII, 4(1949), S. 288- 290

(٩) Landsberger, B., Op.Cit. S. 253.

والوحدة الزمنية الأولى عندهم كانت اليوم (أُوموم umum في اللغة الأكَّادية)[١٠] الذي يبدأ مع بزوغ شمس اليوم، وينتهي مع شروق شمس اليوم التالي، وقد قسَّموه إلى اثنتي عشرة ساعة مزدوجة أسموا الواحدة منها «بيرو bi/eru(m)» bēru:، بالسومرية danna: ساعة مزدوجة، جزء من ١٢ من اليوم[١١]. وقسموا كل bēru إلى ثلاثين جزءًا متساويًا أسموا الواحد منه «أوش» Uš، وتساوي كل أوش أربع دقائق تمامًا، وقسموا الأوش إلى ستين جزءًا سميت NINDA.

وهناك تقسيم آخر لليوم إلى أربعة أجزاء: الجزء الأول من مغيب الشمس إلى منتصف الليل، والجزء الثاني من منتصف الليل إلى شروق الشمس، والجزء الثالث من شروق الشمس إلى الظهيرة، والجزء الرابع من الظهيرة إلى مغيب الشمس. كما عرفوا تقسيمًا ثالثًا لليوم يتألف من ستة أقسام، ثلاثة للنهار، وثلاثة لليل، ويبدأ النهار بشروق الشمس (بالأكادية نَباخ شَمشي napach Shamshi: نَفْخُ شماش إله الشمس)، ويليه القسم الثاني الذي يسمى باللغة الأكادية «موصلالو» muṣlālu(m): الظهيرة، وقت الظهيرة (مشتقة من الفعل «صَلالو» ṣalālum يظلل)[١٢]. أما القسم الثالث فهو «الغروب»، أي مغيب الشمس)باللغة الأكادية إيريب شَمشي «ereb šamši».

أما أقسام الليل فهي: الأول ظهور (النجوم، باللغة الأكادية بَراريتو: barārītum «بداية المساء»)[١٣]، والثاني منتصف الليل، (باللغة الأكادية قَبْليتو:

(١٠) بالأكادية " أوموم ūmum: يوم "، AHw 1418 b.

(١١) AHw 130 a; CAD 2, B, 208.

(١٢) AHw 679 a..

(١٣) AHw 106 a.

qablitum وسط)[١٤]. «والثالث بزوغ الفجر (باللغة الأكادية شَت أوري: šat urri الصباح الباكر»[١٥]. وقاس البابليون الزمن بوساطة ساعات مائية[١٦].

أما **الوحدة الثانية** فهي الأسبوع الذي لا يطابق دورة فلكية محددة، وأخذوه عن السومريين، ويتألف من سبعة أيام إما لأن عدد الكواكب التي يستطيع الإنسان رؤيتها بالعين المجردة هو سبعة بما فيها الشمس والقمر) عُطارد والزُّهَرة والمِرِّيخ والمُشْتَري وزُحَل)، وهي آلهة في نظرهم، أو هو تقسيم للزمن بين مرحلتين من مراحل القمر: مرحلة الهلال ومرحلة البدر. وكانوا يحتفلون باليوم السابع من الأسبوع «سيبوتو» sebûtu يومًا مقدسًا، وأسموه «يوم الشر» الذي يعني عدم القيام بأي نشاطات أو أعمال. وورث اليهود ذلك فيما بعد، وعملوا به. لكنهم كانوا يقدمون الأضاحي للآلهة ليلًا: لمردوك Marduk (إله بابل الرئيس)، وعشتار Ishtar (إلهة الحب والحرب والخصب) في اليوم السابع من الشهر، ولنينليل Ninlil (سيدة الريح)، ونيرجال Nergal (إله الطاعون والعالم السفلي) في اليوم الرابع

(١٤) AHw 887 a.

(١٥) AHw 1433 a.

(١٦) عرف البابليون الساعة المائية Clepsydra ذات الشكل الأسطواني المصنوعة من الطين منذ العصر البابلي القديم (١٦٠٠-٢٠٠٠ق.م)، واستخدموها وسيلة مساعدة في الحسابات الفلكية. لكن لا توجد للأسف نماذج مكتشفة منها في بلاد الرافدين (العراق) حتى الآن لكونها كانت تصنع من الطين. بيد أن الدليل على وجودها يرد في مجموعتين من النصوص المسمارية، إحداهما تعود إلى الفترة ما بين (١٢٠٠-١٦٠٠ق.م) Enuma- Anu- Enlil، والثانية إلى القرن السابع قبل الميلاد (. MUL APIN). وتشير نصوص هاتين المجموعتين إلى أن الساعة المائية كانت تستخدم في عمليات دفع الأجور للعمال.

عشر، ولسين Sin (إله القمر)، وشماش Šamaš (إله الشمس) في اليوم الحادي والعشرين، ولإنكي Enki (إله الأرض والحكمة والماء العذب)، وماخ Mach (إحدى الإلهات الأم السومرية، وهي اختصار لـ نين ماخ Ninmach: السيدة الكبيرة) في اليوم الثامن والعشرين.

وورث البابليون نظام تسمية أيام الأسبوع بحسب الكواكب السبعة المقدسة التي كانت آلهة في نظرهم عن السومريين (مع اختلاف في الأسماء التي تظهر هنا باللغة الأكَّادية)، وهي الآتية:

الأحد: يوم شماش Šamaš، إله الشمس.

الاثنين: يوم سين Sin، إله القمر.

الثلاثاء: يوم آنو Anu، إله السماء.

الأربعاء: يوم إيا Ea (إنكي بالسومرية، وكوكبه عُطارد).

الخميس: يوم إنليل Enlil (المشتري).

الجمعة: يوم عشتار Ishtar (الزُّهَرة).

السبت: يوم نينورتا Ninurta (زُحل).

وقد أعطى الإسلام للعدد سبعة بعدًا دينيًّا، ومن ثمَّ اكتسب قدسية كما تشير إلى ذلك بعض آيات القرآن الكريم: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٥-١٦]. ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

والوحدة الثالثة هي الشهر warchum (وارخوم)[١٧] المبنية على مراحل ظهور القمر، وهذه المراحل هي:

١ – warchum وارخوم: اليوم الأول، الضوء الجديد.

٢ – sebûtu سيبوتو: اليوم السابع، الهلال[١٨].

---

(١٧) بالأكادية «وارخوم، أورخوم warḫum, urḫum: قمر، شهر». بالآرامية «يَرْخا»، وبالأوجاريتية «يرخ»، وبالعبرية «ييروخ».

AHw 1466 b; CAD 1, A, II, 239.، وبالعربية الجنوبية «ورخ»، بيستون، أ. وآخرون، المعجم السبئي، بيروت: مكتبة لبنان، ص١٦٢. وبالسومرية «ITI». أما الهلال فيسمى باللغة الأكادية «أُوسْك/قاروم a/usk/qaru(m)»، AHw 1438 a; CAD 20,, U and W, 278

أما كلمة «شهر» العربية فأصلها «سَهْرا» و«ساهور» الآرامية – السريانية، التي تعني «القمر والهلال». انظر: أغناطيوس يعقوب الثالث، البراهين الحسية على تقارض السريانية والعربية، دمشق ١٩٦٩، ص٤٥. ونجد كلمة «سهر» في لغات العرب الجنوبية بمعنى «هلال، مطلع شهر».

انظر: بيستون وآخرون، المعجم السبئي (بالإنجليزية والفرنسية والعربية)، دار نشريات بيترز، لوفان الجديدة، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٢، ص١٣٢..

ونقرأ في لسان العرب، المجلد الثالث، باب السين، مادة (سهر). السَّهَرُ: الأَرَقُ.

وقد سَهِرَ، بالكسر، يَسْهَرُ سَهَرًا، فهو ساهِرٌ. والسَّاهِرةُ والسَّاهُورُ: كالغلاف للقمر يدخل فيه إذا كسف، فيما تزعمه العرب. وقيل الساهورُ للقمر كالغلاف للشيء. والسَّاهُورُ والسَّهَرُ: نفس القمر. والساهور: دارة القمر، كلاهما سرياني. حتى في اللغات الأوربية نجد كلمة «شهر» مشتقة من اسم القمر. ففي الإنكليزية Month مشتقة من كلمة Moon الدالة على القمر. وفي الفرنسية كلمة Lune تعني «شهرًا وقمرًا. وفي الألمانية كلمة شهر هي Monat مشتقة من كلمةMond : قمر. وحتى في اللغة اللاتينية فالكلمة الدالة على شهر وقمر واحدة هي.Mensis

(١٨) AHw 1034 a, CAD 15, S, p. 206. 25

سيبوتو sebûtu(m): اليوم السابع من الشهر. (CAD 15, S, 206; AHw 1034 a). =

٣- shapattu شَبَتُّو: اليوم الخامس عشر، البدر.

٤- ūm bubbuli أوم بوبُّلي: يوم الاختفاء، اليوم التاسع والعشرون(١٩).

نورد فيما يلي أسماء أشهر التقويم البابلي النموذجي الذي ساد في بلاد بابل منذ القرن الثامن عشر قبل الميلاد (عصر حمورابي البابلي)، وهي الأسماء التي تبناها الآشوريون منذ عهد تيكلات بيليصر الأول Tiklatpileser I (١١١٤-١٠٧٦ق.م)، واليهود إبَّان وجودهم في بابل في القرن السادس قبل الميلاد (فترة السبي البابلي) أو بعده، واستُخدمت في التقويم الآرامي - السرياني مع تعديلات لأسماء بعض الأشهر، وهي التي مازالت مستخدمة حتى اليوم في العراق وبلاد الشام بصيغتها الآرامية - السُّريانية. علمًا أن كلمة «وارخوم» معروفة في معظم لغات المشرق العربي القديم، وهي على الأغلب أصل كلمة تاريخ و«تأريخ» و«مؤرخ» في اللغة العربية الحالية. نلفت الانتباه إلى أن المدن الرافدية والسورية المختلفة عرفت قبل القرن الثامن عشر قبل الميلاد تقاويم متعددة تختلف فيها أسماء الأشهر من مدينة

= يبدو أن هذه الكلمة هي أصل كلمة «سبت» الآرامية والعبرية والعربية. فالسبت هو اليوم السابع في الأسبوع.

نقرأ في لسان العرب: «السَّبْتُ: الراحة. وسَبَتَ يَسْبُتُ سَبْتًا: استراح وسكن. والسُّبات: نومٌ خفي. والسُّباتُ: النوم وأصله الراحة. والسَّبْتُ من أيام الأسبوع، وإنما سمي السابع من أيام الأسبوع سَبْتًا لأن ابتداء الخلق كان يوم الأحد إلى يوم الجمعة، ولم يكن في السبت شيء من الخلق. قالوا فأصبحت يوم السبت مُنْسَبِتَة أي قد تمت، وانقطع العمل فيها. وقيل سمي بذلك لأن اليهود كانوا ينقطعون فيه عن العمل والتصرف، والجمع أَسْبُتٌ وسُبُوتٌ. «لسان العرب، المجلد الثالث، باب السين،مادة «سبت»، ص١٩١٢.

(١٩) bubbulu أو ūm bubbuli: اليوم التاسع والعشرون من الشهر، القمر الجديد، طوفان، AHw 135 a.

إلى أخرى، فهناك تقويم ماري وتقويم سيبار، وتقويم نيبور، وتقويم لاجاش، وتقويم إشنونا، وتقويم إبلا، وغيرها. وقد وحَّدها حمورابي الملك البابلي المشهور(١٧٥٠-١٧٩٢ق.م) في تقويمٍ واحد على نحو يتماشى مع فكرة الدولة المركزية الواحدة التي أنشأها هو، وشملت كل مناطق بلاد الرافدين وربما بعض المناطق المجاورة لبلاد الرافدين معتمدًا أساسًا لذلك تقويم مدينة نيبور Nippur السومرية التي كانت بمنزلة العاصمة الدينية لبلاد سومر في الألف الثالث قبل الميلاد. ويُعرف ذلك التقويم الآن بالتقويم البابلي القياسي The Babylonian Standard Calenderالذي ساد في كل بلاد الرافدين وأجزاء واسعة من سورية بدءًا من القرن الثامن عشر قبل الميلاد، وهذه هي أشهره:

شهور رأس السنة:

١- **warach Nisannu** وَراخ نيسانُّو: شهر نيسان، وهو أول أشهر السنة، وهو شهر الإلهين آنو (إله السماء) وبيل (مردوك) إله مدينة بابل الرئيس، وبحسب وثيقة آشورية هو شهر سين إله القمر (نانا باللغة السومرية) الابن الأول لإنليل كبير الآلهة السومرية. وهو الشهر السابع في التقويم الآرامي - السرياني، ويقابله في التقويم الغريغوري مارس/أبريل Martius / Aprilis، وعدد أيامه ثلاثون يومًا[٢٠]. وبما أن حضارات الشرق القديم حضارات زراعية فقد كان يُحتفل بقدوم الربيع في بدايته، ولا سيَّما في بلاد الرافدين وسورية ووادي النيل. وذلك لأن الإنسان في هذه المناطق كان يتملكه خوفٌ كبير في نهاية فصل الشتاء من عدم عودة الخصب والحياة إلى الطبيعة

(٢٠) AHw 794 b; CAD 11, N, II, 265.

في بداية فصل الربيع، ولا سيَّما أن حياته كانت تعتمد بالدرجة الأولى على زراعة الحبوب المصدر الأساسي لغذائه. في هذا الشهر تخضَرُ الطبيعة، ويعود الخصب إليها، وتتفتح النباتات وتزهر، وتدب الحيوية في الحيوانات والطيور، لذلك كان يُحتفل في بداية هذا الشهر بالسنة الجديدة (مهرجان أكيتو) Akitu، ويدوم ذلك الاحتفال اثني عشر يومًا تقام فيها صلوات وطقوس دينية وتُرتل أسطورة خلق الكون (إنوما إليش) في اليوم الرابع منه. وكان أهم حدث فيه قدوم نانا إله القمر الذي رمزه سطوع القمر في السماء، وإعادة تمثاله بوساطة مركبٍ من خارج المدينة إلى معبده فيها. ويبدو أن الموطن الأصلي لهذا الاحتفال كان مدينة أور Ur السومرية (حاليًّا تل المقيَّر في جنوبي العراق)، مدينة نانا إله القمر[٢١]. وما يزال ذلك معروفًا حتى الآن في بعض المناطق السورية واللبنانية (الرابع من نيسان بحسب التقويم الشرقي (اليولياني)، أي السابع عشر منه بحسب التقويم الغريغوري). ويُوصف نيسان الآن في سورية بأنه شهر الأزهار، ويُقال: «الشتوة بنيسان بتحيي الإنسان». وقد سمَّى السومريون والأكَّاديون والبابليون والآشوريون بداية السنة وعيد رأس السنة الجديدة «أكيتو» akitu، و«زَغمو zagmu»، و«زَغْموكّو zagmukku»[٢٢].

وكانت بداية السنة مناسبة لإعادة النظر والتدقيق في الشؤون الاقتصادية والمالية والإدارية في كل مملكة ومدينة. ويرد ذكر شهر نيسان في نصوص مملكة أوجاريت السورية الساحلية)القرن الرابع عشر قبل الميلاد)، ومن المحتمل أنه

(٢١) Cohen, P. 401, 406

(٢٢) AHw 29 a; 1502 b; CAD 1, A, I, 267; 21, Z, 12

اشتق من اسم الشهر iti ni- ni- sag: شهر نينيساغ الذي استخدم في تقويم مملكة ماري الواقعة في منطقة الفرات الأوسط، بالقرب من مدينة البوكمال السورية الحالية، الموروث بدوره عن السومريين، الذي يعني «الأول» باللغة السومرية. وترد من العصر الكاشي (ما بين القرنين ١٦-١٢ق.م) إشارة إلى اسم مؤنث بصيغة Ni- sa- ni- tum نيسانيتوم: أي «التي ولدت في نيسان»(٢٣).

٢- warach Ayyaru وَراخ أيّارو: شهر أيّار، وهو شهر الثور والإله إيا (إنكي عند السومريين) إله الأرض والحكمة والماء العذب، وبحسب وثيقة آشورية كان شهر الإله نينجيرسو الذي يتطابق عادة مع الإله نينورتا (الفلاَّح)، ومعناه «النَّوْر وتفتح الأزهار»، ويسمى أيضًا «نَوَّار» من «النَّوْر» أي الزهر لأنه يمثل الربيع وتفتح الأزهار. نقرأ في لسان العرب: نور: وَالنَّوْرُ والنَّوْرَةُ، جميعًا: الزَّهَرُ، وقيل: النَّوْرُ الأبيض والزهر الأصفر وذلك أنه يَبْيَضُّ ثم يصفَرُّ، وجمع النَّوْرِ أنوارٌ. والنُّوَّارُ، بالضم والتشديد، كالنَّوْرِ، واحدته نُوَّارةٌ، وقد نَوَّرَ الشجر والنبات، أي أزهر»(٢٤).

ويقال في وصف جماله «نيسان يأتي بالأمطار، وأيار يأتي بالأزهار». وهو الشهر الثامن في التقويم الآرامي - السرياني (بالعبرية والآرامية إيِّارو)، ويقابله في التقويم الغريغوري أبريل/مايو Aprilis / Maius، وعدد أيامه تسعة وعشرون يومًا(٢٥). ويسمى شهر أيار حتى الآن في بعض المناطق الريفية السورية «نوَّار».

---

(٢٣) Cohen, op.cit, p. 305- 306

(٢٤) لسان العرب، المجلد السادس، باب النون، مادة ن و ر.

(٢٥) AHw 24 b, 25 a; CAD 1, A, I,229- 230

نقرأ في تاج العروس للزبيدي، مادة (أير ١٠/ ٩١): أيّارُ بالتشديد شَهْرٌ قبل حَزيران مُكَبَّرًا، قال شيخنا: وقع في كلام سعدي أفندي قبل حزيران وضَبَطَ حُزيْرَانَ =

٣- warach Simānu وَراخ سيمانو: شهر سيمانو، وهو شهر إله القمر سين (نانا عند السومريين)، ويقابله في التقويم الغريغوري مايو/يونيو Maius / Junius، وفي التقويم العبري «سيوان»، وفي التقويم الآرامي - السرياني حَزيران (الحنطة أو الحصاد). وعدد أيامه ثلاثون يومًا. تُكتب كلمة «ليبيتُّو»: libittu: لَبِنة الأكادية بالرمز المسماري sig4، ويُكتب اسم شهر سيمانو بالرمز المسماري iti sig4: أي شهر اللبن (الطين المجفف تحت أشعة الشمس). ويبدو أن السبب في التسمية هو ملائمة الأحوال الجوية لصنع اللبن وبناء البيوت(٢٦).

كانت تجري احتفالات في الأول والتاسع والخامس عشر منه في مدينة أوروك السومرية المعروفة. أما في بابل فكان يجري الاحتفال في الخامس عشر منه بعيد «سيدة الآلهة»، وفي الثاني والعشرين منه بعيد له علاقة بالإله نابو Nabu، إله الكتابة والكتّاب. وهناك أسماء أعلام كانت تسمى باسم هذا الشهر، ربما للتيمن والبركة، أو لأن هذا الشهر فيه شيء من القداسة، مثل: سيمانو (للمذكر) وسيمانيتو (للمؤنث)، وتعني: «المولود أو المولودة في شهر سيمانو». كما أن ثمة كلمة أخرى باللغة الأكّادية لها اللفظ نفسه وهي «سيمانو» Simānu، لكن معناها مختلف، وهو: فصل، زمن، ميقات(٢٧). ربما يكون لهذه الكلمة علاقة بكلمة «زمن» العربية. ففي لسان العرب، المجلد الثالث، باب الزاي، نقرأ ما يلي:

= بالتصغير، قال الصغانيّ: وأيّارُ معظم الربيعِ ويقال له بالشام: أيَّارُ الوردِ والصحيح أنه بالسُّرْيانِيَّة، وهو الشهر الثامن من شهورهم بين نيسان وحَزيران ". ونقرأ في القاموس المحيط، الجزء الأول، ص٣٨٠،: «أيار شهر قبل حزيران».

(٢٦) AHw 1044 b; CAD 15, S, 271

(٢٧) AHw 1044 b; CAD 15, S, 268

«زمن. الزَّمَنُ والزَّمان: اسم لقليل الوقت وكثيره، وفي «المحكم»: الزَّمّن والزَّمانُ العَصْرُ، والجمع أَزْمُنٌ وأَزْمانٌ وأزمنة. وقال شَمِرٌ: الدَّهْرُ والزَّمانُ واحد. قال أبو الهيثم: أخطأ شَمِرٌ، الزَّمانُ زمانُ الرُّطَبِ والفاكهة وزمان الحَرِّ والبرد، قال ويكون الزمان شهرين إلى ستة أشهرٍ. والزَّمان يقع على الفصل من فصول السنة وعلى مدة ولاية الرجل وما أشبهه».

٤ – **warach Dumuzi/Tammuz** وَراخ دوموزو / تموز: شهر تموز، ويقابله في التقويم الغريغوري يونيو/يوليو.Junius / Julius[٢٨] وهو الشهر الثامن في التقويم الآرامي – السرياني. يعني اسم تموز باللغة السومرية «ابن الحياة»، الابن البار، «الشاب الكامل». وتموز كان أحد ملوك مدينة أوروك السومرية في بداية الألف الثالث قبل الميلاد، الذي أُلِّه بعد وفاته لورعه وتقواه، وأصبح أهم آلهة الخصب في بلاد الرافدين. وكانت مراسم الحزن وطقوس غياب تموز وموته تتم في الأول والثاني والتاسع والسادس عشر من هذا الشهر عندما تموت النباتات والأعشاب نتيجة ارتفاع درجة حرارة الجو. ويتم الاحتفال بعودته حيًّا في بداية فصل الربيع في شهر نيسان مع بداية السنة الجديدة حيث يجري الاحتفال بانبعاثه حيًّا بالرقص والغناء والفرح. وكان تموز ولقبه «الراعي» عشيق إنانا (عشتار) إلهة الحب والحرب والخصب في بلاد الرافدين وزوجها. وثمة أسطورة سومرية تتحدث عن علاقته مع الإلهة إنانا (عشتار) هي «نزول إنانا (عشتار) إلى العالم السفلي» التي تخبرنا أن إنانا هي التي أرسلت تموز إلى العالم السفلي (عالم الأموات) بدلًا منها. وتوجد أسطورة ثانية بعنوان «حلم تموز» التي

(٢٨) AHw 179 b.

تتحدث عن رؤية تموز حلمًا يتنبأ بموته. وقد تحقق الحلم على الرغم من محاولة تموز الإفلات من شياطين الموت. وهناك شبيه لتموز في حضارات الشرق القديم الأخرى كأوزيريس في مصر، وبعل وأدونيس في سورية حيث كانت تقام مهرجانات ومناحات للاحتفال بذكراهم في مناسبات معينة، وعُرفت حتى في بلاد الإغريق منذ القرن الخامس قبل الميلاد على الأقل. وهناك إشارة ترد في العهد القديم (سِفر حزقيال ١٤: ٨) تتحدث عن البكاء على تموز (وإذا هناك نسوة جالسات يبكين على تموز).

شهور منتصف السنة:

٥- **warach Abu** وَراخ آبو: شهر آب، وهو شهر الإلهة آرورو Aruru (إحدى الإلهات الأم السومرية)، وهو الشهر الحادي عشر في التقويم الآرامي- السرياني، ويقابله في التقويم الغريغوري يوليو/أغسطس / Julius Augustus، وعدد أيامه ثلاثون يومًا. يوصف في أحد النصوص الأكادية التي تتحدث عن فصول السنة بأنه الشهر الذي ينزل فيه غيرًّا (Gerra بالسومرية غيبيل Gibil) إله النار من السماء، ويدخل في منافسة مع شماش Šamaš إله الشمس، ربما يفسر هذا شدة الحرّ في هذا الشهر.

٦- **warach Ulūlu(m)** وَراخ أولولو Elūnu(m), Elūlu(m) (إلولو / إلونو: شهر أيلول (شهر التطهر)، وهو شهر عشتار)إنانا عند السومريين(إلهة الحب والحرب والخصب. وهو شهر جني التمور في بلاد الرافدين. والاسم مشتق من المصدر الأكّادي «إليلو elelu»: يكون نقيًّا طاهرًا[٢٩][٣٠]. وهو الشهر

(٢٩) CAD 1, A, I, 75; AHw 8 a

(٣٠) Landsberger, B., Jahreszeiten im sumerisch- Akkadischen, in: JNES VIII, 4(1949), S. 274.

الثاني عشر في التقويم الآرامي – السرياني (بالآرامية والعبرية إيلول)، ويقابله في التقويم الغريغوري أغسطس/ سبتمبر Augustus / September، وعدد أيامه تسعة وعشرون يومًا. ويوصف الآن بأنه «أيلول المَعَاصِر»، نظرًا لعصر العنب والزيتون فيه. كما يقال عنه إن «ذَنَبَه مبلول»، بسبب سقوط الأمطار في أواخره في بعض السنوات.

٧- **warach Tashritum** وَراخ تَشْريتوم: شهر تشريت (شهر بداية النصف الثاني من السنة)، وهو شهر الإله شماش (أوتو عند السومريين) إله الشمس والحق والعدالة. وكانت بعض المدن السومرية تحتفل في بدايته بالنصف الثاني من السنة (أكيتو. Akitu)، ويقابله في التقويم الغريغوري سبتمبر/أكتوبر September/October (سبتمبر: السابع، أكتوبر: الثامن)، وعدد أيامه ثلاثون يومًا. وهو أول شهر في التقويم السَّرياني الذي يضم تشرينين «تشرين قديم وتشرين حَرَّاي»، أي تشرين السابق وتشرين اللاحق. وتعني كلمة تَشْريتو في اللغة الأكادية «بداية»[٣١]؛ التي يبدو واضحًا أنها مشتقة من المصدر «شورُّوم šurrûm»: يبدأ، يستهل[٣٢]، ويصفه أحد النصوص الأكادية بأنه الشهر الذي «تُفتح فيه بوابة المحيط السماوي باب أبسي إبَّاتي bab apsi ippatti»[٣٣]. (أبسو apsu هو محيط الماء العذب تحت الأرض).

ربما يشير هذا إلى بداية سقوط الأمطار فيه. وكان هذا الشهر أول شهور السنة عند الآشوريين، إذ كانت السنة تبدأ عندهم في فصل الخريف. ربما بسبب جني محصول التمر في هذا الوقت، أو البدء بالقيام بتحضير

(٣١) AHw 197 b, 216 b, 1411 b ; CAD 4, E, 80,136

(٣٢) AHw 1340 a; CAD 18 T, 297.

(٣٣) AHw 1285 b.

الأرض وتسويتها وحراثتها تمهيدًا لزراعتها. و«تشرت» اسم أحد الأشهر في مملكة أوجاريت الساحلية السورية أيضًا. (تشرين الأول الآن).

٨- **warach Samna** وَراخ سمنا: الشهر الثامن (شهر وضع أساسات الأبنية)، وهو شهر الإله مردوك إله بابل الرئيس، ويقابله في التقويم الغريغوري أكتوبر/نوفمبر October / November (نوفمبر: التاسع) وعدد أيامه تسعة وعشرون يومًا. ويعني اسم هذا الشهر باللغة السومرية Iti Apin (شهر المحراث). ويُذكر هذا الشهر في وثيقة آشورية أنه «شهر الفأس والمحراث وبذر البذور في الحقل، وهو شهر الإله أدد مفتش قناة السماء والأرض»[٣٤]. ونقرأ عنه في نصٍّ أكادي أن المرء يُخرج فيه الفأس والمحراث إلى الحقل، ويُحتفل فيه بعيد موكب بذر البذور[٣٥]. (شهر تشرين الثاني في التقويم الحالي).

شهور نهاية السنة:

٩- **warach Kislimu** وَراخ كيسليمو: شهر كيسليمو، وهو شهر نيرجال إله الطاعون والعالم السفلي عند السومريين، ويقابله في التقويم الغريغوري نوفمبر/ديسمبر November / December) وعدد أيامه ثلاثون يومًا. (كانون الأول الآن).

١٠- **warach ṭebetu** وَراخ طيبيتوم: شهر طيبيت (شهر المطر الشديد)، ويقابله في التقويم الغريغوري ديسمبر/يناير.December / Januarius وعدد أيامه تسعة وعشرون يومًا. ويسمى أيضًا «شهر كانونو kanunu (m) (كينونو kinunu(m)): شهر موقد النار (الكانون) لشدة البرد فيه[٣٦]. وشهر

(٣٤) Cohen, op.cit. p. 331

(٣٥) Landsberger, Op.Cit, S. 274.

(٣٦) AHw 481 b; CAD 8, K, 393.

«كينونو» كان اسم الشهر السابع في ممالك ماري وإشنونا وقطارا (تل الرماح في شمالي العراق)، والشهر التاسع في مملكة نوزي (شمال شرقي العراق). ويُوصف في نص أكادي أنه الشهر الذي يؤثر فيه شماش إله الشمس في حرية الأرض ونومها الهادئ(٣٧).

ويعني الجذر «كن» في اللغة السريانية الأساس والقاعدة والثبات والاستقرار. وتعني كلمة «كانو kânu(m)» الأكادية «يكون، يدوم».

ويبدو أن لمعنى الاسم علاقةً بـ«الكن والبقاء في البيت في فصل الشتاء بسبب توقف الأعمال الزراعية نتيجة شدة البرد وسقوط الأمطار الغزيرة. وعند السُّريان «كانونان»: كانون الأول (قديم) وكانون الآخر (حراي).

في العربية: «كنن. الكِن والكِنَّةُ والكِنَانُ: وقاءُ كل شيء وَسِتْرُه. والكِنُّ: البيت أيضًا.

الكانونُ والكانونةُ: الموقد، والكانون المصْطَلى. والكانونان شهران في قلب الشتاء، رومية كانون الأول وكانون الآخَر، هكذا يسميها أهل الروم. قال أبو منصور: وهذان الشهران عند العرب هما الهرَّاران والهبَّاران، وهما شهرا قُماحٍ وَقِماحٍ».(كانون الثاني الآن)(٣٨).

١١ - **warach Shabatum** وَراخ شَبَطوم: شهر شباط (شهر تدفق الماء، شهر المطر)، وهو شهر الإله إرّا Erra إله الطاعون، وهو الشهر الخامس في التقويم الآرامي - السرياني (بالعبرية والآرامية شيباط)، ويقابله في التقويم الغريغوري يناير/فبراير.Januarius / Februarius وعدد أيامه ثلاثون يومًا. ويظهر في أحد النصوص الأكادية على أنه الشهر الذي تنبت فيه كل النباتات

(٣٧) Landsberger, Op.Cit., S. 274.

(٣٨) لسان العرب، المجلد الخامس، باب الكاف، ص٣٩٤٢-٣٩٤٣.

في الحقول في وقتٍ واحد[٣٩]. وتعني كلمة «شبط» بالسريانية الضرب والجلد. أما في الأكادية فتعني كلمة «شَباطو» šabātu(m): يضرب، يهلك، يهب، يعصف، يدمر[٤٠]. حتى الآن يوصف شهر شباط «بأن ليس على كلامه رباط، ويُشَبِّط ويُلَبِّط»؛ للدلالة على كثرة الأمطار والرياح التي تهب فيه. حتى إلى عهدٍ قريب كان البدو في بلاد الشام يسمون بعضًا من أفرادهم باسم «شباط»؛ ربما لاعتقادهم أن هذا الاسم مبارك ويجلب الحظ لصاحبه. نقرأ في لسان العرب، المجلد الثالث، باب السين، ما يأتي عن شهر شباط:

«سبط وسُباطُ: اسم شهر بالرومية، وهو الشهر الذي بين الشتاء والربيع»، وفي التهذيب: «وهو في فصل الشتاء، وفيه يكون تمام اليوم الذي تدورُ كُسُورُهُ في السنين. فإذا تم ذلك اليوم في ذلك الشهر؛ سَمَّى أهل الشام تلك السنة عامَ الكبيس. وهم يتيمنون به ؛ إذا ولدَ فيه مولودٌ، أو قدم قادمٌ من سفر».

١٢ – warach Ad**(d) aru** وَراخ أدَّارو: شهر آذار، وهو شهر الإله آشور Aššur (إله الآشوريين الرئيس)، وهو الشهر السادس في التقويم الآرامي – السرياني، ويقابله في التقويم الغريغوري فبراير/مارس Februarius/Martius، وعدد أيامه تسعة وعشرون يومًا[٤١]. ويطلق عليه الفلاحون في الريف السوري الآن وصف: «آدار الهدَّار أبو الزلازل والأمطار»؛ نظرًا لسقوط كميات كبيرة من الأمطار والثلوج فيه في بعض السنوات، ويلفظون الاسم «آدار»، كاستمرار للتقاليد القديمة بلفظ الاسم بهذه الصيغة.

جاء في القاموس المحيط للفيروزآبادي مادة (آذر)، الجزء الأول،

(٣٩) Landsberger, Op. Cit, S. 274.

(٤٠) AHw 1119 a; CAD 17 Š I, 81.

(٤١) CAD 1, A, I, 110; AHw 12 a

ص٣٧٦: «آذار الشهر السادس من الشهور الرومية». وورد في تاج العروس للزَّبيدي (مادة أذر، ١٠/ ٤٠): «آذارُ بالمد: اسم الشهر السادس من الشهور الرومية، وهي اثنا عشر شهرًا وهي آب وأيلول وتشرين الأول وتشرين الثاني وكانون الأول وكانون الثاني وشباط... إلخ».

أما في لسان العرب فيرد «آذار» تحت مادة «قيظ»، ص٣٧٩٦: «العرب تقول السنة أربعة أزمان، ولكل زمن منها ثلاثة أشهر، وهي فصول السنة: منها فصل الصيف وهو فصل ربيع الكلأ، أوله آذار ونيسان وأيار، ثم بعده فصل القيظ ثلاثة أشهر، حزيران وتموز وآب، ثم بعده فصل الخريف، وهو أيلول وتشرين وتشرين، ثم بعدها فصل الشتاء وهو الكانونان وشباط». يعود سبب اعتقاد بعض أصحاب المعجمات العربية أن أصول أسماء هذه الأشهر رومي إلى أنها كانت مستخدمة في بلاد الشام التي كانت خاضعة للإمبراطورية البيزنطية التي عرفها العرب قبل الإسلام بدولة الروم.

١٣- شهر آذار الثاني الذي يضاف كل ثلاث سنوات لمساواة السنة القمرية مع السنة الشمسية. أو يُضاف بدلًا منه شهر أيلول الثاني بعد شهر أيلول، وذلك بأمرٍ من الملك، وعدد أيامه تسعة وعشرون يومًا، وعدد أيام أيلول ثلاثون. ويُسمى هذا الشهر الإضافي في اللغة الأكادية (وَ)ترو (ديري) w(atru) diri: إضافة، أو «تشنيتوم: tašnitum»: تثنية، تكرار[٤٢].

النتيجة:

يتبين لنا مما تقدم أن سكان بلاد الرافدين على اختلاف تسمياتهم: سومريون، أكاديون، بابليون، آشوريون، أدركوا أهمية ابتكار تقويم لحساب الزمن وتنظيم أمور حياتهم، فأوجدوا تقويمًا يعتمد على دورة القمر حول

(٤٢) AHw 1492 a; CAD 1 A, I, p. 501

الأرض، وهو ما يُعرف بالتقويم القمري المؤلف من اثني عشر شهرًا قمريًّا. لكنهم لاحظوا أن هذا التقويم لا يُطابق تتابع فصول السنة ودورة الشمس، فكانوا يضيفون إليه شهرًا ثالث عشر كل ثلاث سنوات، وهو ما يُعرف بـ «الكَبْس»، وذلك لموازاة التقويم القمري مع التقويم الشمسي. **وتبنى هذا التقويم** في العصور اللاحقة الآراميون والسريان، وهو التقويم المستعمل حتى الآن في بلاد الشام والعراق الذي تحول إلى تقويم شمسي.

الشهر	الاسم بالحرف اللاتيني	الاسم بالكتابة المسمارية
نيسان	Nisanu	
أيار	Aiaru	
(حزيران) سيمان	Simanu	
تموز	Duzu	
آب	Abu	
أيلول	Ululu	
تشرين (١)	Tashritu	
(تشرين ٢) أرخسامنو	Arahasamnu	
(كيسلمو) كانون (١)	Kislimu	
(طيبيتو) كانون الثاني	Tebetu	
شباط	Shabatu	
آذار	Addaru	

أسماء الأشهر الأكَّادية – البابلية

منقولة من صفحة الدكتور عامر الجُميلي

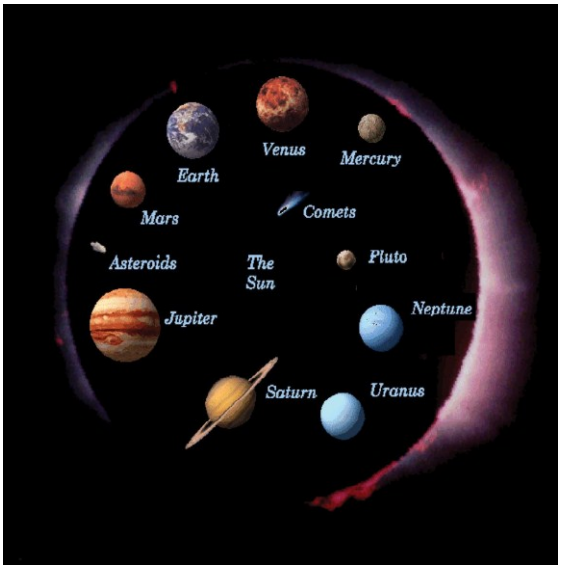

الشمس وأهم كواكب المجموعة الشمسية (الزُّهـرَة: **Venus**، وعُطـارد: **Mercury**، والمِـــريخ: **Mars**، والمشـــتري: **Jupiter**، وزُحـــل: **Saturn**، وأورانـــوس: **Uranus**، وبلوتـــو: **Pluto**، ونيبتـــون: **Neptune**، وكـــوميتس: **Comets**، وأستيرويدس: **Asteroids**). وهي كلها تدور حول الشمس.

مراحل ظهور القمر (الهلال في البداية والنهاية، والبدر في المنتصف).

إضاءات على رباعيات الشاعر أنور العطار

د. نزار بني المرجة(*)

أنور العطار.. موجزٌ من سيرته الذاتية:

- ولد الشاعر أنور العطار في دمشق في العام ١٩١٣

- تلقى علومه الابتدائية في بَعْلَبَكْ، ثم في مكتب عنبر بدمشق، ونال بعدها شهادة أهلية التعليم الثانوي وعمل مديرًا لمدرسة منين في ريف دمشق، وانتقل بعدها للتدريس في مدارس دمشق في العام ١٩٢٩.

- تخرج في (مدرسة الأدب العربي العليا) في المعهد العلمي في دمشق في العام ١٩٣٢

- شارك في تأسيس المجمع الأدبي في دمشق في العام ١٩٣٤

- تخرج من قسم اللغة العربية في الجامعة السورية، وكانت شهادته تحمل الرقم / ٥/ في العام ١٩٣٥

- تم ندبه لتدريس الأدب العربي في المعاهد العليا في العراق في العام ١٩٣٦، وذلك في بغداد والموصل، ومنحته الحكومة العراقية لقب (مواطن شرف).

(*) ألقى الدكتور نزار بني المرجة هذه المحاضرة في قاعة المحاضرات في المجمع بتاريخ ٢٤/ ٤/ ٢٠٢٤م.

- انتقل للتدريس في المملكة العربية السعودية في جامعة الرياض بين العامين ١٩٦٤-١٩٦٦، وعاد بعدها إلى دمشق حيث وافته المنية بعد مرض طويل في العام ١٩٧٢.

- طُبع ديوانه الأول (ظلال الأيام) في العام ١٩٤٨، واستقبله الرئيس الراحل شكري القوتلي حيث أهدى إليه النسخة الأولى، ولقي ذلك الديوان اهتمامًا لافتًا من الأدباء والشعراء، لدرجة أن وزير المعارف آنذاك الأستاذ محمد كرد علي عمم على مديريات المعارف والمدارس السورية لاقتناء ذلك الديوان الأول المطبوع للشاعر الراحل أنور العطار.

- وكان الشاعر قد أبدع قبلها بكثير عددًا من الدواوين الشعرية التي بقيت مخطوطة لسنوات طويلة، وبعضها طبع بعد وفاته بمبادرة من نجليه الأديبين الشاعر هشام العطار رحمه الله، والأستاذ هاني العطار.

- (البواكير) ويعود إلى العام ١٩٣٠

- (منعطف النهر) ويعود إلى العام ١٩٣٠

- (ليل البلبل المسحور) ويعود إلى العام ١٩٣١

- (ربيع بلا أحبة)

- (مع الشعر أحيا)

- وكان ديوان (علمتني الحياة) آخر ما أنجزه الشاعر الكبير قبل رحيله.

- وقد صدرت الأعمال الشعرية والنثرية الكاملة للشاعر في جزأين عن دار الفكر بدمشق في العام ٢٠٢٠ في طبعة أنيقة وفاخرة..، بجهودٍ حثيثةٍ ومشكورة تعبر عن الوفاء الكبير.. بذلها الأديب هاني أنور العطار.

وفي السيرة الذاتية للشاعر الراحل أنه كان دائم الحضور والمشاركة في

فعاليات مجمع اللغة العربية بدمشق منذ تأسيسه على يد الراحل الأستاذ محمد كرد علي رحمه الله، عندما كان مقر المجمع في المدرسة العادلية المجاورة للجامع الأموي..

ومن المحطات اللافتة في حياة الشاعر أنور العطار أنه كان عريف حفل الاستقبال الذي أقامه مجمع اللغة العربية لأمير الشعراء أحمد شوقي عند زيارته لدمشق..

ومن الوقائع الجديرة بالذكر أيضًا أن مؤسس المجمع الأستاذ محمد كرد علي قد أقام حفلًا تكريميًا خاصًا لأربعةٍ من تلاميذه وهم أنور العطار، جميل سلطان، زكي المحاسني، وأبو سلمى عبد الكريم الكرمي، وذلك في العام ١٩٢٨ لنبوغهم وتفوقهم بين أقرانهم..، وفيما بعد خص الأستاذ محمد كرد علي شاعرنا الراحل بالمحبة والاهتمام وشجّع شاعرنا أنور العطار ودفعه ليكون أول طالبٍ في أول دفعةٍ في (مدرسة الأدب العربي العليا) في المعهد العلمي العربي بدمشق الذي تحول ليصبح الجامعة السورية، وكان رقم شهادة تخرجه منها الرقم / ٥/ كما ذكرنا..

حيث كان الشاعر أنور العطار ضمن الدفعة الأولى من المجازين أو الخريجين من تلك المدرسة في العام ١٩٣٢، مع كوكبة من السوريين واللبنانيين كان منهم: منير الريس وزكي المحاسني ووديع شحيّد وعبد الرحمن التكريتي وأنطون موسى ومُحْيي الدين قضماني ومحمد سعيد الأفغاني وأنور سلطان وجميل سلطان وعمر شخاشيرو وبهاء الدين عيسى وحلمي اللحام..

وكان أبرز أساتذة (مدرسة الأدب العربي العليا) الأساتذة الراحلون:

سليم الجندي وشفيق جبري وعبد القادر المبارك وعلي الجزائرلي والشيخ عبد القادر المغربي..

ولقد كرمت دمشق ابنها البار الشاعر أنور العطار بعد وفاته، فأطلقت اسمه على أحد شوارعها وإحدى مدارسها في حي القصور بدمشق تخليدًا لشعره وأدبه ونبوغه وعطائه..

ويجدر التنويه بما قامت به أسرة الشاعر أنور العطار في العام ٢٠١٨، بإهداء مكتبته المتميزة بكتبها ومخطوطها النفيسة إلى المكتبة الظاهرية بدمشق لتكون في متناول الأجيال والباحثين والدارسين..

لقد كان ديوان (علمتني الحياة) آخر ما نظمه الشاعر الكبير الراحل كما أسلفنا.. وهو يضم بين دفتيه رباعيات الشاعر أنور العطار، وهو موضوع هذه المحاضرة، حيث يتشرف اتحاد الكتاب العرب مشكورًا بتوزيع الطبعة الأخيرة لهذه الرباعيات التي صدرت ضمن سلسلة كتاب الجيب لمجلة (الموقف الأدبي)؛ وبهذه المناسبة نتوجه بالشكر العميق للدكتور محمد الحوراني رئيس اتحاد الكتاب العرب، والزميلة الأديبة فلك حصرية رئيس تحرير مجلة (الموقف الأدبي) وفريق الطباعة والنشر والتوزيع في الاتحاد لجهودهم المخلصة والمتميزة في استعادة ذكرى الشاعر الكبير الراحل وغرسها في أذهان أجيال الحاضر والمستقبل..

وقد تضمن ديوان (علمتني الحياة) مئة وخمسًا وسبعين رُباعية حيث تنتظم كُلَّ رُباعية فيها فكرةٌ واحدة، ويبدأ الشطر الأول في كلٍ منهما بعبارة (علمتني الحياة) أو (علمتني..)

وهي رباعيات تُمثل خلاصة تجربة الشاعر في الحياة من خلال تأملات

ورُؤىً فلسفية جمالية وأخلاقية، سنحاول ما أمكن تسليط الضوء عليها بما يسمح به الوقت، لما لها من قيمةٍ جماليةٍ وفكريةٍ فريدة تؤهلها لسكنى القلب والعقل والوجدان..

ومن وجهة نظري، الشاعر أنور العطار لم يأخذ حقه من الإضاءة على تجربته الشعرية الهامة والتي كانت تمثل في الواقع إسهامًا فريدًا في المشهد الشعري السوري المعاصر، الذي كانت بدايات تأسيسه وظهوره الفعلي في الثلث الأول من القرن العشرين، مع بروز العديد من الأسماء الهامة المؤسسة لذلك المشهد أمثال محمد الفراتي وعلي ناصر وبدوي الجبل وبدر الدين الحامد وشفيق جبري وخليل مردم بك ومحمد البزم وعمر يحيى ثم عمر أبو ريشة ونزار قباني وأنور العطار..

لقد تميزت تجربة شاعرنا الكبير الراحل أنور العطار بالرصانة إلى أبعد الحدود، فهو لم يكن يطرح نفسه في محافل الثقافة والصحافة على عكس الكثيرين من أقرانه الذين وجدوا في تلك المحافل سبيلًا للشهرة والنجومية، وهذه حقيقة في واقع الأمر، فكان حضور شاعرنا يقتصر على النشر في منابر رصينة، أو يترك الأمر لمبادرة تلك الجهات لمطالبته بنشر إبداعه..، فنلاحظ على سبيل المثال اختياره لمنبرين هامين لنشر قصائده أولهما مجلة (الرسالة) المصرية الذائعة الصيت، ثم مجلة (العربي) الكويتية الرصينة والواسعة الانتشار لحسن الحظ.

والحق أني لم أجد وصفًا ينصف شاعرنا أبلغ مما كتبه وأذاعه في إذاعة صوت العرب الشاعر المصري المعروف فاروق شوشة في مقالته التي نختار بعضًا مما ورد فيها والتي وضع لها عنوانًا:

(أنور العطار في رباعياته وظلال أيامه)

يقول الشاعر:

بين عامي ١٩١٣ و١٩٧٢ ولد وعاش (الشاعر السوري الكبير أنور العطار، أحد الأصوات الشعرية البارزة في سورية من أبناء جيله الذي يضم بدوي الجبل وعمر أبو ريشة، وإن كان لم تتح له شهرتُهما ودَوَران شعرهما على الألسنة والأقلام، بسببِ طبيعته الانعزالية وابتعاده عن المشاركة في صخب الحياة والناس، مكتفيًا بنشر قصائده في العديد من المجلات الأدبية، وفي مقدمتها مجلة «الرسالة» التي كان يصدرها الأديب الكبير أحمد حسن الزيات.

يقول الزيات عن العطار: «سورية التي أنجبت أبا تمام والبحتري وأبا فراس الحمداني وأبا العلاء المعري، لا تزال تلد الموهوبين من عباقرة الفن والفكر، لم تعقم بهم في أي زمن، ومن بينهم شاعرنا أنور العطار، وأصدقاء «الرسالة» لا يزالون يجدون في ذاكرتهم حلاوة ما نعموا به من روائع أدبه طوال عشرين سنة، وتمتعنا بما أنشده صاحب «ظلال الأيام» من شعر لم يقع في أذني مثله منذ رحيل شوقي، وأنا أعرف من نفسي أني بطيء التأثر بالشعر والغناء، فلا يهزني منهما إلا الرائع العالي الطبقة، فإذا طربت لما صور العطار من وجوه الأرض ومَجَالي الطبيعة في قصائده الغرِّ مثل: الوادي ولبنان ودمشق وبردى والخريف والمساء والظهيرة والبنفسجة، فالفضل للشعر الذي يملك الشعور، وللشاعر الذي يُنطِق الحجر، وأدب العطار مثلٌ صادقٌ للأدب السوريّ الحديث، وأكثر الصفات البلاغية انطباقًا عليه: الجزالةُ والسلامةُ والوضوحُ.

فهو يستصفي خلاصة خبرته مع الدنيا والناس، وجوهر تأمله في كل ما يحيط به من ظواهر الوجود ومظاهره، يختزل فيها نتاجَ تجربته الحياتية التي شاء الله أن تكون قصيرةً في عمر العبقرية، فقد عاش ما يزيد قليلًا على تسعة وخمسين عامًا، كما يقول ابنه وهو يشير إلى تراث الأدب العربي والآداب العالمية الأخرى، وبخاصة الأدب الفرنسي في منحاه الرومانسي، حيث تأثر كثيرًا بالشاعر لامارتين والشاعر ألفرد دي موسيه، وترجم نظمًا كثيرًا من أشعارهما، كما أشار في موضع آخر على التفات أنور العطار المبكر لشعر كلّ من أحمد شوقي والبحتري.

يقول شاعرنا في رُباعيته الأولى في مقدمته للديوان:

علّمتني.. وعلّمتني الحياةُ ... فامّحى الشكُّ وانجلتْ ظُلماتُ
وجّهتني بفضلها ورعتْني ... رِعْيةٌ أُفردت بها الأمهاتُ
فمن الشوق تنهلُّ العبراتُ ... ومن الحبِّ تنبعُ الذكرياتُ
فإذا فاضَ بالسّدَاد بياني ... قلتُ: هذا ما علّمتني الحياةُ

ثم يقول:

علّمتني الحياةُ أن من البسـ ... ـمةِ ما يملأُ الدياجيرُ نُورًا
فابتسم تشرقُ السماوات والأر ... ض انشراحًا وفرحةً وحُبورا
إنها النفسُ دمعةٌ وابتسامٌ ... فامْحُ سطر الأسى وخَلِّ السُرورا
وابتهج فالوجودُ يومٌ ويَمْضي ... ليس يُرجى لطِيْفهِ أن يزورا

* * *

علّمتني الحياةُ أن من الحا ... ضر ما يملأُ الفؤادَ سُرورا
فتمتَّع باليوم ما دُمتَ فيهِ ... لا تُكدر نعيمه تَكْديرا

وَدَعِ الأمسَ لا تحُمْ حول مثوا ... هُ ولا تُوقظِ النَؤومَ الغَريرا
وابتعد عن غَدٍ، فما هو منّا ... لا.. ولا نحن مِنْه، حتى يزورا

وفي قوله: فتمتع باليوم ما دمت فيه مُطابقةٌ مع قولِ عمر الخيّام في إحدى رباعياته:

واغنمْ من الحاضرِ لذّاتهِ ... فليسَ في طَبْعِ الليالي الأمانُ

ثم يقول أنور العطار عن ساعة المغيب:

علمتني الحياةُ أن مغيبَ الشّمْـ ... ـس رمزٌ للنفس حينَ تغيبُ
حشرجاتٌ ملءَ الفضاءِ عصيا ... تٌ ودُنيا إذا انقَضّت لا تؤوبُ
وسكونٌ مُخيِّمٌ ينشرُ الرُّعْـ ... ـبَ ومرأى يُشجيكُ منه السُحوب

* * *

ويقول عن النسيان:

علّمتني الحياة أن من النِّسْـ ... ـيانِ ما يزدهي به النسيانُ
تتخفى الأرزاءُ في صدره الرّحْـ ... ـبِ وتُطوى الهموم والأحزانُ
هو أُنْسُ الساري إذا اعتكرَ اللَّيْـ ... ـلُ وغابت في صمتها الأكوانُ
وهو بُرءُ المجروحِ إن مضَّه الجُرْ ... حُ وعزَّ الأسى وجارَ الزمانُ

ويقول بعنوان «الدنيا حلمٌ»:

وتعلّمتُ أنّ دنياني حلمُ ... واغترارِي بها ضلالٌ ووهمُ
هي دارُ الشتات ما لاحَ نجمُ ... في حِماها، إلا تَغيَّبَ نجمُ
فكأنَّ الصفاءَ طيفٌ تولَّى ... وكأنَّ الهوى خيالٌ مُلمُ

أنور العطار شاعر دمشق أحب جمال طبيعة دمشق الفيحاء فاندمج فيها وتدفّق من بين أنامله شعر يشبهُ دمشقَ في رقتّها، فتميَّزَ وعرِف به حتى أصبحَ

من أبرز شعراء وصف الطبيعةِ الدمشقية جاعلًا من بساتينِ غوطتها ونهرها الخالد بردى أبطالًا لقصائده.

وقد وصفه العديد من الأعلام في الأدب والفن ومنهم خير الدين الزركلي الذي قال عنه: «هو شاعر رقيق من أدباء المدرّسين تميّز شعره بوصف الأزهار والحدائق وكان مغرمًا بهما فجاءَ شعرهُ موسيقي الإيقاع.

ويقول الأديب معروف الأرناؤوط صاحب جريدة (فتى العرب) عن قصائد الشاعر أنور العطار في عدد مجلته الصادر في آذار١٩٣١، وهي شهادة مبكرة عن نبوغ شاعرنا وتألّقه:

(هذه القطع الفريدة من الشعر، قبسَ (أنور العطار) ألوانها وأصبِغتَها من إحساسٍ رقيق يجيشُ في روحه، فإذا هي تطلعُ على الناس بالألوانِ والشذا كما يطلعُ الربيعُ بألوانهِ وعطوره)، فتى العرب (آذار ١٩٣١).

ولعل الطبيعة بصفتها البيئة المحيطة بتلك النفس الشاعرة..، كانت المحرّض الأبرز للكتابة عند شاعرنا المتميز بتأملاته الرصينة والعميقة وإحساسه المرهف بجماليات الطبيعة وتنوعها الجغرافي والزماني وتحولاتها التي تترك أثرها البالغ في الجماد والمتغير والكائنات.، ليترجمها يراعه المبدع إلى قصائد وأناشيد فيها الكثير الكثير من صورِ الجمال وبراعة التعبير عن الطبيعة وأحوالها وتماهي تلك التحولات مع الأحاسيس والمشاعر الإنسانية..

وقد آثرت أن أورد أمثلة على تلك الحقيقة وذلك الهاجس بتأثير الطبيعة البالغ الواضح في المنجز الشعري للشاعر الكبير الراحل أنور العطار، لتكون شواهد حية يُقرُّ فيها الشاعر بما قرَّت به عيونه من جماليات الكون والطبيعة.. كما في المقاطع الشعرية التالية:

ففي واحدة من رباعياته بعنوان (سحر الطبيعة) يقول عن الحياة وما علّمته:

علَمتنـــي أنَّ الطبيعـــةَ سِـــفرٌ ملـــؤه فتنـــةٌ وســـحرٌ وشِـــعرُ
مـن تغنَّـى بشِـعرها أكبـرَ الشِـعر كـــأنَ الجمـــالَ شـــطرٌ وشـــطرُ
ملأتنـــي شـــذىً فَفَجَـــري عبيـــرٌ ومســـائي مُضـــمَّخُ الـــذيلِ عِطـــرُ
وليـــــاليَّ لا تســـــلني عنهـــــا والليـــــالي فُتونُهـــــا مُستَســـــرُ

إن من يستغرق في العالم الشعري لأنور العطار يلاحظ قدسية الطبيعة بالنسبة إليه حتى لكأنه ناسكٌ في معبدها.

يقول في رباعيةٍ أخرى بعنوان (الطبيعة محراب):

علمتنـــي أنَّ الطبيعـــةَ محـــرا بٌ أنـــاجي فـــي قلبـــه وأصـــلّي
وأمنّـــي نفســـي بخيـــرِ الســـماوا تِ كـــأنّي عرفـــتُ سِـــرَّ التجلّـــي
أتملّـــى وجـــهَ الطبيعـــة جـــذلا نَ وكـــم يَفـــتُنُ المُحِـــبَّ التَّمَلّـــي
هـــي أَملَـــت علـــيَّ أحلـــى الأناشيـــ ـــد ولمَّـــا تَـــزلْ تجـــودُ وتُملـــي

ويبرز السؤال: أيُّ طبيعةٍ تلك التي فُتن بها شاعرنا؟ ويأتي الجواب في رُباعيته التي كان بعنوان (أرضي الطيبة) التي يقول فيها:

علّمتنـــي الحيـــاةُ أنَّ حيـــاتي مُلكُ أرضي، عَزَّت على الدَّهرِ أرضي
مِـــن ينابيعهـــا تلقيّـــت شـــدوي.. مـــن شَـــحاريرها تعلَّمـــتُ قَرْضـــي

ويقول في رباعيةٍ بعنوان (التغني بالديار):

علّمتنـــي الحيـــاةُ أنْ أتغنّـــى بـــدياري واســـكبَ الـــروح لحنًـــا
هـــي مهـــد الصِّـــبا وعُـــشُّ الأمـــاني وأخـــو الحـــبِّ بالـــديار مُعنّـــى
مـــرّ قلبـــي علـــى مرابعهـــا الخضـــ ـــر فغنَّـــى الريـــاضَ غُصـــنًا فغصـــنا
وبـــراهُ الهـــوى فـــذابَ حنينًـــا ومـــن الحـــبِّ أن تـــذوبُ وتغنـــى

ولاشكّ أنَّ لتحولات الطبيعة وطقوسها ومواقيتها تجلياتٌ لافتةٌ وموحيةٌ بدلالات عميقة في نفس الشاعر الذي برهن في مواضع كثيرة على تفاؤله بشروق الشمس كلَّ صباح..، فيقول في (الفجر):

علمتني الحياة أنَّ من الفجرِ ابتسامًا ينسيكَ سِحرَ الثغورِ
لحظاتٌ تجمَّع الحُسْنُ فيها فغدتْ مبعَثَ الهوى والسرورِ
تلبَسُ الكائناتُ أجملَ ما حا كت يدُ الخالق البديع القدير

ويقول في رُباعيةٍ عنوان (الصباح):

علَّمتني أنَّ الصباحَ ائتلاقٌ وانبعاثٌ من الدجى وانطلاقُ
وجَهْهُ صِيغَ من صَفاءٍ وبِشْرٍ ولَكَم زانَ وجهَهَ الإشراقُ
مِلؤهُ جِدَّةٌ وشَدْوٌ وأُنسٌ ولقاءٌ لا يعتريه افتراقُ
إنْ أطلَّ الضّحى أطلَّ بهيًا مثلما تَسطَعُ الخدودُ الرِقاقُ

وأما الفضاءُ الآخر الجدير بالوقوف عنده في عالم أنور العطار الشعري فهو الجمالُ..، حيث تُمثل قصائدُ ومقطوعاتُ الشاعر المعنيةُ بموضوعاتِ الجمال، الجانبَ الأكثرَ إشراقًا في إبداعه، فهو مُصوِّر بارعٌ لصدى الجمال، والجماليات في الذات الشاعرة، وهو يحاكي ويوازي في مأثرته تلك تجاربَ صوفية عملاقة عرفها الشعرُ الإنساني على هذ الصعيد كتجارب حافظ الشيرازي وسعدي الشيرازي وعمر الخيام وطاغور وغيرهم، وهنا نُسجل على نقادنا العرب تقصيرهم في إلقاء الضوء على تجربة ومنجز الشاعر أنور العطار التي لا تقل أهميةً أبدًا عن تجارب تلك الأسماء التي حظيت بشهرةٍ عالميةٍ واسعة في دنيا الأدب والشعر..

ويمكن للباحث والدارس أن يورد الكثير من أشعار العطار التي تؤيد

وجهة نظرنا هذه حيث تشكل الذاتُ الشاعرة مرآة حقيقة لجماليات الكون والوجود، وهنا يكمن دور الشاعر في الحياة ربما، عندما يقوم بتجسيد تلك الجماليات في قصائده التي تحفظ صورتها فضلًا عن إيصالها للمتلقي بل لأجيال المتلقّين لها عبر الزمنْ..، يقول شاعرنا في رباعية بعنوان (الجمال):

علّمتني أنَّ الجمالَ هو النو رُ لعينٍ تُميِّزُ الأشياءَ
طابَعُ الله قد تجلّى على الخلـ ـقِ فزانَ الحياةَ والأحياءَ
وهوى القلبُ بالذي فجّر القلـ ـبَ اشتياقًا ولوعةً وبكاءً
ما لآلي الفنونِ إلا عطايا ولولا الجمالُ لكانت هباءَ

ولعل أبرزً ما يلفت انتباه الشاعر في جماليات الكونِ والطبيعةِ من حوله تجلياتُ الربيع أجملِ الفصول في تحوَلات الزمن والحياة، وكيف لا وهو ابن دمشق بغوطتها الساحرة؟..

يقول في رُباعيةٍ له بعنوان (الاحتفاء بالربيع):

علّمتني أنَّ الربيعَ شفاءٌ ويَدٌ مِلؤُها الندى.. بيضاءُ
يحتفي القلبُ بالربيعِ إذا حلَّ، وللقلبِ بالربيعِ احتفاءُ
تتغنّى بهِ الطبيعةُ جَذْلى وبأَفيائِه يطيبُ الغناءُ
وشبابُ الزمان شعر وسحرٌ وعبيرٌ وفرحةٌ وصفاءُ

إن الدراسة المتفحصة لرباعيات الشاعر أنور العطار تشير إلى أن شاعرنا تحدث في أكثر من نصفها عن الطبيعة، ليؤكد حقيقةً معروفةً وراسخة في أن الطبيعة كانت دائمًا في طليعة الأسباب الملهمة للشعراء على اختلاف مشاربهم وثقافاتهم وتنوع أغراضهم وإبداعهم كما أن الحكمة والتأملات الفلسفية في الحياة والعلاقات الإنسانية كانت موضوع ربع عدد

تلك الرباعيات..، كما لاحظنا من خلال ما قرأناه منها..

ففي موضوعة الطبيعة شغلت مفردات الأرض والسماوات والشمس والقمر والظل والنور مساحات تعبيرية لافتة في لغة الشاعر، حث قام بتوظيفهما بحرفيةٍ عاليةٍ وموحية..

وأما في مجال الحكمة والتأملات فقد أبدع الشاعر أبياتًا ففي سياق تلك الرباعيات يصلح كلُّ بيتٍ منها لأن يكون حكمة تندرج على الألسنة ويلهج بها كل إنسان رصين ذي تجربة في هذه الحياة..

وهو في بعض تلك الأبيات يعبر عن ذلك التماهي بين الطبيعة وحياة الإنسان، كما في قوله في رباعية بعنوان: «ساعة المغيب»:

علمتني الحياة أنّ مغيب الشمـ ـس رمزٌ للنفسِ حين تغيبُ

وفي رباعيته (الناس كالنار) يقول:

فاعتزلت الأنام أي اعتزال فانجلت ليلتي ولاح النهارُ

وفي رباعيته بعنوان (الصِبا) يقول:

علمتني أن الصّبا زهر جفَّ، وحُلْمٌ سرى، وطيفٌ تولّى

وفي رباعية بعنوان (الرضا) يقول:

ما بقائي إلا الظلال على الأر ضِ ويا شَدّ ما تغيبُ وتُنعى!

وبها يجسد الحكمة والعبرة المستفادة من الحياة يقول في رباعيته (التسامح):

علّمتني أن التسامح روضٌ لذَّ مجنىً وطابَ زرعًا وغرسًا

والحكيم الحكيم من خالط النا س فأغضى طرفًا وسامح نفسًا

وبذات الروح السامية التي تدعو للتسامح والعفو والغفران لأصحاب

الذنوب.. يقول في رباعية بعنوان (العفو أشد أنواع الانتقام):

علمتني الحياة أن أغفر الذنـ ـب وآسى لمن أساء اعتبارا
حسبه أنه تسربل بالدا ء طويلًا وحُمّل الأوزارا
علمتني أن التسامح سرّ يملأ النفس رفعةً واقتدارًا
والكريمُ الكريم من جعل العفـ ـوَ من الناس ديدنًا وشعارًا

وفي دعوة لأن يسود الحب والوفاء يقول في رباعيته (العهد):

علمتني أن الوفاء بعهدي هو سؤلي على الليالي وقصدي
فحمدت الموفين بالعهد حمدًا وقليلٌ لهم ثنائي وحمدي
وتعلمت أن أصون هواهم وهواهم ريحانة الخلد عندي
أيُّ معنى للعيش إن لم يزنه جوهرُ الحب من وفاءٍ ووُدِّ

إن التأملات في جماليات طقوس الطبيعة وتقلباتها التي نلحظ روعة وصفها في رباعيات أنور العطار وفي الكثير من قصائده في بقية دواوينه، تشبه في جوانب كثيرة منها تأملات الشاعر الهندي (رابندرانات طاغور)، ربما لأنهما ينتميان إلى حضارات شرقية تعشق وتقدس الجمال فضلًا عن طبيعة متنوعة تعرف تعاقب الفصول كلها.. وترتبط مع المعتقدات بدلالات ومشاعر وانطباعات، ووجه التشابه هذا بين شاعرنا العربي أنور العطار وشاعر الهند طاغور يشكل مادة خصبة وجميلة للمختصين في الأدب المقارن، وقد لاحظت أوجه التشابه والتقاطع هذه من خلال ترجمات الأديب السوري الكبير الراحل الدكتور بديع حقي لأعمال طاغور، وخاصة ترجماته لإبداعات طاغور المشهورة مثل (دورة الربيع) و(شتيرا) و(البستاني) و(جني الثمار) و(اليراعات)..، ومن خلال مقال هام بعنوان (الفصول الأربعة في أغاني

طاغور) لـ(أنورا داروي) ترجمة هدى كيلاني، حيث يتجلى التشابه بين طاغور والعطار بشكل خاص عند تناولهما لمعاني ودلالات الخريف والربيع..

ولعل الفارق الجوهري بين تجربتي العطار وطاغور، هو أن طبيعة شخصية أنور العطار كانت تميل إلى الهدوء والعزلة والتأمل بصمت وتجسيد إبداعه في قصائد رصينة صامتة، بينما كان طاغور يجسد إبداعه في قصائد ذات نبرة صوتية مسكونة بالحوار، حيث تحولت نسبة كبيرة من قصائده إلى أغنيات ونصوصٍ مسرحية..، وذلك ناجم عن اختلاف البيئة ونمط العيش بين الشاعرين الكبيرين..

لقد كان شاعرنا فيلسوفًا يُشهد له في مسيرة حياته وتأملاته الإنسانية العميقة لجوهر الحياة ومعاني الوجود وتجليات الخلق في جماليات ذلك الوجود في كل ما يتعلق بالكون والطبيعة والمخلوقات والإنسان، تشهد على ذلك صياغاتُه الفلسفية في كل بيتِ شعرٍ خطَّهُ يراعَهُ مُترجِمًا لرؤية أو إحساس أو تأمل في معاني الوجود ومراميه السامية والنبيلة، فاستحق أن يكون بجدارة في مرتبة الشعراء الفلاسفة الذين استطاعوا (وهم القلة القليلة بين أقرانهم الشعراء) أن يسبروا مجاهل الخلق وأغوار الأحاسيس ويعبّروا عبر إبداعهم عن أسمى ما يميز ذلك الكائن الإنسان في دنيا أبدع الخالق فيها من الجماليات ما يصعبُ الإحاطة به أو رسمُ صوره الكاملة..، الأمرُ الذي أُتيحَ للشعراء والفنانين العباقرة ملامسته من زوايا رؤاهم لتلك الجماليات ورصد بعض معالمها لتكون مظهرًا من مظاهر الحضارة الإنسانية..

* * *

ندوة المعجم التاريخي للغة العربية
بين الواقع والمأمول

دمشق ١٧ رمضان ١٤٤٥هـ الموافق ٢٧ آذار ٢٠٢٤م

عقد مجمع اللغة العربية بدمشق برعاية السيد وزير التعليم العالي والبحث العلمي الأستاذ الدكتور بسام إبراهيم وبالتعاون مع مجمع اللغة العربية بالشارقة ندوة:

«المعجم التاريخي للغة العربية بين الواقع والمأمول»

وذلك في الساعة الخامسة من يوم الأربعاء ١٧رمضان ١٤٤٥هـ الموافق ٢٧ آذار ٢٠٢٤م

وقائع الندوة

- ❖ كلمة الدكتور بسام إبراهيم وزير التعليم العالي والبحث العلمي
- ❖ كلمة الدكتور حسن الشافعي رئيس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية (تسجيل مرئي).
- ❖ كلمة الدكتور محمود السيد رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق.
- ❖ كلمة الدكتور امحمد صافي المستغانمي الأمين العام لمجمع اللغة العربية بالشارقة (تسجيل مرئي).

- ❖ كلمة الدكتور عبد الحميد مدكور الأمين العام لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية (تسجيل مرئي).
- ❖ كلمة الدكتور مأمون وجيه المدير العلمي للمعجم التاريخي للغة العربية (تسجيل مرئي).

مدير الندوة الدكتور محمود السيد:

المشاركون في الندوة:

الدكتور غيث زرزور - الدكتور عبد الناصر عساف.

- ➢ كلمة الدكتور غيث زرزور ممثل مجمع اللغة العربية بالشارقة.
- ➢ كلمة الدكتور عبد الناصر عساف عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

كلمة وزير التعليم العالي والبحث العلمي

السادة الحضور.

أسعد الله أوقاتكم

يسعدني ويشرفني أن أكون معكم اليوم في افتتاح ندوة المعجم التاريخي للغة العربية بين الواقع والمأمول التي يقيمها مجمع اللغة العربية بدمشق بالتنسيق والتعاون مع مجمع اللغة العربية بالشارقة.

أحييكم أطيب تحية، وأهنئكم بهذا الشهر الفضيل شهر رمضان المبارك أعاده الله عليكم باليمن والخير والبركات، وأحيي عضو المجلس الأعلى لاتحاد دولة الإمارات العربية المتحدة حاكم إمارة الشارقة الرئيس الأعلى لمجمع اللغة العربية الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي وأعضاء المجمع، كما أحيي رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق وأعضاءه على تعاونهم لإنجاز هذا المعجم المعتمد من اتحاد المجامع العلمية اللغوية في الوطن العربي برئاسة الأستاذ الدكتور حسن الشافعي وأقدم التحية له ممتدة إلى الأمين العام لاتحاد المجامع الأستاذ الدكتور عبد الحميد مدكور حفظهما الله.

السادة الحضور:

لقد مرّ أكثر من قرن على إنشاء مجمع اللغة العربية بدمشق الذي بذل جهودًا كبيرة في إعلاء شأن لغتنا العربية، التي تعدّ من صلب مهامه وأهدافه

ماضيًا وحاضرًا ومستقبلًا. وإننا لنعتز بإنجازاته القيمة عبر هذا التاريخ، وما كانت تلك الجهود الطيبة لتبذل إلا بسبب إيمان أعضاء المجمع العميق بالانتماء إلى أمتهم ولغتها العربية الخالدة، وإيماننا جميعًا بأن لغتنا العربية هي أساس قوميتنا، وروح أمتنا، وجامعة شملنا، وموحدة كلمتنا، وهي اللغة الرسمية في دساتير الدول العربية كافة، فضلًا عن أنها لغة القرآن الكريم، ذروة البلاغة والبيان، وإنه لفخر لنا أن تكون لغتنا العربية من بين اللغات الست المعتمدة في الأمم المتحدة تقديرًا لعراقتها ومكانتها ومسيرتها في الحضارة البشرية.

الحضور الكريم:

إن الجمهورية العربية السورية منذ أن حصلت على استقلالها كان للغة العربية الصدارة في جميع ميادين الحياة تواصلًا وتعليمًا إعلامًا وسياسة واقتصادًا... إلخ. وصدر قانون حماية اللغة العربية في خمسينيات القرن الماضي، حرصًا على حمايتها وسلامتها.

كما أصدر السيد الرئيس بشار الأسد في الشهر الأول من عام ٢٠٠٧م مرسومًا بتشكيل لجنة التمكين للغة العربية والحفاظ عليها والاهتمام بإتقانها والارتقاء بها، وقد قال سيادته: يجب إيلاء اللغة العربية التي ترتبط بتاريخنا وثقافتنا وهويتنا كل اهتمامنا ورعايتنا كي تعيش معنا في مناهجنا وإعلامنا وتعليمنا كائنًا حيًّا ينمو ويتطور ويزدهر، ويكون في المكانة التي يستحقها جوهرًا لانتمائنا القومي ولتصبح أداة من أدوات التحديث ودرعًا متينًا في مواجهة محاولات التغريب والتشويش التي تتعرض لها ثقافتنا.

ولقد أسهمت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في بلدنا من خلال عدد من أساتذتها في الكلية الجامعية بالتعاون مع مجمع اللغة العربية عبر مسيرته في وضع المصطلحات بالعربية أو تأليف الكتب الجامعية معتمدة

على المصطلحات العلمية التي وضعها المجمع، وكان هؤلاء الأساتذة مثالًا وقدوة في حرصهم على سلامة اللغة العربية، حتى عدت سورية مضرب المثل على الصعيد العربي في تعليم جميع مواد المعرفة باللغة العربية.

السادة الحضور:

إن مصالحنا القومية ينبغي أن تكون هاجسنا على الصعيد العربي ولا شيء يعمل على إنقاذ مشروعاتها إلا التعاون والتنسيق، وهنا أكرر شكري وتقديري لمجمع اللغة العربية في الشارقة ورئيسه الأعلى الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي حاكم إمارة الشارقة على هذا التعاون الوثيق مع مجمع اللغة العربية بدمشق وسائر مجامع اللغة العربية في الوطن العربي وعلى دعمه للثقافة العربية وحاملة لوائها لغتنا العربية الفصحى متمثلة في المعجم التاريخي للغة العربية.

ختامًا:

أتوجه بالشكر الجزيل والامتنان إلى جميع القائمين على مجمع اللغة العربية وأخص بالذكر الزميل الدكتور محمود السيد رئيس مجمع اللغة العربية والزملاء أعضاء المجمع وإلى كل من ساهم وتعاون في إقامة هذا الندوة متمنيًا أن تسهم في إعلاء لغتنا التي إليها ننتمي وبها نعتز.

الرحمة لشهدائنا الأبرار الذين دافعوا عن ربوع وطننا الغالي، والشفاء العاجل لجرحانا، والتحية لجيشنا الباسل، على كامل مساحة الوطن، والتحية الأكبر **لقائدنا السيد الرئيس بشار الأسد راعي العلم والتميز والإبداع.**

أكرر سعادتي وترحيبي بكم جميعًا متمنيًا الخير والعطاء لوطننا.

والسلام عليكم

كلمة الأستاذ الدكتور حسن الشافعي
رئيس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كلمة عن المعجم التاريخي، في ملتقى دمشق الفيحاء

معالي السيد وزير التعليم العالي حفظه الله،
السيد الأستاذ الدكتور محمود السيد رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق،
السيد الأستاذ الدكتور امحمد المستغانمي الأمين العام لمجمع اللغة العربية بالشارقة،

أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وأصلي على جميع أنبيائه ورسله وخاتمهم محمد ﷺ، وبعد:

فإن حضارة الأمم تحيا وتتجدد، وتنمو وتخلدُ، بتجدد اللسان، وخلود البيان. ولغة كل أمة ولسانها، هي قوام تراثها الفكري، وعماد دورها الحضاري. ومن ثم عنيت الأمم والشعوب بحفظ لغاتها، وجمع تراثها، وتكريم رُواتها، وتناقل أخبارها، وأطوار حياتها، وللعربية من ذلك حظ موفور، وشأن رفيع بارز مشهور، بيد أن رجالها وحماتها – في المجامع العلمية اللغوية الحديثة، خلال القرن المنصرم – ولمجمع دمشق من بينها

شأن مرموق ودور غير مسبوق - قد تأخرت في إعداد «معجم العربية التاريخي»، وإصداره، ونشره في العالم وإعلاء مناره.

وذلك أن إعداد هذا المعجم وإصداره، عمل قومي بامتياز، لا بد له من حشد طاقات الأمة في جملتها، وإمكاناتها الفكرية والمادية في مجموعها، ومشاركة مجامعها وهيئاتها اللغوية كافة، لا يتخلف عنه أحد، ولا ينفرد به فريق دون آخر.

وبفضل الله - تعالى - وبهمة مأمون الأمراء العرب الشيخ الدكتور سلطان القاسمي حاكم الشارقة وعضو المجلس الأعلى لدولة الإمارات العربية المتحدة، فقد قاد سموه الركب، ودفع الجموع، وأتم الحشد، وقدم كل الإمكانات اللازمة، فأمكن لاتحاد المجامع العلمية اللغوية العربية، أن يقوم:

أ- بوضع «المنهج العلمي» والإطار النظري، وتدريب الخبراء على استعماله.

ب- وإقامة البنية العلمية والأجهزة الفنية على أحدث النظم العالمية والإمكانات الرقمية.

ج- وانطلاق الباحثين والمراجعين والمنسقين، من مئات المتخصصين، في سائر أنحاء الأمة العربية من الخليج إلى المحيط، في حركة منظمة دؤوب متناسقة.

وقد طالع الرجل النبيل، والأمير العالم الجليل، الشيخ سلطان القاسمي العالم كله، بما أنجزه العقل العربي، والإمكانات المتضافرة، لهذه الأمة الخالدة، متمثلة في الأجزاء السبعة والستين من «المعجم التاريخي للغة العربية»، وهو - حفظه الله ورعاه - يسارع الخطا ويقود الجموع، ويوفر الإمكانات، لإنجاز هذا المعجم، ونشره بكل الوسائل على العالم، خلال

عام واحد بإذن الله.

وإذ كنت أحد أفراد هذا الفريق الجامع من العاملين، في إطار هذا المشروع الحضاري التاريخي العربي المرموق؛ فإن واجبي يقتضي أن أقدم الشكر لكل المجامع العربية، وأن أخص مجمع الشارقة، ومجمع دمشق، ومجمع القاهرة بشكر خاص لدورهم في تنسيق العمل ومراجعته، وهي مهمة دقيقة لن تتوقف، حتى بعد اكتمال العمل وإصداره، بل ستتواصل هذه الجهود في المراجعة والتنسيق والتحديث، شأن المشاريع العالمية الحضارية الكبرى.

وهنيئا أمة العرب، ومرحى مرحى بدمشق الفيحاء،

والسلام عليكم ورحمة الله،

كلمة الدكتور محمود السيد رئيس المجمع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

السيّد وزير التعليم العالي والبحث العلمي الأستاذ الدكتور بسام إبراهيم المحترم
المستشارة برئاسة الجمهورية الدكتورة بثينة شعبان المحترمة
السادة الوزراء والسفراء وأعضاء المجمع والحضور الكرام
سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، وبعدُ:

يجيء انعقاد ندوة «المعجم التاريخي للغة العربية بين الواقع والمأمول» في شهر رمضان الفضيل، أعاده الله عليكم وعلى أمتنا العربية وقد تجاوزت أزماتها، وسدّد خطاها على طريق التضامن والوئام والحق والعدل والسلام.

وأقدّم التحية إلى السيّد رئيس الجمهورية العربية السورية السيّد الرئيس بشار الأسد الذي قدم النموذج الأمثل في ذوده عن الحمى ودفاعه الأسطوري عن الديار وردّ كيد المجرمين الأشرار بعد أن اشتدت المخاطر والأنواء، وتفاقمت المكائد والأرزاء، ولاهتمامه ونائبه للشؤون الثقافية الدكتورة نجاح العطار بالتمكين للغة العربية والحفاظ عليها والاهتمام بإتقانها والارتقاء بها انطلاقًا من الإيمان برسالة أمتنا الحضارية الإنسانية،

وعراقة لغتها الخالدة، كما أقدم التحية إلى عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم الشارقة الرئيس الأعلى لمجمع اللغة العربية في الشارقة الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي على تبنيه هذا المشروع الكبير «المعجم التاريخي للغة العربية» الذي اعتمده اتحاد المجامع العلمية اللغوية في الوطن العربي، وقام رئيس المجلس الأعلى لمجمع اللغة العربية في الشارقة مشكورًا باحتضانه ورعايته والعمل على تمويله وتنفيذه بكل أريحية وحماسة واندفاع بعد أن قام من قبلُ بتشييد صرح حضاري لمبنى اتحاد المجامع العلمية اللغوية في مدينة ٦ أوكتوبر في القاهرة، والشكر ممتد إلى رئيس اتحاد المجامع العلمية اللغوية في الوطن العربي الأستاذ الدكتور حسن الشافعي، وإلى مديري المشروع الصديقين العزيزين الأستاذ الدكتور مأمون وجيه، والأستاذ الدكتور امحمد صافي المستغانمي الأمين العام لمجمع اللغة في الشارقة، وإلى أمين عام اتحاد المجامع العلمية اللغوية الأستاذ الدكتور عبد الحميد مدكور.

أيها السادة:

إنّ هذا المعجم يختلف عن سائر المعاجم الأخرى من حيث سمة التأريخ للغة العربية، ورحم الله الشاعر العربي القائل:

من لم يعِ التاريخ في صدره ... لم يدر حلو العيش من مرّه
ومن وعى أخبار من قد مضى ... أضاف أعمارًا إلى عمره

وما أجمل أن يكون التاريخ للغة العربية لغة قرآننا الكريم، ورمز كياننا القومي، وعنوان هويتنا، ويجد القارئ في هذا المعجم تاريخ فكر أمته العربية منذ القدم حتى الوقت الحاضر متمثلًا في تطور ألفاظ اللغة وصيغها وتراكيبها عبر العصور، إذ لا يمكننا أن نتعرف نمط تفكيرها، ومستوى هذا

التفكير إلا من خلال كلام بنيها عبر مسيرة حياتهم ماضيًا وحاضرًا، ألم يقل سقراط قديمًا: تكلّم حتى أراك، وماذا عسانا أن نرى من خلال كلامه؟ إننا نرى مستوى تفكيره، ورحم الله شاعرنا الكبير المتنبي الذي يقول:

أضاحك نفس المرء من قبل جسمه وأعرفها في فعله والتكلم

أيها السادة:

في البدء كانت الكلمة، والمرء بأصغريه قلبه ولسانه، وهو مخبوء تحت لسانه، وبين كسب القلوب وكسرها خيط رفيع اسمه الأسلوب، فإما أن يزين أو يشين، وصدق رسول الله ﷺ الذي يقول: «ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه».

ولقد جمع المعجم التاريخي للغة العربية كلمات اللغة ، وصيغها وتراكيبها من منابعها الحية في جميع العصور، وفي ميادين المعرفة أدبًا شعرًا ونثرًا، وفلسفة وعلومًا وفلكًا وفقهًا... إلخ، إذ إنه تتبع الرصد في المعجم التاريخي للغة العربية الأصول اللغوية العربية في النقوش العربية القديمة ولغات الممالك القديمة في بلاد الشام والعراق وغيرهما كالأكادية والآرامية والسريانية... إلخ منذ القدم، ورحم الله عضو مجمعنا في دمشق الشاعر الراحل سليمان العيسى الذي يقول:

وأقدم نحن من مضر ومن قيسٍ نعم أبعد
حمورابي وهاني بعل بعض عطائنا الأخلد
لنا بلقيس والأهرام والبرديُّ والمعبد
ومن زيتوننا عيسى ومن صحرائنا أحمد
ومنا الناسُ يعرفها الجميع تعلموا أبجد

واستمر في رصده فترة ما قبل نزول الرسالة الإسلامية السمحة من لدن رب العالمين بلسان عربي مبين على قلب الرسول العربي الكريم، ومرورًا بعصر الاحتجاج وما تلاه من عصور، بحيث تتضح أمام القارئ صورة مسيرة أمته العربية فكرًا وعادات وأعرافًا وتقاليد وأخبارًا، مما يجعل هذا المعجم مصدرًا لدراسات عدة تتناول تطور الصيغ في الدلالات المجازية والسياقية في الألفاظ والتراكيب والدراسات المهتمة بإغناء اللغة وزيادة رصيدها وتعرف الألفاظ الدخيلة والمعرّبة، وتعرف المصطلحات الواردة على ألسنة شرائح المتكلمين عبر العصور في مختلف ميادين المعرفة، مما يفسح في المجال لإجراء بحوث ودراسات تتناول خصائص لغة كل شريحة من شرائح المجتمع عبر مسيرة أمتنا سواء أكان ذلك في مجال الأدب أم في مجال العلوم.

أيتها السيدات، أيها السادة:

لقد كان حلمًا أن نرى العرب وحدةً

وكان حلمًا أن نرى التضامن العربي محققًا

وكان حلمًا أن نرى المعجم التاريخي للغة العربية محققًا

وها نحن أولاء نرى المعجم محققًا بإرادة المخلصين الأوفياء للغتهم الأم العلماء الألبّاء في اتحاد المجامع العلمية اللغوية في الوطن العربي جزاهم الله عن أمتهم خير الجزاء، والشكر الجزيل لمن احتضن هذا المشروع تنفيذًا وتمويلًا حاكم الشارقة الرئيس الأعلى لمجمع اللغة العربية في الشارقة الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، معاهدين الله ربّ العالمين الذي أنزل قرآنه الكريم بلسان عربي مبين على أن نظل أوفياء لهذا اللسان العربي، محافظين عليه من الضياع، ورحم الله أستاذنا المجمعي الدكتور الموسوعي عبد الكريم اليافي الذي يقول:

لـم يبـق شـيء بأيـدينا سـوى لغـةٍ نصـونها بسـواد القلـب والهـدب

وصـدق ربّ العـالمين فـي قولـه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] صدق الله العظيم.

شكرًا جزيلًا للعاملين فـي إنجـاز هـذا المعجـم تحريـرًا ومراجعـة وتـدقيقًا، وشكرًا لكل من أسهم في هذا العمل الخالد بمشيئة الله، الذي يعد جوهرة لا أثمن ولا أبهى منها في حياتنا المعاصرة، إنه فكر أمتنا العربية الماجدة عبر مسيرتها منـذ القدم وحتى عصرنا الحالي، ويبقى منهلًا للباحثين والمهتمين، وأثـرًا بـه نعتـز فـي حياتنا الثقافية المعاصرة، ورحم الله الشاعر إيليا أبو ماضي عندما يقول:

إن السـنين كثيرهـا كقليلهـا إن لـم تـزن صـفحاتها الآثـار

وإذا كان حلمنا قد تحقق في إنجاز هذا المعجم، فإن حلمنا في تحقيـق الوحدة العربية سيتحقق بمشيئة الله، وإن لم تكن الوحدة فالتضـامن العربـي، ونبقى متفائلين دائمًا وأبدًا بوحدة أمتنا العربيـة، وبتحريـر فلسـطين وإرجـاع الحقوق المسلوبة مـن أراضـي أمتنـا فـي الجـولان، وجنـوب لبنـان، ولـواء إسكندرون، وبدحر المحتلين المجرمين.

مبارك لاتحاد المجامع العلمية اللغوية في الوطن العربي هذا الإنجاز، وبورك التعاون بين المجامع لإنفاذه بإشراف ومتابعة حثيثة من مجمـع اللغـة العربيـة فـي الشارقة. وفقنا الله لما فيـه خيـر أمتنـا العربيـة وخدمـة لغتهـا الخالـدة، ورحـم الله شهداءنا الأبرار، والشفاء لجرحانا، والنصر لقضـية شـعبنا المركزيـة فـي فلسـطين بمشيئة الله مرددين قول شاعرنا المجمعي المرحوم الدكتور أمجد الطرابلسي:

لا يرعـك الظـلام إن مـلأ الكـونَ فـإن الصـباح سـوف يـؤوب

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة الدكتور امحمد صافي المستغانمي
الأمين العام لمجمع اللغة العربية بالشارقة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أصحاب المعالي الوزراء... صاحب المعالي الأستاذ الدكتور بسام إبراهيم وزير التعليم العالي...

السادة الفضلاء العلماء الأماجد أعضاء مجمع دمشق اللغوي.

سعادة الأستاذ الدكتور محمود السيد.

إني لمسرور بالمشاركة معكم في هذا العرس الثقافي في هذه الندوة التي خصصها مجمع اللغة العربية بدمشق للمعجم التاريخي بين الواقع والمأمول.

أحييكم من شارقة الثقافة لا شارقة العرفان عاصمة الكتاب، وأوجه لكم أخلص التحايا وأصدق الدعوات ونحن في هذا الشهر الكريم.

وبعد... فموضوع المعجم التاريخي هو موضوع العصر هذا المعجم الذي يعد جمعًا ثانيًا للغة العربية، صحيح لم يألُ جهدًا علماؤنا القدامى (الأصمعي - سيبويه - المفضل الضبي) اجتهدوا في جمع التراث والذين كتبوا المجموعات والذين جمعوا الدواوين، والخليل بن أحمد في معجمه العين، علماؤنا السابقون لم يتوانوا في جمع ما استطاعوا من لغة العرب

ودونوها ثم حصروا عصر الاحتجاج وبعد عصر الاحتجاج جاء علماء وشعراء وبلغاء وكتاب على مستوى عالٍ. واللغة كائن حي ينمو ويتطور وكان لا بد للعرب أن يقفوا من جديد لجمع اللغة العربية الجمع الثاني وهو ما يضطلع به المعجم التاريخي الذي يؤرخ لجميع ألفاظها ابتداء من عصر النكوث ومرورًا بالنظائر الساميّة وابتداء من العصر الجاهلي حيث كان الشعراء يتفنون باللغة العربية الجميلة العصماء الإيادية المضرية التميمية وكان الكل يتحدث بها ويعشقها ويتضنن بنظم الشعر بها ثم أطلت شمس القرآن على جزيرة العرب بلغته الراقية التي تعد الذروة في البيان العربي ثم جاءت أحاديث النبي ﷺ الذي أوتي جوامع الكلم ثم توالى العلماء والشعراء والأدباء ينسجون بهذه اللغة الجميلة نحن اليوم نعيد جمع هذه اللغة، كان الموضوع متأرجحًا على مدى عقود منذ نشأة مجمع القاهرة الذي آلى على نفسه أن يكتب المعجم التاريخي وجاء المستعرب فيشر وأسست الجامعة العربية وانبثق منها اتحاد المجامع.

وجاء طه حسين عميد الأدب وشوقي ضيف... ولكن ظروفًا حالت دون إنجاز هذا المشروع إلى أن قَيَّض له صاحب الهمة القعساء والإرادة الفولاذية العالم الأديب صاحب السمو الدكتور سلطان القاسمي هذا الحاكم المثقف الذي آلى على نفسه وقال باللفظ الواحد: مهما كلفني من جهد ومن وقت ومن ثمن لأخرجن هذا المشروع إلى الواقع وها أنتم ترون أكثر من ٥٠٠ باحث ولغوي وأكاديمي بشتى الأقطار والأمصار يشاركون في هذا المشروع. نشكر من هذا المنبر اتحاد المجامع وعلماءه الذين أبلوا بلاء حسنًا في وضع أساس العمل وهو المنهج الذي نسير عليه ثم قمنا بعد ذلك بالتوفيق بين اللجنتين اللجنة العلمية والتنفيذية في الشارقة وتدريب

العاملين في ثلاثة عشر مجمعًا والعمل سار والجهود تترى صباح مساء والحمد لله وفقنا الله في معرض الكتاب ٢٠٢٣ في الشارقة بإنجاز وطباعة سبعة وستين مجلدًا (من الهمزة إلى الضاد) ونحن الآن نواجه ثلاثة عشر حرفًا وأبشّركم أن الجهود الضائعة فيها خير كبير مهما كانت العوائق والتحديات فإننا بتوفيق الله تعالى نسعى إلى تذليلها وقطف جناها وبدأت عملية التحرير تتحسن وعملية المراجعة تتحسن وكما قال العلماء قديمًا الطريق تصنعه الأقدام مع المراس تعلمنا ولا يقولن قائل: نسيتم البيت الفلاني أو التأريخ للفظة الفلانية (من لا يخطئ لا يصيب).

يكفى مجمع الشارقة مع تآزر المجامع الأخرى أننا أنجزنا شيئًا للغة العربية قد يعتريه بعض النقص سنكمله وسنحمص العمل بإذن الله.

وخطته هذا العام محكمة تفادينا الأخطاء السابقة وستكون المجلدات الجديدة على أتم ما يراد لها بإذن الله. وإذا كان الأستاذ الدكتور محمود السيد اقترح المعجم التاريخي بين الواقع والمأمول فأنا أقول ماذا بعد المعجم التاريخي؟ واللهِ الأكاديميون والباحثون واللغويون سيجدون فيه كنزًا من العلوم والشواهد اللغوية، يكفيك أن يكتب في الحاسوب (فلان يتغزل) آلاف الأبيات ستظهر لك، إذا جئنا إلى المتلازمات والمصكوكات والمصاحبات اللغوية لك أن تستخرج قواميس إذا جئنا إلى المصطلحات اللغوية لك أن تستخرج معاجم دقيقة معضلة. هو معجم المعاجم الذي لا يغني عنه معجم واحد.

والحمد لله كما قلت سابقًا في القاهرة رصدنا في الجذر ضرب ١٣٤ معنى شيء عظيم أن نجده مجموعًا بشواهده الجاهلية والقرآنية والشعرية والنثرية، سيكون مرجع المراجع ومعجم المعاجم وسيفخر به العرب من

مشرقهم إلى مغربهم. ولا أنسى في نهاية كلمتي أن أشكر شكرًا جزيلًا وأثني ثناء عطرًا على ما يقوم به أعضاء مجمع دمشق من مؤازرة لنا بالتدقيق والتمحيص لأنهم من أصحاب العلم الدقيق باللغة العربية أثمن ما يقدمونه لنا من مساعدات وأثمن جهود القائمين على العمل وفي مقدمتهم رؤساء اتحاد المجامع العربية وجميع المشاركين في شتى الأقطار.

شكرًا لكم أيها المؤتمرون وأبارك ما تقومون به وإلى مزيد من التقدم والنجاح وتقبل الله منا الصيام والقيام.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

* * *

كلمة الدكتور عبد الحميد مدكور
الأمين العام لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

معالي السيد الوزير الكريم راعي هذه الندوة المباركة
معالي الأستاذ الدكتور محمود السيد رئيس مجمع اللغة العربية السوري الموقر
السيد الأستاذ الدكتور حسن الشافعي، رئيس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية
السيد الأستاذ الدكتور أمحمد صافي المستغانمي (الأمين العام لمجمع اللغة العربية بالشارقة – المشرف العام على اللجنة التنفيذية لمشروع المعجم التاريخي)
السيد الأستاذ مأمون وجيه (المدير العلمي لمشروع المعجم التاريخي)
السادة العلماء الأعلام أعضاء مجمع اللغة العربية السوري

السلام عليكم جميعًا ورحمة الله وبركاته

أبدأ بالشكر الجزيل على دعوتي للمشاركة في هذه المناسبة الكريمة المنعقدة للاحتفال والاحتفاء بالمعجم التاريخي، الذي يشرف على إصداره اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية بمعاونة فائقة من مجمع الشارقة، ومشاركة من أحد عشر مجمعًا من المجامع اللغوية العربية المنضوية تحت لواء هذا الاتحاد، وهو المعجم الذي صدر منه حتى الآن سبعة وستون

مجلدًا شملت الحروف الخمسة عشر الأولى من حروف الأبجدية العربية، وهو في طريقه إلى الإنجاز الكامل في أقرب الآجال بعون الله تعالى، ثم بجهد العلماء الباحثين، ليمثل **درة التاج** بين المعاجم العربية قديمها وحديثها، وليحقق الجمع الثاني والأكبر، الذي لم تشهده اللغة العربية من قبل، وليكون **المرجعية الكبرى** لما سينجز - بالرجوع إليه - من بحوث ودراسات تتعلق باللغة والنحو والبلاغة والفكر والأدب والفنون، وشؤون الاجتماع وجوانب الحضارة، ومواطن الإبداع العلمي التي شهدتها هذه اللغة الشريفة على مدى تاريخها الطويل، وبخاصة في عهود الازدهار العلمي الذي شهدته، وأصبحت به لغة العلم الأولى في **العالم كله** مُدَّة تزيد على خمسة قرون.

هذا، وقد جرى الحديث عن إصدار معجم تاريخي للغة العربية بصورة رسمية لأول مرة بعد جهود فردية استمرت على مدى يقرب من خمسين عامًا عندما أصدر الملك فؤاد ملك مصر في العاشر من ديسمبر عام اثنين وثلاثين وتسعمئة وألف (١٩٣٢م) مرسومًا ملكيًّا بإنشاء مجمع اللغة العربية الملكي، وقد حددت المادة الثانية من هذا المرسوم، أغراض إنشاء هذا المجمع: وجاء في الفقرة (أ) منها:

«أن يحافظ على سلامة اللغة العربية، وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها، وأن تكون ملائمة - على العموم - لحاجات الحياة في العصر الحاضر».

وجاء في الفقرة (ب): «أن يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية، وأن ينشر أبحاثًا دقيقة في تاريخ بعض الكلمات وتغير مدلولاتها».

وقد بدأ المجمع المصري السعي إلى تحقيق هذه الغاية النبيلة بمعاونة

بعض المستشرقين من أعضاء هذا المجمع، ولكن هذا المجهود توقف بسبب سفر المستشرق الألماني فيشر بسبب الحرب العالمية الثانية ثم وفاته، ثم إن الظروف والشروط الموضوعية التي كان يجب توفرها لإنجاز هذا المعجم التاريخي لم تكن متحققة في ذلك الوقت، وانشغل مجمع القاهرة بالمعجم الكبير، وخفتت فكرة إصدار المعجم التاريخي، لأن بعض أعضاء المجمع العظام - وعلى رأسهم العالم الكبير الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد - كان يرى أن المعجم الكبير يغني عن المعجم التاريخي.

وظلت الفكرة تراوح مكانها، حتى بعد إنشاء اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية سنة سبع وخمسين وتسعمئة وألف (١٩٥٧م).

ولكنها بقيت أملًا ينتظر التحقق، حتى اجتمعت ثلاثة عوامل، بدأت معها رحلة التحقيق والخروج من الكمون إلى الظهور، أشيرُ إليها بإيجاز شديد يفرضه المقام، وكان العامل الأول منها يتمثل في العمل العربي المشترك، الذي اجتمعت فيه إرادة أحد عشر مجمعًا عربيًّا، بعدد يزيد على ثلاثمئة من الباحثين والخبراء والعلماء على إنجاز هذا المعجم الذي يتناول اللغة وشمولها وتاريخها الطويل، وعراقة تراثها وكثرة جذورها، وتنوع عطائها: لغةً وأدبًا وفكرًا وعلمًا، وعلومًا شرعية، ومعارف علمية، ولعل هذا التوافق والتعاون الذي يحدث لأول مرة على هذا النحو يكون دافعًا لمزيد من الجهد في آفاق أخرى كالتعريب وحوسبة اللغة، والإفادة من منجزات العلم الحديث، لا سيما في الذكاء الاصطناعي.

وكان العامل الثاني يتمثل في هذا التقدم العلمي في مجال التقانة أو التقنية، وهو الذي أتاح الفرصة لبناء المدوَّنات والخزائن العلمية والمنصات ورقمنة الكتب، وتسخير هذا كله لجمع اللغة ومفرداتها وتراكيبها وحقيقتها

ومجازها وشعرها ونثرها على نحو كان من العسير تحقيقه من قبل.

وأما العامل الثالث فيمثل في تلك الرعاية الكريمة التي حظي بها هذا المعجم من هذا الرجل العالم المبارك، صاحب اليد الطولى في البذل والعطاء، صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى لاتحاد الإمارات العربية، حاكم الشارقة، بما اتصف به من **همة عَلِيَّة، وإرادة شريفة سنية، وعزيمة ماضية قوية، ويد سخية**، ومتابعة جزئية وكلية لكل خطوة من خطوات العمل في هذا المعجم، وبفضل الله تعالى، ثم هذه الرعاية تحوَّل هذا الحلم إلى حقيقة واقعية، ونسأل الله عز وجل أن يطيل عمره، ويبارك عمله، ويُجزل ثوابه وأجره حتى يسْعد، وتسْعد معه العربية، والمحبون لها بإتمام هذا العمل الفائق المتفرد، وليبدأ عهد جديد من البحوث والدراسات المبنية على هذا المعجم الشامل الكبير.

أشكركم، وأرجو لندوتكم التوفيق،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

الأربعاء ١٧ من رمضان ١٤٤٥هـ = ٢٧ مارس ٢٠٢٤م

كلمة الدكتور مأمون وجيه
المدير العلمي للمعجم التاريخي للغة العربية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صاحب المعالي الأستاذ الدكتور/ بسام إبراهيم وزير التعليم العالي والبحث العلمي – راعي الندوة

العالم الأجلّ سعادة الأستاذ الدكتور / محمود السيد رئيس المجمع

السادة العلماء الأماثل أعضاء المجمع – الحضور الكريم – سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد؛

فالمعجم التاريخي للغة العربية – موضوع ندوتنا – سجل لغوي يؤرخ قصة اللغة قصة الميلاد والنشأة والتطور، وهو بلا شك أو جدال أو مراء، إنجاز القرن، وآيته العلمية الكبرى، التي انتظرها العرب طويلا، فقد عاش اللغويون والمثقفون العرب في كل مكان يشيمون برق هذا المعجم سنين عددا، وبعد تعثر عدة محاولات سنحت بفضل الله وتوفيقه لاتحاد المجامع العربية فرصة ذهبية ميمونة ،اتقدت جذوتها وعلا سناها بفضل رعاية رجل من محاسن هذا العصر ،من صفوة أهل العلم والفضل، ومن رجالات الحكمة والحكم ،**وهو صاحب السمو الشيخ الدكتور : سلطان بن محمد**

القاسمي حاكم الشارقة عضو المجلس الأعلى للاتحاد كلأه الله بحفظه وعنايته ورعايته، فقد رعى صاحبُ السمو هذا المشروع من الألف إلى الياء، وتكفل بدعمه دعما سخيا، هيأ السبل وعبدها ،وذلل الصعاب، وحل المشكلات، ويسر الطريق لتحقيق هذا الإنجاز، الذي جاء ثمرة جهود متواصلة، وعمل جماعي خلاق، فهو معجم العرب، وقد شاركت في صناعته المجامع العربية كلها جمعاء تحت مظلة اتحاد المجامع العربية بالقاهرة ؛ ليكون أول إنجاز علمي عربي جماعي. لم يعد المعجم التاريخي حلما أو خيالا بل أصبح حقيقة ماثلة شاخصة، فبين أيدينا – من طبعته الأولى حتى الآن – سبعة وستون جزءا، والبقية آتية لا ريب فيها.

بين أيدينا – الآن – درة فريدة جامعة للتراث المعجمي قديما وحديثا ؛ تقدم للناس عملا علميا وثائقيا جامعا يرصد صورة الحياة العربية ودقائق الفكرِ اللغوي عبر العصور موثقا ما حدث من تطور وتغير في بنية العربية ودلالاتها عبر تاريخها الطويل، بدقة وتفرد وإحكام وإبداع . ومن أبرز ما تفرد به هذا المعجم:

- تفرُّدُه بالتأريخ، فهو سجل لغوي يؤرخ قصة اللغة، ويبين شجرة النسب اللغوية لكل كلمة، وكيف تفرعت الأصول وتطورت ،وأنجبت أجيالا من الألفاظ والدلالات عبر العصور؛ متتبعا تواريخ ميلادِ تلك الألفاظ ودلالاتِها واستعمالاتِها في كل عصر ،متعقبا آثارها في النقوش القديمة والكتابات الحديثة؛ ليقدم سجلا تاريخيا دقيقا لألفاظ العربية وتراكيبها.
- ومن آيات تفرُّده وتميزه، تفرُّده بجمع لغوي جديدٍ للغة العربية، وهو جمع لم يحدث قطُّ منذ عهد الجمع الأول للغة، معتمدا في جمعه الجديد على اللغة الحية المستعملة، الموثقة في مصادرها المدونة منذ بواكير

التاريخ أيام النقش على جذوع الأشجار وصفائح الأحجار، مرورًا بجميع العصور ،وما ظهر فيها من مؤلفات وكتابات لسدنة العربية وعلمائها في جميع العلوم والفنون والآداب.

• ومن آياتِ تميزه وتفرُّده ، خروجُه على عصور الاحتجاج اللغوي، التي ضيقت تخوم اللغة وحصرتها في أعصر قليلة، فخرج بالعربية من ساحة الضيق والانغلاق، وانطلق في فضاءاتِها الرحبة الفسيحة مسهما بذلك في تنمية اللغة وإثرائها.

سيظل حقا يوم إنجازِ هذا المعجم محفورًا في الذاكرة العربية، وسيبقى علامة فارقة في التاريخ اللغويّ، علامة تفصل وتَفرُ ق بين مرحلتين في تاريخ المعجمية العربية: مرحلة ما قبل المعجم التاريخي، ومرحلة ما بعد المعجم.

فحال المعجمية قبله يختلف تمامًا عن حالها من بعده، ولا غرو في أن تتقاصر أمام سعته وشموله وإحاطته وتأريخه معاجمنا السوالف العظام ، فهنيئا لأمتنا بسفرها الخالد الجليل، فهو بحقٍّ:

عمل من روائع العصر جئناه م بعلم ولم نجئْه ارتجالا

وختاما نكرر الشكر لمجمعي سورية والشارقة، على هذا النشاط العلمي الماتع الرصين، وشكرا لحضراتكم على حسن استماعكم.

وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته.

كلمة الدكتور غيث زرزور
ممثل مجمع اللغة العربية بالشارقة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمينَ حَمْدًا طَيِّبًا كَثيرًا مُبارَكًا فيهِ، وأَفْضَلُ الصَّلاةِ وأَتَمُّ التَّسْليمِ عَلى خَيْرِ البَرِيَّةِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ، وعَلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعينَ.

الأَخواتُ الفُضْلَياتُ، الإِخْوَةُ الأفاضِلُ، السَّلامُ عَلَيْكُمْ ورَحْمَةُ اللهِ وبَرَكاتُه

أُهَنِّئُكُمْ بِشَهْرِ الصِّيامِ سائِلًا المَوْلى عَزَّ وجَلَّ أَنْ يَكْتُبَ لَكُمْ فيهِ الثَّوابَ والأَجْرَ العَظيمَ.

وأَحْمَدُ اللهَ وأَشْكُرُهُ أَنَّ هَيَّأَ لِيَ الجُلوسَ في هذا المَجْلِسِ المُبارَكِ بَيْنَ يَدي أَصْحابِ السَّعادَةِ المُوَقَّرينَ، وبَيْنَ يَدَي أَساتِذَتي وأَصْحابِ الفَضْلِ عَلَيَّ، وعَلى طُلّابِ العَرَبِيَّةِ، مِمَّنْ كانَ لَنا شَرَفُ تَلَقّي عُلومِ العَرَبِيَّةِ عَلى أَيْديهِمْ، فِلساني عاجِزٌ عَنْ شُكْرِكُمْ، ودُعائي لَكُمْ بِدَوامِ الصِّحَّةِ والعافِيَةِ، وبِأَنْ يَجْزِيَكُمُ اللهُ عَنّا خَيْرَ الجَزاءِ.

فَقَدْ قَيَّضَ اللهُ لِلعَرَبِيَّةِ جَهابِذَةً حُذّاقًا، يَهْتَمّونَ بِها، ويَحْمِلونَ لِواءَها، وحديثي أَمامَهُمْ، وَهُمْ أَهْلُ العَرَبِيَّةِ، يَزيد المَوْقِفَ رَهْبَةً ومَهابَةً.

لا يَخْفى عَلى كَثيرٍ مِنْ أَهْلِ العَرَبِيَّةِ أَنَّ الجُهودَ في التَّأليفِ المُعْجَمِيِّ

عَظيمَةٌ، ابْتِداءً مِنَ القَرْنِ الثّاني الهِجْرِيِّ، مَعَ الخَليلِ بْنِ أَحْمَدَ الفَراهيدِيِّ في كِتابِهِ (العَيْنِ). ولا يَكادُ يَمُرُّ قَرْنٌ مِنَ القُرونَ إلّا ونَجِدُ فيهِ مَنْ تَصَدّى لِلعَمَلِ المُعْجَمِيِّ، حَتّى إذا جاءَ العَصْرُ الحَديثُ وَجَدْنا التَّآليفَ المُعْجَمِيَّةَ الَّتي تَبَنَّتْها المَجامِعُ اللُّغَوِيَّةِ، أَوْ تَبَنّاها الأَفْرادُ.

ولا يُمْكِنُ لِأَيِّ عَمَلٍ أَنْ يَرى النّورَ إلّا إذا تَهَيَّأَتْ لَهُ الظُّروفُ المُناسِبَةُ

وأَمامَ عَظَمَةِ الموروثِ اللُّغَوِيِّ العَرَبِيِّ كانَ لا بُدَّ مِنْ وُجودِ رِجالٍ مِنْ أَصْحابِ الغَيْرَةِ عَلى اللُّغَةِ، وكَفاءاتٍ عِلْمَيَّةٍ، ووَسائِلَ تِقْنِيَّةٍ تُعينُ عَلى البَحْثِ، وأَموالٍ مَرْصودَةٍ لِخِدْمَةِ عَمَلٍ مُعْجَمِيٍّ جَديدٍ.

فجاءَ صاحِبُ السُّمُوِّ الشَّيخُ الدُّكتورُ سُلْطانُ بْنُ مُحَمَّدٍ القاسِمِيُّ، الرَّئيسُ الأَعْلى لَمَجْمَعِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ في الشّارِقَةِ، حَفِظَهُ اللهُ ورَعاهُ، لِيُؤَكِّدَ أَنَّهُ آخِذٌ بالعَرَبِيَّةِ عَلى مَحْمَلِ الجِدِّ، لا عَلى هامِشِ الحَياةِ؛ لِأَنَّها جُزْءٌ مِنَ الإيمانِ، ولا بُدَّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَتَعَلَّمَ اللُّغَةَ العَرَبِيَّةَ ويتحدَّثَ بِها.

وبَدَأَ المَشروعُ، مَشروعُ المُعجَمِ التّاريخِيِّ المُؤَرِّخِ لِأَلْفاظِ العَرَبِيَّةِ، لِيَبْحَثَ في اسْتِعْمالِ اللَّفْظِ أَوَّلَ مَرَّةٍ، ومِنْ أَيِّ جَذْرٍ انْحَدَرَ؟ وفي أَيِّ سياقٍ وَرَدَ؟ وما الدِّلالَةُ الَّتي يَحْمِلُها هذا اللَّفْظُ في الزَّمَنِ الَّذي اسْتُعْمِلُ فيهِ؟ وهَلْ حَدَثَ تَطَوُّرٌ في دِلالَتِهِ عَبْرَ العُصورِ؟ وذلِكَ مِنْ خِلالِ وُرودِ هذا اللَّفْظِ في نُصوصٍ وشَواهِدَ حَيَّةٍ.

العَقَباتُ والتَّحَدِّياتُ:

وكأَيِّ مَشْروعٍ لا بُدَّ مِنْ عَقَباتٍ وتَحَدِّياتٍ تَعْتَرِضُهُ، ومِنْ أَبْرَزِها:

١- فَوائِتُ المَعاجِمِ: فَوائِتُ في الأَلْفاظِ، وأُخرى في المَعاني

فَوائِتُ في الأَلْفاظِ: وَقَفْنا عَلى كَثيرٍ مِنَ الصِّيَغِ في عُصورِ الاحْتِجاجِ لَمْ تَنُصَّ عَلَيْها المَعاجِمُ وكُتُبُ اللُّغَةِ، وهذا تَطَلَّبَ اجْتِهادًا في ذِكْرِ المَعْنى

الدَّقيقِ لَها، فالمادَّةُ المُعْجَمِيَّةُ قَدْ تَكونُ مَوجودَةً، ولكِنَّ الصّيغَةَ الصَّرْفِيَّةَ كَـ (اسْتَفْعل، أو انْفَعَل، وغَيْرِهما) غَيْرُ مَذْكورَةٍ.

ونَحْنُ لا نُنْكِرُ الجُهودَ الفَرْدِيَّةَ في العَصْرِ الحَديثِ في الاسْتِدراكِ عَلى المَعاجِمِ، وتَتَبُّعِ الصِّيَغِ الصَّرفِيَّة الَّتي لَمْ تَنُصَّ عَلَيْها، ولكِنَّها لَمْ تَكُنْ كافِيَةً.

ومَنْ الفَوائِتِ في المَعاني: ما وَجَدْناهُ في أَشْعارِ المُتَقَدِّمينَ، وأَشْعارِ العَصْرِ العَبّاسيّ مِنْ أَلْفاظٍ لا تَتَوافَقُ مَعَ المَعاني الَّتي ذَكَرَتْها المَعاجِمُ، وهذا أَيْضًا تَطَلَّب اجْتِهادًا في اسْتِنْباطِ المَعنى المُناسِبِ، وقَدْ يَكونُ فيها اسْتِعْمالٌ مَجازِيٌّ أَو اسْتِعارَةٌ.

لِذَلِكَ أُرِّخَ في المُعْجَمِ التّارِيخِيِّ لِكَثيرٍ مِنَ الأَلفاظِ والمَعاني الَّتي وَرَدَتْ في نُصوصٍ لِفُصَحاءِ العَرَبِ، مِمَّنْ يوثَقُ بِعَرَبِيَّتِهِمْ، كَكَلامِ النَّبِيِّ الكَريمِ ﷺ الَّذي أُوتِيَ جَوامِعَ الكَلِمِ، ونُصوصٍ نَثْرِيَّةٍ وشِعْرِيَّةٍ لِغَيْرِهِ مِنَ العَرَبِ.

٢- اقْتِصارُ مُعْظَمِ المَعاجِمِ عَلى تَدْوينِ ما اسْتُعْمِلَ في عُصورِ الاحْتِجاجِ: المَعاجِمُ في الغالِبِ تَوقَّفَتْ عِنْدَ عُصورِ الاحْتِجاجِ، واللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ لُغَةٌ حَيَّةٌ، وقَدْ تَوَلَّدَتْ بَعْدَ عُصورِ الاحْتِجاجِ أَلْفاظٌ ومَعانٍ، وأَكْثَرُ المَعاجِمِ المَشْهورَةِ لَمْ تَذْكُرْ هذِهِ الأَلْفاظَ أَوِ المَعاني.

والمُعْجَمُ التّاريخِيُّ لِأَلفاظِ العَرَبِيَّةِ لا يَقْتَصِرُ عَلى عُصورِ الاحْتِجاجِ، وإِنّما يَتَتَبَّعُ اللُّغَةَ إلى العَصْرِ الحَديثِ، فَكثيرٌ مِنَ المَعاني الَّتي اسْتَجَدَّتْ، والأَلْفاظِ المُوَلَّدَةِ، جَعَلتِ الحاجَةَ مُلِحَّةً إلى ذِكْرِ مَعانيها.

٣- نُمُوُّ اللُّغَةِ واتِّساعُها وقُدْرَتُها عَلى اسْتيعابِ كُلِّ جَديدٍ: نَحنُ نُسايِرُ اللُّغَةَ ونَتَتَبَّعُها، فَتَرِدُ عَلَيْنا أَلْفاظٌ لَمْ تَنُصَّ عَلَيْها المَعاجِمُ بَعْدَ عُصورِ الاحْتِجاجِ، وتَرِدُ عَلينا دِلالاتٌ جَديدَةٌ اكْتَسَبَها اللَّفْظُ في عَصْرٍ مِنَ العُصورِ؛ لِتُواكِبَ هذِهِ الدِّلالَةُ ثَقافَةَ وحَضارَةَ هذا العَصْرِ ومُتَطَلَّباتِهِ، فَنُحاوِلُ مِنْ خِلالِ الشَّواهِدِ الحَيَّةِ أَنْ نَسْتَنْبِطَ مَعانِيَ الأَلْفاظِ الَّتي تَرِدُ فيها.

٤- **التَّصْحيف**: وَقَفْنا عِنْدَ نُصوصٍ وَقَعَ فيها التَّصْحيفُ، والمَعاجِمُ نَفْسُها وَقَعَ فيها التَّصحيفُ، وهذا يَتَطَلَّبُ التَّثَبُّتَ حَتّى لا نُثْبِتَ في اللُّغَةِ لَفْظًا لَمْ تَتَكَلَّمْ بِهِ العَرَبُ، ويَتَطَلَبُّ العَودَةَ إلى الكِتابِ المَخْطوطِ

فَكانَ هناكَ فريقٌ مُتَخَصِّصٌ، يَرْجِعُ إلى الكِتابِ المَخْطوطِ فَيُشيرُ إلى أَنَّ ما وَرَدَ مِنْ لُغَةٍ مِنَ اللُّغاتِ أَوْ مَعْنًى مِنَ المَعاني لا يَعْدو أَنْ يَكونَ تَصْحيفًا وخَطأً مِنَ النّاسِخِ أَوِ المُحَقِّقِ لِلكِتابِ. والمَقامُ لا يَتَّسِعُ لِلتَّفصيلِ

٥- **عَدَمُ الاقْتِصارِ في الشّواهِدِ المَجْموعَةِ عَلى مَصْدَرٍ مُعَيَّنٍ أَوْ مَصادِرَ مَحْدودَةٍ**: فالمَجالُ عِنْدَنا مَفتوحٌ غَيْرُ مُقَيَّدٍ، فَيَسْتَفْرِغُ المُحَرِّرُ ومِنْ بَعْدِهِ الخَبيرُ مَجْهودَهُ في البَحْثِ عَنِ الشَّواهِد لِلَّفْظِ المُؤرَّخِ لَهُ في جَميعِ المَصادِرِ المُتاحَةِ الَّتي يَسْتَطيعُ الوُصولَ إلَيْها، فَيَبْحَثُ في المَكْتَبَةِ الشّامِلَةِ، وفي الموسوعَةِ الشِّعْرِيَّةِ، وفي الكُتُبِ الَّتي أَتاحَتْها الشّابِكَةُ، وفي المَنَصَّةِ الَّتي أَنْشَأَها مَجْمَعُ الشّارِقَةِ لِتَخْدُمَ هذا المَشْروعَ.

وبَعْدَ هذا البَحْثِ عَلَيْنا أَنْ نُراعِيَ الشّاهِدَ الأَقْدَمَ في عَصْرِهِ، فَلا نَكْتَفي بِإثْباتِ الدِّلالَةِ في عَصْرٍ مِنَ العُصور، وإنّما نَتَتَبَّعُ الشّاهِدَ الأَقْدَمَ.

٦- **البَحْثُ في تَصاريفِ الكَلِمَةِ وجُموعِها**: فَنَبْحَثُ عَنْ شَواهِدِ الفِعْلِ في أَزْمِنَتِهِ المُخْتَلِفَةِ، وفي مَصادِرِهِ ومُشْتَقّاتِهِ المُتَنَوِّعَةِ، وفي اللَّواحِقِ الَّتي تَتَّصِلُ بِهِ، ونُراعي في البَحْثِ عَنْ شَواهِدِ الأَسْماءِ الجُموعَ القِياسِيَّةَ والسَّماعِيَّة. إلى أَنْ نَصِلَ إلى المُسْتَعْمِلِ الأَقْدَمِ لِلَّفْظِ، ولِذلِكَ قَدْ نُنْفِقُ وَقْتًا طَويلًا في البَحْثِ عَنْ شاهِدٍ لِلَفْظٍ ما.

٧- **رَصْدُ الدِّلالاتِ والاسْتِعْمالاتِ المَجازِيَّةِ الَّتي ظَهَرَتْ في العَصْرِ الحَديثِ في نُصوصٍ عَرَبِيَّةٍ فَصيحَةٍ**: وتَحْديدُ زَمَنِ الاسْتِعْمالِ الأَوَّلِ لِهَذِهِ الدِّلالاتِ، فالتَّطَوُّرِ الَّذي شَهِدَهُ هذا العَصْرُ جَعَلَنا نَسْتَفْرِغُ الوُسْعَ في التَّأْريخِ لِلمُصْطَلَحاتِ الفَلْسَفِيَّةِ والقانونِيَّةِ والطِّبِيَّةِ والفَنِّيَّةِ، وغَيْرِها.

المُعْجَمُ التّاريخِيُّ بَيْنَ الواقِعِ والمَأْمولِ:

أَوَّلًا: بَذَلَ العاملونَ في هذا المشروعِ جُهْدًا في اسْتِقْصاءِ المَعاني، وفي اسْتِقْصاءِ الشَّواهِد بَحَسَبِ المُتاحِ لَهُمْ في جَميعِ المَصادِرِ الَّتي اسْتَطاعوا الوُصولَ إلَيْها، وأُعيدَتْ عَمَلِيَّةِ البَحْثِ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ قَبْلَ الإقْرارِ النِّهائِيِّ لِلجَذْرِ.

هذا مِنْ حَيْثُ الواقِعُ...

ولَكِنَّ **المَأْمولَ** أَوْسَعُ مِنْ هذا، فالمَأْمولُ أَنْ نَصِلَ إلى اللُّغَةِ المَحْكِيَّةِ، ونَحْنُ في الواقِعِ نَعْتَمِدُ عَلى المُدَوَّنِ، بَلْ عَلى ما أتاحَتْهُ مُحَرِّكاتُ البَحْثِ الإلِكْتُرونِيَّةِ، وما هُوَ إلّا جُزْءٌ يَسيرٌ مِنَ المُدَوَّنِ، وما تَكَلَّمَ بِهِ العَرَبُ، وضاعَ أَوْ لَمْ يُدَوَّنْ، أَوْسَعُ مِنْ هذا بِكَثيرٍ؛ وهذا جَعَلَنا نَكْتَفي بِشَواهِدَ مُعْجَمِيَّةٍ لِأَلْفاظٍ دَوَّنَتْها المَعاجِمُ لَمْ نَجِدْ لَها شَواهِدَ اسْتِعْمالِيَّةً حَيَّةً، والشَّواهِدُ المُعْجَمِيَّةُ تَدُلُّ عَلى أَنَّ هذِهِ الأَلْفاظَ في زَمَنٍ مِنَ الأَزْمانِ -غالِبًا في الزَّمَنِ المُتَقَدِّمِ- اسْتُعْمِلَتْ بِهَذِهِ المَعاني، ولَكِنّنا لَمْ نَسْتَطِعْ أَنْ نَجِدَ لَها شاهِدًا حَيًّا.

فالمأمولُ إذنْ أَنْ نَجِدَ لِكُلِّ لَفْظٍ أَدْخَلْناهُ شَاهِدًا اسْتِعْمالِيًّا.

ثانِيًا: بِخُصوصِ المَعاني الَّتي اسْتَجَدَّتْ:

نَحْنُ نَعْتَمِدُ عَلى ما وَرَدَ مِنْ مَعانٍ في المَعاجِمِ وغَيْرِها مِنْ فَصيحِ الكُتُبِ الَّتي شَرَحَ فيها عُلَماءُ اللُّغَةِ مَعانِيَ الأَلْفاظِ، فَنَبْحَثُ عَنْ شَواهِدَ لَها، ولكنَّ المَعانِيَ المُسْتَجِدَّةَ لا يُمْكِنُ حَصْرُها، فَحاوَلْنا قَدْرَ ما يُمْكِنُ أَنْ نَسْتَقْصِيَها.

ولَكِنَّ **المَأْمولَ** أَنْ نَتَتَبَّعَ اللَّفْظَ أَيْنَما وَرَدَ، ونُحاوِلَ أَنْ نَذْكُرَ المَعْنى الَّذي وَرَدَ لَهُ.

ماذا بَعْدَ المُعْجَمِ التّاريخِيِّ:

ماذا يُمْكِنُ أَنْ يُنْتِجَ لَنا المُعْجَمُ التّاريخِيُّ؟ هَلْ نَتَوَقَّفُ عِنْدَ هذا العَمَلِ؟

إنَّ المُعْجَمَ التاريخِيَّ مُعْجَمٌ لَفْظِيٌّ يَذْكُرُ اللَّفْظَ ويَبْحَثُ عَنْ مَعْناهُ،

ويُمْكِنُنا مِنْ خِلالِهِ أَنْ نوجِدَ معاجِمَ موضوعِيَّةً، فالمَعاجِمُ لَها نَوْعانِ، مَعاجِمُ أَلْفاظٍ، ومَعاجِمُ مَعانٍ، مَعاجِمُ المَعاني: تَذْكُرُ المَوضوعَ ثُمَّ تَذْكُرُ الأَلْفاظَ المُتَعَلِّقَةَ بِهِ، فَيُمْكِنُنا مِنْ خِلالِ هذا المُعْجَمِ أَنْ نوجِدَ مُعْجَمًا موضوعِيًّا تاريخِيًّا ونَحْنُ في المُعْجَمِ التّاريخِيِّ أَبْحَرْنا في مَجالاتٍ شَتّى، فنَستَطيعُ أَنْ نَجْمَعَ الأَلْفاظَ المُتَعَلِّقَةَ بِفَنٍّ مِنَ الفُنونِ، ومَجالٍ مِنَ المَجالاتِ، فَيَكونُ لَدينا أَكْثَرُ مِنْ مُعْجَمٍ مَوضوعِيٍّ.

فالمُعْجَمُ التّاريخِيُّ سَيُبْرِزُ لَنا أَفْكارًا موضوعِيَّةً كَثيرَةً، وقَدِ اسْتَطاعَ العاملونَ فيهِ تَسْجيلَ عَناوينَ كَثيرَةٍ لِمَواضيعَ وأَبْحاثٍ مُهِمَّةٍ، سَتُغْني العَرَبِيَّةَ وتُسْهِمُ في خِدْمَتِها، بالإضافَةِ إلى تَسْجيلِ المُلاحَظاتِ عَلى المَصادِرِ مِنَ الكُتُبِ والدّواوينِ الَّتي لَمْ يُهَيِّئِ اللهُ لَها مَنْ يُخْرِجُها عَلى أَحْسَنِ حالٍ.

ما الّذي أَضافَهُ المُعْجم التّاريخِيُّ؟:

أولًا: الاسْتِدْراكُ عَلى المَعاجِم:

اسْتَدْرك العامِلونَ في المُعْجَمِ - مِنْ خِلالِ ما ظَهَرَ لَهُمْ في عَمَلِيَّةِ البَحْثِ عَنِ الشَّواهِدِ- أَلْفاظًا ومَعانِيَ في عُصورِ الاحْتِجاجِ وفي غَيْرِها، لَمْ تَنُصَّ عَلَيْها المعاجِمُ وكُتُبُ اللُّغَةِ، وَقَفْنا عَلَيْها في شَواهِدَ اسْتِعْمالِيَّةٍ في العَصْرِ الجاهِلِيِّ وما بَعْدَهُ مِنَ العُصورِ.

ثانيًا: الثَّرْوَةُ المَعْرِفِيَّةُ الَّتي رَصَدَها المَعْجَمُ التّاريخِيُّ:

الشّواهِدُ الَّتي في المُعْجَمِ شَمِلَتْ مَجالاتٍ شَتّى، فَيَجِدُ القارِئُ شاهِدًا مِنْ كُتُبِ الفِقْهِ، أَوْ شاهِدًا مِنْ كُتُبِ السّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ، أَوْ شاهِدًا مِنْ كُتُبِ الطِّبِّ، أَوْ مِنَ الجُغْرافيا، ويَتَنَقَّلُ بَيْنَ مَعْلوماتٍ تاريخِيَّةٍ، أَوْ أَدَبِيَّةٍ، ويَجِدُ المَقْطوعاتِ الشِّعْرِيَّةَ الَّتي فيها الحِكْمَةُ والغَزَلُ والرِّثاءُ. ويَجِدُ غَيْرَ ذلِكَ.

ثالثًا: تَصويبُ المُصَحَّفِ:

إنَّ الكَثيرَ مِنَ النُّصوصِ الَّتي وَقَفْنا عَلَيْها في مَصادِرِها المَطْبوعَةِ مُصَحَّفَةً أَثْبَتْناها عَلى الصَّواب.

الانْتِفاعُ بالمُعْجَمِ التّاريخِيِّ:

المُعْجَمُ مُتاحٌ عَبْرَ الشّابكَةِ، يُمَكِّنُ الباحِثَ مِنَ البَحْثِ عَنْ لَفْظٍ مُعَيَّنٍ، وتَتَبُّعِهِ تاريخِيًّا، فَيَنْظُرُ في الأَلْفاظِ الَّتي اسْتَجَدَّتْ أَوْ في المَعاني المُسْتَجِدَّةِ لَها، ويَتَبَيَّنُ العَصْرَ الَّذي ظَهَرَ فيهِ اللَّفْظُ أَوِ المَعْنى.

فالمُعْجَمُ التّاريخِيُّ سَيكونُ مَرْجِعًا شائِقًا لِطُلّابِ العِلْمِ عَلى اخْتلافِ اخْتِصاصاتِهِمْ، ولَيْسَ حِكْرًا عَلى طُلّابِ العَرَبِيَّةِ، فَيَجِدُ طالِبُ العِلْمِ فيهِ ضالَّتَهُ بِحَسَبِ اخْتِصاصِهِ وتَوَجُّهِهِ، إضافَةً إلى كَوْنِهِ مَرْجِعًا يُثْبِتُ الكَثيرَ مِنَ الأَحْداثِ التّاريخِيَّةِ.

خاتِمة:

وأَخيرًا:

لا بُدَّ مِنَ الاعْتِرافِ أَنَّ الجُهْدَ الجَبّارَ المَبْذولَ في هذا المَشْروعِ لا يَعْدو أَنْ يَكونَ عَمَلًا بَشَرِيًّا، لَيْسَ لَهُ عِصْمَةٌ؛ لِذلكَ نَحْنُ بِحاجَةٍ إلى الجُرْأَةِ في نَقْدِ الذّاتِ ومُراجَعَةِ النَّفْسِ، مِنْ أَجْلِ الإِصْلاحِ والتَّنْقيحِ.

وسَيُهَيِّئُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ رِجالًا مِنْ أَهْلِ العَرَبِيَّةِ يُسْهِمونَ في هذهِ العَمَلِيَّةِ لِنَرْتَقِيَ بالعَمَلِ ونَصِلَ بِهِ إلى الوَجْهِ المَطْلوبِ المَرْضِيِّ عَنْهُ.

أَيُّها السّادَةُ: المَشاريعَ لِخِدْمَةَ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ لَنْ تَتَوَقَّفَ، والجُهودُ تَترى لِلعَمَلِ عَلى مَشاريعَ جَديدَةٍ تُغْني العَرَبِيَّةَ.

وقَدْ بَدَأَ مَجْمَعُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ في الشّارِقَةِ - ونَحْنُ في المَرْحَلَةِ الأَخيرَةِ مِنْ إنْجازِ هذا المَشْروعِ - بِتَلَقّي مُقْتَرَحاتِ ما بَعْدَ المُعْجَمِ التّاريخِيِّ.

فَمَجْمَعُ الشّارِقَةِ وعَلى رَأْسِهِ صاحِبُ السُّمُوِّ الشَّيْخُ الدُّكْتورُ سُلْطانُ بْنُ مُحَمَّدٍ القاسِمِيُّ، حَفِظَهُ اللهُ ورَعاهُ، ومِنْ بَعْدِهِ أَمينُ المَجْمَعِ صاحِبُ الهِمَّةِ العالِيَة سَعادَةُ الأُسْتاذِ الدُّكتورِ مُحَمَّد صافي المُسْتَغانِمي، آذانُهُ مُصْغِيَةٌ لِمُقْتَرَحاتِكُمْ وآرائِكُمْ.

والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة الدكتور عبد الناصر عساف
عضو مجمع اللغة العربية بدمشق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أيُّها السّادةُ والسّيّداتُ :

السّلام عليكم ورحمةُ الله وبركاته:

كان المعجم التّاريخيُّ لِلُّغَةِ العربيّة فكرة وحُلُمًا تردّدَ في أروقة المجامع اللّغويّةِ العربيّة، وفي ضمائر المختصّين باللُّغَة العربيّة والمحبِّين لها، ثمّ كان مشروعًا أُلِّفَتِ اللّجان وعُقِدت له الاجتماعات، وشُدَّتْ من أجله إلى القاهرةِ الرّحالُ، ومضت عليه عقود، كان فيها من التّأخُّر والإبطاءِ والتعثُّر والتّوقّف ما كان، حتّى إذا تكفَّلَ سموُّ حاكم الشّارقة الشّيخ الدكتور سلطان القاسميُّ منذ سنة ٢٠١٧م بهذا المشروع ورعاه رعاية كريمة مباركة دالّةً على حُبِّه للعلم والعلماء وحرصِه على العربيّة وخدمتها وخدمة تراثِها العريق، وتبنّى مجمع الشّارقة الإشرافَ الإداريّ عليه بتعاون وثيق مع اتّحاد المجامع العربيّة، وتنسيق مع المجامع العربيّة والمراكز والمؤسسات اللُّغويّة الأخرى كان الحصادُ والإنجازُ في بضع سنين، وصارتِ الفكرة واقعًا، والحُلُم حقيقةً.

إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لمجدٍ تلقّاها عَرابةُ باليمينِ

وقد كان من المقدور أن يُشاركَ مجمع اللغة العربيّة في دمشق في إعداد هذا المعجم، وكان يُعِدُّ العُدَّةَ لتدريب فريقين من المحرّرين في بيروت في آخر عام ٢٠١٩م، لكنّ الأحوال الصّحّيّة العالمية بسبب كورونا حالت دون ذلك، وانتظرنا، لكنّ الإنجازَ سُرعانَ ما رمى الانتظارَ وراءَ ظهرِهِ، فقد صدر من المعجم التاريخي للغة العربية في عام ٢٠٢١م سبعة عشر جزءًا، ورأى مجمع الشّارقة مشكورًا رأيًا فيه منَ التّقدير لمجمعنا مجمع اللغة العربية بدمشق وحُسنِ الظَّنِ به ما فيه، إذ أسنَدَ إليه مُهمّة المراجعة والتّدقيق لما صدر من أجزاءٍ، وقدِ استجاب المجمع لذلك، وأنجز بكلِّ أمانةٍ ومسؤوليّة حتّى أيّامنا هذه مراجعةَ أحد عَشَرَ جزءًا، وتدقيقَ بعض الملازم المستعجلة.

ومن واقع هذه التّجربة العلميّة المفيدة الّتي كان لنا فيها معاينة ومعاناة ونظر ومعرفة يمكننا الحديثُ عمّا بدا لنا في هذا المعجم التّاريخيِّ من مزايا عامّة أو مقيَّدة، وتقديراتٍ تدخل في باب المأمول والاقتراح. فمن مزايا هذا المعجم فيما بدا لنا:

١- سرعة الإنجاز الفائقة. وهذه محمدة اختصرتِ الزّمن أيّما اختصارٍ، ففي أربع سنواتٍ أُنجِزَ منَ المعجم سبعةٌ وستّون مجلّدًا، ومنَ المتوقَّعِ أن يصدر المعجم مكتملًا قبل انقضاء هذا العقد في مئة وعشرين مجلّدًا. ولو تُرِكَ إنجازُه على الوجه الّذي يكون عليه إنجاز المعاجم المماثلة في بعض المجامع العربية لاحتاج إنجازُه إلى أزيدَ من مئة عامٍ.

على أنّه أعشبت في ظلال هذه السُّرعة الفائقة هفواتٌ متناثرة هنا وهناك أنبتتها العجلةُ أوِ السّهوُ أو غيرهما على أيدي بعض المحرّرين والمراجعين، ولا شكَّ أنَّ مسعى لجنة المراجعة والتّدقيق الجادَّ المتأنّيَ كفيل بإزالة آثار

تلك العجلة ما أمكن بعين البصير ويد الفطِنِ العارف الخبير.

٢- المعجم التّاريخيُّ يقوم على الاستقصاء في جمع ما وقع في معاجم العربيّة، والاستدراك والزّيادة عليها، ولذلك وقع ما صدر منه، وهو القسم الّذي يستوعب الموادَّ المبدوءة بحروف الهمزة والباء والتّاء إلى حرف الضّاد، في سبعة وستين مجلّدًا، والتقدير أن يكون بتمامه كما ذكرتُ قبلَ قليلٍ في مئة وعشرينَ مجلّدًا. وهو لذلك يُعدُّ أكبرَ معجم لغويٍّ عامٍّ للُّغة العربيّة يصدر في تاريخها الممتدّ المتطاول.

٣- المعجم مبنيٌّ على وفق مناهج معاجم المحدثينَ: موادُّه مرتّبة ترتيبًا ألفبائيًّا بحسب الحرف الأوّل من جذر المادّة، ومفرداتُ المادّة الواحدة مُصنَّفة في الغالب قسمينِ: قسمٍ يضمُّ الأفعال، مرتّبةً بحسب عدد حروفها؛ الثُّلاثيُّ فما زاد عليه، مع مراعاة الترتيب الهجائيِّ فيما زاد على الثّلاثيِّ، وقسمٍ للأسماء تُسرَد فيه الأسماءُ بحسب ترتيب حروفها، دون مراعاة عدد أحرفها؛ وإلى هذين القسمين قد يكون للحرف موضعٌ يوسَمُ بالأداة.

وفي هذا التّصنيف تيسير على القارئ للوصول إلى مرادِه بأقلِّ جهدٍ ووقتٍ.

٤- كان من منهج المعجم بيانُ صلة بعض الموادّ بما شاكلها وكان من أشباهها في النُّقوش القديمة، وفي اللُّغات العروبيّة المشهورة باللُّغاتِ السّاميّة، ويكون ذلك في مدخل المادّة قبل عرض مفردات المادّة. وهذا ملمح حسنٌ في ذاتِه يُنبِّه على الماضي السّحيق لتلك المفردات، وعلى تحوّلاتِها البِنَوِيَّة والدّلاليّة، وعلى الأرومة الواحدة الّتي تحدّرت منها تلك الكلمات.

وعلى أنّ ذلك يجب أن يجريَ على أصولِه العلميّة المحكَمةِ بالدّليل والبيّنة؛ يعتمدُ على المصادر العلميّة الموثوقةِ، ويبتعد في تفسير ذلك وبيانِه والاستدلال له عنِ الأخبار الضّعيفة والرّوايات التّوراتيّة؛ وأن يكون مُطَّردًا

يستوعب كلَّ ما له من الموادِّ صلةٌ بذلك.

٥- كان من منهج المعجم التّاريخي للُّغَة العربيّة التّنبيهُ على المعاني الكُلِّيّة للمفرداتِ الّتي تشتملُ عليها الموادُّ، ذلك المدرك العميق القويم الّذي استنبطه ابن فارسٍ، وأفادَ منه فريقٌ من العلماء في معاجمهم، وطبَّقَه (المعجم الكبير) الّذي اقتدى به المعجم التّاريخي في ذلك وفي غيره ونظر إليه وأفاد منه.

وهذا مسعًى حسنٌ، والمأمولُ أن يُبنى ذلك بيد الإحكام والدّقّةِ، وبنظر عميق نافذٍ، وأن يكون على وَفْقِ ضوابطَ صحيحة دقيقةٍ، ويكونَ مطّردًا حيث ينبغي.

٦- بُنِيَ المعجم التّاريخيُّ على منهج وصفيٍّ تاريخيٍّ، اعتزلَ سياسة النّبزِ ولهجة الاتّهام الّتي أُولِعَتْ بها بعضُ المعياريّات المتجنّبةِ الّتي يَسرُّها أن تُلقيَ أحكامَ الضّعف والخطأ والشُّذوذ جزافًا على بعض وجوه الاستعمال عن هوًى، أو عن غير علم. ومن الملامح الدّالّة على ذلك في هذا المعجم غيابُ أحكام التّضعيفِ والمنعِ والتّغليطِ والتّشذيذ والاستِهجان، وتَدوينُ بعضِ الألفاظِ والعبارات الّتي تبارى بعضُ المشتغلين في التّصحيح والتغليط اللّغويِّ في هجائها والتّنقُّص منها وتغليطها. ومن هنا نرى أنّ وصف بعض وجوه الاستعمال في هذا المعجم أحيانًا، أو بعض معاني الألفاظ بأنّه مولّدٌ أو مُحدَثٌ أو مجمعيٌّ = هو وصف زمنيٌّ محضٌ لا ينطوي - ولا ينبغي أن ينطويَ - على حكم قيمة سلبيٍّ فيه شيءٌ من تنقُّصٍ وإزراء.

على أنّ ذلك لم يكن مطّردًا؛ لذلك غابت عن هذا المعجم ألفاظ رماها قومٌ بسهام الخطأ ورماح الانتقام، وحاكموها محاكمة الجاني، وهي براءٌ من كلِّ ذلك، وقد كان حقُّها أن تُذكَر وتُدوَّنَ في مواضعها من مواد المعجم وأبوابه دون تَردُّدٍ ولا وَجَلٍ.

٧- كان من مقاصد هذا المعجم التّاريخيِّ تقييدُ المعاني ووجوهِ الاستعمالِ الّتي فاتَ القدماءَ تقييدُها، وتقييدُ المعاني ووجوهِ الاستعمالِ المستحدَثَةِ إن دلَّتْ عليها شواهد الاستعمال، أو دوّنتها بعضُ معاجم المحدثين.

وهذا المقصدُ على أهمِّيّتِه وفائدتِه لم يكن له حضور دائمٌ، بل كان يَتردَّدُ بين الخَفاء والتّجليِّ. والمأمول لذلك أن يكون للمحرّرين حساسيةٌ واستجابةٌ دقيقةٌ ظاهرةٌ في التقاط تلك الصُّوَر منَ الاستعمال والمعاني، وتدوينها على وجهها في مواضعها بدقّةٍ وإحكامٍ.

٨- لم يقتصِرِ المعجَمُ التاريخيُّ في استدلالِه على ما كانتِ المعاجم تقتصر عليه من آي القرآن الكريم وقراءاته وحديث النبيّ ﷺ وأقوال السّلف الأوّلين، والأمثال والأشعار؛ فقد زادَ على ذلك، فاستدلَّ بالنُّصوص المؤازرة من كلام العلماء والأدباء والفقهاء والمفسّرين والمؤرّخين ومَنْ إليهم. وهذه تَوسِعةٌ ينبغي أن يُنظَر إليها بعين الدّقّة والتّقدير؛ لأنَّ مَيدانَ اللُّغة أوسعُ من تلك المصادر المعهودة، والاستدلال في باب الاستعمال اللُّغَويِّ ليس محصورًا بها. وفي هذا تقدير لتلك النُّصوص المساندة، ما كانت بمأمنٍ من آفةِ التّصحيف والتحريف، وحُفِظَتْ منَ الأخطاء القطعيّة الصُّراحِ.

٩- لم تقتصر شواهدُ هذا المعجم القرآنيّةُ والحديثيّة والشّعريّة والنّثرية الأخرى على ما ردّدَتْهُ المعاجم، ينقل من هذا المعجم شيئًا ومن ذاك شيئًا آخر، بلِ اغتَنَت شواهِدُه بما لم يكن في تلك المعاجم من شواهدَ هُدِيَ المحرّرونَ إليها بعد البحث والنّظر في المُدوَّنةِ الّتي اعتُمِدَت في بناءِ المعجم.

١٠- كان المعجم حريصًا على أن تكون أكثرُ شواهدِه من شواهد الاستعمال، ومن هنا كان يُقدِّمُ شاهد الاستعمال على النَّصِّ المعجميِّ، من قرآن وحديث وأثر ومثل وشعر، ونصوص مؤازرة، ثمَّ يأتي بالنّصِّ

المعجميِّ تأييدًا لما كان وتأكيدًا، وللتنبيهِ على الامتداد الزّمنيِّ لهذا الاستعمال في العصور المختلفة. فإذا فاتَهُ شاهد الاستعمالِ لهذا المعنى أو ذاك لجأَ إلى النّصِ المعجميِّ وحدَهُ كالمضطَرِّ إليهِ اضطرارًا.

١١- حاول المعجم الاستفادةَ من موضوع تكملة المادّة اللُّغويّة، فبنى أفعالًا لم يُؤثَر عنِ العرب استعمالُها، ولم تنصَّ عليها المعاجم؛ لورود دليل أو أكثَرَ على استعمالِهم لمصادرها أو بعض مشتقّاتها.

ومن هنا كانت تتردّد فيه هنا وهناك: هذا الفعل لم يُستعمَلْ من قبلُ بهذا المعنى، وقد استُعمِل مصدرُهُ؛ أو هذا الفعل لم يُستعمَلْ من قبلُ بهذا المعنى، واستُعمِلَ المُشتقُّ منه.

ومنَ المأمول في هذا المعجم، فيما بقي منه من أجزاءٍ، أو في طبعته التّالية، ممّا نراه مفيدًا، إذا جرى على أصله وفي موضعه:

١- تزويد المعجم بالصُّوَر والأشكال والمصوّرات والرُّسوم المناسبة الّتي تُساعدُ على توضيح بعض وجوه الاستعمال والمعاني الدّقيقة، ولا سيّما تلك الوجوه والمعاني الّتي باتت غائبة عن حياة أكثر النّاس في زماننا، وعن استعمالهم اللُّغويّ المعتاد.

٢- أن يُلحَقَ بالمعجمَ بعد إنجازه تامًّا جزءٌ مُستدرَكٌ كلَّ خمس سنواتٍ يضُمَّ وجوه الاستعمال الجديدة وصور التعبير المستحدثة الطّارئة الّتي حدثت بعد تأليف المعجم، أو الّتي فاتَ المعجمَ تدوينُها في وقت إعدادهِ، ويضُمُّ الإضافات الّتي تُغني المعجم من الشّواهد المناسبة ووجوه التعبير المُستدركَة القديمة؛ فضلًا عن التّصحيحات الّتي يكون بها إصلاحُ بعض ما وقع في المعجم من أخطاءٍ وهفواتٍ فاتَ المحرّرين والمراجعين في مرحلتي الإعداد والمراجعة والتّدقيق تصحيحُها.

وتُصنَّفُ مادَّةُ هذه المستدركاتُ مرتّبةً التّرتيب الهجائيّ المناسب بحسب أبواب المعجم مادّة مادّةً. وإذا طُبِع المعجم طبعة جديدةً أمكَنَ توزيع موادِّ هذه المستدركات في مواضعها المناسبة من مجلّدات المعجم، بحسب موادّها، مع مراعاة ما يقتضيه منهج المعجم في ترتيب مفرداتِ المادّة في موضعها من بابها. وإلّا بَقيَتْ مجلّداتُ المعجم على حالها، وكانت تكملةً للمعجم التّاريخيّ وذيلًا وصلةً.

٣- العمل على اعتماد أوثق المصادر والطّبعات الّتي تُنقَلُ وتُوثَّقُ منها الشّواهد والنُّصوص المساندة؛ حفظًا لمادّة المعجم في ذلك من عدوى التّحريف والتّصحيف وأوهام الضّبط الّتي تتردّد في بعض المصادر والطّبعات السّقيمة لغفلةٍ أو جهلٍ أو تقليدٍ.

٤- هذا المعجم بلا شكٍّ هو ثمرة عملٍ جماعيٍّ، وراءَه فريق عملٍ كبيرٌ منَ العلماء والمحرّرين والمراجعينَ المعتمَدينَ؛ فقد أسهم في إعداده مئاتُ العلماءِ والخبراءِ والمحرّرينَ والمقرّرينَ والمراجعينَ والمدقّقينَ من سبعةٍ وعشرينَ دولةً، وستةَ عَشَرَ مجمعًا لغويًّا ومركزًا ومؤسسة. والمناسبُ لذلك أن يكون السَّعيُ حثيثًا لتحقيق أعلى ما يمكن من التّنسيقِ وتوحيدِ طريقة العمل بين أولئك الخبراءِ والمحرّرين والمراجعين، في التزام خطّة المعجم ومنهجه، وصياغة عبارته، وتوثيق شواهده ونصوصه، والتزام ما يجب وينبغي من وجوه الخدمة والإجراءات العلميّة والمنهجيّة واللُّغَويّة؛ لئلّا يكون التّفاوتُ في الإنجاز، وفي الجَودة والإتقان؛ إلّا في أضيَقِ مجالٍ.

٥- العملُ على تحقيق صفة الاطّراد في التزام المنهج المُتّبع وتنفيذ إجراءاته اللّازمة، ووجوهِ العناية الواجبة أو المُستحسنة في إعداد هذا المعجم؛ لئلّا يجد التّذبذب والاختلاف مدخلًا متّسعًا له إلى مادّة المعجم

وشواهده ونصوصه المؤازرة ومستقرًّا فيها.

٦- المعجم التّاريخيُّ هو معجمٌ لغويٌّ عامٌّ، لا معجم بلدانٍ، أو رجالٍ، أو كُتُبٍ، أو مصطلحات علميّة خاصّة، فالمناسب لذلك التزامُ حدوده الموضوعيّة، ونفيُ ما ليس له صلة بذلك عنه.

٧- السّعيُ إلى تعيين أصول الألفاظ الدّخيلة والمعرّبة القديمة والحديثة باطّرادٍ تعيينًا علميًّا مؤيَّدًا بالدّليل العلميِّ، بعيدًا عن الحَزْر والظنِّ والتّخمين.

٨- العمل على خدمة الشّواهد والنُّصوص المساندة بأوجه الخدمة الّتي تساعد على بيان المقصود وفهم المراد، ببيان مناسبة الشّاهد أو موضوعه على الوجه الصّحيح ما احتاج الأمرُ إلى ذلك، وضبطِ ما ينبغي ضبطُه من ألفاظِهِ، وشرح ما يحتاج إلى شرحٍ من مفرداته وتراكيبه، وبيان المعاني الدّقيقة فيها بإيجاز ويُسرٍ، واستعمال علامات التّرقيم على وجهها وأصولها في مواضعها المناسبة.

٩- إغناء النُّسخة الإلكترونيّة للمعجم التّاريخيِّ بمزيد منَ الشّواهد والأمثلةِ في العصور الخمسة المعتَمَدةِ في تصنيف المعجم، وهذا إذا ما تعذَّرَ في النُّسخة الورقيّة لضخامتِه ممكنٌ ميسور في نُسختِه الإلكترونيّة.

ولا شكَّ في أنّ إغناء المعجم التّاريخيِّ بالشّواهد والأمثلة المتنوّعةِ سيوسِّعُ دائرةَ أغراضه، ويُعزِّزُ الفائدةَ المرجوّة منه لدى الطّلّاب والباحثين والكُتّابِ، فيُمكّنهم منَ الوقوفِ على ألوانٍ شتّى منِ استعمالاتِ كلماتِ المعجم قديمًا وحديثًا في دلالاتِها المختلفة؛ إضافةً إلى إمكانِ تتبُّعِهم التّاريخيِّ لدلالات هذه الكلماتِ.

١٠- العناية بالفقرات الّتي تُعنى باللُّغات السّاميّة والنُّقوش القديمة، بضبطها على وجهها، باعتدالٍ، فلا إسرافَ في ذلك ولا شُحَّ، وتقسيمِ

الكلام فيها التَّقسيمَ المناسِبَ، وبيانِ بعضِ ما فيها البيانَ الوافيَ، وإقامةِ عبارتِها على الوجهِ الصّحيح الدّقيق المُبين، وترقيمِ الكلام فيها بعلامات التّرقيم المناسبة أصولًا.

١١- تفصيلُ القول في تصنيف بعض أنماط الشّواهد، وبعض الشّواهد والنُّصوص المؤيّدة؛ فشواهد القرآن الكريم مثلًا على الوجه الّذي يقتضيه النّظر الصّحيح قِسمان: قِسمٌ مكيٌّ يجب أن يُصنَّف في عصر ما قبل الإسلام، وقِسمٌ مدنيٌّ يجب أن يُصنَّف في عصر الإسلام، وليس منَ الحقِّ أن يُصنَّف في العصر الإسلاميّ ما كان من القرآن مكّيًّا باتّفاق نزل في السّنوات الأولى من البِعثة.

وحديث النّبيّ ﷺ قسمان، منه ما كان قبل الهجرة، وينبغي أن يُصنَّفَ في العصر الأوّل، ومنه ما كان بعد الهجرة النّبويّة، ويجبُ تصنيفه في العصر الثّاني.

وتصنيف بعض شواهد القرآن الكريم، وبعض شواهد الحديث النّبويِّ في عصر ما قبل الإسلام تصنيفٌ زمنيٌّ محضُ، يُوافقُ النّظَرَ العلميَّ الصّحيحَ، وليس وراءَهُ أيُّ شُبهةٍ قد يُثيرُها بعضُ النّاسِ.

وشِعرُ بعض الشُّعراء الّذين كانت حياتُهم كلُّها في عصرٍ ما إلّا سني وفَياتِهم الّتي وقعت في السّنة الأولى أو الثّانية من مطلع العصر التّالي = ينبغي أن يُصنَّفَ كما يقتضي النّظر الصحيح فيما قبل تاريخ وفاتِهم، إلّا ما قيل منه بدليل صحيح في سنة الوفاة.

وكلام بعض العلماء والأدباء والمصنّفين يجب أن يُصنَّفَ بالنّظر إلى تاريخ تأليف كتبهم الّتي ورد فيها كلامهم إذا عُلِمَ، لا بالنّظر إلى تاريخ وفياتِهم.

١٢- من المأمولِ الّذي يرقى في بعض جوانِبه إلى مرتبة الواجبِ أن يُصدَّرَ الجزءُ الأوَّلُ بالمقدمة المناسبة الوافية، وببيانِ المنهج الّذي جرى

عليه إعداد المعجم على وجه التّفصيل؛ والتأريخِ الدّقيق لمراحل إعداد المعجم وإنجازِه، وذِكْرِ المشاركينَ في ذلك في جميع مراحلِهِ من الأفراد والمؤسّسات، وذِكْرِ شهادات العلماء والباحثين والمختصّين فيه، ولا سيّما ما كان منها علميًّا عميقًا ودقيقًا؛ وذِكْرِ الوثائقِ والمراسلات والخُطط المتعلّقةِ بالمعجم وإعداده، إلى غير ذلك.

١٣- السّعيُ إلى الاختصارِ فيما لا يَضُرُّ اختصارُه، من مثلِ الاستغناء عن بيان الحدود الزّمنيّة لعصر الشّاهد أو النَّصِ، عند ذكر كلِّ شاهدٍ أو نصٍّ، اكتفاءً بذكر رمز العصرِ الّذي يتعلَّقُ به الشّاهد أوِ النَّصِّ قبلَه في السّطر الّذي يرد فيه ذلك الشّاهد أو النّصُّ، مع بيان المقصود بتلك الرّموز وحدودها الزّمنيَة في صفحة الرموز والمختصرات، وهي الصّفحة الأولى من كلِّ جزءٍ. وهذا يعطينا مساحة ما بين ثلاثة وأربعة أسطُرٍ في كلِّ صفحة يُمكِنُ أن تُشغَلَ بشواهدَ أو نصوصٍ أخرى، أو بمعانٍ ودلالاتٍ أخرى.

وهذا النّهجُ يُعدُّ تأييدًا لما كان في المعجم أحيانًا من ملامح الاختصار، من تَرْكِ تكرار شرح بعض الدّلالات اكتفاءً بالإحالة على مواضع الأشباه والنّظائر قبلًا أو بعدًا، والاستغناء عنِ التّصريح بما كان من المشتقّات والمصادر قياسيًّا.

لا شكّ أنّ (المعجم التّاريخيّ للُّغة العربية) يُعَدُّ إنجازًا طيّبًا للُّغة العربيّة، وعملًا جليلًا منَ الأعمال العلميّة واللُّغويّة والمعرفيّة المهمّة الّتي تُسهم في خدمة اللغة العربية ونشرها وتعليمها. فإذا خالطَه ما يخالطُ صنائع البشر من شيء هنا وشيء هناك لأمرٍ ما فلأنّ الكمالَ لله وحدَه.

هذا ما يُمكن قولُه، أو بعضُ ما يُمكنُ قولُه، صدَرْنا فيه عن عين العدل والإنصاف تزكو بأقباسِ الرّضا وبركة الزّمان وفضل المكان. ولو كان هذا

المعجم التّاريخيُّ للُّغةِ العربيّة صادرًا عن مجمعنا مجمع اللُّغة العربيّة بدمشق لما قلنا إلّا ما قد قيل.

هذا، وإنّ لجان المراجعة والتّدقيق في مجمعنا هذا لتُحبُّ أن ترى آثارَ مراجعتِها وتدقيقِها في هذا المعجم ظاهرةً في نُسخته الإلكترونيّة في موقع مجمع الشّارقة، وفي طبعته الورقيّة التّالية، لما في ذلك فيما نقدِّر من فوائدَ جليلةٍ جمّة ترتقي به، وتبرِّئهُ ممّا تناثر فيه هنا وهناك ممّا لا تخلو منه صنائعُ البشر.

والحمد لله الّذي تدوم بفضله النِّعم وتتمُّ الصّالحات، والحمد لله ربّ العالمين أوّلًا وآخرًا.

* * *

أنباءٌ مجمعيةٌ وثقافية

حفلة استقبال
الأستاذ الدكتور نضال شمعون
عضواً في مجمع اللغة العربية

انتخب مجلس مجمع اللغة العربية في جلسته المنعقدة في (٦ ربيع الأول ١٤٤٥هـ - ٢٠/ ٩/ ٢٠٢٣م) الأستاذ الدكتور نضال شمعون عضوًا في مجمع اللغة العربية، ليشغل الكرسيَّ الذي شغر بوفاة الأستاذ الدكتور موفق دعبول، وصدر المرسوم الجمهوري ذو الرَّقْم (٢٧٦) في (٥/ ١١/ ٢٠٢٣م) بتعيينه.

واحتفل المجمع باستقبال الزميل الأستاذ الدكتور نضال شمعون في جلسة علنية عقدها (يوم الأربعاء ٧/ ٢/ ٢٠٢٤م) في قاعة المحاضرات في المجمع، حضرها نخبة من رجال العلم والسياسة والأدب وأصدقاء المحتفى به.

افتتح الحفلة الأستاذ الدكتور محمود السيد رئيس المجمع بكلمة موجَزة رحَّب فيها بالسادة الحضور، مهنِّئًا الزميلَ المجمعيَّ الجديدَ، مباركًا انضمامَه إلى مجمع الخالدين.

ثم ألقى الأستاذ الدكتور عماد الصابوني كلمته التي تحدث فيها عن الزميل المحتفى به، ونَوَّهَ بمكانته العلمية والخلقية.

تقدم بعد ذلك الأستاذ الدكتور نضال شمعون، وألقى كلمته التي تحدث فيها عن سلفه الراحل الأستاذ الدكتور موفق دعبول.

وننشر فيما يلي الكلمات التي ألقيت:

كلمة الدكتور محمود السيد رئيس المجمع

السادة الحضور، أيها الحفل الكريم:

أحييكم أطيب تحية، وأرحب بكم أجمل ترحيب، وأشكر لكم تفضلكم بحضور هذه الجلسة العلنية لمجمع اللغة العربية بدمشق لنشارك جميعًا في استقبال الأستاذ الدكتور نضال شمعون عضوًا عاملًا في مجمع اللغة العربية بدمشق.

لقد انتخب مجلس المجمع في جلسته المنعقدة يوم الأربعاء في ٦ ربيع الأول ١٤٤٥هـ الموافق ٢٠/ ٩/ ٢٠٢٣م الأستاذ الدكتور نضال شمعون عضوًا عاملًا في المجمع، وصدر باعتماد انتخابه المرسوم الجمهوري ذو الرقم ٢٧٦ والتاريخ الخامس من الشهر الحادي عشر من عام ثلاثة وعشرين وألفين، فتهانينا له بثقة زملائه المجمعيين، واختيارهم له زميلًا عزيزًا ينضم إلى أسرة المجمع لِيُسْهِم في خدمة لغتنا العربية، والتمكين لها، والعمل على سيرورتها وانتشارها.

وإننا لنعلق الآمال على هذا الانضمام نظرًا لما يتحلى به الزميل الكريم من سيرة علمية بهية وسيرة مناقبية رضيّة يشهد له فيها كل من عرفه وخالطه وعاشره، ولقد تعزَّز لديَّ هذا الانطباع عندما اجتمعت به.

أيها الحفل الكريم:

من الحقائق المسلَّم بها في علم النفس أن الإنسان يتمتع بقدرة كبيرة على التعلم، وهي ظاهرة يتفرّد بها الإنسان عن غيره من الكائنات الأخرى، فالطفل يولد وهو مزود باستعداد فطري لاكتساب أي لغة وتعلمها، وهو لا يملك موهبة لا تجارى في اكتساب اللغة فقط، وإنما يتمتع في الوقت نفسه بمرونة كبيرة في هذا المجال، فيغدو متعدد الأبعاد والاهتمامات في مستقبل حياته.

وها هو ذا النموذج الحي أمامنا في اكتساب اللغات، وتنوع الاهتمامات العلمية، إنه الباحث القدير الأستاذ الدكتور نضال شمعون الذي عاش في أحضان أسرة يتكلم فيها والده السوري الأصل اللغة العربية، وتتكلم فيها والدته الصينية الأصل اللغة الصينية، فكانت كل من هاتين اللغتين لغة أم له في طفولته، وساعده ذلك أيضًا في مستقبل حياته على أن يتكلم ثماني لغات أجنبية إلى جانب العربية والصينية كما تشير إلى ذلك سيرته الذاتية، إذ يقول: إنه يتكلم الإنجليزية والفرنسية بطلاقة، والإسبانية والإيطالية بدرجة جيدة، والروسية والسريانية بدرجة متوسطة، حتى إنه يتكلم قليلًا اللغتين الألمانية والبرتغالية.

وغني عن البيان أن كل لسان في الحقيقة إنسان، وها هو ذا يتكلم لغات عدة بفضل تعدد مواهبه اللغوية، وقوة إرادته وحرصه على التعلم الذاتي، ومواكبة روح العصر، عصر العلم والتقانة. كما تعددت الاختصاصات التي تابع دراسته العليا بها، فنال دبلومًا في الهندسة الكهربائية والإلكترونيات من جامعة باريس، ودبلوم دراسات متقدمة في الرياضيات، والماجستير فيها من جامعة كامبردج، ثم شهادة الدكتوراه في الفيزياء النظرية من جامعة أوكسفورد عام ١٩٩٦م.

أما الميدان العلمي العملي الذي يجول فيه حاليًّا فهو فسيح الجنبات،

إذ تعددت ضروب العلوم التي عني بها إلى جانب اللغات التي يحوزها، وتجلت هذه العلوم في الفيزياء النظرية والرياضيات والهندسة والمعلوماتية والتقانة، وكانت إنجازاته متعددة في مناحيها تدريسًا وبحثًا وترجمة وإدارة.

أيها الحفل الكريم:

من الملاحظ في حياتنا المعاصرة أن عددًا من علمائنا يعملون في مجالات العلوم الحديثة والمعاصرة، ويُعنون أيما عناية بها، ويبدعون فيها، إلا أنهم يهملون لغتهم العربية في حين أن الدكتور شمعون على الرغم من تفوقه في الجوانب العلمية وتحقيقه مكانة مرموقة في الأوساط العلمية العالمية وتحدثه لغات أجنبية عدة ظل ملتزمًا بلغته العربية الأم، ومسهمًا في إغنائها بالمصطلحات العلمية الجديدة، وها هي ذي جهوده في أثناء عمله خبيرًا في المجمع مقدرة أيما تقدير في خدمة اللغة العربية، ومعبرة عن حرصه العميق على تحقيق أهداف المجمع في الحفاظ على اللغة العربية، وجعلها وافية وملائمة لحاجات الحياة المتطورة، كما يدل صنيعه أيضًا على روعة انتمائه إلى أمته العربية ولغتها العربية الخالدة.

إنني باسم مجمع اللغة العربية بدمشق أرحب بك أيها الأستاذ الجليل عضوًا كفيًّا وزميلًا كريمًا. وكلنا أمل في أن يشتد بك أزرنا نظرًا لما تتحلى به من نشاط وحيوية وقدرات كفية، فأهلًا وسهلًا بك.

وسأكتفي بهذه الكلمة الموجزة في حفل استقبال الزميل الكريم الأستاذ الدكتور نضال شمعون، ويسعدني أن أقدم عضو المجمع الأستاذ الدكتور عماد الصابوني ليتحدث بالتفصيل عن الإمكانات العلمية للعضو الجديد، ثم يقوم الدكتور نضال بتقديم كلمته عن عضو المجمع الراحل الذي سيحل محله الأستاذ الدكتور موفق دعبول رحمه الله.

كلمة عضو المجمع الأستاذ الدكتور عماد الصابوني

السيدات والسادة الزملاء الأفاضل، رئيس وأعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق،
الزميل العزيز، الدكتور نضال شمعون،
السيدات والسادة الضيوف الأكارم:

يسرّني أن أشارككم اليوم في هذا الحفل، الذي يستقبل فيه مجمعنا، مجمع اللغة العربية بدمشق، عضوًا مجمعيًّا جديدًا، هو الزميل الدكتور نضال شمعون.

ويأتي انتخاب الدكتور شمعون عضوّا عاملًا متفقًا مع دأب المجمع، منذ تأسيسه، في أن يجتذب إليه خيرة المختصين، لا في علوم العربية فحسب، بل في مختلف مجالات العلوم؛ يستعين بهم في عمله للارتقاء باللغة العربية وإغنائها، لتكون لغة حية تواكب الحضارة، وتستعمل في جميع مناحي الحياة.

ولن آتي بجديد إذا ما أعدت التذكير بالتحديات العظيمة التي تواجهها لغتنا العربية في هذا العصر؛ بعد أن قلّ من يستطيع التحدث بها بطلاقة ويسر، وأصبحت اللغة المكتوبة ملأى بالأغلاط والأخطاء، حتى في ميدان الأدب. وقد تفرّقت اللغة اليوم بين البلدان العربية، وصعب التفاهم بها فيما بين أبنائها، وسادت في تلك البلدان الازدواجية اللغوية مع طغيان العاميات

والدارجات واللهجات المحلية. بل إن البعض قد ذهب إلى ضرورة مأسسة هذه العامّيّات، لتصبح لغات رسمية مكتوبة، لا محكية فحسب؛ وساعد في ذلك، الانتشارُ الواسع لوسائل التواصل الاجتماعي، وجلّ المحتوى المنشور فيها مدوّن بالعامية، أو في أفضل الأحوال، بلغة ركيكة يختلط فيها العامي بشبه الفصيح، وبألفاظ مأخوذة على عواهنها من لغات أجنبية كالإنكليزية والفرنسية.

بيد أن الصعاب التي تواجهها اللغة العربية اليوم ليست غير مسبوقة. فقد واجهت العربية أيضًا تحديات مماثلة عند انطلاقتها الكبرى في القرن السابع، وإن اختلف الظرف والزمان؛ وكان لزامًا على أبنائها في ذلك الحين اللجوء إلى الترجمة والتعريب، لتمثّل مفاهيم الحضارة والعلم. وسرعان ما نجح رواد الثقافة العربية آنذاك في إغناء لغتهم بالكثير من العبارات والتراكيب المستحدثة. ومع أن النصوص المترجمة الأولى في أواخر القرن السابع كانت – على ما ينقل الرواة – نصوصًا مستغلِقة، معرّبة كما هي في الأصل، مَمْلوءة بألفاظ وعبارات مستعصية على الفهم، فما كاد القرن الثامن ينقضي حتى أخذت العربية بالتحوّل إلى لغة علمية قادرة على التعبير عن أكثر المعاني تجريدًا، وبَسْطِ رؤية كلية عن الطبيعة وما ورائها، تدوّن فيها العلوم العربية الأصيلة، من السِيَر والتفسير والفقه وأصول الفقه والكلام والنحو. أما من يقرأ كتب الخوارزمي مثلًا في الرياضيات في القرن التاسع، والفارابي في الفلسفة والمنطق في القرن العاشر، والحسن بن الهيثم في البصريات في القرن الحادي عشر، وصولًا إلى كتب ابن رشد في الفلسفة والبطروجي في الفلك في القرن الثاني عشر، ثم مقدمة ابن خلدون في

القرن الرابع عشر، فيجدهم جميعًا يتوفّرون على لغة معرفية رفيعة مرنة، ذات تعبيرية عالية، تُنقل فيها أعقد المفاهيم وأصعبها بمصطلحات مبينة وعبارات سلسة، ما تزال عند قراءتها تمتعنا وتدهشنا، نحن أبناءَ اليوم.

ليس الغرض مما ذكرت التعبير عن لواعج الحنين إلى الماضي أو الانخراط في مسيرة التنويه بمنجزات السلف، كما يفعل كثيرون؛ فنحن أبناءُ هذا العصر، وعلى عاتقنا يقع البحث عن حلول لمشكلات عصرنا. ولكن، كما نجح الأوائل خلال مدة وجيزة في تطويع لغتهم، لغة البداوة الحسية، بلهجاتها وتنويعاتها المختلفة، وتحويلها إلى لغة فكر عالمي، فبمقدورنا النجاح في تجاوز معوّقات الحاضر، وإعادة تكوين لغة عربية قادرة على الاستجابة لمتطلّبات التعبير عن مفاهيم العلم والتقانة.

صحيح أن تحديات الحاضر تختلف اختلافًا جذريًّا عن تحديات الماضي؛ فنحن اليوم - ومنذ قرون بعيدة - نهوي في منحدر، في حين كان صانعو الحضارة آنذاك في طور الصعود. لكنّ دروسًا كثيرة يمكن استقاؤها فيما يخصّ اللغة. علينا -كما فعل الأوائل - ألاّ نتردد في تطوير اللغة وتجديدها على صعيد المفردات والتراكيب؛ ويشمل ذلك التوسّع في القياس الصرفي إلى أبعد مدى، واستحداث أبنية صرفية جديدة، وإعطاء الموازين الصرفية دلالات قياسية جديدة... علينا ألاّ نبقي اللغة حبيسة القوالب الجاهزة التي منعتها من التطوّر منذ عصر الانحطاط، لكن من دون المساس بروحها، ومن دون انتهاك خصوصياتها النحوية والصرفية والصوتية.

وكثيرًا ما يشار إلى العولمة بوصفها من أعظم التحديات التي تواجه اللغة، في عصر باتت فيه الإنكليزية وسيلة التفاهم العالمي، وتركت آثارها

في جميع ألسنة العالم، وبخاصة من جهة المفردات. لكن للعولمة أيضًا إيجابياتها، فهي تسهّل التواصل، وتُسقط حدود المكان كما تُسقط حواجز المعرفة. ومع عولمة ثورة المعلومات، أضحى استعمال المصطلحات العلمية والتقنية شائعًا مستساغًا بين الناس، حتى غير المختصين منهم.

ومع أن لغة التخاطب اليومي في البلدان العربية أصبحت –من جهة – مثقلة بالمفردات الأجنبية الدخيلة، لدى الأجيال الجديدة على وجه الخصوص، فقد اطّرحت – من جهة أخرى – كثيرًا من مفرداتها العامية المماتة التي حلّت محلّها مفردات وتراكيب مستمدة من روح العصر. وأنا أرى في هذا الواقع فرصة ينبغي اغتنامها: فلغة الفكر والعلم والتقانة، إذا ما جرى توفيقها، يمكن أن تصبح وسيلة تفاهم وتقارب تسمو فوق العاميات المحلية، وتوحّد بين الناطقين بها في مختلف البلدان.

يتطلّب تحقيق ما سبق أن تعمل مجامع اللغة العربية على أكثر من صعيد:

أولًا، المثابرة على وضع المصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة في جميع المجالات، مع تركيز الاهتمام في أوسعها انتشارًا؛ وبذل الجهد الصادق في توحيدها وتنسيقها، وذلك وفق منهجية تتوافق عليها المجامع كافة، وتتضّمن أساليب توليد المفردات الجديدة من اشتقاق ونحت وتعريب، ودلالات الموازين الصرفية.

ثانيًا، وضع قواعد ونواظم ميسرة لكتابة اللغة العربية العلمية والنطق بها، والحرص على استعمالها في التعليم؛ فالتعليم المدرسي، قبل الجامعي، هو الكفيل برسوخ المفردات الجديدة في أذهان النّشء الجديد واستعمالهم إياها في مجاري الحياة.

ثالثًا، وضع سياسة لغوية موحّدة تتضمّن –فيما تتضّمن – التعاطي الواقعي مع العاميات واللهجات العربية، واستعمال اللغة الفصيحة الميسرة في التعليم والإعلام، بغية الحفاظ عليها لغة للعلم والحضارة، وعلى بقائها لغة تواصل موحَّدة وموحِّدة بين أبناء البلدان العربية وسائر الناطقين بها.

ولا غروَ في أن يكون للدكتور نضال شمعون، وهو المختصّ الفذّ في العلوم، إسهام كبير مرتقب – مع زملائه المجمعيين – في السعي لوضع ما سبق ذكره في موضع التنفيذ.

أيتها السيدات، أيها السادة:

ليس تقديم الدكتور نضال شمعون تقديمًا مختصرًا بالأمر الهيّن، فمسيرته العلمية حافلة بالإنجازات على مدى العقود الأربعة الماضية، وأي عرض مجتزأ لها سيكون فيه حتمًا انتقاص منها؛ ولكن كان لا بدّ من اختيار أهم تلكم الإنجازات لتقديمها هنا بما يسمح به المقام.

كان نضال شمعون زميلًا لي في المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا. لم أعرفه في أيام الدراسة طالبًا، لكنني عرفته بعدها مدرِّسًا وباحثًا، فكان يتحلى بما يتحلى به العلماء من تواضع وتفانٍ في العمل، وسعي لنقل معارفهم إلى زملائهم وطلابهم.

وُلد نضال شمعون في الخامس من حزيران من سنة ألف وتسعمئة وثمان وستين في دمشق. وبعد أن حاز شهادة الثانوية العامة، انتسب إلى المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا في سنة ألف وتسعمئة وخمس وثمانين، وكان الأوّل على دفعته في الحلقة الدراسية الأولى؛ فأوفد إلى فرنسا ليُتمّ دراسة الهندسة في مدرسة السنترال École Centrale، وهي من

كبريات مدارس الهندسة العليا؛ ونال الإجازة في الهندسة في شهر تموز من سنة ألف وتسعمئة وإحدى وتسعين، ثم دبلوم الدراسات المعمّقة في الإلكترونيات من جامعة باريس السادسة (التي أصبحت اليوم جزءًا من جامعة السوربون الشهيرة) في شهر أيلول من السنة نفسها.

تابع نضال شمعون دراسته الجامعية بعد ذلك في بريطانيا في مجالات الرياضيات والفيزياء النظرية. فحاز في شهر آب من سنة ألف وتسعمئة وثلاث وتسعين شهادة الماجستير في الرياضيات بدرجة امتياز من كلية ترينيتي هول Trinity Hall في جامعة كمبريدج Cambridge العريقة؛ ثم أخذ في تحضير رسالة الدكتوراه في الفيزياء النظرية في كلية وولفسن Wolfson في جامعة أكسفورد Oxford العريقة، فنال هذه الشهادة في شهر تشرين الثاني من سنة ألف وتسعمئة وست وتسعين. وكان عنوان رسالة الدكتوراه التي أعدّها «قواعد التجميع في الكروموديناميكا الكمومية وتطبيقاتها في التبعثر العميق اللامرن»، وكانت بإشراف الأستاذ غراهام روس Graham Ross، الحائز ميداليةَ ديراك Dirac العالميّة.

عاد الدكتور نضال شمعون إلى سورية في كانون الأول من سنة ألف وتسعمئة وست وتسعين، ليعمل مدرّسًا وباحثًا في المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا، الذي رُقّي فيه إلى مرتبة مدير بحوث (المكافئة لمرتبة الأستاذ في الجامعات السورية) في نيسان من سنة ألفين وأربع عشرة. ومنذ عودته إلى سورية إلى اليوم، تولّى الدكتور شمعون أعمالًا علمية وإدارية متنوعة، فدرّس في المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا وفي جامعة دمشق وفي الجامعة الافتراضية السورية مقرّرات

في الرياضيات والفيزياء والهندسة، وأشرف على عدة رسائل ماجستير ودكتوراه؛ وأسّس في سنة ألفين وخمس مجموعة الدراسات النظرية والنوويّة في قسم الفيزياء في المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا، التي يرأسها منذئذ. ولم ينقطع الدكتور شمعون عن البحث العلمي، إذ واظب على التعاون مع مراكز بحثية في الخارج لإجراء البحوث في مجال فيزياء الجسيمات، ونظرية النسبية، وعلوم الكون، والفيزياء الرياضية.

نشر الدكتور نضال شمعون ما يربو على أربعين نشرة ومقالة في مجّلات علمية مرموقة، مثل Physics Letters (رسائل الفيزياء) و Nuclear Physics (الفيزياء النووية) التابعتين لدار النشر الهولندية المرموقة Elsevier، ومثل Physical Review (عروض الفيزياء)، مجلّة الجمعية الأمريكية الفيزيائيّة، التي شارك فيها وحده في كتابة ست عشرة ورقة علميّة من مجموع عشرين ورقة نُشرت في أعدادها لمؤلّفين يعملون في مؤسّسات أكاديميّة سوريّة، وذلك منذ تأسيس هذه الجمعية في القرن التاسع عشر. وألّف الدكتور شمعون عدّة كتب وأمليات في مجالات اختصاصه لجامعة دمشق وللمعهد العالي للعلوم التطبيقيّة والتكنولوجيا؛ وترجم إلى اللغة العربية ثمانية كتب عن الإنكليزية والفرنسية، في مجالات الفيزياء الكمومية، والنسبية، وعلوم الكون؛ وقام أيضًا بترجمة ومراجعة مقالات علمية كثيرة لمجلة العلوم، النسخة العربية من مجلة Scientific American.

والدكتور شمعون عضو في إدارة تحرير عدد من المجلاّت العلميّة، مثل مجلة Letters in High Energy Physics (رسائل في فيزياء الطاقة العالية) التابعة لدار النشر Andromeda في بريطانيا؛ وهو أيضًا مُحكِّم ومُراجِع في

مجلات علمية دولية أخرى مثل Scientific Reports (التقارير العلمية) الصادرة عن دار Springer - Nature في ألمانيا.

حصل الدكتور نضال شمعون، قبل حيازته شهادة الدكتوراه وبعدها، على عدد من المنح البحثية العالمية، وقام في فصول الصيف، بصفة أستاذ زائر، بعدد من المهام العلمية، منها إلى: جامعة لابلاتا La Plata في الأرجنتين (١٩٩٩، ٢٠٠٠، ٢٠٠٤)؛ ومعهد الفيزياء النظرية في الأكاديمية الصينية للعلوم (٢٠٠١، ٢٠١٧، ٢٠١٨)؛ والمركز الدولي للفيزياء النظرية في تريستا Trieste، إيطاليا (٢٠٠٣، ٢٠٠٥، ٢٠٠٧، ٢٠٠٨، ٢٠٢٢)؛ والمرصد الوطني الفلكي في الأكاديمية الصينية للعلوم (٢٠٠٦)؛ والمركز البرازيلي للفيزياء الأساسية في ريو دي جانيرو Rio de Janeiro، البرازيل (٢٠٠٩)؛ ومعهد الفيزياء في جامعة بون Bonn، ألمانيا (٢٠١١ – ٢٠١٥، ٢٠١٩، ٢٠٢٣).

وحاز الدكتور شمعون بفضل أعماله عددًا من الجوائز، منها: جائزة من كلية ترينيتي هول Trinity Hall على نتيجة الامتياز في امتحانات Tripos (١٩٩٣)، وهي امتحانات الرياضيات العريقة في جامعة كمبريدج Cambridge؛ وجائزة للدراسات العليا من كلية وولفسن Wolfson في جامعة أكسفورد Oxford (١٩٩٤ – ١٩٩٦)؛ ثم جائزة عبد السلام للباحثين الشباب في سورية (٢٠٠٥)، ووثيقة تقدير الإنتاج العلمي من مؤسسة عبد الحميد شومان في الأردن (٢٠١٣). وحصل الدكتور شمعون أيضًا على عدد من المنح المرموقة، مثل منحة Junior & Senior Associate (العضو المشارك) من المركز الدولي للفيزياء النظرية في إيطاليا (٢٠٠٢ – ٢٠٠٨،

٢٠١٦ - ٢٠٢٢)، ومنحة PIFI (مبادرة رئيس الأكاديميّة الصينيّة) من الأكاديميّة الصينيّة للعلوم (٢٠١٧، ٢٠٢٢)، ومنحة Experienced Researcher (الباحث المتقدّم) من مؤسّسة Humboldt الألمانية، التي تخوّله زيارة معهد بيتي Bethe للفيزياء النظريّة في جامعة بون، ألمانيا، بصفة أستاذ زائر منذ سنة ألفين وإحدى عشرة.

والدكتور نضال شمعون عضو مؤسس في مجلس إدارة الجمعية العربية للفيزياء، ومنسّق مجموعة فيزياء الطاقات العالية فيها؛ وهو أيضًا عضو في مجلس أمناء جامعة إنطاكية السورية الخاصة.

وإلى جانب النشاط الأكاديمي والبحثي المتميّز، يهتم الدكتور شمعون أيضًا بالموسيقا، فقد حصل على دبلوم المعهد العربي للموسيقا في دمشق (١٩٨٧)، وعلى دبلوم «إنهاء الدراسة» من تجمّع معاهد Hauts - de - Seine (أعالي السِن) في فرنسا (١٩٩٠) للعزف على البيانو. ويعزف الدكتور شمعون أيضًا على الفلوت، والأرغن الأنبوبي Pipe Organ الكنسي.

يتحدث الدكتور شمعون اللغتين العربية والصينية لغتين أمّ، فوالده أوّل سوري يدرس في الصين، حيث التقى والدته، فكانت أوّل مواطنة صينيّة الأصل تقيم في سورية منذ سنة ألف وتسعمئة وثلاث وستين؛ وهو يتحدث لغات أخرى عديدة، إذ يتقن الفرنسية والإنكليزية والإسبانية والإيطاليّة، ويُلمّ بالسريانية والروسية والألمانية والبرتغالية.

السيدات والسادة:

ليس الدكتور نضال شمعون بغريب عن مجمعنا، فقد كان منذ سنة ألفين وخمس عشرة –وما يزال – عضوًا خبيرًا في لجنة مصطلحات العلوم

الفيزيائية؛ وقد كان دعاه إلى هذه اللجنة المرحوم الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد، أمين المجمع السابق، الذي كان المشرف العلمي المحلّي على دراسته في مرحلة الدكتوراه. وكُلّف الدكتور شمعون في المجمع في سنة ألفين وثلاث وعشرين بمراجعة معجم مصطلحات الفيزياء مراجعة شاملة. وقد أعجب الدكتور مكي الحسني، الذي يرأس الآن لجنة مصطلحات العلوم الفيزيائية، بغزارة علم الدكتور شمعون، وتمكّنه من اللغة العربية، وبخاصة العلمية، فرشّحه لعضوية المجمع، فنال بالتصويت قرابة إجماع أعضاء المجلس في الجلسة المنعقدة في ٢٠/ ٩/ ٢٠٢٣، وصدر باعتماد انتخابه المرسوم ذي الرقم / ٢٧٦/ في ٥/ ١١/ ٢٠٢٣، فهنيئًا له الثقة العظيمة.

هذا العرض الموجز لسيرة الدكتور نضال شمعون العلمية يظهر بجلاء أنه عالم يعدّ من أبرز علماء الفيزياء العرب المعاصرين؛ ومن حقّ بلده أن تفخر به وبأعماله. وقد قيل فيه ذات مرة: «يُشهد له أنه ابن بارّ بوالديه وأساتذته، لم يغرّه بهرج الغرب، بل آثر البقاء في الوطن محاولًا – مع زملائه – بناء مدرسة قوية في الفيزياء».

يسرني ثانية أن أرحب باسمكم جميعًا بالزميل الدكتور نضال شمعون عضوًا عاملًا في مجمع اللغة العربية بدمشق، خلفًا للراحل الدكتور موفق دعبول. وأنا على يقين من أن خبرته العلمية الكبيرة، وثقافته الواسعة، إضافة إلى مناقبه وأخلاقه الشخصية الرفيعة التي يعلمها عنه عارفوه، ستمكّنه من أداء دوره المعوّل عليه في الإسهام في خدمة اللغة العربية، والدفع بها قدمًا لتكون لغة للعلم والثقافة والحضارة في عالمنا المعاصر.

* * *

كلمة الدكتور نضال شمعون في حفلة استقباله

السيّدُ رئيسُ مَجمع اللغة العربيّة المُوقَّر
السادةُ أعضاءُ المَجمع الأفاضِل
السيّداتُ والسادةُ الحضورُ الكِرام

اسمحوا لي – بدايةً – أن أعبِّرَ عن عظيمِ شُكري لهذا الشرف بانتخابي عُضْوًا عامِلًا في مَجمعكم الكريم؛ وأرجو أن أكون عند حسن ظنّ من اختارني – وأخصّ بالذكر أمينَ المَجمع الأستاذ الدكتور مكّي الحسني أطال اللهُ في عمره والذي اقترحني أوّلًا – لهذه المُهِمَّةِ المُشرِّفة، من خلال العمل – بمساعدة زملائي الأعضاء اللغويّين والعلميّين – على استنباط مصطلحاتٍ وتعابيرَ علميّةٍ مناسبة في مجال الفيزياء والرياضيات والهندسة تُبيّن غِنى اللغةِ العربيّة وقُدرتَها على التوسّع والتكيُّف وعلى استيعاب العلوم الحديثة.

واسمحوا لي أيضًا أن أشكر الزميلَ العزيز الدكتور عماد صابوني على كلمته اللطيفة التي تفضّل وقدّمني بها والتي تُبيِّن – ربّما – غَلَبَةَ الجانِبِ العلميّ والكتابةَ باللغات الأجنبيّة مقارنةً بلغتي الأمّ، وهذا أمرٌ أتمنّى معالجتَه قريبًا من خلال زيادة مشاركتي في نشاطات المَجمع وبعضِ الجَمعيّات المحلّيّة والإقليميّة التي تركّز على نشر الثقافة في العالَم العربي.

وما يُزيد من شعوري بالهَيْبة هو أنني اخترتُ الحديثَ عن سَلَفٍ

مَجمعيّ قدير هو الأستاذ الدكتور موفق دَعبول، شاءت الظروفُ أن ألتقيَ به مُدّةً غيرَ طويلة قبل أن يحينَ أجَلُه، على حين كنتُ أسمع الكثيرَ عنه منذ شبابي. استعنْتُ بكتابِ «محطّاتٌ من عَبَق الياسَمين» بجِزأَيه الذي كتبَه هو وأولادُه، وبمقابلاتٍ مُتلفَزةٍ موجودة على الشابكة، إضافةً إلى الملاحظات التي زوّدني بها من درَّسَهم، ومنهم من كنتُ طالبًا عندَه، وأخصّ أستاذي الدكتور بشير قابيل.

لقد قيلَ الكثيرُ عن الفقيد وعن مشاركتِه في التطوّر العلمي في بلادنا، ولعلّ انتخابَه عُضْوًا عاملًا في المَجمع عام اثنَين وألفَين كان اعترافًا بسيرته العلميّة المِثاليّة وبمقدرتِه على دعم نشاطات التنوير ونشر الثقافة بلُغتِها الأمِّ في الوطن.

وُلِد الفقيدُ عامَ ستةٍ وثلاثين وتسعمِئةٍ وألف في حيّ الميدان من مدينة دمشق، حيث أمضى دراستَه الابتدائيّةَ والإعداديّة، ثمّ انتقل إلى التجهيز الأولى (جودة الهاشمي حاليًّا) أثناء الثانويّة التي حازَها عامَ ثلاثةٍ وخمسين وتسعمئةٍ وألف. سجّل في كُليّة الطِّبّ كعادةِ من ينال علاماتٍ عاليةً في الشهادة الثانوية، ولكنّ عِشقَه للرياضيّات دَفعَه إلى تركِها والانتسابِ إلى كُليّة العلوم، عن طريق كُليّة التربية، من خلال مُسابقةٍ تقدّم إليها، وكان ترتيبُه الأوّلَ فيها، حيث مكّنه هذا النجاحُ من الحصول على راتبٍ صغيرٍ يُخفِّف أعباءَ الدراسة.

حاز الإجازةَ في العلوم الرياضيّة والفيزيائيّة عامَ سبعةٍ وخمسين وتسعمئةٍ وألف من جامعة دمشق، ثم أُوفد باعتباره الناجحَ الأوّلَ في قسم الرياضيّات إلى جامعة فيينا التِّقْنيّة في النّمسا، فتعلّم الألمانيّة، وأنجزَ

أطروحتَه في ميكانيك السوائل، ذلك التخصّصِ الدقيقِ الذي يتطلّب مُستوىً مَعرِفيًّا عاليًا في الرياضيّات، وحاز شهادةَ الدكتوراه في العلوم الرياضيّة بدرجة امتياز عامَ واحدٍ وستّين وتسعمئةٍ وألف، ثمّ عاد مباشرةً إلى الوطن. عَقَد قِرانَه في العام التالي على حَرَمِه المَصون، وزارَه حينَها مديرُ الجامعةِ الليبيّة الأستاذُ بَكري قدّورة يطلبه من أجل القيام بزيارةٍ علميّة إلى ليبيا لتسعة أشهر. عاد بعدها مُدرِّسًا عضوَ هيئةٍ تدريسيّة في كُليّة العلوم، حيث كان أصغرَ المُدرِّسين سِنًّا، وكان شائعًا أن يأتيَ طلّابٌ من أقسامٍ أخرى لِيَرَوا هذا الأستاذَ الشابَّ الذي كان يُعطي محاضراتِه بثقةٍ وتمكّنٍ نادرَين، مُضطرًّا أحيانًا إلى ارتداء ثوبِ التعليم الأبيض لتمييزه عن الطلّاب. رُقّي إلى رُتْبَة أستاذ عامَ ثلاثة وسبعين وتسعمئةٍ وألف.

التقيتُ بالكثيرين ممّن درّسهم الفقيد، ويمكنني القول بوضوح إن أغلبيّتَهم يُجمِعون على أن لدروسِه سِحرًا خاصًّا يجعل الطلّابَ يُحبّون المادّةَ التي يدرسونها، وكمْ ساعدتِ الطلّابَ الكتبُ التي ألّفها أو شارك في تأليفها - وتربو على الأربعين بين مُؤلَّفٍ ومُترجَم - إذ كانت غنيّةً بالتمارين المحلولة وغير المحلولة التي تُوضِّح المقرَّرات.

قادتْه سُمْعَتُه العَطِرة إلى كثيرٍ من المهامّ الإداريّة، فأصبح رئيسًا لقسم الرياضيّات في كُليّة العلوم في القرن الماضي من عامِ ثلاثة وثمانين إلى عامِ ستّةٍ وتسعين، حيث أسّس أولَ مَخبرٍ في المعلوماتيّة مُتاحٍ لجميع طلّاب الجامعة، كما غدا عُضوًا في لِجان مجلس التعليم العالي مِثْلَ لَجْنَةِ معادلة الدرجات العلميّة، وأضحى المُشرفَ على المجلس الأعلى للعلوم رئيسَ لَجنةِ المُقرِّرين. تولّى رِئاسةَ تحرير مجلّةِ جامعة دمشق للبحوث العلمية،

وشاركَ في تحرير الموسوعة العربية، كما تولّى َمنصِبَ وكيلِ جامعة دمشق للشؤون العلمية.

وحين أُنشئت الجمعيةُ السوريّة للمعلوماتيّة، كان فقيدُنا أَحَدَ مؤسّسيها، ثم تبوّأ منصِبَ رئيسها عامَ ثلاثةٍ وألفَين، وأصَرّ بعد أربعِ سنين على أن يترُكَه لمنْ هم أكثرُ شبابًا منه، إذ كان يؤمِن دومًا بالتّجديد، كما كان رئيسَ تحريرِ مجلّة الثقافة المعلوماتيّة منذ إصدارِها وحتى وفاتِه. وفضلًا عن ذلك، أُستُعين به في إصلاح أمورِ جَمعيّاتٍ شَرْعيّة وخيريّة، مثل جَمعيّةِ الشيخ بدر الدين الحَسَني، وجَمعيّةِ رعايةِ المساجين وأُسَرِهم.

تبوّأ بعد بلوغه سِنَّ التقاعد عدّةَ مناصِبَ في الجامعات الخاصّة، فكان أوّلَ رئيسٍ لجامعة القلمون، ورئيسَ مجلِسِ أُمناء جامعة اليَرموك. ومن الإقرار بأفضاله خلال مسيرته التدريسيّة – في رأيي – أن يُسمّى أحَدُ مُدرّجاتِ جامعة دمشق أو جامعة القلمون باسمه.

من الجدير ذِكرُه أن الفقيدَ لم يسعَ إلى أيٍّ من هذه المناصب، بل كانت تُعرَض عليه مع الإلحاحِ، فيقبَلُ بها بالرّغم من رَغْبَتِه بالابتعاد عنها لكي يتسنّى له التفرّغُ لأبحاثه العلميّة.

أمّا عن عِشْقِ الفقيدِ للّغة العربيّة، فيعود إلى نعومة أظفارِه عندما ارتأى حضورَ دروسٍ فيها من خطيبِ جامِعٍ مُفوَّهٍ، وهذا ما ساهمَ في صَقلها. ترسّخت سُمعَتُه في إتقان اللغة العربيّة عندما كان مُضطّرًا بحُكمِ مناصبه لحضور أسابيعِ العلم في الجامعات السوريّة وللتكلّم في مناسباتِ حَفْلِ افتتاحها، حيث كان الحضورُ يضمّ عِلْيَةَ القوم، ومنهم رئيسُ المَجمع الأسبق الأستاذ الدكتور المرحوم شاكر الفحّام الذي أُعجب بفصاحته، فكان

يطلب كلماتِه دائمًا. وبعد سنينٍ من المراقبة والتتبّع، أخبره أنه سوف يقترحه ليغدوَ عضوًا في مجمع اللغة العربيّة. لم يصدّق فقيدُنا هذا الكلامَ للوهلة الأولى، إذ صَوَّر له تواضعُه أنه غيرُ جديرٍ بعُضويّة هذا المَجمع الذي يضمّ أعلامَ اللغة، على حين اختصاصُه هو يكمن في مجال الرياضيات والعلوم. وإذ بالاقتراح يغدو انتخابًا من قبل مجلس المَجمع، وتتمّ تهنئةُ فقيدِنا كأوّل رياضيّاتي يُنتخَب في المَجمع منذ تأسيسه، وهو حتى ذلك الوقت كان يتساءل ما الغايةُ من اختيارِ مُختَصٍّ بالعلوم الرياضيّة لتبوُّؤ عُضويةِ أقدمِ مؤسسّةٍ تُعنى باللغة العربية في العالَم.

ومع مرور الزمن، ومساهمةِ الفقيد في كثيرٍ من لِجان المَجمع العلميّة، غدا واحدًا من أنشط أعضائه وأكثرِهم التزامًا بنشاطاته. بوجهٍ خاصّ ترأّس لَجنةَ مُعجَم الرياضيّات، التي بذلت جَهْدًا تُوِّج بإصدارِ المُعجَم الذي يربو على سبعمِئةٍ وأربعٍ وسبعين صفحةً تتعرّض لأغلب مواضيع الجبر والهندسة والتحليل الرياضي. أقرّ مع زملائه في هذا المُعجَم مبدأَ النَّسَبِ إلى الجَمْع والمُثنّى في حالاتٍ جنّبنا التعبيرَ عنها بِجُمَل، فوضعوا لفظةَ «حدوديّة»، بدلًا من عبارة «كثيرة حدود»، ولفظّةَ «حدّاني»، بدلًا من تعبير «ذو الحدَّين» أو «ثنائي الحدّ»، وهذا يوفِّر بنظري الدِّقّةَ ويلائم الانفجارَ المعرِفيّ الذي نَشهدُه في العلوم. كما انضمّ كذلك إلى لَجنةِ مُعجَم الفيزياء، حيث التقيتُه. وخلال عملي معه هنا، كان دقيقَ المُلاحظة وحريصًا على اقتناء اللّفْظ المناسب للشرح، فكان يقول: «إن الإنسان الذي لا يُتقِن اللُّغةَ لا يستطيع التعبيرَ الجيِّدَ عن أفكاره، فتأتي بلسانه مختلفةً عنها في رأسه، وهذا ما يعني إيصالَ فِكرةٍ غيرِ صائبةٍ إلى القارئ».

هذا طيفٌ من الجانِب العِلمي للدكتور الفقيد، يَجعَلُه منتميًا وبجدارة إلى أعلام بلدنا في العصر الحديث. ولكنني سأتكّلم الآن عن شَذَراتٍ من الجانب الوُجداني لهذا المربيّ، الذي كان ينظر إلى جميعِ الناس على أنهم إخوةٌ في الإنسانيّة، فلم يفرِّق بين واحدٍ وآخر إلاّ وَفْقَ قواعدِ العمل.

تتألّف أسرتُه من أربعة أولاد: الدكتورة لينة مُختصّة بالتغذية، ثم الدكتورة أمان مُختصّة بالأمراض الجلديّة، ثم الدكتور يمان مُختصّ بالأمراض العصبيّة، والدكتور بِشر مُختصّ بالأمراض الداخليّة، وكلُّهم كِبارٌ في التهذيب والتربية والنجاح. كما كان أكبرَ إخوةٍ أربعة، تخرّجوا في كُلِّيّة العلوم قبل أن يتوجّهوا إلى الصِّناعة – سواءٌ أكانت كيماويّةً أم معدنيّةً إنشائيّةً أم صناعةَ الكتاب – وغَدَوا فيها من أقطاب الصِّناعة في سورية. لقد تميّز فقيدُنا الكريم وعائلتُه بمحبّة عميقة لوطننا، وأرى الآن فُرصةً لأذكُرَ هنا خمسَ مناسباتٍ من تجربتي على نَدرتها مع الفقيد.

المناسبةُ الأولى عن أوّلِ مرةٍ سمعت فيها باسمه، وتعود إلى عامِ ثمانين وتسعمئةٍ وألف عندما انتسبتْ أختي إلى مركز الدراسات والبحوث العلميّة، حيث كان يُدرِّس. مع أنها – ولأسباب عديدة – قرّرتْ بعد شهرٍ الانسحابَ والالتحاقَ بكُليّة الطِّب، وعلى الرغم من تفوّقها هناك بإحرازها الترتيبَ الأوّلَ على دُفعَتِها، فإنها لم تنس أبدًا ذلك الأستاذَ النشيطَ الذي ألقى عليها وعلى زملائها بضعَ محاضراتٍ أخذت بألبابهم. منذ ذلك الوقت، وعمري اثنتا عشرة سنة، واسمُ الدكتور دَعبول محفور في مُخيِّلتي.

المناسبةُ الثانية تعود إلى صيف عامِ ثلاثةٍ وثمانين وتسعمئةٍ وألف، عندما كنتُ في مُعسكر الفُتُوّة للصفّ العاشِر في ثانويّة جودة الهاشمي،

وطُلب مِنّا القيامُ بعمليّات طِلاءٍ لأرصفةٍ على طريق قاسيون. لقد شاءتِ المصادفة أن أكون مع نَجْلَي الفقيد في المدرسةِ نفسِها، بل وأن أكون مع ابنه البِكْر يمان في الشُّعبةِ نفسِها. قام أحَدُ زملائنا عندها بِحَثِّنا على إنهاء العمل بسرعة ولو قَبْلَ إتمامِه - وذلك بالتخلّص من الطِّلاء في أحد المجارير - بُغيةَ العودةِ سريعًا والهروبِ من الصيف القائظ وأشعّة الشمس الحارقة، وأتذكّر عندها كيف واجهه يمان وقال له بما معناه إنّ الوطنَ يستحقّ منّا العملَ، فإذا تهاونّا في الأمور الصغيرة فما بالُك في ما هو أكبر. بقِيتْ هذه الحادثةُ في ذِهني مِثالًا على «وطنيّة» زميلي يمان، الذي يعود آخِرُ لقاءٍ بيننا إلى عقودٍ أربعةٍ مضت، سمِعتُ بعدَها أنه سافر إلى الولايات المتَّحدة للتخصّص في الطِّبّ.

المناسبةُ الثالثة تخصّ دراستي في المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا بين عامَي خمسة وثمانين وثمانيةٍ وثمانين من القَرن المنصرِم، إذ كانت مُؤلَّفات الدكتورِ الفقيد - مع زميلِه الأستاذ الدكتور المرحوم صلاح الأحمد، سليلِ العلم والأخلاق والوطنية ورائدِ الرياضيات الحديثة في سورية - من أكثر المراجِعِ العربية موثوقيّةً لدينا نحن الطلاّب.

أمّا المناسبةُ الرابعة فأتت بعد عدّةِ عقود، عندما انضمّ إلينا الفقيد في لَجنة الفيزياء في المَجمع، فأسرعتُ بتقديم نفسي إليه، وربّما ظَنّ أنني سأتكلّم عن عملي ودراساتي على حين عرّفتُه بنفسي فقط بأنني كنتُ صديقَ دراسةٍ لابنه يمان متسائلًا عن مكانه، ومُتوقِّعًا أن يكون في الولايات المتّحدة مثل الكثيرِ من شباب بلدي الذين فضّلوا الاستقرارَ في الغرْب المُتقدِّم بعد إنهاء دراساتهم، وإذا به يُخبِرُني بأنّ كِلا نَجْلَيه الدكتورَين يَمان وبِشر يقطُنان ويعمَلان في

دمشق، وهنا تذكّرتُ حادثةَ الطِّلاء من القرن الماضي، وتأكّد لي أنْ لا شيءَ سيدفع أولادَ الفقيد إلى ترك وطنهم الذي يحبّونه.

المناسبةُ الخامسة بعد أن رَحَل فقيدُنا، وأثناء بحثي عن مصادرَ للتعرّف أكثرَ بشخصه الكريم، أخبرني أحَدُ الزّملاء بوجود كتابٍ سرد خِلالَهُ هو وأولادُه بعضًا من قصصٍ وتجاربَ مرّت في حياتهم، ويشتمل على ما يمثِّل مُختاراتٍ من حياةِ عائلةٍ سوريّة مثقّفة، وعلى الكثير من الأفكار والتوجيهات التربويّة والأخلاقيّة، وأنّه موجود في دار الفِكْر القريبة من مشفى التوليد الجامعيّ. مرّ شهرٌ الآن على ذلك اليوم الذي سألتُ فيه عن دار الفِكر، وقمتُ مع والدي ذي الخمسةِ والثمانينَ عامًا بتسلّق أدراجٍ مُعتِمة – بسبب انقطاع الكهرَباء – حتّى بلغنا الدّارَ، وكمْ كنتُ سعيدًا بتوفّر الكتابِ عندهم، فاقتنيتُه وأسرعت إلى المنزل أقرؤه بِنَهَمٍ، ولم أَنَمْ يومَها حتى أنهيتُ قراءةَ الجِزء الأوّل الذي كتبَه فقيدُنا، وتبيّن لي فِعلًا أنه فارسٌ من فُرسان الكَلِمة الطّيِّبة والتعليم، وحارسٌ من حرّاس اللّغة العربية. رحِمَه الله، وتغمَّده بواسِع رَحْمَتِه.

إنّ ما أثّر فيّ كثيرًا بوجهٍ خاصّ، هو المحطّةُ الأولى عندما تحدّث عن محاولة الاغتيال التي تعرّض لها نَجْلُه الدكتور بِشر في خِضَمِّ الأحداث المُؤلِمة عامَ أربعةَ عشر وألفَين، إذْ تتبيّنُ مشاعِرُ الأُبُوّة العارِمة والعواطفُ الجيّاشة عندما علِم بإصابة نَجْلِه واحتمال فَقْدِه، ولكن ما وجدتُه استثنائيًّا يكاد يُجاوِز حدودَ طاقةِ البَشَر هو المَوْقفُ الذي اتّخذه – مع تزايُد ضغوطِ المُحبِّين لِنَجْلِه عليه من أجل مغادرة البلد بعد شفائه بحثًا عن الأمان – بأنْ كان الوحيدَ بين أفرادِ الأُسرة الذي طلب من نَجلِه التريُّثَ، وهذا ما دفع

الأخيرَ إلى البَقاءِ والإيمانِ المُطلَقِ بأنه لن يُصيبَنا إلاّ ما كتب اللهُ لنا.

قادتني هذه المناسباتُ الخمس بدايةً إلى استنتاجِ وجودِ تشابُهٍ تماثلي بين الفقيد ووالدي، فَكِلاهما تفوّق في الثانوية ولم يُسجِّل في الطِّبّ، بل في فَرعٍ علميٍّ رياضيّ أو هندسيٍّ يهواه، وكلاهما درس خارج القُطر موفَدًا وعاد للوطن بعدها، وكلاهما نال درجةَ الدكتوراه، وكلاهما كان عاشقًا للّغة العربيّة، وكلاهما رُزِقَ أولادًا حَمَلوا جميعًا لَقَبَ دكتور، وأخيرًا كلاهما طلبَ من أولاده عدمَ الهِجرة والبقاءَ في الوطن. ولكن ومع تفحّص هذه المناسباتِ تفحُّصًا أعمقَ، أدركتُ أن صورةَ الفقيد كوالِدٍ لم تكن خاصّةً بي، بل كان فقيدُنا حقيقةً والِدًا لكلِّ مُثقّف في الوطن، وخاصةً من عَرَفه وجالسه وأنِس بحديثه وعاش معه الغَيْرةَ على اللُّغة العربية وعلى الثقافة والعِلم. لقد كان أبًا للجميع.

سيداتي وسادتي،

إنه لَمِنْ دواعي فخري أن أكون خَلَفًا لِسَلَفٍ يُشرِّفني أن أنظُرَ له بمثابة والِدٍ على قِلّة لِقائي به، أنظر إلى مسيرتِه وأحاول السيرَ على خُطاه، ولعلّ الخُطوةَ الأولى التي أطمح إليها الآن تَكمُن في كتابة سِلْسِلةٍ تخصّصيّة بالعربيّة في مجال الرياضيّات والفيزياء النظريّة يمكن اعتبارُها تتمّةً لمُؤلَّفات فقيدِنا في أساسيّات الرّياضيات والميكانيك. وهنا أنتهز الفُرصةَ لأستحضرَ الذِّكرى العَطِرَة للمَجمعيّ المرحوم الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد الذي أشرفَ عِلميًّا على دراستي، ولأتقدّم بكامِل شُكري لمديري السابق الدكتور عمرو الأرمنازي، فَلِكِلَيهِما الفضْلُ الأوّل في دراستي هذا المجالَ من العلوم، والبقاءِ فيه بالرغم من مُحاجّةِ البعض بأن بلدَنا لا يحتاج لعلوم نظريّة.

لا شكَّ في أن كتابةَ مؤلَّفاتٍ على مستوى الماجستير والدكتوراه باللغة العربيّة تُعَدُّ تحديًّا كبيرًا من حيث أننا، على نجاحنا في تعريب كثيرٍ من المصطلحات العلميّة، بحيث تَعمَّم استعمالُ العربيّة في التعليم المدرسي والتعليمِ الجامعيّ في مرحلتِه الأولى في بُلدانٍ عربيّة كثيرة، فإن لغتَنا لا تزال تعاني نقْصًا كبيرًا في المُصطلَحات المُستعمَلة في الدراسات الجامعيّة العليا. وبالرَّغم من إقرارنا بأن الإنكليزيّةَ أضحت في عصرنا اللُّغةَ العِلميّة العالَمية، فإنّ العالَمَ يبقى مُتعدّدَ الثقافات واللُّغات، لذا لا بدّ من التصدّي لِمُهِمَّة إيجاد مُصطلحاتٍ عِلميّة للتعابير المتقدّمةِ، وذلك باعتماد مقارَبةٍ تقوم على قواعدَ عامّةٍ مَنْهَجِيّةٍ ومُبتكَرةٍ أحيانًا.

كلّي أملٌ وطموحٌ إلى أن أكون عونًا لزملائي الأعضاء، قادرًا على النهوضِ بالرسالةِ التي انتُدِبنا لها، والوفاءِ بالأمانة التي أُولِيناها.

والسلام عليكم.

* * *

حفلة استقبال
الأستاذ الدكتور محمد قاسم
عضواً في مجمع اللغة العربية

انتخب مجلس مجمع اللغة العربية في جلسته المنعقدة في (٦ ربيع الأول ١٤٤٥هـ - ٢٠/ ٩/ ٢٠٢٣م) الأستاذ الدكتور محمد قاسم عضوًا في مجمع اللغة العربية، ليشغل الكرسيَّ الذي شغر بوفاة الأستاذ الدكتور عبد الإله نبهان، وصدر المرسوم الجمهوري ذو الرَّقم (٢٧٦) في (٥/ ١١/ ٢٠٢٣م) بتعيينه.

واحتفل المجمع باستقبال الزميل الأستاذ الدكتور محمد قاسم في جلسة علنية عقدها (يوم الأربعاء ٢٨/ ٢/ ٢٠٢٤م) في قاعة المحاضرات في المجمع، حضرها نخبة من رجال العلم والسياسة والأدب وأصدقاء المحتفى به.

افتتح الحفلة الأستاذ الدكتور محمود السيد رئيس المجمع بكلمة موجَزة رحَّب فيها بالسادة الحضور، مهنِّئًا الزميلَ المجمعيَّ الجديدَ، مباركًا انضمامَه إلى مجمع الخالدين.

ثم ألقى الأستاذ الدكتور عبد الناصر عسّاف كلمته التي تحدث فيها عن الزميل المحتفى به، ونَوَّهَ بمكانته العلمية والخلقية.

تقدم بعد ذلك الأستاذ الدكتور محمد قاسم، وألقى كلمته التي تحدث فيها عن سلفه الراحل الأستاذ الدكتور عبد الإله نبهان.

وننشر فيما يلي الكلمات التي ألقيت:

كلمة الدكتور محمود السيد رئيس المجمع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السيدات والسادة، أيها الحفل الكريم:

أحييكم أطيب تحية، وأرحب بكم أجمل ترحيب، وأشكر لكم تفضلكم بحضور هذه الجلسة العلنية لمجمع اللغة العربية بدمشق لنشارك جميعًا في استقبال الدكتور محمد عبد الله قاسم عضوًا عاملًا في مجمع اللغة العربية بدمشق.

لقد انتخب مجلس المجمع في جلسته المنعقدة يوم الأربعاء في السادس من ربيع الأول عام خمسة وأربعين وأربعمئة وألف هجرية الموافق العشرين من الشهر التاسع عام ثلاثة وعشرين وألفين ميلادية الدكتور محمد عبد الله قاسم عضوًا عاملًا في المجمع، وصدر بانتخابه المرسوم الجمهوري ذو الرقم ستة وسبعين ومئتين، والتاريخ الخامس من الشهر الحادي عشر من عام ثلاثة وعشرين وألفين.

فتهانينا له بثقة زملائه المجمعيين، واختيارهم له زميلًا عزيزًا ينضم إلى أسرة المجمع ليسهم في خدمة لغتنا العربية التي طبعت بالعروبة حضارتنا وهويتنا الثقافية، وهي قلعتنا الحصينة للذود عن هويتنا ووحدتنا القومية،

وما هويتنا العربية إلا انتماء إلى لغتنا العربية وتاريخنا العربي وأرضنا العربية وقرآننا الكريم العربي.

سيداتي سادتي:

لقد ركز مجمعنا في دمشق منذ إنشائه حتى الوقت الحاضر على الجمع بين الأصالة والمعاصرة في نهضة أمتنا وخدمة لغتها العربية الخالدة، آخذًا بالحسبان أن من معايير الأصالة هو ما نطلق عليه الماضي الحي من تراثنا الذي يغذي العقل والوجدان، ويسهم في تقدم المجتمع، وارتقائه في حاضرنا وتوجهنا المستقبلي، والنظرة العلمية الناقدة هي التي تميز بين المفيد والقيم مما جاء في التراث وغير القابل للحياة في حاضرنا ومستقبلنا. ومن هنا يكون ثمة تفاعل بين الإيجابي البناء في هذا التراث والإيجابي البناء من الثقافات الأخرى بما يتفق وذاتيتنا الثقافية.

وتعد اللغة الأم الرمز المعبر عن الشخصية ثقافة وقومية وانتماءً، وما الشعور بالانتماء إلا اعتزاز الفرد بروح أمته، وما كانت اللغة إلا روح الأمة وأساس قوميتها، وما كانت الهوية العربية إلا هوية اللغة والثقافة، إذ إن ثمة أناسًا من غير العرب كسيبويه والبيروني والفارابي والرازي والجرجاني ...إلخ أصبحوا من أهل هذه اللغة وأبدعوا فيها منذ ما يزيد على ألف عام، وهذا يدل على أن جوهر العروبة ليس مفهومًا عرقيًّا أو عنصريًّا بل هو هوية ثقافية حضارية موحدة. وتجدر الإشارة إلى أن تراث أمتنا لا يبدأ مع الحضارة العربية الإسلامية، بل تمتد أبعاده لتستوعب التراث القديم لكل أقطار وطننا العربي على امتداد الزمان والمكان منذ أقدم العصور إلى الآن.

وتؤدي اللغة العربية دور الحاضن لتراثنا والمحافظ عليه، ويعمق

جذوره التعدد والتنوع والانفتاح على الثقافات الأخرى دون الذوبان فيها وفقدان التميز، وإن خسارة اللغة لا تعني افتقاد التواصل فقط، بل تعني افتقاد الانتماء إلى الهوية القومية.

إن مسؤوليتنا تجاه لغتنا جسيمة لا تنتهي عندها جهود، ولا تتوقف عندها مساعٍ، وهذا ما يفسر العناية التي لقيتها الدراسات اللغوية في تراثنا لارتباط اللغة بالقرآن الكريم الذي حماها عبر المحن والنكبات والهجمات الاستعمارية التي مرت بها أمتنا العربية.

أيها الحفل الكريم:

إنّ الجانب المظلم من العولمة يروم دعاته وأد كل القيم الإيجابية التي تعمل على تقدم مجتمعنا العربي، وإيقاظَ كل القيم السلبية التي تفتت بنيته، وما دامت اللغة العربية توحد بين أبناء الأمة العربية، وفي وحدة العرب قوة لهم، كانت هذه اللغة هدف سهامهم، فعملوا على تفتيت هذا الرابط بالدعوة إلى إحياء العاميات ودعم الباحثين العاملين على هذا الإحياء، والسعي إلى تعليمها، ووضع قواعد لها، والدعوة إلى الكتابة بها على أنها لغة الحياة، ذلك لأن اللهجات العامية عامل تفريق حتى في القطر الواحد في حين أن العربية عامل توحيد بين أصقاع العروبة كافة، ومن جهة أخرى عمدوا إلى وصم لغتنا الفصيحة بالتخلف، وعدم مواكبة روح العصر، وأنه إذا أراد أبناء العروبة اللحاق بركب العصر فما عليهم إلا أن يستبدلوا بالعربية اللغة الأجنبية، وهذا ما جنحت إليه أغلب جامعات وطننا العربي، وتبقى سورية متمسكة بعروبتها ولغتها الفصيحة مقدمة الأنموذج الحي على قدرة العربية على تمثل أدق المصطلحات الأجنبية في عصر التدفق المعرفي، وها هو ذا

قد مرّ ما يزيد على قرن كامل على جهود أعضاء المجمع في وضع المصطلحات العربية، وإنجاز المعاجم المتخصصة في مختلف ميادين المعرفة. وتبقى هذه الجهود مستمرة في هذا العصر المتطور والمتدفق في معارفه إلى جانب إحياء الصور الإيجابية المشرقة والبناءة من تراثنا العربي، كما مرّ قرن كامل على أَلْقِ خريجي الجامعات السورية الذي درسوا وما يزالون بلغتهم الأم، واستوعبوا وتمثلوا المعارف المعاصرة بها إلى جانب تمثلهم المصطلحات الأجنبية، فكانوا كوكبة متميزة على الصعيد العالمي في أدائهم العلمي والعملي.

وإذا كان من أهداف المجمع العناية بإحياء تراث العرب في العلوم والفنون والآداب تحقيقًا ونشرًا، فإن الإنتاج الفكري للدكتور محمد قاسم يصب في هذا المجال، ويسهم في تحقيق الأهداف المرسومة.

إننا في أمسِّ الحاجة إلى استلهام التراث وتحويله إلى مؤثرات فاعلة في حياتنا المعاصرة، وفي بناء المستقبل الذي نبتغيه بالاعتماد على نشر ما نتخيره من تراثنا، واعتماد أساليب جديدة، وطرائق حديثة، ورؤى معاصرة في قراءة تراثنا في مختلف ميادينه بحثًا عن الأصالة فيه، وتعريفًا للأجيال الجديدة بها، وتعزيزًا لموقع الشابكة في رصد المناشط والفعاليات التراثية تحقيقًا ونشرًا، وبيانًا لكل جديد في ميدانه على الصعيدين العربي والعالمي، وتشجيعًا للاتفاقيات الثقافية بين الدول العربية والأجنبية، ولاسيما الدول التي تضم مكتباتها مخطوطات عربية بغية التبادل الثقافي، والتعاونِ في هذه المجالات، وتخصيصِ جوائز قيمة لأفضل كتاب حُقق على الصعيد العربي، وإقامة معارض سنوية للكتب المحققة في مختلف الميادين المعرفية.

إنّ لجنة المخطوطات في مجمعنا تعمل على رصد المخطوطات في مكتبة المجمع، وبيان أنواعها، والوقوف على المطبوع منها، وغير المطبوع بغية تكليف الباحثين الأكفياء في هذا المجال العمل على تحقيقها في ضوء الأهمية والأولويات، وما من ريب في أن انضمام الدكتور محمد عبد الله قاسم إلى المجمع سيسهم أيما إسهام بمشيئة الله في عملية تحقيق بعض المخطوطات القيّمة نظرًا لكفايته في هذا المجال، وخبرته الغنية فيه إلى جانب كفاياته الأخرى.

لقد كان التميز ملازمًا له في دراسته الجامعية الأولى والدراسات العليا في علوم اللغة العربية وآدابها، وهذا يدل دلالة واضحة على قدرته في اختصاصه الذي حازه، وظل الأَلْق مستمرًا في حياته العملية تدريسًا وتأليفًا وتحقيقًا وبحثًا.

كان نتاجه العلمي متعدد الأبعاد في علوم اللغة العربية، فكان للنحو نصيب وافر من هذا الإنتاج، وللنحو مكانته المرموقة في علوم اللغة، فقد عدَّه ابن خلدون في تراثنا العربي من أهم علوم اللسان، كما رأى تشومسكي أن النحو من اللغة بمنزلة القلب من جسم الإنسان، وكلما كان المرء متمكنًا من سلامة لغته الأم زاد احترامه وإكرامه. ألم يقل شاعرنا العربي:

النحو يصلح من لسان الألكن والمرء تكرمه إذا لم يلحن

ويسعدني أن أقدم الزميل الأستاذ الدكتور عبد الناصر عساف عضو المجمع ليقوم بالحديث بالتفصيل عن العضو الجديد الدكتور محمد عبد الله قاسم، ثم يقوم الدكتور قاسم بالحديث عن العضو الراحل الأستاذ الدكتور عبد الإله نبهان رحمه الله الذي سيحل محله.

كلمة عضو المجمع الأستاذ الدكتور عبد الناصر عسّاف

أيُّها السّادةُ والسّيداتُ:

رئيسَ المجمعِ الأستاذُ الدّكتور محمود السيّد،

الزُّملاءُ أعضاءَ المجمع، الضّيُوفُ والحُضورُ الكرام:

السّلام عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه:

كانَتْ خِدمةُ اللُّغةِ العربيّةِ بفُنونها وعلومها المتنوِّعةِ أساسًا رئيسيًّا منَ الأُسس الّتي قام عليها هذا المجمع، وقد سعى جاهدًا لتحقيقِهِ، وتحقيقِ كلِّ ما يُفضي إلَيهِ ويُسهِمُ في تحقيقِه. ولذلك كان أكثرُ أعضاء المجمع في مراحلِهِ المختلِفةِ منَ المختصّينَ باللُّغة العربيّة وعلومها. وقد كانَ منَ الواجبِ كما رأتْ إدارةُ المجمعِ بعد ما خلا مَكانُ بعضِ أعضاءِ المجمع الرّاحلينَ منَ المختصّينَ باللُّغة العربيّة منذ سنواتٍ قليلةٍ خَلَتْ = أن يملَأَ أماكنَهُمُ الشَّاغرةَ أعضاءٌ جُدُدٌ منَ المختصّينَ باللُّغة العربية الأكفِياءِ، ولا سيّما منَ المختصّينَ بالنّحو والصّرف، فكان من رأيِ بعضِ أهل العلم والخبرة والرّأيِ في المجمع ترشيحُ الدكتور محمّد قاسم ليكونَ عُضوًا عاملًا في المجمع؛ لما عَرَفَهُ فيه وقدَّرَهُ، فكانَ ذلك، وكان انتخابُه وتَعيينُه. وها نحن اليومَ هنا نجتمعُ لاستقبالِهِ، نُعرِّفُ بهِ ونرحِّبُ.

فمَنْ هو الدّكتور محمّد قاسم؟

وُلِدَ الدّكتور محمّد قاسم في بُصرى الشّام من أعمال محافظة درعا عام ١٩٧٥. وانضمَّ إلى قسمِ اللُّغة العربيّة في كليّـة الآداب بجامعـة دمشـق عـام ١٩٩٤م، وكان في دِراستِهِ مُتفوِّقًا يُشارُ إليهِ بالبَنانِ، فنالَ لذلك جائزةَ الباسـلِ للتَّفوُّقِ الدّراسيِّ في أعوام ١٩٩٤و١٩٩٥و١٩٩٦، وحصـلَ علـى الإجـازة في اللُّغة العربيّة عام ١٩٩٧ بتقدير امتيازٍ، ونالَ جائزةَ الباسلِ للخـرِّيجِ الأوّلِ على الدّفعةِ. ثُمّ حصَلَ على دبلـوم الدّراسـاتِ العليـا –الشُّـعبة اللُّغويّـة عـام ١٩٩٨م بتقدير امتيازٍ. وعُيِّنَ لتفوُّقِهِ مُعيدًا في النّحو والصّرف في قسم اللُّغـة العربيّـة فـي كليّـة الآداب عـام ٢٠٠١م. وفـي عـام ٢٠٠٢م حَصَـلَ علـى الماجستير في علوم اللُّغة العربيّة وآدابها بتقدير امتياز، وقد تناوَل في رسـالته للماجستير قِسمًا من تفسير (البحر المحيط) لأبي حيّانَ الأندلُسـيِّ بـالتّحقيقِ والدّراسةِ. ثُمَّ حصَلَ على درجة الدّكتوراه في النّحو والصّـرف عـام ٢٠٠٥م بمرتبة الشّرَفِ من جامعةِ دِمشقَ. وكان موضوعُ رسالَتِهِ للـدُّكتوراه (الأُصـولُ النّحويّة والصّرفيّة في كتاب الحُجَّة لأبي عليٍّ الفارسـيّ)، وقـد طُبِعَـتْ عـام ٢٠٠٨م في مجلّدينِ. وقد كانت رسالتُهُ مثالًا متميِّزًا في الاسـتِقراء والجمـع والتّصنيف والاستدلال والمحاكمة والتّحليل والاستِنباط واللُّغة والأُسـلوب والتّوثيق، إلى غير ذلك ممّا ينبغي أن يكون في الرّسالة العلميّة المتكاملة.

وقد كان ذلك مَدخلًا أدّى بالدّكتور محمّد قاسم إلى عالَمٍ واسِعٍ فَسـيحٍ كانَتْ له فيه جَوْلاتٌ ومَناشِطُ ومُشاركةٌ وحُضورٌ. ومن ذلك:

• **التّدريس الجامعيّ:**

الدكتور محمّد قاسم مُدرِّسُ النّحو والصّرفِ في قسم اللغة العربية، فـي كلّيّة الآداب، في جامعة دمشق، منذ سنة ٢٠٠٦م، ودرَّسَ بعـضَ المقـرّراتِ

الأخرى في كليةِ الآدابِ الثّالثة في السّويداء في وقت سابقٍ. وقد كان في تدريسِ النَّحو والصّرف، وما يزالُ، ولا سيّما في الجانبِ التّطبيقيِّ، ذا حُضورٍ مُتميِّزٍ، يَشُدُّ الطُّلَّابَ بأُسلُوبِهِ ولُغَتِهِ وعِلمِهِ وطُرَفِهِ، فإذا بالطّلاب يتحلّقون حولَه، ويَكثُرونَ كَثرةً ظاهرةً حيثُ يُحاضِرُ، وكان ذلك أَظهَرَ ما كانَ قبلَ الأحداث، وقبل أنْ تَستبِدَّ بالنّاس همومٌ وهمومٌ بعضُها فوق بعضٍ، أَكرَهَتِ الطُّلَّابَ على التّخلّي عنِ الحُضور والدّوام والمتابَعة.

وكانْتَ له مُشاركةٌ في الإشراف على بعض طُلَّاب الماجستير في قسم اللُّغة العربيّةِ نفسِهِ، ومناقشة بعض رسائلِ الماجستير والدكتوراه، مُشاركةٌ تُخبِرُكَ بما له من عِلمٍ واقتدارٍ وحرصٍ على نُصْحِ الطُّلَّاب وتوجيهِهِم التّوجيهَ العلميَّ الصّحيحَ.

وقدِ اقتضى التّدريسُ أن تكون له مُشاركةٌ في الكتاب الجامعيِّ، فكان شريكًا في تأليف كتابَينِ في قسم اللُّغة العربيّةِ طُبعا خمسَ طَبَعاتٍ، وما زالا مُعتمَدَينِ:

الأوّلُ: النّحو وتاريخُه. وهو كتابٌ تناوَلَ خمسًا وعشرينَ أداةً نحْوِيَّةً، وشيئًا من تاريخ النّحو العربيّ، وأصولِه، وشيئًا عن بعضِ أعلامِه ومذاهِبه.

الثّاني: النّحو ومسائلُه. وهو كتابٌ تناوَل إحدى وثلاثين أداةً نحويَّةً، وعشرينَ مسألةً من مسائلِ الخلاف بينَ النُّحاةِ.

وكان من ثمارِه كتابُ (التَّذكَرةُ في علوم العربيّة) الّذي طُبِعَ سبع طَبَعاتٍ. وهو كتاب يقع في سِفْرَينِ ضَمَّ الزّميلُ فيهما عَشراتٍ من عيونِ النُّصوصِ الشّعريةِ المختارةِ من مصادر التُّراثِ العربيّ، مُعربةً مشفوعَةً بالفوائد والتّعليقاتِ. وقد كان ذلك مادّةَ الدُّروسِ الّتي ألقاها المؤلِّفُ على طَلَبةِ السّنة الأولى في قسم اللُّغة العربيّة بجامعة دمشق.

وقد كانَ الاهتمامُ بالطَّلَبةِ والنّاشئة، والتّأليفِ لهم، وتَزويدِهم بالزّاد اللّغويِّ المناسب حاضرًا في ذهنهِ مذ كان طالبًا؛ فقد عُنِيَ عام ٢٠٠٠م بالمعجم المدرسيّ الّذي صنّفَه جرجي عطيّة (ت:١٣٦٥هـ=١٩٤٦م): (المعتَمَدُ فيما يَحتاجُ إليهِ المتأدِّبونَ من مَتْنِ اللُّغة العربيّة) على وجهِهِ إصلاحًا وضبطًا وتدقيقًا، وصدَر وقتئذٍ عن دار صادرٍ.

• **التّحقيق:**

للتَّحقيقِ في اهتمام الدكتور محمّد قاسم ونشاطِهِ الحِصَّةُ الكُبرى. وكان ذلك منهُ منذ كان في مرحلة الماجستيرِ؛ إذ جَعَلَ تحقيقَ قطعةٍ من تفسير (البحر المحيط) لأبي حيّانَ الأندلُسيِّ موضوعًا لرسالَتِهِ لنَيلِ درجةِ الماجستير. ثمَّ كانَ ذلك في بعض الكُتُبِ الّتي نشَرَها، وهي:

- شَذا العَرْف في فنِّ الصَّرْفِ، لأحمد الحَمَلاويِّ، الّذي نُشِر عام ٢٠١٧م.

- غُرَرُ الخصائصِ الواضِحة وعُرَرُ النّقائص الفاضِحة، لمحمّد بن إبراهيم الكُتبيّ المعروف بالوطواط، الّذي نُشِر عام ٢٠١٨م، في سِفْرَينِ كبيرَينِ يَزيدانِ بالمقدّماتِ وعتَباتِ التّحقيق وفهارِسِ الكتاب على ألفٍ وخمسمئةِ صفْحةٍ.

والكتابُ من كُتُبِ الأدبِ العامّةِ، يَشتمِلُ على بدائعِ الحِكَمِ وروائعِ الأشعارِ، ونفائسِ الأنثارِ، ونوادِرِ الأخبار، في مَدْحِ الفضائلِ، وذَمِّ الرّذائلِ.

- كتابا (الثُّقلاء) و(فضلُ الكلابِ على كثيرٍ ممّن لبسَ الثّياب)، وكلاهما لابن مَرزُبانَ الدِّيمرَتيِّ (ت٣٠٩هـ)، وقد نُشرا معًا عام ٢٠١٩م.

وهما من كُتُبِ الأدبِ العامّ والأخبارِ:

الأوّلُ يُنبئُ عُنوانُهُ عن موضوعِهِ، وعلى ذلك دارَتْ أكثرُ أخبارِه الرّابيةِ على

مئةٍ وخمسينَ خبرًا. والثّاني يَتناولُ فَسادَ المودّةِ في زمانِ المصنِّف: في القرنِ الثّالِث وما يليه، وخسَّةَ الأخلاقِ، ولُؤْمَ الطّباعِ. وقد كانَ أوَّلَ خبرٍ فيهِ قولُ أبي ذرٍّ الغِفاريّ ﷺ: «كانَ النّاسُ ورقًا لا شَوكَ فيهِ، فصاروا شَوكًا لا وَرَقَ فيهِ».

وفي مُقدّمة الكتاب كما في سائر الكُتُبِ الّتي حقّقها ما يَدُلُّكَ على حبِّ المحقِّقِ الآسرِ للُّغة، وأنّ تحقيقَ هذينِ الكتابينِ ونحوِهما من حَقِّ العربيّةِ عليه.

قال: «النّفسُ ظَمأَى، والحوضُ ملآنُ، وحُبُّ العربيّة آسِرٌ غَلّابٌ، ولكنَّ الشّرطَ الإنسانيَّ القاسيَ يأبى إلّا أن يَرعَفَ القلمُ بالزّلَلِ:

تَحِنُّ إلى أجبالِ مكّةَ ناقتي ومن دونها أبوابُ صنعاءَ مؤصَدَهْ»

- يتيمةُ الدّهرِ في محاسنِ أهل العصر، للثّعالبيّ، الّذي نُشِر مَطلَعَ هذا العامِ في عَشَرَةِ أسفارٍ. و(تتمّةُ اليتيمةِ) الّذي استَدرَكَ فيه الثّعالبيُّ أشياءَ ممّا فاتَه في (يتيمة الدّهر)، حقَّقَهُ الدكتور محمّد قاسم في مجلّدين، وهو في قيد الطّباعة.

وتحقيقُ الدكتور محمّد قاسم لهذه الكُتُبِ قام على مَنهجٍ عِلميٍّ يَعتمدُ على إجراءاتٍ معيّنةٍ دقيقةٍ، تستدعي الصّبرَ والجُهدَ والبَحثَ والاستقراءَ والأَناةَ، وتُفضي إلى إقامة النّصِّ على وجهِهِ بتقسيمِهِ التقسيمَ المناسِبَ أداءً لمعانيهِ، وضَبْطِهِ الضّبطَ التّامَّ، وتَبرئتِهِ منَ التّصحيف والتّحريف والسَّقَطِ وسائرِ الأوهامِ، وتَخريجِ الشّواهدِ والآراءِ والأقوالِ من مَظانّها، والتَّعليقِ على ما يَحتاجُ إلى تعليقٍ تَعقيبًا وتصحيحًا واستِدراكًا، أو شرحًا وتَبيينًا، أو تقييدًا للفُروق؛ وفَهرسةِ النَّصِّ أو ما يحتاج منه إلى فَهرسةٍ، ودِراسةِ النّصِّ ومُؤلِّفِهِ الدّراسةَ المناسبةَ.

وإذا كان الدكتور محمّد قاسم قد حَقَّقَ الكُتُبَ المذكورةَ التّحقيقَ العلميَّ اللّائقَ فإنَّ تحقيقَ (يتيمةِ الدّهر) يُعَدُّ بالنسبة إلى تحقيق الكُتُبِ

الأخرى آيةً في التّحقيقِ، إقامةً للنّصِّ على وَجْهِهِ مَصونًا من أَوجُهِ الزّلَلِ، وتخريجًا لمادّتِهِ وشواهِدِهِ، وتعليقًا؛ فضلًا عن فهرسة مادّتِهِ، ودراستِه الدّراسةَ الوافيةَ.

وآيةُ ذلك أنّ تحقيقَ هذا الكتاب قدِ استَرَقَ من عُمُر المحقِّقِ أربعةَ أحوالٍ وبِضْعةَ أيّامٍ، وأنّ فهارسَ الكتابِ الّتي زادَتْ على خمسةٍ وعشرين فِهرسًا ضَمَّها السِّفْرانِ التّاسعُ والعاشِرُ.

ومنَ الفهارسِ المُفيدَةِ، وكُلُّها مُفيدٌ، فِهرسُ اللُّغةِ الّذي أنبَهَ فيه المحقِّقُ على فَوَائِتِ المعاجم ممّا كان في (اليتيمة). ولذلك كنْتَ تراهُ أحيانًا يَسوقُ شَرْحَ الكلمة أوِ التّركيبِ بعبارةٍ غير جازمةٍ: «يُشبِهُ أن يكونَ، كأنَّهُ».

ومن ذلك: المُستخرِجُ: جابي الضّرائِبِ المُكلَّفُ جِبايةَ المُتأخِّرَ عنها. والرّكابيُّ: ساعي البريدِ، أو حاملُ الرّسائلِ. والخِلاطُ: سَمْنٌ خليطٌ فيه شَحْمٌ ولحمٌ، كأنَّهُ القَورَمةُ. وشَمْسة: شَمسيَّةٌ، مِظَلَّةٌ، وضَرْبٌ مِنَ الحَلْيِ في شَكْلِ الشّمسِ. وطِلِّيرٌ: صَوتُ النّايِ.

هذا، فضلًا عنِ الدّراسةِ الضّافيَةِ الّتي استقلَّ بها السِّفْرُ الأوّلُ.

وفي هذا السّفْرِ ما يَدُلُّكَ على جملةٍ منَ الآدابِ والضّوابطِ، أو بعضِ الصُّوَى الّتي ينبغي أن تكونَ في المحقِّقِ أو الباحثِ في التُّراثِ العربيّ عامَّةً، أو يجبُ أن يَستهدِيَ بها.

ومن ذلك مثلًا أنّ الدكتور محمّد قاسم عَقَدَ مَبحثًا في تلك الدّراسةِ في سِهاءِ الثّعالبيِّ – أي: سَهَواتِه – في اليتيمة، قدّمَ بينَ يدَيهِ بما يَعتذِرُ له فيه عمّا سَها فيه بقولِ سعيدِ بنِ المُسيِّبِ: «ليسَ من عالمٍ ولا شريفٍ ولا ذي فَضْلٍ إلّا وفيه عَيبٌ، ولكن منَ النّاسِ مَن لا ينبغي أن تُذكَرَ عُيوبُهُ، ومَنْ كان فَضْلُهُ

أكبرَ من نَقْصِهِ ذهَبَ نَقْصُهُ لفَضْلِهِ».

ثُمَّ قالَ: «وليسَ يُذكَرُ ما زلَّتْ فيه قَدَمُهُ أمامَ ما قَرْطَسَهُ وأصابَ فيهِ شاكِلَةَ الصّوابِ، وقد نهَضَ بجَمْعِ تُراثِ الأمّةِ الأَدبيِّ في المئةِ الرّابعةِ وحدَهُ، وهو عَملٌ ضخْمٌ تَنوءُ به عُصبةٌ من حُذّاقِ الرُّواةِ وحمَلَةِ الشّعرِ ومُدوِّنيهِ، وقد قالوا: لولا ظُلْمَةُ الخطأِ ما أَشرَقَ نُورُ الصّوابِ».

حتّى إذا فرَغَ من سَرْدِ أمثلةٍ من سَهْوِ المُصنِّفِ قال: «هذه أمثلةٌ من سَهْوِ أبي منصورٍ لا تَقدَحُ فيه، ولا تَغُضُّ من قيمةِ العمل الجليل الّذي نهض به وَحْدَهُ، وأسدى يدًا إلى هذه الأمّةِ بتدوين تراثِها الزّاخر في القَرْنِ الرّابعِ الهجريِّ، ولولاه لضاعَ كثيرٌ منهُ، ولا سيّما أدبُ خراسانَ وما وراءَ النّهرِ؛ إذ توشِكُ أن تكونَ اليتيمةُ مَصدَرَهُ اليتيمَ. وأرجو ألّا أكونَ جانَبْتُ الصّوابَ فيما قيّدتُهُ، وألّا أكونَ ممّن أخذَتْهُ شَهوةُ الصِّيالِ والمغالبَةِ والتّربُّصِ الّتي غَرِيَ بها غيرُ قليلٍ منَ النّاسِ حتّى صارَ نَبْشُ القُبورِ والتّمثيلُ بمَنْ فيها فنًّا يُقصَدُ، ومذهبًا يُعتقَدُ».

•الكتابة والتأليف:

للدّكتور محمّد قاسم يدٌ في كتابةِ الأبحاث والمقالات والدّراساتِ الّتي نشرَ بعضَها في الموسوعة العربيّة، وبعضَها في بعض المجلّاتِ المحكّمةِ وغيرِ المحكّمة، وألقى بعضَها في بعض المناسباتِ والنَّدَوَاتِ والمناشِطِ الثّقافيّة. وقد جَمَعَ بعضَها في كتابٍ عُنوانُه (بحوثٌ في اللُّغة والأدب والرّجال) صَدَرَ عنِ الهيئة العامّة السّوريّة للكتاب عام ٢٠١٩م.

وللزّميل الدّكتور محمّد قاسم مشاركةٌ في التأليف لليافعين، فقد صدَرَ له كُتيّبانِ في منشورات الطّفل في الهيئة العامّة للكتاب، في وزارة الثّقافة،

في سلسلة الكتاب الشّهريّ:

أوّلُهما: الدّكتور مَسعود بوبو: قَبَسٌ منَ العلم والتّواضعِ والرّحمة، عام ٢٠١٦م.

والآخر: سعيدٌ الأفغانيُّ: عالم العربيّة وحارسُها النّابهُ، عام ٢٠٢٠م.

عرَّفَ في كُلٍّ منهما بالعَلَم المقصود، وبسيرتِه العلميّةِ، ومؤلّفاتِه؛ وذكَرَ مختاراتٍ من آثارِهِ، وساق في الأوّل مقتطفاتٍ مما قيل في رثاء الأستاذ الدكتور مسعود بوبو، وفي الثّاني شهادةً ممّن عرَفَ الأستاذَ الأفغانيَّ وخالَطَهُ تُنوِّهُ بِهِ وتُثني علَيهِ.

وقدِ ارتبَطَ الدكتور محمّد قاسم بالدكتور مسعود بصُحبةٍ دامَتْ عامَينِ في هيئة الموسوعة العربيّة، إذ عُيِّنَ فيها سنة ١٩٩٨م محرِّرًا مُدَّةَ سنتينِ حَرَّرَ فيها زُهاءَ ثلاثينَ مَدخَلًا من مداخلِ (الموسوعة العربيّة)؛ فجَعلَتْهُ تلكَ الصُّحبةُ وذلِكَ القُربُ يُلقي على حديثِهِ عنِ الدكتور مسعود فيضًا منَ مشاعرِ المُحبِّ الودودِ، فقال فيهِ: «كان مسعود بوبو إنسانًا بسيطًا، جُبِلَ منَ الرّحمةِ وحُبِّ النّاسِ، والإحسانِ إليهِم؛ وله نَباهةٌ في التِماسِ أَوجاعِ الفقراءِ مِمّن يلتقي بهم في شؤونِ الدّنيا. كان –رحمَهُ اللهُ – يُنزِّهُ نفسَهُ عن صغائرِ الأُمورِ، ويَبذُلُ الحُبَّ لمن يعمل معَهُ بأقلِّ ما يكونُ منَ الكلام، وبكثيرٍ منَ الفعلِ الصّامت...الإحسانُ إلى النّاسِ صَنْعَتُهُ، والتّواضُعُ سَجِيّتُهُ، والحُبُّ دَخيلَتُهُ، والخيرُ فِطْرَتُهُ،...».

•المراجعة والتّدقيق:

ومن مناشطِ الزَّميلِ النَّشيطِ الدّكتور محمَّد قاسم مُراجعةُ بعضِ الكُتُبِ، وتدقيقُها تدقيقًا شاملًا، أو تدقيقًا لغويًّا فقط، والتقديمُ لبعضها. وممّا كان له يدٌ من ذلك فيه:

- المجموعة النّاصية، من شروح ألفيّة ابن مالكٍ، أربعة مجلّدات، عام ٢٠١٤م.
- غرائب الغرب، لمحمَّد كرد عليّ، تقديم ومراجعة، عام٢٠٢٢م.
- مقرّرات السّنةِ التحضيريّة للكلّيّات الطّبّيّةِ.

•إدارة مديرية إحياء التُّراث:

كان للدكتور محمّد قاسم تَجربةٌ مُفيدةٌ في الإدارةِ الثّقافيّةِ، إذ أُسنِدَ إليهِ إدارةُ مُديريّةِ إحياء التُّراث العربيّ في الهيئةِ العامّةِ السّوريّة للكتاب مُدّةَ سبعِ سنواتٍ (١/ ٢/ ٢٠١٧م - ١/ ٢/ ٢٠٢٣م)، أدارَ فيها المُديريّةَ باقتِدارٍ ودِرايةٍ، وحَرَصَ على تحقيق ما يُمكِنُ من أهدافها، بهمَّةٍ ونشاطٍ. وكان من ثمرةِ هذه التّجربةِ إصدارُ سِلْسلتينِ منَ الكُتَيِّباتِ كانَ يَرأَسُ تحريرَهُما:

الأولى: سِلسلة (قضايا لُغويّة)، الّتي صدَرَ فيها أكثرُ من خمسينَ كُتَيِّبًا، فيها ما كان مُتميّزًا ومُفيدًا حقًّا في الموضوعِ، أو في الرُّؤيةِ والتّناوُلِ.

الثّانيةُ: سِلسلة (ثمرات العقول)، الّتي صدر منها أكثرُ من عِشرينَ كُتيّبًا.

وكان من ثمرة هذه التَّجربةِ الإداريّةِ الثّقافيةِ إصدارُ مجلة (المخطوط العربيّ)، بتوجيهٍ وعِنايةٍ منَ السّيّدةِ وزيرةِ الثّقافةِ الدّكتورة لُبانة مشوّح؛ وهي مجلّةٌ نِصفُ سنويّةٍ تُعنى بالتُّراث العربيِّ ومخطوطاتِه وتحقيقِها، وقد تولّى رِئاسةَ تحريرها الدكتور محمّد قاسم حتّى الآن. وهي مجلّةٌ علميَّةٌ جيِّدةٌ، بعضُ ما يُنشَرُ فيها يرقى إلى مستوى الأبحاث والدّراسات المحكّمةِ الّتي تَنشُرُها بعضُ المجلّاتِ العلميّةِ العاليةِ.

وكان من ثمرة التحاقِ الدكتور محمّد قاسم بالهيئة العامَّةِ للكتاب مَندوبًا نَدْبًا جُزئيًّا من قسم اللُّغةِ العربيّة في هذه السّنواتِ السَّبعِ أن أَصبحَ

عُضوًا في هيئةِ تحرير مجلةِ (التّراث الشّعبيّ)، وعُضوًا في اللَّجْنةِ الوَطنيّة العُليا لحمايةِ التُّراثِ غيرِ المادّيّ.

وكان من وِصالِ هذه المرحلةِ أن فازَ الدّكتور محمّد قاسم بجائزةِ الدّولةِ التّشجيعيّةِ الّتي تتولّاها وزارةُ الثّقافةِ السُّوريّةِ في مجالِ الدِّراساتِ التُّراثيّةِ سنةَ ٢٠١٨م.

• وإلى ذلك إذا خالَطْتَ الدّكتور محمّد قاسم بعضَ المخالطةِ بدا لكَ مِثالَ مَنْ يَتسقَّطُ أخبارَ كتبِ التُّراثِ العربيِّ الّتي تُنشَرُ في أنحاءِ العالم، ويَحتفِي بها احتفاءً، ويَسعى للحُصولِ عليها، واقتنائها ما أَمكَنَ، فالكتابُ التُّراثيُّ حبيبٌ إليه أيُّ حبيبٍ، وبدا لك أيضًا حافِظًا لأشياءَ منَ كُنوزِ التُّراثِ: من أشعارٍ وأنثارٍ: أمثالٍ وحِكَمٍ ونَوادرَ وأخبارٍ.

• ثمّ إلى هذا وذاك تجدُ في لُغةِ الدكتورِ محمّد قاسم منَ الفخامةِ والجزالةِ والإحكام ما لا يَخفَى على السّامِعِ والقارِئ؛ حتّى كأنّها أَثارةٌ من أجيالٍ مَضَتْ وأَزمانٍ تَولَّتْ؛ ويخالُطها أحيانًا شيءٌ أثيرٌ من ماءِ الأَدبِ ورِوائه، ولا سيّما في العَتَبات الّتي يُصدِّر بها الكُتُبَ المحقَّقةَ أو بعضَ الكتُبِ المؤلَّفةِ.

وهذا مِثالٌ يَسيرٌ وَرَدَ في إهداء كتابِ (غُرَر الخصائص) الّذي أهداهُ الدّكتور محمّد إلى أخيه المهندس الهُمام أبي عبد الملك بلال:

«إلى الجبلِ الأشمِّ الباذخِ الّذي يَأْوِي إليه مُعتصمًا به الفُقراءُ والضُّعفاءُ والمنكَسِرةُ قُلُوبُهم وعِيالُ الله. إلى أبرِّ مَنْ عَرَفْتُ مِنَ الرّجالِ وأَحناهُم وأَسخاهُم، يَقطِفُ الموتَ بيدٍ، ويَزرَعُ بالأُخرى رَحيقَ الوِلادَةِ والحُبِّ. إلى الجبّارِ الهادِرِ مَلاذِ اليتامى عِصْمةِ الأرامِلِ، تَسكُنُ إليهِ الطّيرُ، ويَتهلَّلُ له النّجمُ

في السّماءِ غِبْطةً بسِحْرِهِ ووَرَعِهِ. إليك يا عشيرَ الرّوحِ وشَريكَ النّفس...إلخ».

وممّا وَقَعَ في تقديمِهِ للكتابِ يَتحدَّثُ عنِ الزَّمانِ الّذي حَقّقَهُ فيه: «في زمانٍ أتَتِ الحربُ الغَشُومُ الضَّارِيَةُ على قِيَمِهِ، واغتالَتْ خَلقًا من أهلِهِ، وبَعثَرَتْ نُفوسَ مَنْ بَقِيَ حيًّا منهم، وأَنَّى لأولئكَ المبعثَرِينَ أن تَرتَدَّ إلَيهم عُقولُهُمُ الّتي هي أداةُ العلم ووِعاؤُهُ، وقُلُوبُهُمُ الّتي تَضُخُّ ماءَ الحياةِ فيهم؟. كان ما كان على وِفاق ما جرى به القَلَمُ، وجَفَّتْ به الصُّحُفُ، والمغبونُ من بَقِيَ بعد طاعونِ الحرب، والسّعيدُ مَنِ ارتَدَّ إليهِ صَوابُهُ، وتَحرَّكَ قَلمُهُ، فراح يَزرَعُ الأَرضَ المواتَ وأَمَلٌ يُورِقُ فوقَ أصابِعِهِ أنَّ الآتيَ أجملُ».

أيّها السّادةُ والسّيّدات:

لا شكَّ أنَّ كلَّ ما كانَ دالٌّ على أنّ الدّكتور محمّد قاسم من أهلِ الأَدبِ والتُّراثِ واللُّغة والعِلْمِ، وأنّهُ على عَلاقةِ حُبٍّ وطيدةٍ بذلك، وكلُّ ذلك ممّا يَحسُنُ فيمن يَكونُ في هذا المجمع؛ فأهلًا به فينا، زميلًا بيننا، وواحدًا منّا، ومرحبًا به في بيتٍ آخرَ أحببناهُ لهُ، ونُحبُّ أن يَجدَ فيه ما يُحبُّهُ ويَتطلَّعُ إليهِ، ولنا أَمَلٌ كبيرٌ في أن يَرفِدَ المجمعَ بما ينبغي، وأن يُعينَنا فيما نحتاجُ إليه لأداءِ رسالةِ هذا المجمع على الوَجْهِ المروم. ووَفّقَ اللهُ الجميعَ لما فيه خِدْمةُ لُغتِنا العربيّةِ. والحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ أوَّلًا وآخرًا. وشكرًا لكم.

الدكتور عبد النّاصر إسماعيل عسّاف

كلمة الدكتور محمد قاسم في حفل استقباله

الدكتور عبد ٱلإلٰه أحمد نبهان

شيخ العربيَّة وفارس مَيْدانها

(١٩٤٥ - ٢٠٢٠م)

يا فارسَ اللُّغةِ العرباءِ قد خضعتْ ... لك المتونُ ولان المُعْجَمُ العَسِرُ

أَحْيَيْتَ في الحرفِ روضًا يانعًا عَبِقًا ... كَأَنَّكَ الهاطِلُ الهَتَّانُ يَمْتَطِرُ

وكنتَ للضَّادِ نبراسًا نلوذُ بِهِ ... أَيَّانَ تستغلقُ الأبوابُ والسُّوَرُ

أَفْنَيْتَ دهرَك في مِحْرَابِها عَلَمًا ... يُحاربُ العُجْمَةَ الشَّوْها ويَنْتَصِرُ

لفتنةِ الضَّادِ في زاهي بلاغتِها ... وخالدِ الشِّعْرِ في أبياتِهِ العِبَرُ

شَيْخَ النُّحَاةِ وهل في النَّحْوِ غامضةٌ ... إِلَّا جَلَوْتَ؟ وضاءَ العاتِمُ العَكِرُ

وكان عِلْمُك مبذولًا لطالبِهِ ... فَيْضٌ غزيرٌ وحِلْمٌ باسمٌ عَطِرُ

«مظهر الحجّي في رثاءِ الدكتور عبد ٱلإلٰه نبهان»

الدكتور عبد الإله نَشْأَتُهُ وحَيَاتُهُ:

في أُمِّ الحجارةِ السُّودِ حِمْصَ المكلوءةِ بماءِ العاصي الطَّهورِ وُلِدَ عبدُ ٱلإلٰه في الثَّالثِ من آبَ سنةَ ١٩٤٥م، وما إِنْ أتقنَ القراءةَ حتَّىٰ كَلَّفَهُ والدُه مهمَّةَ القراءةِ لجدِّه الكفيفِ الشَّيخِ طاهر نبهان، فكان مِمَّا قرأَ طبقاتُ فحول

الشُّعراء لابن سلَّام، ومباهجُ الفلسفة الَّذي اختزنه عقلُه الباطنُ وإِنْ لـم يكـنْ وعى مقاصدَه إِبَّـانَ قراءتِـهِ. وغيـرَ شـكٍّ أَنَّ دَفْعَـهُ إِلـىٰ هٰـذه المجـالِسِ الَّتـي يتصـدَّرُها جـدُّه العـالِمُ يتحلَّـقُ حولَـهُ مريـدوهُ مِـنْ طلبـة العِلْمَـيْنِ الشَّـرْعيِّ والكَوْنيِّ، كان مُنْعَطَفًا خطيرًا فـي حيـاةِ هٰـذا الفتـىٰ وتوجُّهِـهِ نحـوَ محاريـبِ العربيَّةِ وأسفارِها العِتَـاقِ الأُوَلِ، إِذِ انفتحـتْ أمامـه أبـوابٌ واسـعةٌ مِـن لقـاءِ الرِّجال، والإِصغاءِ إِلىٰ جدِّه الطَّاهِرِ الذي كان عالمًا مستنيرًا متبحِّرًا في علومِ القرآنِ والعربيَّةِ مواكبًا لنهضـةِ عصـرِهِ، وكـان الشَّـيخُ طـاهر مقتنيًـا لأُمَّهـات الكتب الَّتي طُبعت في عصره، والَّتي آلت إِلىٰ حفيده مِن بعدُ. ومِمَّـا زاد فـي ثقافِ الفتى وصَقْلِهِ أَنَّهُ كلَّما لَحَنَ في القراءةِ سدَّد له جدُّه ما حـاد فيـه لسـانُهُ عنِ الصَّوَابِ، وما يزال يطيرُ ويقـعُ حتَّـىٰ اسـتقامَ لسـانُهُ، وانقـادتْ لـه اللُّغـةُ تُطاوعُهُ أَنَّىٰ أدارها حتَّىٰ غَدَتْ سليقةً تَعْصِمُ صاحبها، وصحَّ فيه قـولُ إِبـراهيمَ بْـنِ سِيَاهَ الأَصبهانيِّ في أبي مُسْلم محمَّدِ بْنِ بَحْرٍ الأصفهانيِّ:

لســانُ مُحَمَّــدٍ أمضــى غِــرارًا وأَذْرَبُ مِنْ شبا السَّـيْفِ الحُسَـامِ
إِذا ارتجـل الخِطَـابَ بـدا خليـجٌ بفيــه يَمُــدُّهُ بَحْــرُ الكَــلَامِ
كــلامٌ بــل مُــدَامٌ بــل نظــامٌ مِـنَ اليـاقوتِ بـل قَطْـرُ الغَمَـامِ

ولمَّا قطف عبد ٱلإِلٰه أُوْلىٰ ثمارِ سَعْيِهِ العلْميِّ أهدىٰ هٰذه الثَّمَـرَةَ اليانعـةَ الشَّهيَّةَ المُجْتَنَىٰ إِلىٰ جدِّه طاهر الَّذي غرس فيه حبَّ هٰذا اللِّسان وأَذْكَاهُ، وأنَّ العَمَلَ فيه وكَشْفَ أسرارِ الجمالِ فيه وَجْهٌ من وجوهِ الانتماءِ إِلىٰ هٰذه الأُمَّـةِ؛ قال في إِهداء كتابه «ابن يعيش النَّحويّ»:

«إِلىٰ روح جدِّي:
الشَّيخِ طاهر أحمد نبهان

الرَّجلِ الَّذي طلب العِلْمَ مِنَ المَهْدِ إلىٰ اللَّحْدِ
وعاش حياتَهُ كلَّها
يُدْرِكُ الدُّنيا ولا يراها
نافذَ البصيرةِ حديدَ الفهم
قارئًا حافظًا مُقْرِئًا
متعلِّمًا عالمًا مُعَلِّمًا

يا ساهرَ الطَّرْفِ في كُتبٍ يُقَلِّبُها ... ماذا رَأَيْتَ مِنَ الآراءِ والحِكَمِ
خَفِّضْ عليكَ فما أَلْفَيْتُ مِن رَشَدٍ ... إلَّا التَّناقُضَ في مَعْنًى وفي كَلِمِ
خيرٌ مِنَ الكُتْبِ عَقْلٌ قَدْ أُتِيْحَ لَهُ ... فَهْمٌ يُضِيْءُ سَنَاهُ حُلْكَةَ الظُّلَمِ

فإلىٰ رُوْحِهِ الطَّاهرة
أُهدي هٰذا البحثَ
الَّذي هو ثَمَرَةٌ مِن غَرْسِهِ» اهـ

حتَّىٰ إذا ما انتهتْ إليه مكتبةُ جدِّه دَأَبَ علىٰ رَفْدِها وإغنائِها بكلِّ جديد في حقولِ العربيَّةِ كلِّها، وما زال حبُّها ينمي ويزيدُ حتَّىٰ ضاعَ بيتُ أَهْلِهِ فيها، إذ نَهَبَتْ منه أَحْيَازًا جعلتْهُ يضيقُ عليهم، حتَّىٰ إذا ما أُعِيْرَ الدكتورُ عبدُ الإلٰه إلىٰ جامعة الإمارات، وجرىٰ بين يَدَيْهِ شيءٌ مِنَ المال، اشترى بيتًا اتَّخذه مكتبةً، وابتلعت غُرَفُهُ الخمسُ خزائنَ كتبِهِ، حتَّىٰ ألحق بها غرفةً سادسةً في حديقةِ المنزل تحملُ عن أخواتها ما آدَهُنَّ حَمْلُهُ.

وكان - رحمه الله - فِهْرِسًا حيًّا لِمَا يُنْشَرُ مِن مصادرِ التُّراث العربيِّ في العالمين، يتتبَّعُ مساقطَ الكتب، ولا ينيي يطلبُها ويبذلُ لها، وقد قال أستاذُنا الجليلُ الدكتور مازن المبارك - نسأَ اللهُ في أجله، وملَّانا بِهِ -: «لقد سعدتُ

بلقائِهِ وصحبتِهِ زميلًا في مجمع اللُّغة العربيَّة بدمشق، وأفدتُ منه لأنَّني مُذْ عرفتُهُ طالبًا في الجامعةِ كنتُ أَعتمدُ عليه في أَخبارِ الكتبِ وطباعتِها، فأنا بعيدٌ عنِ الأسواق والمكتبات، فكنتُ أتَّخذُهُ المصدرَ الموثوقَ في معرفةِ آخرِ طبعاتِ الكتبِ ودورِ النَّشْرِ وأسماءِ المحقِّقين ... إِنَّهُ كان فِهْرِسًا حيًّا لقوائم المنشوراتِ منَ الكتبِ في أكثرِ المكتباتِ العربيَّةِ داخلَ القطرِ وخارجَهُ».

حتَّىٰ إِذا استحكم حُبُّ العربيَّة بين جوانحه، يشفعُهُ زادٌ لَقِفَهُ عن جدِّه، وذكاءٌ وقَّادٌ، وذاكرةٌ حافظة واعية، وإِحساسٌ مرهف بسحر اللُّغة، وفتنةٌ بنظامها الخَلَّاق = طَمِحَتْ نفسه إِلىٰ الانتساب إِلىٰ قسم اللُّغة العربيَّة وآدابِها في جامعة دمشق، وفيه جالسَ أعيان العربيَّة، وقيَّد عنهم إِلىٰ أَنْ تخرَّج فيه بتقدير جيِّد سنة ثمانٍ وستّين وتسعِمئةٍ وألف، ثمَّ حازَ دبلومَ التَّربية سنة ١٩٦٩م، فدبلومَ الدِّراسات اللُّغويَّة العليا، وكلاهما بتقدير جيِّد، من جامعة دمشق، ثمَّ أَتبع ذلك بدرجة التَّبريز «الماجستير» بتقدير امتياز سنة ١٩٨٠م، فالدكتوراه بمرتبة الشَّرف سنة ١٩٩٠م، وكانت جامعةُ دمشقَ حاضنةَ ذلك التَّحصيل.

بدأ الأستاذ عبد ٱلإِلٰه حياتَه المهنيَّة مدرِّسًا للُّغة العربيَّة في مديريَّة التَّربية بالرَّقَّة، وعُيِّنَ حين باشر العمل مديرًا لإِعداديَّة «مريبط» الرَّسميَّة، ثمَّ تولَّى تدريس العربيَّة في ثانويَّات حمص ومعهد المعلِّمات فيها من ١٩٧٠ - ١٩٨٠م.

وكان إِحداثُ كلِّيَّة الآداب في جامعة البعث بحمصَ منعطفًا مُهِمًّا في مَسَارِ الشَّابِّ الماضي العزيمة، إِذ كان هو ورصيفُهُ غازي طليمات قد حصلا علىٰ درجة الماجستير، ووقع علىٰ عاتقِهما وعاتقِ عميدِ الكلية الدكتور أحمد دهمان مهمَّةُ التَّأسيس، فوضعوا المقرَّراتِ ومصادرَها، واستعانوا بمناهج جامعتَيْ دمشقَ وحلبَ، واستقدموا أعضاءَ الهيئة التَّدريسيَّة فيهما

ليتولَّوا تدريسَ الموادّ الَّتي لا يُعينُهم تخصُّصُهم علىٰ تدريسها.

حتَّىٰ إذا ما اطمأنَّت لَبِنَاتُ هٰذا الصَّرْحِ كُلِّفَ الأستاذُ عبدُ ٱلإِلٰه تأسيسَ مكتبة الكلِّيَّة، وهو الطَّبِنُ البصيرُ بعالم الكتب، وكان يُزَوِّدُها بالشِّراءِ المباشرِ مِن معارض الكتاب، وأَغناها بالاستهداءِ مِن ورثة الأدباء كمكتبة الأُستاذِ عبدِ المعين الملّوحي، ومكتبة الصَّيدلانيّ أحمد شربك، ولا زال دائبًا علىٰ ذلك حتَّىٰ جعلها واحدةً مِن كُبرياتِ المكتبات.

وما إن ناقش الدّكتور عبد ٱلإِلٰه أطروحته «ابن يعيش النَّحْويّ ٥٥٣ - ٦٤٣هـ» حتَّىٰ عُيِّنَ مُدَرِّسًا في قسم اللُّغة العربيَّة وآدابِها بجامعة البعث سنة ١٩٩١م، فأُستاذًا مُساعدًا سنة ١٩٩٦م، فأُستاذًا سنة ٢٠٠١م.

تولَّىٰ الدكتور عبد ٱلإِلٰه منصب وكيل كلِّيَّة الآداب للشُّؤون العلميَّة في جامعة البعث من سنة ١٩٩١م إلىٰ سنة ١٩٩٦م.

وعمل مدرِّسًا زائرًا في جامعة قطر ٢٢/ ٢/ ١٩٩٦م-٢٢/ ٥/ ١٩٩٦م.

وأُوفد إلىٰ مصر في مهمَّة بحث علميّ ٢٧/ ٦/ ٢٠٠٧م-٢٧/ ١٠/ ٢٠٠٧م.

وأُعير إلىٰ جامعة الإمارات العربيَّة المتَّحدة في العين من ١/ ٩/ ١٩٩٨م إلىٰ ٣١/ ٨/ ٢٠٠٢م.

وانتُخب الدكتور عبد ٱلإِلٰه نبهان عضوًا عاملًا في مجمع اللُّغة العربيَّة بدمشق في ١٧ أيلول ٢٠٠٨م خَلَفًا للشَّيخِ طاهر الجزائريّ، وصدر مرسومُ تعيينِهِ في ٣٠ تِشرين الأَوَّل ٢٠٠٨م، وأُقيم حفلُ استقبالِهِ في ١٣ أيَّار ٢٠٠٩م.

ولم يزل محترقًا بالعربيَّة يتبتَّل في محاريبِها، ويُريح في جَنَبَاتِها عالمًا ومُعَلِّمًا حتَّىٰ وافاه اليقينُ في ٢٦ تِشرين الأَوَّل ٢٠٢٠م، رحمه الله رحمةً واسعةً، ولقَّاهُ نَضْرَةً وحريرًا.

الدكتور عبد الإله المُوَطَّأُ الأَكناف:

جُبِلَ الدكتور عبد ٱلإِلٰه مِنَ الدَّماثة واللُّطف، ترىٰ فيه سيماء النَّباهة، وسماحةَ الظَّرْفِ، وحضورَ البديهةِ، ويقظةَ الوجدان، يأنسُ به جليسُه، ولا يخيب راجيه، يتهلَّلُ والفرح يفيض من أساريره، يتأتَّىٰ لمحنة اللَّفظِ، ويمسك بأهداب الرُّوح، يعينُه علىٰ ذلك ذكاءٌ حادٌّ، وجِبلَّةٌ رُكِزَ فيها حبُّ النَّاسِ والإِحسانُ إِليهم، همُّه العربيَّة وعلومُها الرَّحبةُ المترامية الأطراف نحوُها وصرفُها وفقهُها وبلاغتُها وأشعارُها الحِسَانُ، والذَّوْدُ عن حياضِها والرَّمْيُ مِن ورائها، يسعىٰ لكلِّ أولئك سعيَه فيما كتبه من بحوث، وما قرَّبَه مِن نصوصها محقَّقًا، وما أدناه مِن كنوزها المخبوءة مُفَهْرَسًا كَأَنَّهُ الشَّمْسُ إِنارةً من أدنىٰ تأمُّل، وما دَبَّجَهُ مِن محاضرات وندوات.

وما مِن صديقٍ له أَوْ أُستاذ أَوْ طالب تلقَّف من علمه إِلَّا أثنى الثَّناءَ الجَمَّ علىٰ حسن معشرِهِ وطيبِ مَلْقاه، وكَأَنَّهُ مِنَ الَّذينَ وصفهمُ الرَّسولُ العربيُّ الكريمُ عليه الصَّلاة والسَّلام بقوله: «الموطَّؤُون أكنافًا، الَّذين يَأْلفون ويُؤْلفون».

انماز الدكتور عبد ٱلإِلٰه بجملةٍ مِنَ السَّجايا جَعَلَتْ عِلْمَهُ الواسعَ بالعربيَّةِ وعلومِها وتراثِها وأسفارِها مَبْذُوْلًا ينهلُ منه النَّاهلون بلا عَنَتٍ.

أَوَّلُها تواضعُهُ الجَمُّ، إِذ لم يشعرْ أحدٌ مِن رُصَفَائِهِ - وهو ما هو عِلْمًا وعِتْقًا - أَنَّهُ مُمَيَّزٌ منهم، وغيرُ قليلٍ مِن هؤلاءِ مِن طبقةِ طُلَّابِهِ، فقد كان - رَحِمَهُ الله - أَشَدَّ النَّاسِ التزامًا بواجباتِهِ ومحاضراتِه، يمضي إِليها بنَفْسٍ سمحةٍ شَغَفَها حُبُّ العربيَّةِ، وهِمَّةٍ حَذَّاءَ ماضيةٍ لا يَنَالُ منها كَلَالٌ أَوْ فُتُوْرٌ.

ثانيها الحُبُّ الَّذي يفيضُ مِن بينِ جوانحِهِ لزُملائِهِ وطُلَّابِهِ، فقد كان مكتبه مَحَجًّا عامرًا بأَهْلِ العِلْمِ يَزْدَحِمُ فيه طَلَبَةُ العربيَّة وملتمسو الرَّأْيِ الَّذين كانوا

يَرَوْنَ مَشُوْرَتَهُ نَصًّا. وأَنْتَ تَرَىٰ حِلْمَهُ أَسْمَىٰ ما يكونُ في مناقشةِ الرَّسائِلِ الجامعيَّةِ، لا يشقىٰ سامعُهُ بما يَقُوْلُ، رحيبَ الصَّدْرِ متَّزنًا لا يَتَدَافَعُ علىٰ الطَّالبِ بشَيْءٍ مِن صَلَفٍ أَوْ تَعَالٍ، وَقَارُ العالِمِ حِلْيَتُهُ وقَدْ آمَنَ أَنَّ هٰذا الجِيْلَ سيحملُ الرَّايةَ مِنْ بَعْدُ، فلا بُدَّ مِنَ الحَدَبِ عليه وتوجيهِهِ والأَخْذِ به برِفْقٍ وأَنَاةٍ إِلىٰ محاريبِ العربيَّةِ وإِيقافِه علىٰ مكامِنِ السِّحْرِ فيها وتدريبِهِ علىٰ آلاتِ كشفِهِ وتوظيفِهِ لدَرْكِ الحَدَاثَةِ المُتَسارِعَةِ وانفجارِ العُلُوْمِ المتلاحق.

وثالثها أَنَّهُ صاحبُ حِسٍّ فُكَاهِيٍّ حِمْصِيٍّ ذكيٍّ لا يُدْرِكُهُ إِلَّا مَنْ خَالَطَهُ وعَرَفَهُ عن قُرْبٍ، يُعينُهُ علىٰ ذلك لغةٌ مِطْوَاعةٌ منقادةٌ له يتصرَّفُ بها أَنَّىٰ شاءَ.

ورابعُها قداسةُ العلم، وأَنَّهُ لا يُحابي فيه ولا يُجَامِلُ، وأَنَّهُ أَحَبُّ إِليه مِن كلِّ حبيب، لا يُدَاهِنُ ولا يَزْدَلِفُ علىٰ حساب نور العلم ويقينه وجلالِهِ.

الدكتور عبد الإله والذَّاكرة الحَيَّةُ الوقَّادة:

يُجمع مَن عَرَفَ الدكتور نبهان أساتيذَ وطلبةً علىٰ أَنَّ اللهَ حباهُ ذاكرة وقَّادة يستدعي ما يريد منها في الوقت، لا يَتَأَبَّىٰ شَيْءٌ مِن مخزونها الثَّرِّ عليه، حتَّىٰ إِذا ما صحَّتْ حاجتُه إِليه، وانقدح المقامُ يطلبُهُ جاءَهُ يختالُ مُلَبِّيًا دَاعِيَهُ، وعاضِدًا حُجَّتَهُ.

وأسوقُ علىٰ ذٰلك مثالَيْنِ ذكرهما الأُستاذ نور الدِّين الهاشميُّ، وهو مِنْ خاصَّةِ أصحابِ الدكتور عبدِ ٱلإِلٰه:

الأوَّل: أنَّ الأستاذ نور الدِّين اختلف مع نفرٍ من أصحابه في إِحدىٰ الجلسات الَّتي غاب عنها الدكتور عبد ٱلإِلٰه لعارضٍ حالَ دون انضمامِهِ إِليهم في مقهىٰ الأندلس في شارع عبد الحميد الدروبي يوم الأربعاء علىٰ ما جرتْ عليه عادتُهم = حول قائل هٰذا البيت:

أســألُ اللهَ ســكرةً قَبْــلَ مــوتي وصِـيَاحَ الصِّـبْيَانِ: يـا سَـكْرَانُ!

فأجمع أكثرُهم علىٰ أَنَّهُ أبو نُواس، والأستاذ الهاشميّ يدفع ذلك عنه، ولا يَحْضُرُهُ ٱسْمُ قائله حتَّىٰ احتكموا إِلىٰ الدكتور عبدِ ٱلإِلٰه في اتِّصال هاتفيّ في ساعةٍ متأخِّرةٍ مِنَ اللَّيل، فأَجَابَ بيقين الواثق مِمَّا في صدره: إِبـراهيمُ بْـنُ هَرْمَةَ القُرَشِيُّ. لقد كان - رحمه الله - مكتبةً حيَّةً نابضةً تسكنُ في حناياه أسفار العربيَّة.

الثَّاني: أنَّ الأستاذ استعار مِنَ الدكتور عبدِ ٱلإِلٰه كتابًا نادرًا اسمُهُ «الحمار الذَّهبيّ» لكاتبٍ رومانيٍّ اسمُهُ لوكيوس أبوليوس يراه بعضُهم أَوَّلَ روايةٍ في التَّاريخ، ثمَّ أُعير أبو مصعب إِلىٰ جامعة الإِمارات بضع سنين، ثمَّ عاد إِلىٰ جامعة البعث، ثمَّ اجتاحتِ البلادَ حربٌ غَشُوْمٌ، فسافر الأستاذ نور الدِّين إِلىٰ عُمان، وبقي فيها ستَّ سنوات، ثمَّ اجتمعا في حمص في صيف سنة ٢٠١٨م، وقدِ اجتمع شَمْلُ مَنْ تبقَّى مِنَ الصَّحْبِ القديم، فإِذا بالدكتور عبدِ ٱلإِلٰه يقول للأستاذ نور الدِّين: أين الحمار الذَّهبيّ، الَّذي ذهب عن ذهنه بعد هٰذه السَّنوات القواشِرِ الطِّوال، لٰكنْ لم يذهبْ عنه أَنَّهُ أمام ذاكرةٍ فُولاذيَّة لا يفوتها شيء، فما زال الأستاذ نور الدِّين يبحث عنه حتَّىٰ أصابه، وأرجعه إِلىٰ صاحبه معتذرًا، ثمَّ لم يلبث الدكتور أَنْ أعاره لصديقٍ آخرَ شَهِدَ استرجاع الكتاب.

الدكتور عبد الإِله والأَخلاق العلْميَّة النَّادرة المثال:

مِنَ المواقف النَّبيلة الَّتي تشهد للدكتور نبهان بالفضل المتناهي والسُّمُوِّ المتعالي أَنِّي كنت في بيت أستاذي الدكتور محمَّد أحمد الدَّالي - رحمه اللهُ رحمةً واسعةً - في صيف عام ٢٠٠٠م أيَّام كنتُ طالبًا في الماجستير،

وجرى اتِّصال هاتفيّ بينهما يتذاكران ما يقومان عليه من تحقيق النّصوص، فقال الدكتور عبد ٱلإلٰه: أعمل في تحقيق تفسير غريب ما في كتاب سيبويه مِنَ الأَبنية لأَبي حاتمٍ السِّجِسْتَانيِّ، فقال أستاذي الدكتور الدَّالي وقدِ اعتراه قَبَسٌ مِنِ انفعال: يا أبا مصعب، أَكَادُ أَفْرُغُ مِنْ تحقيقه! فلم يتردَّد أبو مصعب في قوله: أقف عَنِ المُضيِّ فيه إِذَنْ، وأدفعُ إليكَ ما ليس عندَك مِن أُصُوْلِهِ الخطِّيَّةِ الَّتي بَيْنَ يَدَيَّ!

كان رحمه الله يعرفُ أقدارَ الرِّجال، ويُنَزِّلُهم منازلَهم، وهٰذا فَنٌّ قلَّ مُحسنوه في زمنٍ غالتِ الأَدْوَاءُ المختلفةُ الضُّروبِ مِنَ الحَسَدِ والغرورِ والأَثَرَةِ والنَّرجسيَّةِ وعداوةِ أَهْلِ الصَّنْعَةِ الواحدةِ نُفُوْسَ كثيرٍ مِمَّنْ يعتزي إلىٰ الاشتغال بالعلم، وقد ذاكرتُ أبا مصعبٍ بهٰذا الموقف الَّذي سحرني في لقاءٍ جمعني به في دار البشائر بدمشق، فقال معلِّقًا: ما كنتُ لأُقْدِمَ علىٰ عَمَلٍ وَضَعَ أَبو أَحمد الدَّالي قَلَمَهُ فيه، فهٰذا فَنُّهُ الَّذي لا يُجَارىٰ فيه، وأنت تراهُ يزدحمُ علىٰ مصنِّف الكتاب الَّذي يتولَّىٰ تحقيقه، فيشاركُهُ مادَّتَه نَقْدًا وتحقيقًا واستدراكًا وتعليقًا مختلفَ الألوانِ، أَوْ قالَ كلامًا هٰذا معناه. للهِ درُّك يا أبا مصعب ما أذكى جَنَانَكَ، ورَحِمَ اللهُ مَنْ قال: الفَضْلُ يَعْرِفُهُ ذووه.

ومِنَ الأخلاق العلميَّة الحميدة الَّتي كان عليها الدكتور عبد ٱلإلٰه التَّلَطُّفُ في نَقْدِ مَنْ نَقَدَهُ مِنَ المحقِّقين الَّذين جاءت أعمالُهم دون المأمول ودون ما يليقُ بهٰذا التُّراثِ الضَّخْمِ الَّذي ضَنِيَ في إِشادة صرحِهِ آباؤنا.

وكان نَقْدُ الكتب المحقَّقة أَحَدَ ضروبِ المقالات الَّتي تولَّىٰ الدكتور نبهان تحبيرَها، فقد حرَّر عَشْرَ مقالاتٍ فيه نَشَرَها في مجلَّات المجامع المعنيَّة، منها «نظرات في كتاب تفسير أبيات المعاني مِن شعر أبي الطَّيِّب

لأبي المُرْشِدِ سليمانَ بْنِ عليٍّ المعرِّيِّ المتوفَّىٰ بعد سنة ٤٩٢هـ» وقد صدر الكتاب بتحقيق مجاهد محمَّد محمود الصَّوَّاف ومحسن غياض العجيل، مركز البحث العلْميّ وإحياء التُّراث في جامعة الملك عبد العزيز، ١٩٧٩م.

قال الدكتور نبهان فيه: «وقد بذل المحقِّقان الفاضلان جهدَهما في تحقيق هٰذا الكتاب وتحريرِ نصِّه، ووضعا - فيما يبدو - خُطَّةً مُحْكَمَةً من حيثُ الاقتصادُ في التَّعليقات والإحالاتِ لإخراج الكتاب في مدَّةٍ محدودةٍ، ومعهما الحقُّ كلُّ الحقِّ في ذلك، لأَنَّهُ لا معنىٰ لحجز الكتاب وتأخيرِ نَشْرِهِ مِنْ أجل تقويم موضعٍ غامضٍ، أَوْ مِنْ أجل العثور علىٰ قائل بيت مِن أبيات الشَّواهد قد يَحْتَاجُ البحثُ عنه أسابيعَ وأحيانًا شُهُورًا. فلْيُنْجَزِ الكتابُ، ولْيُنْشَرْ، ثمَّ يتابِعُ القُرَّاءُ قَضَايَاهُ، وكُلٌّ يُتَمِّمُ نقصًا، ويستدرك استدراكًا، ثمَّ تُجمَعُ هٰذه الاستدراكات، ويُنتفعُ بها في الطَّبعات التَّالية للكتاب» اهـ مجلَّة معهد المخطوطات. مج ٣٩، ج٢، ص ٧٥١.

هٰذا كلامُ عالمٍ بصيرٍ جَمِّ التَّواضُعِ نبيلِ المقاصد يَعِفُّ عَنِ اغتيال جهودِ الرِّجالِ ولو زَلَّتْ أقدامُهم في مواضع، ويعتذرُ لهما أَلْطَفَ اعتذارٍ؛ إذ بَذَلَ الرَّجلان وسعَهما وما قَوِيَ عليه نَظَرُهما، ثمَّ تأتي العينُ الفاحصةُ مِنَ القُرَّاء الَّذين يرأبون الصَّدْعَ، ويُتَمِّمُوْنَ النَّقْصَ، ويدفعون العمل برِفْقٍ إلىٰ الكمال، قيامًا منهم بحقِّ العلم لا يُحَرِّكُهم في ذلك شَيْءٌ مِن حظوظ النَّفْسِ مِن شهوةِ المغالبة والصِّيال والتَّعالمِ.

إنَّ كلام الدكتور عبد ٱلإلٰه رصين هادئ مُنْبِئٌ عن سَمْتٍ علْميّ تتضافر فيه جهودُ المحقِّق ونظراتُ نَقَدَةِ نَصِّه، ما أحوجنا إلَىٰ هٰذا النَّهْجِ اللَّاحب المستتبِّ في زمنٍ كَثُرَ فيه أدعياءُ زعانفُ لا يعملون، ولا يحبُّون أَنْ يعمل

الآخرون، حتَّىٰ إذا أخرج المرءُ كتابًا كدَّه تحقيقُه وضبطُه وتَعَقُّبُ مخارجِ نصوصِه قد سقاهُ ماءَ عينه = جاء واحد من هؤلاء وهو مجمومُ النَّشاط متوفِّزُ الخاطر يترصَّد ما فَرَطَ مِنَ الأوَّل، ثمَّ يَنْضَحُه بسهامه طاعنًا في وضح النَّهار وفي غلس الظَّلام، صاننا اللهُ مِن هٰذه الفئة الَّتي يَلَذُّ لها هَدْمُ ما بناه النَّاسُ، وتستطيبُ نَبْشَ أكفان الموتىٰ!

ولا يجدُ الدكتور نبهان غضاضةً في الرَّدِّ علىٰ الأئمَّةِ إِمَّا جاروا عَنِ القصد، وتنكَّبوا عَنِ الجادَّة. من ذلك ردُّه علىٰ ابن قتيبة الدِّينوريِّ وقد نفىٰ العيب عَنِ المحدِّث إِنْ لحن؛ قال:

«ومِن أغرب ما وقعتُ عليه وأَعْجَبِهِ أَنِّي وجدتُ ابن قُتيبة يلتمس العُذْرَ لِمَنْ يَلْحَنُ في الحديث حتَّىٰ ولو كان محدِّثًا، ويُسَوِّغُ له ذلك؛ يقول: «وليس علىٰ المحدِّث عيبٌ أَنْ يَزِلَّ في الإعراب، ولا علىٰ الفقيهِ أَنْ يَزِلَّ في الشِّعر، وإِنَّما يجب علىٰ كلِّ ذي علمٍ أَنْ يتقنَ فَنَّهُ إِذا احتاجَ النَّاسُ إليه فيه، وانعقدتْ له الرِّئاسةُ بِهِ».

وكَأَنِّي بابن قُتيبة قد غاب عنه أَنَّ النَّحْوَ علمٌ مِن علوم الآلة لا يمكن أَنْ يُستغنىٰ عنه بحالٍ، مع أَنَّهُ لا يُرَادُ لذاتِهِ، ولا يُسَمَّىٰ المحدِّث محدِّثًا إِذا كان يلحن، قال ابنُ الجوزيِّ: «ومِنَ العلومِ الَّتي تلزمُ صاحبَ الحديثِ معرفتُهُ للإعراب لئلَّا يلحنَ، وليُوْرِدَ الحديثَ علىٰ الصِّحَّة».

وقال شُعبة: «مَثَلُ الَّذي يتعلَّم الحديث ولا يتعلَّم النَّحْوَ مَثَلُ البُرْنُسِ لا رأسَ له». فهل نستطيع أَنْ نُسَمِّيَ مَنْ يلحنُ في حديثه عَنِ الرَّسول محدِّثًا؟ وقد كان العلماءُ ينكرون اللَّحْنَ في الحديثِ الشَّريفِ أشدَّ الإنكارِ. وقصَّة حمَّاد بن سلمة مع سيبويه مشهورة متداولة، كما أنَّ ابن فارسٍ كان مستاءً

أشدَّ الاستياء مِن لحن الفقهاءِ والمُحدِّثينَ، والقاضي التّنوخيّ في نشوار المحاضرة قد تَنَدَّرَ بأحد المحدِّثين لأنَّه كان يلحن في حديثه العاديِّ مع جاريته، فكيف به لو أَنَّهُ لحن في روايته لحديث أفصح العرب لسانًا وأقومِهم بيانًا» اهـ مقدّمة تحقيق إعراب الحديث النَّبويّ ٢٦ - ٢٧.

ردَّ الدكتور عبد ٱلإلٰه كلام ابن قُتيبة رَدًّا فيه من حُسْنِ التَّأَنِّي، وهدوء العبارة، وقوَّة الاحتجاج، وتنوُّع الاستشهاد (قول ابن الجَوْزيّ وشُعبة مِنَ الآداب الشَّرعيَّة ٢/ ١٣٧، وخبر سيبويه مِنَ البُلْغَة للفيروز آبادي ١٧٤، واستياء ابن فارسٍ مِنَ الصَّاحبيّ ٣٢، والتَّنَدُّر ببعض المحدِّثين الَّذي لَحَنَ مِن نشوار المحاضرة ٢/ ٣٤٤)، كُلُّ أولئك مُنْبِئٌ بعلم الدكتور وسعة اطِّلاعه ورسوخ كعبه.

ومن أخلاق الدكتور نبهان إِنْصَافُهُ ونصُّه علىٰ ما للنَّاس مِن فضل، قال في مقدمة تحقيق ديوان الحلَّاج ٧: «ووجدت أَنَّ الدكتور كامل مصطفى الشَّيبيّ قد أوفىٰ في تحقيقه لديوان الحلَّاج علىٰ الغاية، وقدَّم عملًا رائعًا في تحقيقه وتعليقه. وكان عملي مقارنةُ النَّصِّ الَّذي يرد في طبعة الشَّيبي بمقابله في طبعة ماسينيون وضَبْطُهُ، ولمَّا لم يكن في نيَّتنا ولا همِّنا الإكثار مِنَ التَّعليق، اجتزأتُ مِن تعليقات الدكتور الشَّيبيّ بما يخدمُ النَّصَّ، وينفعُ القارئ، وحذفتُ الكثيرَ مِمَّا له علاقةٌ بالأمور الَّتي يهتمُّ بها المحقِّقون مِمَّا هو أدخلُ في صناعتهم. فجاء الدِّيوان في ثوبه الجديد ثمرةَ قراءةٍ مقارنةٍ اختارتْ أَفْضَلَ الرِّواياتِ وأصحَّها، موشَّحًا بخلاصةِ تعليقات الدكتور الشَّيبيّ، مع نسبةِ كلِّ قولٍ أَوْ رَأْيٍ إِلىٰ صاحبِهِ أَوْ مصدرِهِ» اهـ.

والكلامُ علىٰ مناقب الدكتور عبد ٱلإلٰه ومآثره وأخلاقه وما جُبِلَ عليه

من كريم الخِلَالِ لا ينقضي في هٰذه العُجالة، ولو ذهب المرءُ يستخرجُ شهادات مَنْ عرفه مِنَ الأصحاب والطُّلَّابِ لاتَّسعت أحناءُ المقالِ، وتشعَّبت طرقُهُ، وهٰذا فيضٌ مِنْ غيضٍ. لقد كان - رحمه اللهُ - إنسانًا يفيضُ سماحةً وندًى وحُبًّا كحُبِّ المتصوِّفة الَّذي لا يُحَدُّ.

الآثار العِلْميَّة:

(١)- الكتب المُؤَلَّفة:

١ - ابن يعيش النَّحْوِيُّ ٥٥٣-٦٤٣هـ: اتِّحاد الكُتَّاب العرب، دمشق، ١٩٩٧م.

وهو في الأصل رسالة الدكتوراه الَّتي نال بها لقبه العلْميّ مِن جامعة دمشق بمرتبة الشَّرَف سنة ١٩٩٠م.

رأى المؤلِّف أَنَّ شرح المفصَّل لابن يعيش تَجَلٍّ رائِعٌ للنَّحْوِ العربيِّ في القرن السَّابع، وأَحوجه تبيان هٰذا التَّجلِّي إِلىٰ البحث والفهرسة والمراجعة سنين عددًا حتَّىٰ استوىٰ علىٰ سوقه، وقال في صدر كتابه: «ومِن هنا كان لدراستنا هٰذه أَنْ تزعم لنَفْسِها أَنَّها مِنْ أُوْلىٰ الدِّراسات الَّتي تناولت ابن يعيش بالبحث علىٰ نَحْوٍ مُوَسَّعٍ مستفيضٍ، وحاولتْ أَنْ تبرز ملامح شخصيَّته النَّحْويَّة، مَعَ التزام جادَّة الموضوعيَّة والحذر ما وسعها ذلك».

قال الدكتور عبد النَّاصر عسَّاف في هٰذه الدِّراسة: «مِمَّا لا شكَّ فيه أَنَّ هٰذه الدِّراسة تدلُّك علىٰ شخصيَّة الباحث العالِم الجادّ الحريص علىٰ المنهج العلْميّ المُحْكَمِ إِذا جَمَعَ مادَّتَهُ، وصنَّف وقدَّم وأخَّر، وأوجز وفصَّل، وإِذا صحَّح النَّصَّ وانتقد الرِّواية، وإِذا استدلَّ لحكمه، ومثَّل لرأيه، وإِذا حقَّق ما اختُلف فيه مِن أقوالٍ وقضايا، وناقش ما اشتجر فيه الخِلاف، وإِذا تحرَّىٰ الحقَّ، وذَبَّ عنه بموضوعيَّةٍ واتِّزانٍ، وإِذا عبَّر عن رأيه ومرادِهِ

بدقَّةٍ واقتدارٍ.

والاستيعابُ مِن سمات هٰذه الدِّراسة الظَّاهرة، وقد دَلَّت عليه عبارة المؤلِّف في غير موضعٍ دلالةَ تصريحٍ. وقد بلغ من استيعاب الدكتور عبد ٱلإلٰه حدًّا جَاوَزَ الحَدَّ، وخرج منه إلىٰ حمىٰ الاستطراد. بيدَ أَنَّهُ عند التَّأَمُّلِ استطرادُ عالِمٍ ربَّما أرادَ بِهِ أَوْ بِبَعْضِهِ أَنْ يفيدَ القارئَ، أَوْ يدفع الشُّبهات ويجلو الحقيقة، أَوْ يُوَضِّحَ المقصود، ويُقَرِّبَ مِنَ المراد».

ثمَّ قال عقب نقله كلامًا للدكتور عبد ٱلإلٰه في تواشج المفصَّل والإيضاح: «وهٰذا المثال المتكامل يدلُّك علىٰ قدرة المؤلِّف علىٰ الحجاج والاستدلال، وربط الأشياء بعضِها ببعضٍ، وتفسيرِها تفسيرًا مَقْبولًا، ومحاكمة القضيَّة علىٰ وفق رؤية كلّيَّةٍ وتصوُّر علْميٍّ صحيح يُراعي الجزءَ والكُلَّ، وعلاقةَ أحدهما بالآخر، والسِّياق الطَّبيعيّ للأشياء المتكاملة، بعيدًا عَنِ الحلقات المفقودة، والأحوال الشَّاذَّةِ، ويُنبئُك بأَنَّ الأحكامَ الصَّحيحةَ وبيِّنَاتِها ينبغي أَنْ تنبثقَ مِنَ النُّصوص المُتَعَيِّنَةِ ما أَمْكَنَ» اهـ.

٢ - الفهارس المفصَّلة للأشباه والنَّظائر في النَّحْوِ للسُّيوطيّ، «كشَّافات تُراثيَّة»، معهد المخطوطات العربيَّة، القاهرة، ١٩٩٨م.

كان تحقيق الأشباه والنَّظائر أربع رسائل لنيل درجة الماجستير في قسم اللُّغة العربيَّة وآدابها في جامعة دمشق، ثمَّ تولَّىٰ مجمع اللُّغة العربيَّة بدمشق نشر هٰذه الرَّسائل:

الجزء الأوَّل: تحقيق عبد ٱلإلٰه نبهان ١٩٨٥م.

الجزء الثَّاني: تحقيق غازي مختار طليمات ١٩٨٦م.

الجزء الثَّالث: تحقيق إبراهيم محمَّد عبد الله ١٩٨٦م.

الجزء الرَّابع: تحقيق أحمد مختار الشَّريف ١٩٨٧م.

وانتهىٰ كلُّ جزء بِفِهْرِسٍ لعنوانات الأبواب.

وكان لا بُدَّ مِن فِهْرِسٍ جامع للأجزاء الأربعة وما اشتملت عليه مِن آيٍ وأحاديثَ وأمثال وأشعار وأنثار ومسائل نَحْوِيَّةٍ اشتبكت فيها أصولها النَّاظمة لها = يكشف خَبْأَها، ويجعل الطَّريق إليها لاحبةً مطمئنَّةً، والإفادةَ منها مُدَمَّثَةً مبذولةً.

آمن الدكتور عبد ٱلإلٰه أَنَّ الكتاب كنزٌ مُرْتَجُ الأبوابِ ومفتاحه الفهارس، وكان خوفه مِنَ الضَّجر والغرق في بحر مِنَ الجُزازات يثنيه عَنِ النُّهوضِ بهٰذا العمل الضَّخْمِ، وما زال يُقدم ويُحجمُ حتَّىٰ عهد إليه معهد المخطوطات العربيَّة في القاهرة بصناعة هٰذه الفهارس، فصحَّ منه العزم، وشمَّر عن ساعد الجِدِّ، وقد صار الأَمْرُ فَرْضًا لا نَفْلًا، فأنجز ما انتُدب إليه أجودَ ما يكون الإنجاز.

ولا التفاتَ إِلَىٰ قَوْلِ مَنْ قال: إِنَّ صناعةَ الفهارس عَمَلٌ آليٌّ لا حظَّ للعَقْلِ فيه، واستخراجُ الأَصْلِ النَّاظم للمسألة فيه مِنَ النَّظَر وإِعمال الذِّهنِ ما فيه. وأذكر في هٰذا السِّياق أَنَّ أُستاذي الدكتور محمَّد أحمد الدَّالي روىٰ لي عن شيخِهِ الأستاذ أحمد راتب النَّفَّاخ أَنَّهُ قالَ: أمنح درجة الماجستير في الآداب لِمَنْ يُفَهْرِسُ النَّحْوَ والصَّرف في كتاب معاني القرآن للفرَّاء، ثمَّ رأيتُ هٰذا الفهرس مطبوعًا بعنوان: مُعْجم مصطلحات الفرَّاء في معاني القرآن في ليدن سنة ١٩٩٦م مِن إعداد نفتالي كينبرغ، وهو في الأصل رسالة دكتوراه.

وقد صنع الدكتور عبد ٱلإلٰه فهارسَ أُخَرَ:

- فِهْرِس شواهد المفصَّل للزَّمخشريّ مع تخريجها، مجلَّة مجمع اللُّغة

العربيَّة بدمشق، مج ٦١، ج ٣ - ٤، ١٩٨٦م، مج ٦٢، ج١، ١٩٨٧م.

- فِهْرِس مؤلَّفات السُّيوطيّ المطبوعة، مجلَّة عالم الكتب، الرِّياض، مج ١٢، العدد الأوَّل، ١٩٩١م.

- فِهْرِس شواهد رسالة الملائكة للمعرِّيِّ مع تخريجها، مجلَّة معهد المخطوطات العربيَّة بالقاهرة، مج ٣٥، ج ١ - ٢، ١٩٩١م.

- فِهْرِس أعلام شرح المفصَّل لابن يعيش، مجلَّة معهد المخطوطات العربيَّة بالقاهرة، مج ٤٠، ج ١ - ٢، ١٩٩٦م.

- فِهْرِس مخطوطات د. شاكر فرحان مطلق، مجلَّة معهد المخطوطات العربيَّة بالقاهرة، مج ٤٧، ج١، ٢٠٠٣م.

(٢) - الكتب المحقَّقة:

١- إعراب الحديث النَّبويّ لأبي البقاءِ العُكْبَريِّ، مطبوعات مجمع اللُّغة العربيَّة بدمشق، ط١، ١٩٧٧م، ط٢، ١٩٨٧م، دار الفكر، دمشق، ط٣، ١٩٨٩م.

ذكره الطَّناحيّ في مدخل إلىٰ نشر التَّراث العربيّ ١٦٠، وقال في محقِّقه الدّكتور عبد الإله: «وهٰذا الشَّابُّ تُنبئُ أعمالُهُ عن مستقبلٍ طيِّبٍ» اهـ.

٢- المقصور والممدود للفرَّاء (بالاشتراك)، دار قتيبة، دمشق، ١٩٨٣م.

٣- غوامض الصِّحاح للصَّفديِّ، معهد المخطوطات العربيَّة، الكويت، ط١، ١٩٨٥م، مكتبة لبنان ناشرون، ط٢، ١٩٩٦م.

٤- الأشباه والنَّظائر للسُّيوطيِّ (ج١)، مطبوعات مجمع اللُّغة العربيَّة بدمشق، ١٩٨٥م.

٥- الملاحن لابن دُرَيْدٍ، وِزارة الثَّقافة، دمشق، ط١، ١٩٩٢م، مكتبة

لبنان، ط٢، ١٩٩٦م.

٦- شرح منظومة آداب الأكل والشُّرْب والضِّيافة للأَقْفَهْسِيِّ (ت٨٠٨هـ) (بالاشتراك)، مكتبة عمر ريحاوي، حلب، ١٩٩٤م.

٧- اللُّباب في علل البناء والإعراب للعُكْبَرِيِّ (بالاشتراك)، منشورات مركز جمعة الماجد، دبي، ١٩٩٥م.

٨- آثار عبد الحميد الزُّهراويّ، وِزارة الثَّقافة، دمشق، ١٩٩٥م.

٩- تُراث الحلَّاج: أخباره، ديوانه، طواسينه (بالاشتراك)، دار الذَّاكرة، حمص، ١٩٩٦م.

١٠- كشف النِّقاب المجازيّ عن داليَّة ابن حجازيّ، لشُعيب كيَّالي (ت١١٧٢هـ)، مطبعة اليمامة، حمص، ١٩٩٦م.

١١- بهجة العابدين بترجمة جلال الدِّين السُّيوطيّ للشَّاذليّ (ت بعد ٩٤٦هـ)، مجمع اللُّغة العربيَّة بدمشق، ١٩٩٨م.

١٢- حِلية الفُرسان وشعار الشُّجعان لابن هُذَيْلٍ (بالاشتراك)، مركز زايد للتُّراث، العين، ٢٠٠١م.

١٣- هبة الأيَّام فيما يتعلَّق بأبي تمَّام ليُوْسُفَ البديعيّ (ت ١٠٧٣هـ) (بالاشتراك)، المجمَّع الثَّقافيّ، أبو ظبي، ٢٠٠٢م.

١٤- تحفة الأنفس وشعار سكَّان الأندلس لابن هُذَيْلٍ (بالاشتراك)، مركز زايد للتُّراث، العين، ٢٠٠٣م.

فضلًا عن سبع عشرة رسالة حقَّقها ونشرها في مجلَّة مجمع اللُّغة العربيَّة بدمشق، ومجلَّة المجمع العلْميّ الهنديّ، ومجلَّة معهد المخطوطات بالكويت، منها:

- القصيدة الحرباويَّة مع شرحها للبلطيِّ.
- مقدِّمة حاشية السُّيوطيّ على تفسير البيضاويّ المسمَّاة بنواهد الأبكار وشوارد الأفكار.
- إحكام المعروف مِنْ أحكام الظّروف لابن الطَّيِّب الفاسيّ.
- الزَّهَر اليانع اللَّيِّن في أحكام ولغات كأيِّن لعبد الغنيّ السَّادات (ت ١٢٦٥هـ).
- نزهة الطَّرْف في أحكام الجارّ والمجرور والظَّرْف للأخفش الصَّنْعانيّ.
- ذكر معاني أبنية الأسماء الموجودة في المفصَّل لابن مالكٍ.
- رسالة في صناعة الكتابة لمؤلِّف مجهول.
- رسالة لابن النَّحَّاس فيما يتعلَّق بكتاب سيبويه.

هٰذا وقد شارك الدكتور عبد ٱلإلٰه في **سلسة المختار من التُّراث الَّتي كانت تُصدرُها مديريَّة إحياء التُّراث العربيِّ ونشرِه في وزارة الثَّقافة**، فاختار مِن:

- معجم البُلْدان لياقوتٍ الحَمَويِّ، (ثلاثة أسفار) ١٩٨٢-١٩٨٣م.
- الفرج بعد الشِّدَّة للقاضي التَّنوخِيّ، (سِفران) ١٩٩٥م.
- نشوار المحاضرة للقاضي التَّنوخيِّ، (أربعة أسفار) ٢٠٠٠-٢٠٠١م.

أَمَّا أغزر حقول نشاطه المعرفيّ فكان البحوثَ والمقالاتِ، إذ حرَّر الرَّجل ما يربو على مئة بحث ومقال، ونشره في مجلَّات علميَّة مرموقة.

وللمؤتمرات والنَّدوات نصيبٌ مِن نشاط الدكتور عبد ٱلإلٰه، وهو مِمَّا يتناغم وما جُبِلَ عليه مِنْ حبِّ النَّاس ولقاءِ أهل العِلْمِ منهم والاستماعِ إلى فحول العلماء مِمَّا يرضي نفسه الطَّامحة، ويروي غليل صدره الَّذي لا ينى يطلب العلم، فاشترك في نحو خمسة وعشرين مؤتمرًا وندوة ودورة عُقدت في جامعة دمشق، وجامعة اليرموك - الأُردنّ، وجامعة مُؤْتة، والجامعة

الأردنيَّة، وجامعة البعث، ومجمع اللُّغة العربيَّة بدمشق، ومركز زايد للتُّراث في العين، وجامعة الإمارات، وجامعة حلب، وغيرها.

وبعدُ

فهٰذه لُمَعٌ مِن حياةِ عالِمٍ وقف حياته علىٰ العربيَّة تَعَلُّمًا و تعليمًا ونشرًا لنصوصها العتاقِ الأُوَلِ، وآمن بالتُّراث الَّذي أَجَلَّهُ أعظم الإِجلال، وجال في حدائقه الغنَّاء يمتِّعُ نفسَه برياحينه وأزاهيره، ولم يمنعْه هٰذا الإيمان الرَّاسخ بأصالة هٰذا التُّراث وشموخه مِنْ أَنْ ينفتح علىٰ المدارس والاتِّجاهات الحديثة في درس اللُّغة، بل وقف بثباتٍ بين جذوره الَّتي يتحدَّرُ منها والنَّسائمِ المختلفة الرَّوائح الَّتي تهبُّ عليه، مُنْتِجًا مَوْقِفًا قِوَامُهُ الاعتدالُ والأصالةُ والتَّنويرُ.

رحمكَ اللهُ يا أَبَا مصعب، سيبقىٰ ذكرُكَ في خدمةِ هٰذا اللِّسانِ ما كَرَّ الجديدان:

ولا زال ريحانٌ ومِسْكٌ وعَنْبَرٌ علىٰ مُنتهاهُ دِيْمَةٌ ثُمَّ هَاطِلُ

مصادر المقال:

- أعلام مجمع اللُّغة العربيَّة بدمشق في مئة عام (١٩١٩-٢٠١٩م)، إعداد مروان البوَّاب، مراجعة: أ. د. محمَّد مكِّيّ الحسنيّ وأ. د. مازن المُبارك، مطبوعات مجمع اللُّغة العربيَّة بدمشق ١٩١٩م.

- حفل تَأْبين الأُستاذ الدكتور عبد ٱلإِلٰه نبهان رحمه الله، مطبوعات مجمع اللُّغة العربيَّة بدمشق ٢٠٢١م.

- في رحيل رجل العلم والأدب الدُّكتور عبد ٱلإِلٰه نبهان (١٩٤٥-٢٠٢٠م)، أعدَّهُ وحرَّره الدكتور حسّان فلاح أوغلي، بُستان هشام، ط١، ٢٠٢١م.

مُقدِّمات كتبه:

- ابن يعيش النَّحويّ (٥٥٣-٦٤٣هـ)، اتّحاد الكتَّاب العرب، دمشق، ١٩٩٧م.

- إعراب الحديث النَّبويّ لأبي البقاء العكبريّ (ت ٦١٦هـ)، دار الفكر، دمشق، ط ٣، ١٩٨٩م.

- بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدِّين السُّيوطيّ لعبد القادر الشَّاذليّ (ت بعد ٩٤٦هـ)، مطبوعات مجمع اللُّغة العربيَّة بدمشق، ١٩٩٨م.

- تراث الحلَّاج أخباره ديوانه طواسينه، دار الذَّاكرة، حمص، ١٩٩٦م.

- الفهارس المُفصَّلة للأشباه والنَّظائر في النَّحو للسُّيوطيّ، معهد المخطوطات العربيَّة، القاهرة، ١٩٩٨م.

من قرارات المجمع
في الألفاظ والأساليب(*)

(٢٤٧)
فاشَ وفوَّاشة

١ - المسألة:

يشيع بين المتكلمين من العامة وغيرهم استعمال الفعل (فاشَ) بمعنى طفا وعلا على وجه الماء أو السائل كقولهم: (فاشت الخشبة على سطح البركة)، و (فاش السبَّاح على وجه الماء). كما يشيع اسم الأداة (فَوَّاشة) للدلالة على أداة توصَل بصنبور الماء في خزان ماء، يدفع بها ماء الخزان إلى الأعلى مع امتلائه، فإذا طفت على سطح الماء عند امتلائه سدت الصنبور.

وقد غدت الكلمتان متداولتين في كثير من البلاد العربية على أنه لا أصل واضحًا لها تمامًا في المعاجم العربية القديمة ومعظم الحديثة.

٢ - الاقتراح:

جواز استعمال الفعل (فاشَ) بمعنى طفا وعلا ومشتقاته، ولا سيما اسم الأداة (فَوَّاشة)، وإضافتهما إلى المعجم العربي.

(*) هذه قرارات مجمع اللغة العربية بدمشق، عُرِضَتْ في مؤتمري المجمع العاشر والحادي عشر، وحظيت بالموافقة.

(يرجى ممَّن له ملاحظات عليها أن يتفضل بإرسالها إلى المجلة).

٣- التعليل: أ- في المعاجم:

جاء في لسان العرب: «فاشَ الرجلُ فَيْشًا وهو فَيُوش: فَخَرَ، وقيل: فخرَ ولا شيء عنده» ومثله في التاج والتهذيب.

- وجاء في القاموس المحيط/ فاش: «فاش الحمارُ الأتانَ يفيشها: علاها».
- وفي الوسيط: «فارتِ القِدر: اشتدَّ غليانها، وارتفع ما فيها. وفَوْرة العُقار: طُفاوتها وما فار منها...وفورة الجبل: أعلاه».

وواضح مما تقدم أن الفعل أجوف يائيٌّ، وليس له الدلالة المعاصرة تمامًا، وإن كان فيها ما يشي من بعيد بالمعنى الشائع.

ب- في اللغة والاشتقاق:

يمكن تلمُّس وجه لقبول هذه الدلالة بأشياء:

١- بما ورد في القاموس المحيط من قولهم: «فاشَ الحمار الأتان: علاها»، وهو نص صريح على دلالة العُلو.

وقد يُرد علينا أن الفعل (فاشَ) ثَمَّ فعل أجوف يائي، أما الفعل موضوع البحث فهو أجوف واوي؛ إذ يقال: «فاشَ يفوش، وفوَّاشة». والجواب على هذا أن كثيرًا من الأفعال الجُوف في العربية واوية يائية معًا نحو: ماع يميع ويموع (كتاب الأفعال لابن القطَّاع ٣/ ٢٠٨)، ومارَ أهلَه يَميرهم ويَمورهم: إذا أتاهم بالمِيرة، وهي المؤونة. (لسان العرب: مير).

١- بالاشتقاق الإبدالي:

الإبدال اللغوي وسيلة اشتقاق فاشية في العربية، وهو وسيلة اشتقاقية ولَّدت في اللغة كلمات مترادفة متقاربة المعنى مثل: هشَّ وبشَّ، بإبدال الهاء باءً أو العكس، ورنَّ وطنَّ بإبدال الراء طاءً أو العكس.

ويمكن تلمس وجه لقبول هذه الدلالة المستحدثة للفعل (فاش) بمعنى

طفا على سطح الماء أو السائل بالإفادة من هذا النوع من الاشتقاق.

وبالعودة إلى الأفعال الجوف مما فاؤه (فاء)، وجدنا نحو عشرين فعلًا، ولكن معظمها بعيد الدلالة عن معنى الطُّفوّ والعُلوّ، وأقربها إلى ما نحن فيه هو الفعل (فارَ)، وقد أوردت له المعاجم الدلالات الآتية:

- مقاييس اللغة: «الطُّباخة: ما فار من رغوة القدر إذا طبختَ، وهي الطُّفاحة والفوارة»، ومن معاني الطفح زيادة الامتلاء.
- تاج العروس: «وفار الماء من العين: ظهر متدفقًا، وشرب فَورة العقار: **طُفاوتها** وما فار منها».
- الوسيط: «..وفورة العُقار: **طُفاوتها** وما فار منها».

وبتفعيل خاصية الإبدال الاشتقاقي في العربية يمكن إبدال الراء من الفعل (فارَ) -الدال على الطفو والعلو- شينًا فيتولد لدينا الفعل (فاشَ) الذي يعني في استعمالنا المعاصر الطفو والعلو، وهو معنى عبارة المعاصرين: (فاشتِ الخشبةُ على وجه الماء، أو فاش السبَّاح على وجه البحر).

وإبدال الراء شينًا وارد في العربية من مثل: (فرَّجَ ما بين رجليه وفشَّجَ: باعدَ، ويُعرف لك الفضل ويُعشَف، ورطأَ وشَطأَ: جامعَ).

فما دام قد ورد الفعل (فارَ) بمعنى (طفا) في عبارة تاج العروس والمعجم الوسيط في قولهم: «وفورة العقار: طفاوتها...»، وما دام الفعل (فار) ورد بمعنى الطفو فإن المبدل منه وهو الفعل (فاشَ) يمكن أن يحمل معناه، فيكون الفعل (فاش) مولَّدًا بالاشتقاق الإبدالي من الفعل (فار) المعجمي، ولعل مما يقوي هذا أن الفعلين أجوفان وأنهما مضموما العين في المضارع؛ إذ يقال: فارَ يفُور، ومثلها يقول المحدثون فاش يفوش.

فإذا قبلت دلالة الفعل (فاش) بمعنى طفا وعلا فإن اسم الآلة منه

(فوَّاشة) تحصيل حاصل لأنه بناء (فَعَّالة) لاسم الأداة شبه قياسي مثل: سمَّاعة وخرَّازة، وهي كرة معدنية أو بلاستيكية مجوَّفة موصولة بصمام أنبوب الماء المنصب من صنبور، تطفو على سطح ماء الخزان، فإذا امتلأ سدَّت الصنبور.

ج- في الاستئناس:

- أورده (دوزي) في معجمه (تكملة المعاجم العربية) ٨/ ١٣٥، نقلًا عن البستاني في معجمه (محيط المحيط)، فقال: «فاش: طفا على وجه الماء». وقال: «هو عاميٌّ».

خلاصة القول أن الفعل (فار) يؤدي بالإبدال إلى معنى (فاش) للدلالة على العلو والطفو، ولا مانع من إقراره بالتوليد لهذه الدلالة المستعملة.

عضو المجمع: د. ممدوح خسارة

٤- قرار لجنة اللغة العربية:

جواز استعمال الفعل (فاشَ) بمعنى طفا وعلا ومشتقاته، ولا سيما اسم الأداة (فَوَّاشة)، وإضافتهما إلى المعجم العربي.

* * *

(٢٤٨)
طَمَّنَ وتطمين بمعنى طَمْأنَ وطَمْأنة

١- المسألة:

يشيع بين المتكلمين استعمال الفعل (طمَّنَ) بمعنى (طَمْأنَ) كما يشيع مصدره (تطمين) بمعنى (الطَّمأنة). ولم يرد الفعل ومصدره في المعاجم

العربية ومعظم الحديثة على هذا البناء، فخطَّأه بعضهم.

٢- الاقتراح:

جواز استعمال الفعل (طمَّنَ) الثلاثي المزيد بمعنى (طَمأنَ)، ومصدره (تطمين) بمعنى (الطَّمأنة)، وإضافة هذا الفعل ببنائه ومشتقاته إلى المعجم العربي.

٣- التعليل: أ- في المعاجم:

- مقاييس اللغة لابن فارس (طمن): «الطاء والميم والنون أصيل، بزيادة همزة، يقال: اطمأنَّ المكان يَطمئنُّ طُمأنينة، وطامنتُ منه: سَكَّنتُ».
- المحيط في اللغة للصاحب بن عباد: «طَأْمنتُ نفسي: سكَّنتُها» ٢/ ٣٢٦.
- لسان العرب (طمن): «طَأْمَنَ الشيءَ: سكَّنه، واطمأنَّ الرجلُ اطمئنانًا وطُمأنينة: أي سكَنَ»
- تاج العروس (طمن): «الطَّمْن: الساكن، وهو غير مستعمل في الكلام، كالمطمئن، والجمع طُمون. ومن المجاز: اطمأنَّ إلى كذا اطمئنانًا وطمأنينة بالضم: سكنَ إليه ووثق به...وذهب سيبويه إلى أن (اطمأنَّ) مقلوب، وأن أصله من (طأْمنَ)، وخالفه في ذلك أبو عمر فرأى ضد ذلك».

ب-في الصرف والدلالة:

صحيح أن المعاجم القديمة لم تورد الفعل (طَمَنَ) مدخلًا، ولكنها أوردته جذرًا ثلاثيًا، ويفهم مما ورد فيها أن الفعلين (طَمأنَ وطأمنَ) مشتقان من هذا الجذر، فالفعل (طمأنَ) إنما هو (طَمَنَ) بزيادة الهمزة على حد عبارة مقاييس اللغة: «الطاء والميم والنون أصيل، بزيادة همزة، يقال: اطمأنَّ المكان يَطمئنُّ طُمأنينة، وطامنتُ منه: سَكَّنتُ». ويُفهم من كلام ابن فارس

أن الطاء والميم والنون لم تستعمل إلا ومعها الهمزة، وهي على وزن (فَعْلَلَ).

وجاء في تاج العروس: «وطَمْأنَ ظهرَه: طامنَه: أي حناه وطامنه بغير همز؛ لأن الهمزة التي دخلت في (اطمأنَّ) حِذار الجمع بين الساكنين» ووزن (اطمأنَّ) على رأي الجمهور (افْعَلَلَّ).

فإذا ورد من الجذر (طَمَنَ) الفعلُ (طَمأنَ) بزيادة الهمزة على رأي ابن فارس، أو بإبدال الألف همزة لمنع التقاء الساكنين على رأي صاحب التاج، فلا شيء يمنع من اشتقاق الفعل (طمَّنَ) المزيد بحرف من ذلك الجذر، وإذا جاز قبول هذا الفعل جازت مشتقاته مثل المصدر (تطمين) واسم الفاعل (مطمِّن) وسائرها.

• كما يمكن قبول هذا الفعل عملًا بقرار إكمال مادة لغوية ذكرت المعاجم بعضَها ولم تذكر سائرها، إذ ورد في المعاجم: (الطَّمْن: الساكن)، وهو صفة مشبهة على بناء (فَعْل)، ومنها يمكن إكمال سائر مادة (طمنَ) مثل مزيد الثلاثي (طمَّنَ) ومصدره (تطمين) وهو ما ذهب إليه مجمع اللغة العربية بالقاهرة في المذكرة التي قدِّمت لتجويز هذا الفعل.

ج- في الاستئناس:

- جاء في عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني (٨٥٥هـ) وهو من النحاة واللغويين: «ثم طمَّن قلب النبي ﷺ بقوله: ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ﴾ [إبراهيم: ٤٧]» ١٢/ ٢٨٥

- جاء في حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي (١٠٦٩هـ) وهو من اللغويين: «والنعمة الثالثة أن الخوف كان يمنعهم من النوم، فلما طمَّن الله قلوبهم نعسوا» ٤/ ٢٥٦

- جاء في نفحة الريحانة ورشح طلاء الحانة للمحبِّي (١١١١هـ) قول الشاعر فتح اله بن النحاس (١٠٥٢هـ):

«**طمِّنْ** فؤادكَ أيُّ حرٍّ لم يُرَع بالخطب قلبُه»

١/ ٢٩٢

أما المصدر (تطمين) فقد تكرر كثيرًا في كتابات قدماء ومحدثين، منها:

- تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (٧٤٥هـ) قال: «وقوله لها ذلك **تطمين** لها» ٦/ ١٧
- الدر المصون للسمين الحلبي (٧٥٦هـ) قال: «ففيه **تطمين** لخاطرها» ٣/ ١٨١
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني (٨٥٥هـ) قال: «وفيه زيادة **تطمين** في قلوب المؤمنين» ٤/ ١٨١
- اللباب في علم الكتاب لعمر بن علي بن عادل الدمشقي (٨٨٠هـ) قال: «ففيه **تطمين** لخاطرها» ٥/ ٢٢٩
- تحفة المحتاج في شرح المنهاج لابن حجر الهيتمي (٩٧٤هـ) قال: «وكان حكمه أنه ﷺ لم يَكمُل له رمضان إلا سنة واحدة، والبقية ناقصة زيادة تطمين في نفوسهم» ٣/ ٢٧٠ ومواضع أخرى
- أجازه مجمع اللغة العربية بالقاهرة في كتاب الألفاظ والأساليب ٣/ ٤٥.

من كل ذلك لا نرى مانعًا من استعمال الفعل (طمَّن) ومشتقاته بمعنى (طمأنَ) وإضافتها إلى المعجم العربي.

عضو المجمع: د. ممدوح خسارة

٤- قرار لجنة اللغة العربية:

جواز استعمال الفعل (طمَّنَ) الثلاثي المزيد بمعنى (طَمأنَ)، ومصدره (تطمين) بمعنى (الطَّمأنة)، وإضافة هذا الفعل ببنائه ومشتقاته إلى المعجم العربي.

(٢٤٩)
الحَماس والحَماسة

١- المسألة:

يخطِّئ بعضهم استعمال كلمة (الحَماس) بمعنى (الحَماسة)، ويرون أن الثانية هي الصواب.

٢- الاقتراح:

صحة استعمال (الحَماس) بمعنى (الحَماسة)، وهي الشدة والشجاعة.

٣- التعليل: أ- في المعاجم:

• أورد تاج العروس في مستدركه (حمس) كلمة (الحَماس) فقال: «والحَماس كسَحَاب: الشدة والمنع والمحاربة». وقال في التاج أيضًا: «الحماسة: الشجاعة والمنع والمحاربة». مما يدل على أن الكلمتين واردتان ومترادفتان.

• كما أثبتها المعجم الوسيط (حمس)، فقال: «الحَماس والحماسة: الشدة والشجاعة».

ب- في الاستئناس:

أنشد أبوعبيدة (الزاهر لابن الأنباري ١/ ٢٩٨):

أَنْشُدُ كلَّ مسلم شهاده هل كان منكم في الحماس ساده

أو مَلَكٌ تُدحى له إساده؟

وبناءً على ما تقدم لا حجة في تخطئة هذه الكلمة.

عضو المجمع: د. ممدوح خسارة

٤- قرار لجنة اللغة العربية:

صحة استعمال (الحَماس) بمعنى (الحَماسة)، وهي الشدة والشجاعة.

* * *

(٢٥٠)
الهَناءة والهَناء

١- المسألة:

يخطِّئ بعضهم استعمال كلمة (الهَناء) بمعنى (الهَناءة)، في مثل قولهم: «نرجو لكَ هناء العيش»، ويرون أن الصواب: «نرجو لكَ هناءة العيش».

٢- الاقتراح:

صحة استعمال (الهَناء) بمعنى (الهَناءة).

٣- التعليل: أ- في المعاجم:

- تهذيب اللغة (٢/ ٣٧٤): «هَنُؤَ الطعام يهنُؤ هناءةً، ولغة أخرى: هَنِيَ يَهنا بلا همز».
- لسان العرب (هنأ): «هنِئ الطعامُ وهَنُؤ يهنأ هناءة: صار هنيئًا».
- المعجم الوسيط (هنأ): «هنُؤ الشيء هناءة: تيسَّر من غير مشقة، والهناء: اسم من هنَّأه...وهنَّأ فلانًا بالأمر تهنئة: خاطبه راجيًا أن يكون هذا الأمر مبعث سرور له».

ب-في الدلالة والاشتقاق:

يلحظ أن المعجم الوسيط أورد (الهَناء) على أنه اسم من هنَّأَ، كما يلحظ أن تهذيب اللغة ذكر لغة في (هنِئ يَهنَأ) هي (هَنِيَ يَهنا) فإذا كان الأمر

كذلك فإن (هَنِيَ يَهنا) يصح أن يجيء الاسم منها على (هَناء).

ومادام الوسيط قد أورد (الهَناء) بهذه الدلالة، ومادام اشتقاق المصدر من (هَنِيَ يَهنا) هو (هَناء)، فلا شيء يمنع من استعمال (الهَناء) بمعنى (الهَناءة).

ج- في الاستئناس:

- قال ابن الرومي (ديوانه ٧/ ٣٢٨٦ بحسب الموسوعة الشعرية):

هنيئًا له إفطارُه وصيامُه هنيئًا ومن بعد الهناء مَراءُ

- وقال المعري (٤٥/ ١٩٦٢ بحسب الموسوعة الشعرية):

يُهَنَّأ بالخير من نالَهُ وليس الهناءُ على ما هُنا

- وقال الشريف المرتضى (٢٣/ ١٢٢٨ بحسب الموسوعة الشعرية):

يا قُربَ ما بين الهنا ءِ بما يسرُّك والعزاءِ

- وأثبتها من المعاصرين الدكتور أحمد مختار عمر في معجم العربية المعاصرة (هنأ) قال: «هناء (مفرد): سرور وراحة بال..هناء العيش: رَغَدُه»

عضو المجمع: د. ممدوح خسارة

٤- قرار لجنة اللغة العربية:

صحة استعمال (الهَناء) بمعنى (الهَناءة).

* * *

(٢٥١)
فَشَّ الورمُ وفشَّ القِربةَ وانْفَشَّت

١- المسألة:

يتجنب بعض الكتَبة والمتكلمين استعمال الفعل (فَشَّ) بمعنى خفَّ

وتلاشى في نحو قولهم: «فشَّ الورمُ وانْفَشَّت العجَلة» وذلك لتوهم عاميتها.

٢- الاقتراح:

فصاحة الفعل (فَشَّ) ومشتقاته لازمًا ومتعديًا، بمعنى خفة الورم والانتفاخ من ريح أو سائل.

٣- التعليل: أ- في المعاجم:

- جمهرة اللغة (فشش): «فشَّ الوَطْبَ يفشُّه فشًّا: إذا استخرج منه الريح بعد نفخه».
- مقاييس اللغة (فشش): «الفاء والشين يدل على انتشار وقلة تماسك».
- لسان العرب (فشش): «فشَّ القِربةَ يفشُّها فشًّا: حلَّ وكاءها فخرج ريحها...وفشَّ السِّقاءَ: إذا أخرج منه الريح..فُشَّ أي فُتح فانْفشَّ ما فيه، وانْفشَّ الجرحُ: سكنَ ورمُه». ومثله في تاج العروس.
- المعجم الوسيط (فشش): «فشَّ الورمُ: خفَّ وهبط..وفشَّ القِربةَ: أخرجَ ما فيها من الماء...وانْفشَّت القربةُ ونحوها: خرج ما فيها من هواء..وانفشَّ الجرح: هبط ورمُه».

ب- في الصرف والدلالة:

يتضح مما سبق أن الفعل (فشَّ) ومشتقاته فصيح، وأنه يأتي لازمًا ومتعديًا ومطاوعًا للمتعدي، ومن دلالاته: ذهاب الريح أو السائل مما هو فيه، وتنطبق هذه الدلالة على استعمال المعاصرين من نحو: (فشَّ الورمُ) إذ الورم هو انتفاخ في الجلد من سائل، وفَشُّه: ذهاب ما فيه من انتفاخ، ومن نحو: (فشَّ عجَلة السيارة) إذ العجلة منفوخة هواءً، والفَشُّ خروج الهواء منها.

فلا مانع والحالة هذه من عدِّ استعمال المعاصرين لهذا الفعل ومشتقاته فصيحًا.

عضو المجمع: د. ممدوح خسارة

٤- قرار لجنة اللغة العربية:

صحة استعمال الفعل (فَشَّ) ومشتقاته لازمًا ومتعديًا، بمعنى خفة الورم والانتفاخ من ريح أو سائل.

* * *

(٢٥٢)
المُخَرْبَشات

١- المسألة:

يقولون: «خربشَ الولدُ خربشةً» أي: كتب لاهيًا كتابةً لافائدة منها، كما يستعمل المؤرخون كلمة (المُخربشات) مصطلحًا آثاريًا للدلالة على ضرب من الكتابة المنقوشة على الصخور، خالية من الحركات، وقد لا تُفهم. ويعترض كثيرون على ذلك لتوهم عاميتها.

٢- الاقتراح:

صحة قولهم: «خربشَ الكتابةَ» بمعنى أفسدها، وجواز قولهم: (المخربشات) مصطلحًا آثاريًا للدلالة على ضرب من الكتابة المنقوشة على الصخور بخط خال من الحركات.

٣- التعليل: أ- في المعاجم:

قال الحريري في (درّة الغوّاص) (ص ٦٠): «يقولون: خرمشَ الكتابَ -بالميم- أي أفسده، والصواب أن يقال:(خربش) بالباء». وأجاز (اللسان) كليهما وقال: «الخربشةُ: إفسادُ العمل والكتاب ونحوه، ومنه يقال: كتبَ كتابًا مُخربَشًا، وكتابٌ مُخربَشٌ: مُفسَدٌ؛ عن الليث. وفي حديث بعضهم عن

زيد بن أخزم الطائيّ قال: سمعتُ ابن دُواد يقول: كان كتابُ سفيان مُخربَشًا أي فاسدًا، ... والخرمشةُ: إفسادُ الكتاب والعمل». كما أجازهما (القاموس)، وأثبتهما (المعجم الوسيط).

أما (المُخَرْبَشات) فهي مصطلح يستعمله المختصون بلغات الشرق القديم ترجمةً للمصطلح Graffiti، ويُراد به ضربٌ من الكتابة المنقوشة - غالبًا- على الصخور بخطٍ خالٍ من الحركات؛ وواحدته (المُخربَشة) وهي: الكتابة القصيرة المكتوبة بغير عناية دون أن يفهم منها معلومات تاريخية أو دينيّة أو سواها مما يفيد الباحثين. فإذا لم تكن كذلك سمّوها Inscription التي يترجمها معظم الباحثين العرب إلى (نَقْش) وجمعها (نُقوش).

عضو المجمع: د. رفعت هزيم

٤- قرار لجنة اللغة العربية:

صحة قولهم: «خربشَ الكتابةَ» بمعنى أفسدها، وجواز قولهم: (المخربشات) مصطلحًا آثاريًا للدلالة على ضرب من الكتابة المنقوشة على الصخور بخط خال من الحركات.

* * *

(٢٥٣)
كم أنت مهذّبٌ! وكم هو حسن!

١- المسألة:

يستعمل الناس في زماننا (كم) الخبريّة التكثيريّة في مقام التعجّب والمبالغة في بيان الرأي من شيء استحسانًا أو استهجانًا، فيقولون مثلًا: «كم

أنت مهذّبٌ! وكم هو حسن!». لكنّ النقّاد والباحثين يغلّطون ذلك، ويَعدُّونه من أثر الترجمة من اللغات الأخرى في زماننا هذا.

٢- الاقتراح:

جواز قولهم: «كم أنت مهذب!، وكم هو حسن!» وذلك لجواز استعمال (كم) الخبرية التكثيرية في مقام التعجب والمبالغة في بيان الرأي استحسانًا أو استهجانًا؛ على أن تكون (كم) الخبرية في محل نصب مفعول مطلق.

٣- التعليل:

الدلالة على التعجب والمبالغة في بيان الرأي استحسانًا أو استهجانًا التي يدلّ عليها هذا الاستعمال دلالةٌ اقتضائيّة تنسل من دلالة «كم» الخبريّة على معنى التكثير.

وإذا كان الأصل في استعمال «كم» أن تقترن بتمييز يزيل عنها إبهامها، فإنّ التمييز قد يُحذَف إذا كان في الكلام ما يدلّ عليه؛ وإذا صرَفَ الكلامُ لوضوحه وبيانِ المرادِ منه الإبهامَ عن «كم» لم تكن بحاجة إلى تمييز، بل ربما كان ذلك التمييزُ فضلةً تحوم حولها ظلالُ العيِّ.

قال أبو حيّان الأندلسي[(١)]:«وظاهر قول المصنّف: «ولا يُحذَف إلّا لدليل» يشمل تمييزَ الاستفهاميّة وتمييز الخبريّة. ...وقال صاحبُ البسيط وابن عُصفور: يجوز حذفُ تمييز الخبريّة إذا دلّ عليه الدليل. قال ابن عصفور: ويحسن إذا كان ظرفًا، نحو:

كم عمّةٌ لك يا جرير وخالةٌ

(١) التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، أبو حيّان الأندلسي، تح. د. حسن الهنداوي، دار كنوز إشبيليا - الرياض، ط١، ٢٠١١، ١٠/ ٨-٩. وانظر شرح الرضيّ على الكافية، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس - بنغازي، ط٢، ١٩٩٦،٣/ ١٥٤، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٥.

في رواية من رفع[١].

ومثَّل صاحبُ البسيط بهذا البيت، وبقوله[٢]:

كم بجود مقرفٌ نال العلا

في رواية من رفع «مُقرف»، وكم قد أتاني زيد، وكم عبدُك ضاربٌ زيدًا.

والذي ينبغي أن يُقال في الحذف أنّه إنْ قُدِّرَ تمييز الخبريّة منصوبًا، أو مجرورًا بـ «من» جاز الحذفُ لدليل؛ وإنْ قُدِّرَ مجرورًا بالإضافة فلا يجوز حذفه. وقيل: يقبح حذفُه إلّا أن يُقدَّر منصوبًا».

ولو تأمّلتَ آخر الأمثلة التي سردها أبو حيّان من أمثلة صاحب البسيط سرد المطمئن الذي لا يساوره فيها شكّ، أعني قولَه: «كم عبدُك ضاربٌ زيدًا» لبدا لك مثالًا مطابقًا لهذا الأسلوب المنتقَد المغلَّط، ولبلغك من سياقة صاحب البسيط له وسرد أبي حيّان أنّه صحيح باتّفاق.

و«كم» في هذا الاستعمال في محلّ نصب مفعولٍ مطلق، على تقدير: أنت مهذبٌ تهذيبًا جمًّا! وهو جميلٌ جمالًا فائقًا! وهو بعضُ ما نصَّ عليه

---

(١) تتمة البيت: فدعاء قد حلبتْ عليَّ عِشاري.

وهو للفرزدق في ديوانه: شرح ديوان الفرزدق، عُني به إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، ط١، ١٩٨٣، ١/ ٥٨٣. وفيه روايتان أخريان: إحداهما بالجرّ على الأصل، والأخرى بالنصب على لغة في تمييز «كم» الخبريّة المفرد، أو على أنّ «كم» هنا استفهامية، والاستفهام تهكميّ. انظر خزانة الأدب، عبد القادر البغدادي، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط٣، ١٩٩٧، ٦/ ٤٨٥ وما بعدها.

(٢) البيت من أبيات نسبها صاحب الأغاني إلى أنس بن زَنِيم، وصاحبُ الحماسة البصرية إلى عبد الله بن كُرَيز، ورُوِيت لأبي الأسود الدؤليّ. وتتمة البيت: وكريمٍ بخله قد وَضَعَهْ

وروى بعض العلماء في «مقرف» وجهين آخرين: الجرّ مقرفٍ على الأصل، ومقرفًا بالنصب للفصل بين «كم» وتمييزها بشبه الجملة «بجود». انظر خزانة الأدب، البغدادي، ٦/ ٤٦٨-٤٧٣.

العلماء [١] في محالّ «كم» الإعرابيّة.

ولك إلى ذلك أن تستأنس ببعض ما ورد في كتب التراث موصولًا بهذا الأسلوب: ساق محمد بن داود الأصبهاني (ت٢٩٧هـ) في (الزهرة)[٢]:

وقائل قال لي فأفحمني ... يا هائم القلب ما ترى رشدك

قلبك هذا كم أنت تاركه ... عند الَّذي ليس قلبه عِنْدك!

وقال ابن عبد ربّه (ت٣٢٨هـ)[٣]:

يا أيها المشغوف بالحبّ التّعب ... كمَ انت في تقريب ما لا يقترب!

دع ودّ من لا يرعوي إذا غضب ... ومن إذا عاتبته يومًا عتب

إنك لا تجني من الشّوك العنب

ومن شعر عليّ بن عبّاد أبي الحسن المستوفي الأصبهانيّ[٤]:

يا دهر كم أنت لمثلي غاشمُ! ... أَمَنْ أعادي أهلُكَ الأكارمُ؟

---

(١) انظر التذييل والتكميل، أبو حيان الأندلسي، ١٠/ ٤٠، ٤٥.

(٢) كتاب الزهرة، محمد بن داود الأصبهاني، تح.د. إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار - الزرقاء، ط٢، ١٩٨٥، ٢/ ٧٩٠.

(٣) العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ، ٦/ ٣٠٧، ويتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، الثعالبي. تح. د. مفيد محمد قميحة،دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٩٨٣، ٢/ ١٠٢

(٤) الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، تح. أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، ٢٠٠٠، ٢١/ ١١٣. وعَليّ بن عباد أبو الحسن المستوفي الأصبهاني -كما قال الصفديّ- كان أديبًا فاضلا شاعرًا... وكان يدخل على الوزير أبي المظفر ابن هُبَيْرَة فيحترمه ويرفع مجلسه، ويقول له إذا دخل جاء رؤبة والعجاج...وقال محب الدّين ابن النجار: دخل بغداد وقرأ على أبي منصور الجواليقي قديمًا ثمَّ دخلها ثانيًا سنة خمس وخمسين وخمس مئَة ومدح الوزير أبا المظفر ابن هُبَيْرَة وغيره وما كان يمدح إلَّا بالأراجيز.....

ومن شعر ابن عز القضاة (ت٦٨٩هـ)[١]:

كـم أنـت فـي ودّ الصـديق تفـرط ترضى بـلا سـببٍ عليـه وتسـخط

من هذا وذاك يبدو لك أنّ هذا الأسلوبَ قديمٌ غيرُ محدَث، معناه نابـتٌ من دلالة «كم» الخبريّة التكثيريّة، وتركيبه جارٍ على شـيء تسـمح بـه العربيّـة ولا تأباه؛ وأنّ بعض ما مثّل به بعض النحاة يضاهي هذا الأسلوب ويحاكيـه؛ وأنّ تلك الأبياتَ والأمثلةَ التي تشـهد بقِدَمـه تـذود عنـه سُـبّةَ الترجمـة التـي يرميه ويَعيبه بها المحدثون من المغلّطين والمنتقدين.

عضو المجمع د . عبد الناصر عسّاف

٤- قرار اللجنة:

جواز قولهم: «كم أنت مهذب!، وكم هو حسن!» وذلك لجـواز اسـتعمال (كم) الخبرية التكثيرية في مقام التعجب والمبالغة في بيـان الـرأي استحسـانًا أو استهجانًا؛ على أن تكون (كم) الخبرية في محل نصب مفعول مطلق.

* * *

(٢٥٤)

الأجر بحسْبِ الجهد، أو على حسْبِهِ، أو حسْبَهُ

١- المسألة:

يستعمل الناس في زماننـا كلمـة «حَسَـب» بمعنـى قـدْر أحيانًـا بسـكون السين، وأحيانًا مجرّدة من حرف الجرّ، وقد يجمعـون بـين ذلـك؛ فيقولـون: أعطاه بحسْب حاجته، وأكرمَه على حسْب مودّتـه، والأجـر حَسْـبَ الجهـد.

(١) الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، ٩/ ١٠٠. وابن عزّ القضـاة هـو: إسـماعيل بـن علي بن محمد بن عبد الواحد، فخر الدين أبو طاهر.

لكنّ بعض النقّاد والباحثين يغلّطون ذلك أو يتحفّظون منه، بحجّة أن المسموع في هذا الوجه سكون السين، واقتران الكلمة بحرف الجرّ «بحسَب، على حسَب»، وأنّ التسكين لا يكون إلّا عن ضرورة.

٢- الاقتراح:

يجوزُ استعمال «حسْب»- ساكنة السين - بمعنى قَدْر،كما يجوز استعمالها مجرّدة من حرف الجرّ. والأَوْلى في ذلك فتحُ السِّينِ، واقترانُ الكَلِمةِ بالباء، أو «على».

٣- التعليل: أ- في المعاجم وكتب اللحن:

في العين(حسب) [٣/ ١٤٩]: «وتقول: الأجر على حَسَب ذلك؛ أيْ: على قَدْره. قال خالد بن جعفر للحارث بن ظالم: أمَا تشكرُ لي إذ جعلتُك سيّد قومك؟ قال: حَسَبَ ذلك أشكُرُكَ»(١).

وفي جمهرة اللغة(حسب) [١/ ٢٧٧]: «وتقول: افْعَل ذلك بحسب ما أوليتني مفتوح السِّينِ. وسكّنها قوم».

وفي الصحاح(حسب): «وهو فَعَلٌ بمعنى مفعول، مثل نَفَضٍ بمعنى منفوضٍ. ومنه قولهم: ليَكُنْ عملُكَ بِحَسَبِ ذلك؛ أي: على قَدْرِهِ وعدده. قال الكسائي: ما أدري ما حَسَبُ حديثك، أي: ما قَدْرُهُ. وربما سُكِّنَ في ضَرورةِ الشِّعرِ».

وفي مجمل اللغة(حسب) [١/ ٢٣٤]: «قال الكسائي: لا أدري ما حسبُ حديثك، أي: ما قدرُهُ».

---

(١) ضُبِطَتِ الباء في قول الحارث:«حَسَبُ ذلك أشكرك» بالضمّ في مطبوعتيِ العين، والصحيح بالفتح. والحارث بن ظالم المريّ (ت نحو ٢٢ ق.هـ): أشهر فتاك العرب في الجاهلية، قتل خالد بن جعفر العامري.

وفي المحكم(حسب) [٣/ ٢٠٦- ط دار الكتب العلمية]: «والحَسَبُ والحَسْبُ: قدر الشَّيْء، كقولك: الأجر بحسب ما عملت وحَسْبه؛ أَي: قدره».

وفي تقويم اللسان[١]:«وتقول: خدمته على حسَب ما أعطاني، بفتح السّين. ومعناه: على مِقدار ذلك. فهو منَ الشَّيءِ المحسوب. والعامّة تسكّن ذلك».

وفي المغرب للمطرّزيّ (حسب): «ومنه: أحسنْتُ إليه حَسْبَ الطَّاقة وعلى حسْبِها؛ أي: قَدْرها».

وقال النوويُّ[٢]:«قوله «حسَب» حاله هو بفتح السّين. قال الجَوهَرِي: وربما سُكِّنَ في ضرورة الشّعْر».

وفي اللسان (حسب): «والحَسَبُ والحَسْبُ: قَدْرُ الشيءِ، كقولك: الأَجْرُ بحَسَبِ ما عَمِلْتَ وحَسْبِه؛ أي: قَدْره؛ وكقولك: على حَسَب ما أسدَيْتَ إليَّ شُكْري لك، تقول: أشكُرُك على حَسَب بلائك عندي؛ أي: على قَدْر ذلك. ... وحَسَبٌ أيضًا، وهو فَعَلٌ بمعنى مفعول، مثل نَفَضٍ بمعنى منفوض؛ ومنه قولهم: ليكنْ عَمَلُكَ بحَسَب ذلك؛ أي: على قَدْره وعدده. وقال الكسائيُّ: ما أدري ما حَسَبُ حديثك؛ أي: ما قَدْره. وربّما سُكّن في ضرورة الشّعر».

وقال الصفديُّ[٣]:«ويقولون: اعملْ بحَسْبِ ذلك، بإسكان السين. والصواب فتحها، لتُطابِقَ معنى الكلام؛ لأنَّ الحَسَبَ هو الشَّيءُ المحسوبُ المماثلُ والمقدَّرُ، وأما الحَسْب بالسكون فهو الكِفاية، ومنه قوله تعالى:

(١) تقويم اللسان، ابن الجوزي، تح د. عبد العزيز مطر،دار المعارف - القاهرة، ط٢، ٦٩.

(٢) تحرير ألفاظ التنبيه،النووي (ت ٦٧٦هـ)، تح عبد الغني الدقر، دار القلم - دمشق، ط١، ١٤٠٨، ٦٠.

(٣) تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، حققه وعلق عليه وصنع فهارسه: السيد الشرقاوي، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط١، ١٩٨٧،١٥٠.

﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾ [النبأ ٧٨: ٣٦]، والمعنى في الأول: اعملْ على قدر ذلك».

وفي القاموس المحيط (حسب): «وحَسَبٌ، مُحرّكةً، ومنه: هذا بِحَسَب ذا؛ أي: بعدده وقَدْره، وقد تُسَكَّن».

وفي تاج العروس (حسب) [٢/ ٢٦٩]: «وعلى حَسَب، مُحَرَّكَةً، وهو فَعَلٌ بمعنى مفعول مِثْلُ نَفَض بمعنى منفوض، حكاه الجَوْهَريُّ، وصَرَّح به كُرَاع في المُجَرَّد. ومنه قولهم: لِيَكُن عَمَلُكَ بِحَسَب ذلك، أي: على قَدْره وعدده، وهذا بحَسَب ذا؛ أي: بعدده وقَدْره. وقال الكسائيُّ: ما أدري ما حَسَبُ حديثك؛ أي: ما قَدْرُه. وقد يُسَكَّن في ضرورة الشّعر. ومن سَجَعات الأساس: ومن يقدِر على عَدِّ الرَّمْل وحَسْب الحصى، والأجْرُ على حَسَب المصيبة؛ أي: قَدْرها. وفي (لسان العرب): الحَسَبُ: العدد المعدود. والحَسَبُ والحَسْبُ: قَدْرُ الشَّيْءِ كقولك: الأجر بحَسَب ما عَمِلْتَ وحَسْبِهِ، وكقولك على حَسَبِ ما أسدَيْتَ إليَّ شُكْرِي لك. يقول: أشكُرُكَ على حَسَب بلائك عندي؛ أي: على قَدْر ذلك».

وفي الكليات[1]:«وقولك: اعْمَلْ على حسَب ما أمرتك - مثقَّل، وحَسْبك ما أعطيتك - مخفَّف، وحَسْبَمَا ذكر؛ أي: قدره وعلى وَفقه. وهو بفتح السّين، وربما يُسكَّنُ في ضرورة الشّعْر، وفي كلّ مَوضعٍ لا يكون فيه مع حرف الجَرّ».

وفي المعجم الكبير (حسب) [٥/ ٣١٩]: «حَسَب الشيء: قدْره...ويقال: الأجرُ بِحَسَبِ ما عملتَ، وشكري لك على حَسَبِ ما أسديْتَ. ويقال: فعل ذلك حسب ما فعل فلان. والأعلى أن يقال: على حسب ما، أو بحسب ما».

(١) الكلِّيّات، الكفوي، ٣٩٧.

هذه النصوص المختارة - وفيها ما هو ذو صلة بهذه المسألة من وجهيها- دالّة على أنّ للقدماء في تسكين السين من «حسْب» بمعنى قدْر ثلاثةَ أقوال:

أحدها أنّه ضرورة. وربّما كان الجوهريُّ أوّلَ من وسم التسكين بضرورة الشعر؛ وردّد ذلك مقلّدوه ومتابعوه.

الثاني: أنّه جائز. وكلام بعض العلماء (ابن سيدة وابن منظور) في ذلك دالٌّ على أنّ فتح السين وسكونها مستويان لا تفاوت بينهما، وعبارةُ ابن دريد تشي بأنّ التسكين لغة قوم، وربّما كان في عبارة صاحب القاموس إشارة إلى قلّته. ولا يخفى ما في كلام أبي البقاء الكفويّ من اتّساع في ذلك؛ إذ رأى تسكين السين في هذه الكلمة جائزًا في كلّ موضع تجرّدت فيه من حرف الجرّ.

الآخر: أنّه من لغة العامّة، ومجاوزة الصواب. وهذا الرأي عند التحقيق قولُ من لم يَستقرِ أقوالَ العلماء ونصوص اللغويّين وشواهد الاستعمال.

ومن ثمّ لك أن تقول باطمئنان: إنّ تسكين السين في «حسْب» في هذا الأسلوب أو الاستعمال ذو سند لغويّ قديم صريح لا عيب فيه.

وإلى ذلك خلت هذه النصوص ممّا يدلّ نصًّا أو إشارة على وجوب اقتران هذه الكلمة في هذا الأسلوب بالباء أو على، وخلت ممّا يُزري باستعمالها مجرّدة منهما. وفيها أمثلة وشواهد تعلن صحّة ذلك وفصاحته، فكيف إذا جمعت إلى ذلك ما تناثر في كتب التراث من شواهد الاستعمال؟!.

ب- شواهد الاستعمال:

من كلام سُديف بن ميمون (ت١٤٦هـ)[1]:«اللهمّ - وقد عرفنا من أنفسنا خلالًا تقعد بنا عن استجابة الدعوة، وأنت المفضِّل على الخلائق

(١) طبقات الشعراء، ابن المعتز، تح عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف - القاهرة، ط٣، ٣٨.

أجمعين، والمتولِّي الإحسان إلى السائلين - فآت لنا من أمرنا حسب كرمك وجودك وامتنانك، فإنك تقضي ما تشاء، وتفعل ما تريد».

- وقال صالح بن عبد القدوس (ت١٦٧هـ)[١]:

لو يرزقون الناس حسب عقولهم ألفيت أكثر من ترى يتصدق

- وكتب أبو العيناء (ت٢٨٣هـ) إلى محمَّد بن عبد الملك الزيّات (ت٢٣٣هـ) حين حبسه: ولا بأس أن ترينا من عفوك حسب ما أريتنا من قدرتك. فأمر بإطلاقه، ثم لقيه بعد أيام، فقال: يا أبا العيناء، ما تزورنا حسب نيّتنا فيك؟[٢].

- وقال الحسن بن وهب (ت نحو ٢٥٠هـ)[٣]:

سأكرم نفسي عنك حسْب إهانتي لها فيك إن قرّت وكفّ نزاعها

- وقال الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)[٤]: «فللصابر منهم من الأجر حسْبُ ما خُصَّ به من الصبر».

---

(١) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، تح د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت،ط١، ٢٠٠٢،١٠/ ٤١٤ وهذه أشهر روايتي البيت. وأنشده ابن الأنباريّ برواية:

ولوَ أنّهم رُزِقوا على أقدارهم .....

كتاب التنبيه والإيضاح عمّا وقع في الصحاح، ابن برّي، تح عبد الصمد محروس، مجمع اللغة العربيّة - القاهرة، ط١، ٢٠١٠، (صدق)٤/ ٢٥. وانظر لسان العرب وتاج العروس (صدق).

(٢) نثر الدر في المحاضرات، الآبي، تح خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ٢٠٠٤، ٣/ ١٤٣.

(٣) عيون الأخبار، ابن قتيبة، تح منذر أبو شعر، المكتب الإسلامي - بيروت، ط١، ٢٠٠٨، ٢/ ٤٩٠.

(٤) رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة، ١٩٦٤،٤/ ٢٤٧.

- وورد في أخبار أبي عبادة البحتري (ت ٢٨٤هـ):كتب أبو عبادة البحتري إلى أبي جعفر ابن سهل المروزي الكاتب - وكان بينهما مودّة ومؤانسة - شعرًا في وداعه، منه قوله[١]:

وعلمـــــت أن لقاءنـــــا حسب اشتياقي واشتياقك

- وقال محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥هـ) في أعجب ما رآه من أمر المجانين[٢]:«ومنهم من يُحلَب على رأسه وتُدهَن أرداؤه، ومنهم من يُنهَل ويُعَلّ بالدواء حسب ما يحتاجون،...».

- وقال أحمد بن الطيب (ت٢٨٦هـ)[٣]: «ليكون شكري لك على ما كان منك حسبَ لومي لصاحبك على ما كان منه...».

- وقال عبد السّلام بن الحسين أبو طالب المأموني من أولاد المأمون[٤]:

وَلَو أفضتُ دموعي حسْب واجبها أفضتُ من كل عُضْو مدمعًا سربا

- وقال محمد بن علي بن أبي مروان الأموي[٥]:

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، ابن العديم، تح د. سهيل زكار، دار الفكر - دمشق، ١٠/ ٤٣٧٤.

(٢) أخبار النحويين البصريين، السيرافي، تح طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي، مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٦، ٧٣.

(٣) أخلاق الوزيرين (مثالب الوزيرين)، أبو حيان التوحيدي، حققه وعلق عليه: محمد بن تاويت الطنجي، دار صادر - بيروت،١٩٩٢،٢٣٨.

(٤) يتيمة الدهر، الثعالبي، تح د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٩٨٣،٤/ ٨٤. ووفاته كما نصّ أبو منصور ثمّة سنة (٣٨٣).

(٥) يتيمة الدهر، ١/ ٥٣٦. والشاعر هو ابن أخي المستنصر بالله الحكم بن عبد الرحمن الخليفة المرواني بالأندلس: كان أديبًا فاضلًا شاعرًا.كما في اليتيمة، ومعجم الأدباء٦/ ٢٥٨٠.

زمـن لـو بكيتـه حسـب وجـدي كنـت أبكيـه مـن دم الأحـداق

- وقال الفخريّ البغداديّ أبو الحسن علي بن أحمد بن الفخر[١]:

ما قيل لي شاعرٌ إلّا امتعضتُ لهـا حسْبَ امتعاضي إذا نوديت باللقب

- وقال أبو حيان التوحيدي (ت نحـو ٤٠٠هـ): «ولكـن عـنّ هـذا علـى عادة ما تضمّن هذا الكتاب، فتكلمت حسب الطاقة،...».

وقال: «وقد أتينا على هذه الحروف حسب الطاقة، فخذ ما حلا بعينـك، وراق قلبك، وقوّم أودًا إن مرّ بك، واجبر نقصًا يظهر لك،...»[٢].

هذه الشواهد المنتخبة من شواهد الاستعمال احتجاجًا واستئناسًا تشـهد بأنّ تجرُّد «حسب» في هذا الاستعمال من الباء وعلى صحيحٌ فصـيح قـديم، والأبياتُ الشعريّة منها التي كانت فيها «حسب» سـاكنة السـين تـدلّ علـى أنّ تسكين هذه السين في هذا الاستعمال ليس من لحن العامّة أو مقارفة الغلـط. وإذا احتمل أن يُعدّ من ضرورة الشعر علـى الـرأي الأوّل مـن الآراء الثلاثـة، فإنّه يحتمل أن يكون في ضوء الرأي الثاني من الصحيح الفصيح.

وهذه الشواهد وتلك النصوص تأذن لك بالقول: إنّ استعمال «حسـب» بمعنى قدْر خاليةً من الباء و«على» صحيحٌ فصيح، وإنّ تسـكين السـين منهـا صحيح فصيح على رأي، أو صحيح جائز على الأقلّ.

ولك إلى ذلك أن تستأنس بما ذهـب إليـه بعـض النقّـاد والبـاحثين فـي

(١) جـذوة المقتـبس، الحَمِيـدي (ت ٤٨٨هـ)،الـدار المصـرية للتـأليف والنشـر - القـاهرة، ١٩٦٦، ٣٠٨. وانظـر: الـوافي بالوفيـات، الصـفدي، تـح أحمـد الأرنـاؤوط وتركـي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت،٢٠٠٠، ٢٠/ ١١٣.

(٢) البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي، تح د. وداد القاضي،دار صـادر - بيـروت، ط١، ١٩٨٨، ٨/ ١٣٣، ١٥٥، على التوالي.

تصحيح هذا الاستعمال من وجهيه، وتأييده بالدليل والبيّنة[١].

عضو المجمع د. عبد الناصر عسّاف

٤- قرار اللجنة:

جواز استعمال «حَسب» بمعنى قَدْرٍ ساكنة السين ومفتوحتها، وجواز استعمالها مجرّدة من حرفي الجرّ الباء و«على»، أو مقترنة بهما.

* * *

(١) انظر:لغويات وأخطاء لغوية شائعة، محمد علي النجار، دار الهداية،١٩٨٦، ١٧٤-١٧٦،ومعجم أخطاء الكتاب، صلاح الدين الزعبلاوي، عُني به محمد مكي الحسني ومروان البواب، دار الثقافة العربية - دمشق، ط١، ٢٠٠٦، ١١٩-١٢٠.

الفهارس العامة
للمجلد السابع والتسعين

أ- فهرس أسماء
الكُتّاب

أ. أحمد بوبس ٢٤٣

د. أحمد قدور ١١٩، ٣٠٩

د. امحمد صافي المستغانمي ٥٣٥

د. بسام إبراهيم ٥٢١

د. حسن الشافعي ٥٢٥

د. رفعت هزيم ١٠٧، ٤٣١

د. عباس الجراخ ٩، ٣٤٣

د. عبد الحميد مدكور ٥٣٩

د. عبد الناصر عساف ٥٥٥، ٦٠٣

د. عماد الصابوني ٥٧٥

د. عيد مرعي ٤٧٣
د. عيسى العاكوب ٢٠٧، ٣٣١
د. غيث زرزور ٥٤٧
د. مازن المبارك ١٤٣، ٢٢٥، ٤١٧
أ. مأمون الصاغرجي ٤٩
د. مأمون وجيه ٥٤٣
د. محمد بهاء ككو ٣٧٩
د. محمد عبدو فلفل ١٦١
د. محمد قاسم ٦١٥
د. محمد يحيى زين الدين ٦٥، ٤٤١
د. محمود السيد ٥٢٩، ٢٤٧، ٥٧١، ٥٩٧
أ. مروان البواب ٢٣٣
د. مكي الحسني ١٠٥، ٤٢٧
د. نزار بني المرجة ٥٠٣
د. نضال شمعون ٥٨٥

ب- فهرس عناوين الموادّ

إضاءات على رباعيات الشاعر أنور العطار ٥٠٣
أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق في مطلع (١٤٤٥هـ-٢٠٢٤م) ٢٨١
أيهما أفضل السمع أم البصر؟ ٤٢٧
بين اللغة واللهجة ١٤٣
التباس الخط المغربي والأندلسي في المخطوطات على بعض النساخ المشارقة ٤٩
التقاء حرف المد الساكن بالمدغم ٣٠٩
التقويم الزمني في حضارة بلاد الرافدين ٤٧٣
جهود مجمع اللغة العربية دمشق في المعاجم المصطلحية ٢٣٣
حفلة استقبال الدكتور محمد قاسم: ٥٩٥
حفلة استقبال الدكتور نضال شمعون: ٥٦٩
دفاعًا عن العقل والدين تُعلَّم دروس بلاغة العرب ٣٣١
ديوان سيف الدين المشد في ثلاثة تحقيقات: أوهام وفوات ٩
رسالة الدار عن محاورات الفار لصفي الدين الحلي ٣٤٣
عربية القرآن التي عرّبت العالم ٢٠٧
العربية ٢٢٥
عقود الجمان في المعاني والبيان ٤١٧
فهرس المجلد السابع والتسعون ٦٦١
في تلقي المنهج الوصفي وتوظيفه في النحو العربي ١٦١

الكشكول اللغوي (٦): النور والنار، والنهر والنهار، والمنار، والأوار ١٠٧
الكشكول اللغوي (٧): المِزراب والمِرزاب، والمِيزاب والمِئْزاب، والمَسْرَبُ والمَثْعَب ٤٣١
كلمة الأستاذ الدكتور رئيس المجمع ٥٧١، ٥٩٧
كلمة الأستاذ الدكتور عبد الناصر عساف ٦٠٣
كلمة الأستاذ الدكتور عماد الصابوني ٥٧٥
كلمة الأستاذ الدكتور محمد قاسم ٦١٥
كلمة الأستاذ الدكتور نضال شمعون ٥٨٥
كلمة الدكتور محمود السيد في المؤتمر السنوي التاسع والثمانين لمجمع اللغة العربية في القاهرة ٢٤٧
كلمة د. امحمد صافي المستغانمي الأمين العام لمجمع اللغة العربية بالشارقة. ٥٣٥
كلمة د. بسام إبراهيم وزير التعليم العالي والبحث العلمي ٥٢١
كلمة د. حسن الشافعي رئيس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية. ٥٢٥
كلمة د. عبد الحميد مدكور الأمين العام لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية. ٥٣٩
كلمة د. عبد الناصر عساف عضو مجمع اللغة العربية بدمشق. ٥٥٥
كلمة د. غيث زرزور ممثل مجمع اللغة العربية بالشارقة. ٥٤٧
كلمة د. مأمون وجيه المدير العلمي للمعجم التاريخي للغة العربية. ٥٤٣
كلمة د. محمود السيد رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق. ٥٢٩
اللسانيات – مقدمة إلى المقدمات تأليف جين إِتشسن ١١٩

لغة العروبة – قصيدة ٢٤٣
ما الفرق بين تسلم واستلم؟ ١٠٥
مباركات للأستاذ الدكتور محمود السيد ٢٥٧
من الضائع من رحلة ابن رشيد السبتي (ملء العيبة) (رسالة المصحف العظيم) للقيسي ٣٧٩
من قرارات المجمع في الألفاظ والأساليب ٢٦١، ٦٣٥
ندوة المعجم التاريخي للغة العربية بين الواقع والمأمول ٥١٩
ندوة بمناسبة اليوم العالمي للغة العربية ٢٢٣
نظرات في معجم لسان العرب (٦) ٦٥
نظرات في معجم لسان العرب (٧) ٤٤١

تنضيد وإخراج: عمار البخاري